







الدراسات المنشورة لاتعبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر

جميع الحقوق محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال أو رفعه على شبكة الإنترنت دون إذن خطى مسبق من الناشر

حقوق الملكية الفكرية هي حقوق خاصة شرعاً وقانوناً، وطبقاً لقرار مجمع الفقه الإسلامي في دورته الخامسة فإن حقوق التأليف والاختراع مصونة شرعاً، ولأصحابها حق التصرف فيها فلا يجوز الاعتداء عليها.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted in any from or by any means without written permission from the publisher.





تركيا _ إسطنبول

ماتف: 73 480 480 0850

İskenderpaşa Mah. Feyzullah Efendi Sok. No 8 Dük:1 Fatih/İSTANBUL



fb.com /irsadkitabevi @irsadkitabevi



№ T **®** +90 (0) 531 285 3525

قامت بعمليات التنضيد والإخراج الفني والتنفيذ الطباعي



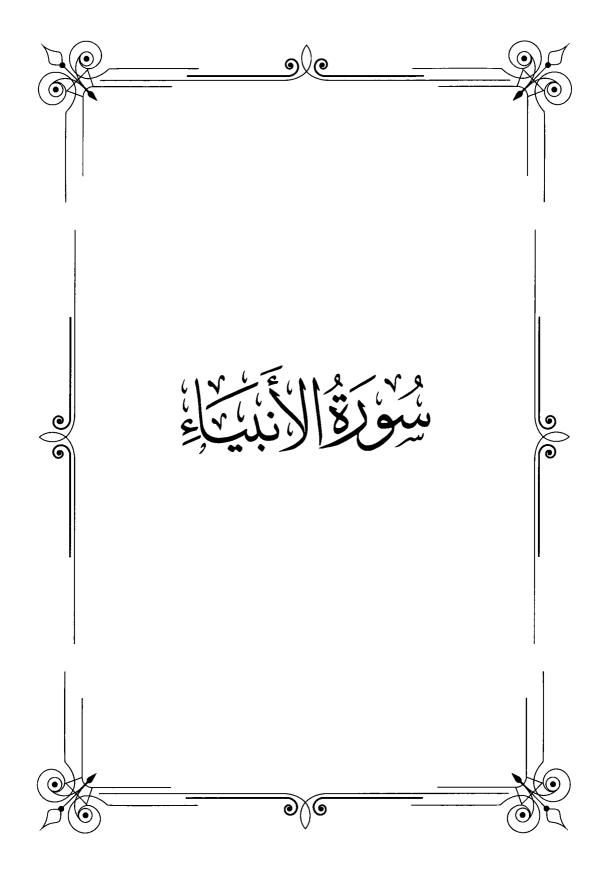
للذراسات وتخقيق التراب

تركيا _ اسطنبول _ الفاتح _ اسكندر باشا _ كرتاش _ مفرق بنك الكويت مقابل مستشفى الفاتح ـ بناء رقم ٧ ـ ط ٥

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları Tel: 00902125255551 - Mob: 00905454729850

Www.allobab.com - Email: info@allobab.com





(١) - ﴿ أَقْتَرَبُ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْ لَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾.

﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾؛ أي: دنا وقتُ إظهار ما للعبد وما عليه ليُجازَى بهما. والحسابُ: إخراجُ الكميَّة من مبلغ العِدَّةِ.

والاقترابُ بالنسبة إلى ما مضى، لا عندالله تعالى؛ إذ لا نسبة للكائنات بالقرب والبعد إليه تعالى، أو لأنَّ مبدأه الموت، أو هو كنايةٌ عن ظهور بعض أماراته، ويناسبه:

﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةِ ﴾ تنكيرُ ها للتعظيم؛ أي: وهم مستقرُّون في غفلة عظيمة لا يُعرف كُنْهُها، وهذا من قبيل نسبة فعل الأكثر إلى الكلِّ، فلا ينافي كونَ تعريف (النَّاس) للجنس، كما في قوله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَنُ أَءِذَا مَامِتُ ﴾ الآية [مريم: ٢٦].

واللّام صلة لـ ﴿ أَقَرَبَ ﴾ ، أو تأكيدٌ لإضافة (الحساب) إليهم ، كما في قولهم: لا أبالك ، والأصل: اقترب حساب النّاس ، ثمّ: اقترب للنّاس الحساب، ثمّ: اقترب للنّاس حسابهم ، ونحوُه في التّأكيد تكرير الظّرف ، كقولهم: فيك زيد راغب فيك.

﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ عن أسباب التَّنبيه؛ كلَّما كُرِّرَ عليهم التَّنبيه (١)، وجُدِّدَ لهم التَّذكير، وقُرِعَتْ لهم العصا(٢)، وأُحْدِثَ لهم ذِكْرٌ من الآيات التي تُتلى وقتاً بعد وقتٍ = ما تنبَّهوا بواحدٍ من تلك الأذكار، وما استيقظوا مرَّة من تلك المِرَار، إلَّا استمعوه مستسخرين لاهين يلعبون، فقوله:

(٢) - ﴿ مَا يَأْنِيهِم مِن ذِكْرِ مِن زَّبِهِم مَحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾.

﴿مَايَأْيِهِم مِن ذِكِرٍ عَلَى الله تعالى يَعْدِد لهم الذِّكر ويكرِّر على أسماعهم الوعظ ليتَّعظوا، فما يزيدهم استماعُ ذلك إلَّا يجدِّد لهم الذِّكر ويكرِّر على أسماعهم الوعظ ليتَّعظوا، فما يزيدهم استماعُ ذلك إلَّا لعباً واستخساراً وتلهياً راسخاً في قلوبهم، وجدًّا وعزيمةً في اللَّهو؛ يعني أنَّهم وإنْ فطِنوا فهُم في قلَّة جدوى فطنتهم، وتمادي ذُهولهم وغفلتهم عن التَّامُّل والتَّبصُّر، كأنَّ الذُّهولَ مركوزٌ في قلوبهم، لا فطنة لهم أصلاً.

قوله: ﴿ فِي غَفْلَةِ مُعْرِضُونَ ﴾ خبران، أو الظّرف حال من المستكِنِّ في ﴿ مُعْرِضُونَ ﴾.

﴿ مِن رَّبِهِم ﴾ صفة لـ ﴿ ذِكْرٍ ﴾، أو صلة لـ ﴿ يَأْنِيهِم ﴾.

﴿ فَحَدَثِ ﴾ لم يُرَدْ به حدوثُ نفسه بمعنى مسبوقيَّته بالعدم وإنْ كان صحيحاً؛ لأنَّ الكلام اللَّفظي حادث عند الجمهور، ولا حدوثُ تنزيله كما زعمته الحنابلة المنكِرون حدوثه؛ لأنَّ كلًّا منهما لا يناسب المقام، ولا يلائم

⁽١) «كلما تكرر عليهم التَّنبيه» سقط من (ف)، وفي (م): «كرر» بدل: «تكرر».

⁽٢) (قرع العصا) أصله من قولهم: إن العصا قرعت لذي الحلم، يضرب لمن إذا نبّه انتبه، وانظر قصة المثل في «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٣٨)، و «فتوح الغيب» للطيبي (٢/ ٢٩) و (١٠/ ٢٨٥).

مساقَ الكلام، بل المراد تجدُّد الذِّكر وقتاً بعد وقت؛ لِما عرفْتَ أنَّه أشدُّ تأثيراً في التَّذكير.

وقرئ بالرَّفع حملاً على المحلِّ (١).

﴿ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمِّ يَلْعَبُونَ ﴾ حال عن الواو، وكذلك:

(٣) - ﴿ لَاهِيَةَ قُلُوبُهُمُّ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَنَذَاۤ إِلَّا بِشَرُّ مِثْلُكُمُ أَفَتَاْ تُوكَ اللَّهِ عَرَواْ لَهُ مَا اللَّهِ عَرَواْ لَهُ مَا اللَّهِ عَرَواْ لَعَمْ الْمُعَالِقِينَ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ عَلَى الْمُعَلِّمُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْلِقِينَ الْمُعَلِّمُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعَلِّمُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعَلِّمُ عَلَى الْمُعَلِّمُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعَلِّمُ عَلَى الْمُعَلِّمُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعْلِمُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعَلِّمُ عَلَى الْمُعَلِّمُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعَلِّمُ عَلَى الْمُعَلِّمُ عَلَى الْمُعَلِّمُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْمُعَلِّمُ عَلَى الْمُعَلِّمُ عَلَى الْمُعْلِمُ عَلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلِمُ عَلَى الْمُعْلِمُ عَلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلِمُ الْمُعْلَى الْمُعْلِمُ الْمُعْلَى الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ عَلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللَّ

﴿ لَاهِيـَةُ قُلُوبُهُمْ ﴾؛ أي: استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتَّلهِّي، فهما حالان مترادفان.

وهي من لَهِيْتُ عن الشيء لُهِيًّا ولُهْياناً: إذا سَلَوْتُ عنه وتركْتُ ذِكْرَه وأضربْتُ عنه، ويعدَّى بـ (عن) و(من) عند الأصمعي (٢)، وهو في الحديث من باب عَلِمَ؛ أي: مِن لَهِيَ عنِّي يَلْهَى: إذا ذَهَل وغَفَل.

ويجوز أن يكون حالاً من واو ﴿يَلْعَبُونَ ﴾، فالحالان متداخلان، وقرئت بالرَّفع (٣) على أنَّه خبر آخر، فالحال واحدة.

وفي قوله: ﴿وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى ﴾ مبالغةٌ؛ لأنَّ النَّجوى لا تكون إلَّا خفيَّة؛ أي: بالَغوا في إخفائها(١).

⁽۱) نسبت لابن أبي عبلة. انظر: «الكشاف» (٣/ ١٠١)، و «البحر المحيط» (١٥/ ١٧٩).

⁽٢) انظر: «الصحاح» (مادة: لها).

⁽٣) نسبت لعيسى. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩١).

⁽٤) في هامش (ف): «وينتظم هذا جعلَهم بحيث خفي تناجيهم بها، فمن أخذه مقابلاً له لم يصب، كما لا يخفى. منه».

﴿ اللَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ بدل من واو ﴿ وَأَسَرُّوا ﴾ ، وفائدة الإبدال: الإشعارُ بأنَّهم الموسومون بالظُّلم الفاحش فيما أسرُّوا به ، أو منصوب على الذَّمِّ ، أو مرفوع بالابتداء ، خبره ﴿ أسروا النَّجوى ﴾ ، قُدِّمَ عليه .

وفائدةُ التَّقديمِ: الاهتمامُ ببيان إسرارهم النَّجوى بالتَّسجيل عليهم بأنَّه ظلمٌ؛ لأنَّ الأصل: وهم أسرُّوا النَّجوى، فوُضع المظهَرُ موضع المضمَر، وقدِّم الإسرار؛ لِيُفْهَم منه أنَّ الإسرارَ هو الظُّلمُ.

ثم بيّنَ أنَّ النَّجوى ما هو؟ بقوله: ﴿ هَلْ هَنذَآ إِلَّا بَشُرُّ مِثْلُكُمُ أَفَتَأْتُوكَ ٱلسِّحْرَ وَأَتَدُ تُبْصِرُونِ ﴾ ليتمكّنَ في أنفس السَّامعين بالإبهام (١) والتَّبيين، ويتحقَّق عندهم أنَّ ذلك هو الظُّلم الفاحش بالدَّليل الواضح؛ لتسميتهم المعجِزَ سحراً مُبيناً، وادِّعائهم أنَّ كونه سحراً مشاهداً بيِّنٌ، واعتقادِهم أنَّ رسولَ اللهِ لا يكون إلَّا مَلكاً، وأنَّ مَن ادَّعى الرِّسالة من البشر فهو ساحرٌ، وإنكارِهم أن يَحضروا السِّحر الذي لا شكَّ فيه.

وإنَّما أسرُّوا تشاوراً في استنباط ما يهدم أمرَه، ويُظهر للنَّاس فسادَه؛ تثبيطاً عنه، وعادةُ المتشاورين الكتمانُ.

وما ذكر كلُّه في محلِّ النَّصب بدلاً من ﴿ ٱلنَّجْوَى ﴾ ، أو مفعو لا لـ (قالوا) مضمراً.

(٤) - ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضِ وَهُو ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

﴿قُلْ﴾ وقرئ: ﴿ قَالَ ﴾(٢)؛ إخباراً عن الرَّسول وحكاية لقوله:

﴿رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ هو آكد من قوله: ﴿يَعْلَمُ ٱليِّسَ ﴾ [طه: ٧]؛ لأنَّه

⁽١) في (س) و(م): «بالإيهام».

⁽٢) قرأ حفص وحمزة والكسائي بالألف، وباقي السبعة بغير ألف. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٤).

عامٌّ يشملُ السِّرَّ والجهرَ، كأنَّه قال: يعلمُ السِّرَّ كلَّه وغيره، كما أنَّ قولَه: ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ كَلَّه وغيره، كما أنَّ قولَه: ﴿ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ مَ ﴾ [التوبة: ٧٨]؛ لعمومه، فعمَّم ولم يقل في مقابلة: ﴿ وَأَسَرُّ وَأَالنَّجُوكَ ﴾: (يعلم السِّرَّ)؛ ليؤكِّدَ بالطَّريق البرهانيِّ.

ثم قرَّر ذلك وبيَّن بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾؛ أي: مطلقاً دون غيره، فكيف يخفى عليه ما يسرُّون.

* * *

(٥) _ ﴿ بَلْقَالُوٓاْأَضْغَنْ أَحَلَيمِ بَلِ آفْتَرَىنهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِنَا بِنَايَةِ كَمَا أَرْسِلَ الْفَوْلُونَ ﴾.

﴿ بَلُقَالُوٓا أَضَّغَنَ أَمَّكَ مِ بَلِ اَفْتَرَنَهُ بَلَ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ ﴿ بَلُ ﴾ الأولى: إضرابٌ عن تجاوزهم في شأن الرَّسول عليه السلام وما ظهر عليه من الآيات إلى تقاوُلهم في أمر القرآن.

والثَّانية: لإضرابهم عن كونه أباطيل خُيِّكَتْ إليه وخُلِّطَتْ عليه إلى كونه مفتريات اختلقَها من تلقاء نفسه.

والثَّالثة: لإضرابهم منه إلى أنَّه كلامٌ شعريٌّ يُخيِّلُ إلى السَّامع معاني لا حقيقة لها، ويرغِّبه فيها.

ثمَّ إِنَّهم تفنَّنوا في مدارج الإضراب، واعتبروا في كلِّ نحوٍ منه نوعاً من الاعتبار اللَّطيف.

قيل: أضربوا عن قولهم: ﴿ هو سحر ﴾ إلى قوله (١١): ﴿ أَضْغَنْ أُمُّلَيمٍ ﴾ ؟

⁽١) كذا في النسخ، ولعل الأحسن: (قولهم).

أي: تخاليط رؤيا، ثم إلى أنَّه كلام افتراء، ثم إلى أنَّه قولُ شاعر، على عادة كلّ مبطِلٍ في اللَّجلَجةِ والتَّزلزل في التحيُّر واللعثمة (١)، وذلك يدلُّ على فساد قولهم وبطلانه.

ولا يذهبْ عليك أنَّ حقَّ النَّظم حينئذ: (قالوا بل)، لا: ﴿ بَلْقَالُوٓا ﴾.

وأمّا ما قيل: يجوز أن يكون الكلُّ من اللهِ تعالى تنزيلاً لأقوالهم في دَرْج الفساد؛ لأنَّ كونه شعراً أبعدَ من كونه مفترَّى؛ لأنَّه مشحون بالحقائق، والحكم ليس فيه ما يناسب قول الشُّعراء، وهو من كونه أحلاماً (٢)؛ لأنَّه مشتملٌ على مغيبات طابقَتِ الواقع، والمفترَى لا يكون كذلك، بخلاف الأحلام، وهو [أبعد] من كونه سحراً لأنَّه يجانسه من حيث إنهما من الخوارق (٣) = فمبناه على أن يكون بين الشِّعر والحكمة بوناً بعيداً، وعلى أن يكون السِّحر كالمعجزة من خوارق العادات، ولا صحَّة لواحدٍ منها:

أمًّا الأوَّل: فظاهرٌ، وكأنَّ هذا القائل غافل عن قوله عليه السلام: «إنَّ مِنَ الشِّعرِ لحكمةٌ»(٤).

وأماً الثَّاني: فلأنَّ الحقَّ أنَّ السِّحر إمَّا تمويةٌ لا حقيقةَ له، أو ترتيبٌ لأسبابِ خفيَّة، وعلى كِلَا التَّقديرين ليس فيه شيءٌ مِن خَرْقِ العادة.

(١) في (ف): «التحيز والقلسمة»، وفي (ك): «التحير والعثلمة»، وفي (م): «التحير والعلثمة»، وفي (س): «التحيز» والثانية غير واضحة. ولعل الصواب هو المثبت.

⁽۲) قوله: «وهو» الضمير فيه راجع لـ«كونه مفترى»، وقوله: «من كونه» متعلق بـ(أبعد) مقدراً. انظر: «حاشية الشهاب» (٦/ ٢٤٢). فالمعنى: وكونه مفترى أبعد من كونه أحلاماً.

⁽٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤٦/٤)، وما بين معكوفتين منه.

⁽٤) رواه البخاري (٦١٤٥) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

﴿ فَلْيَأْلِنَا بِنَا لِهِ ﴾: بمعجزةٍ عظيمةٍ، وصحة التشبيه في قوله:

﴿ كَمَا أَرْسِلَ ٱلْأُولُونَ ﴾ من حيث إنّه في معنى: كما أتى الأوّلون بالآيات العظيمة كاليدِ والعصا وإحياء الموتى وإبراء الأكمَهِ؛ لأنّ إرسالَ الرُّسلِ متضمّن للإتيان بها. هذا إذا كان (ما) مصدريّة، وأمّا إذا كانت موصولة، والمعنى: كالتي أرسل بها الأوّلون، فالتّشبيه على ظاهره (١).

* * *

(٦) - ﴿ مَا ءَامَنَتْ قَبْلُهُم مِن قَرْيَةٍ أَهْلُكُنَّهَا أَفَهُم يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ مَآءَامَنَتَ قَبْلَهُم مِن قَرْيَةٍ ﴾ أراد بالقرية: أهلَها، فالإيجاز من جهة المجاز لا من جهة الحذف، ولذلك قال في التَّوصيف:

﴿ أَهَلَكُنَهَا ﴾ دون (أهلكناهم)، يريد (٢): إهلاكهم عند إنكارهم ما اقترحوا من الآيات لَمَّا جاءتهم.

﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ عند إتيانها، وفي إيلاء الهمزة فاءَ التَّعقيب إنكارُ إيمانهم بعدما لم يؤمن أولئك؛ لأنَّ هؤلاء أعتى منهم وأشدَّ عناداً وتعنَّتاً، فلو أتوا بما يقترحون لكانوا أعصى منهم وأشدَّ كفراً، وتنبيهٌ على أنَّ عدم الإتيان (٣) بما اقترحوا إبقاءٌ عليهم؛ إذ لو أتوا به لم يؤمنوا، واستوجبوا عذاب الاستئصال كمَنْ قبلَهم.

* * *

⁽۱) في هامش (ف): «فيه رد للقاضي، حيث فسَّر الكلام على الثَّاني، وأوَّل التَّشبيه على الأوَّل، فتأمَّل. منه».

⁽٢) في (ف) و(ك) و(م): «يريدون»، والمثبت من (س).

⁽٣) في (ك): «الإيمان».

(٧) - ﴿ وَمَآأَرْسَلْنَاقَبْلُكَ إِلَّارِجَالًا نُوحِ إِلَيْهِمْ فَسَنُلُوْ أَهْلُ ٱلذِّحْرِ إِن كُنتُ مُ لَا تَعْلَمُونَ ﴾. ﴿ وَمَآأَرْسَلْنَاقَبْلُكَ إِلَّارِجَالًا نُوحِ إِلَيْهِمْ ﴾ جوابٌ لقولهم: ﴿ هَلْ هَاذَاۤ إِلَّابِسُرُّ مِنْلُكُمْ ﴾.

فإنْ شككتم فيه:

﴿ فَسَّنَا فُوا أَهْلَ الذِّحْرِ إِن كُنتُهُ لَا تَعَلَمُونَ ﴾ إنَّما أمَرَهم بذلك ليخبروهم أنَّ الرُّسلَ كانوا بشراً ولم يكونوا ملائكةً.

والمراد من ﴿أَهَلَ الدِّحَرِ﴾: أهلُ الكتاب، وإنما أحالهم إليهم للإلزام؛ فإنَّهم كانوا يشاورونهم في أمرِ الرَّسولِ والرَّدِ عليه، ويثقون بقولهم. وبهذا التَّقرير تبيَّن ما في تحرير القاضي من التَّقصير والخلَل، فتأمَّل.

أو: علماءُ الأخبار، والإحالةُ إليهم لأنَّ إخبارَ الجمِّ الغفير يوجب العلم وإن كانوا كفَّاراً، وتمام الكلام في هذا المقام قد سبق تفسيره في (سورة النحل).

* * *

(٨) - ﴿ وَمَاجَعَلْنَهُمْ جَسَدًالَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَلِدِينَ ﴾.

﴿ وَمَاجَعَلْنَهُمْ ﴾؛ أي: ما جعلنا كلَّ واحدٍ منهم، كقوله: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [الحج: ٥].

﴿ جَسَدًا ﴾ الجسدُ: جسم الحيوان، مخصوصٌ به كالبدن، بخلاف الجسم والجِرم، وهو عبارة عن روح وجسد، والرُّوح ما لطف، والجسد ما غلظ، وأصله لجمع الشَّيء واشتداده؛ أي: ما جعلناهم جسداً محضاً ليس فيه (١) روحٌ متصرف حتى يتحلَّل فيحتاجَ إلى البدل، فقوله:

⁽١) «فيه» من (ك) و(م).

﴿ لَا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ تقريرٌ وتأكيدٌ لذلك المعنى، وجوابٌ لقولهم: ﴿ مَالِ هَلَذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُ ٱلطَّعَامَ ﴾ [الفرقان: ٧]، ولما كان التَّغدي به من لوازم التَّحليل المؤدِّي إلى الفَناء كان قوله: ﴿ وَمَا كَانُواْ خَلِدِينَ ﴾ تقريراً وتأكيداً له، ونفيٌ عن الرُّسل لِما اعتقدوا اختصاصه بالملك؛ تحقيقاً لكونهم من جنس البشر.

* * *

(٩) = ﴿ ثُمُّ صَدَفْنَهُ مُ ٱلْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَهُمْ وَمَن نَشَاءُ وَأَهْلَكَ نَاٱلْمُسْرِفِينَ ﴾.

﴿ ثُمُ صَدَقَنَهُ مُ ٱلْوَعَدُ كَ ﴾؛ أي: في الوعيد، فنصب بانتزاع الخافض.

﴿ فَأَنْجَينَنَهُم ﴾ ممَّا حَلَّ بقومِهم ﴿ وَمَن نَشَاءُ ﴾؛ يعني: المؤمنين، ومَن في إنجائه (١) حكمة كَمَن سيؤمن هو أو بعض ذرِّيته، ولذلك حُميت العرب عن عذاب الاستئصال.

﴿ وَأَهْلَكَ نَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾: المجاوزين الحدَّ بالكفر، ويفهم منه دخول بعض الكافرين تحتَ ﴿ وَمَن نَشَاءُ ﴾.

* * *

(١٠) - ﴿ لَقَدْ أَنَزُلْنَا ٓ إِلَيْكُمْ كِتَبَافِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿لَقَدَّ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِنَا أَفِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾: صِيْتُكم وشرفُكم (٢)، كقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أو: موعظتُكم، أو: ما تطلبون به حُسنَ الذِّكر من مكارم الأخلاق.

⁽١) في (ف) و(ك) و(م): «إلجائه»، والمثبت من (س).

⁽۲) في (م): «وما شرفكم».

والكتابُ: القرآنُ، والخطابُ لقريشِ أو لعامَّة العرب.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ فتؤمنوا به، والفاء كالتي في: ﴿ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦]، وكذا الاستفهام.

* * *

(١١) - ﴿ وَكُمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا وَاخْرِينَ ﴾.

﴿ وَكُمْ قَصَمْنَا ﴾ واردةٌ عن غضب (١) شديدٍ؛ لأنَّ القَصْمَ أفظعُ الكسر؛ لأنَّه كسرٌ يَبيْنُ تلاؤمَ الأجزاء، بخلاف الفصم بالفاء، ولإيردها في صورة التَّكثير. فرمِن قَرْيَةٍ ﴾ لَمَّا أُقيْمَتِ القريةُ مقامَ أهلِها، أو تجوُّزَ بها عن (هم)(٢)، وُصِفَتُ بصفتهم، فقيل:

﴿ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا ﴾: بعد إهلاكها.

﴿ فَوَمَّا ءَاخَرِينَ ﴾ مكانهم، وللدلالة على تعدِّي الغضب في شأنهم أي: إهلاك قريتهم أيضاً بإخراجها عن صلاحية الانتفاع بها قال: ﴿ بَعْدَهَا ﴾، ولم يقل: (بعدهم)؛ إظهاراً للتَّوسُّع السَّابق، واعتباراً لما يقتضيه اللَّحق، فإنَّ الضَّمير في قوله:

(١٢) - ﴿ فَلَمَّا آَحَسُواْ بَأْسَنَاۤ إِذَا هُم مِّنَّهَا يَرَكُمُونَ ﴾.

(١) أي: دالةٌ عليه؛ للتعبير فيها بالقصم وهو كسر يفرِّق الأجزاء ويُذهب التئامها، ولذا أتى فيه بالقاف الشديدة، بخلاف الفصم بالفاء الرخوة فإنه لمَا لا إبانة فيه فأتى بتركيب اللفظ على وفق المعنى. انظر: «حاشية الشهاب» (٦/ ٢٤٤).

⁽٢) في (ف): «عنهم».

﴿ فَلَمَّا أَحَسُوا ﴾ لأهل القرية ﴿ بَأْسَنَا ﴾؛ أي (١): أدركوا بالحسّ عياناً ومشاهدةً شدَّة عذابنا، على الاستعارة في الإحساس، ويجوز أن يكون من قبيل الاستعارة في البأس.

﴿إِذَا هُم مِّنَّهَا ﴾: من القرية، و ﴿إِذَا ﴾ للمفاجأة.

﴿ يَرْكُنُونَ ﴾ الرَّكضُ: ضربُ الدَّابة بالرِّجْلِ؛ أي: يهربون مسرعين، على الكناية. ويحتمِلُ التَّمثيلَ على تشبيههم في الإسراع وشدَّة العَدْوِ بمَنْ (٢) يركِضُ الدَّابة، وأن بكون:

(١٣) - ﴿ لَا تَرَكُفُهُواْ وَٱرْجِعُواْ إِلَى مَا أَتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَكُمْ تُسْتَلُونَ ﴾.

﴿لَا تَرَكُفُهُوا ﴾ قولاً بلسان الحال يشير إلى أنَّهم خُلقاء بأنْ يُقال لهم ذلك وإن لم يُقَلْ، أو يُقالُ لهم ذلك وإن لم يُقَلْ، أو يُقالُ (٣) استهزاءً، والقائل(٤) مَلَكٌ أو مَن ثمَّةَ مِنَ المؤمنين. أو حديثاً تُحدِّثُ به أنفسُهم تحسُّراً.

﴿ وَأُرْجِعُوا إِلَىٰ مَا أَتَّرِفْتُمْ فِيهِ ﴾ من العيش الرافه (٥) والتَّنعُّم.

والإترافُ: إبطار النِّعمة، والاسم: التَّرفه.

أو: ارجعوا إلى وبالِ ما أُترفتم فيه.

﴿ وَمُسَاكِنِكُمْ ﴾ في النَّار، أو: التي كانت لكم.

⁽١) «أي» من (م).

⁽٢) «بمن» سقط من (م).

⁽٣) في (س) و(ف) و(ك): «أو المقال».

⁽٤) في (س) و (ك) و (م): «أو القائل».

⁽٥) في (ك): «والترفه».

﴿لَعَلَّكُمْ مُتَنَّالُونَ ﴾ غداً عن أعمالكم، أو كنايةٌ عن العذاب؛ فإنَّ السُّؤال مُقدِّمتُه، أو تهكُّمٌ وتوبيخٌ؛ أي: ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم حتى يَسألكم مَن ينفذ فيه أمرُكم ونهيُّكم، أو يسألكم النَّاس في أنديتكم المعاونة(١) في نوازل الخطوب أو يسألكم الوافدون عليكم ويستمطِرون(٢) سحابَ ما في أيديكم.

(١٤) _ ﴿ قَالُواْ يَوَيُّلُنَا ٓ إِنَّا كُنَّا ظَيْلُمِينَ ﴾.

ولَمَّا أخذهم العذاب ولم يروا وجهَ النَّجاة: ﴿ قَالُواْ يَنَوَيْلَنَاۤ إِنَّاكُنَّا ظَلِمِينَ ﴾ اعترفوا بالاقتراف حين لا ينفع الاعتراف.

(١٥) - ﴿ فَمَا زَالَت تِلْكَ دَعُونهُمْ حَتَّى جَعَلْنَهُمْ حَصِيدًا خَلِمِدِينَ ﴾.

﴿ فَمَا زَالَت تِلْكَ دَعُونهُمْ ﴾ الإشارة إلى ﴿ يَنْ يَلْنَا ﴾ لأنَّها دعوى؛ أي: فما زالَتْ تلك الدَّعوى دعواهم.

والدَّعوى: الدَّعوة؛ لأن الـمُولُولُ يدعو الويلَ، ويقول: يا ويلُ تعال(٣) فهذا أَه انْكَ.

والويلُ: الوقوعُ في الهلكة.

(١) في (ف): «المقاولة»، وفي «الكشاف» (٣/ ١٠٦): (المعاون)، وهي جمعُ المعونة.

⁽٢) في (م): «وافدون عليكم ويستخطرون».

⁽٣) في (م): «يقال».

و ﴿ تِلْكَ ﴾ اسم ﴿ فَمَا زَالَتَ ﴾، و ﴿ دَعُونهُمْ ﴾ خبرُه، أو بالعكس، وتعيَّنُ الأوَّل إنَّما هـ و في نحو: ضرب موسى عيسى، مما يَختلف أصل المعنى باختلاف الإعراب.

﴿ حَقَى جَعَلْنَكُمُ ﴾ الضّمير المنصوب هو الذي كان مبتداً، و: ﴿ حَصِيدًا خَلِينَ ﴾ كانا خبرين، فنصبَهما (جَعَل) جميعاً على المفعوليَّة، لا على أنها تقتضي ثلاثة مفاعيل، بل على أن الأخيرين (١) في حكم الواحد؛ أي: جعلناهم جامعين لمماثلة (٢) الحصيد والخمود، كقولهم: هذا حلوٌ حامضٌ؛ أي: جامعٌ للطَّعْمَين.

شُبِّهوا في استئصالهم وسقوطهم بالزَّرع المحصود، وفي دمارهم وسكونهم بالنَّار الخامدة.

وإفراد ﴿ حَصِيدًا ﴾ دلَّ على أنَّ المِثْلَ مرادُّ، فخرج الكلام عن حدِّ الاستعارة إلى حدِّ التَّشبيه.

* * *

(١٦) ـ ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينِ ﴾.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ ﴾: ما في جهة العلوِّ والسُّفل.

﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من العجائب والبدائع ولطائف الصَّنائع.

﴿لَعِينَ ﴾ كما يصنع أبناء الدُّنيا، إنَّما خلقناهما تسبيباً لِمَا تنتظِم بـ ه أمورُ

⁽١) في (ف): «الآخرين».

⁽٢) في (م): «بمماثلة».

العباد في المعاش والمعاد، وتبصرةً لأولي الألباب والأبصار، وتذكرةً لذوي الاعتبار من النُّظَّار، فليَعتبر بها طلَّابُ الكمال، ولا يغترُّ وا بزخارفها، فإنَّها سريعةُ النَّوال، ثمَّ بيَّنَ بقولِه:

(١٧) _ ﴿ لَوَ أَرَدْنَا أَن نَنَخِذَ لَمُوالَّا تَخَذَنهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَعِلِينَ ﴾.

﴿ لَوَ أَرَدُنَا آَن نَنَّخِذَ لَمُوا لَا تَخَذَنهُ ﴾ أنَّ السبَّبَ في تركِ اتِّخاذ اللَّهو هو الحكمةُ البالغةُ، وإلَّا فالقدرة الباهرة (١) لا تنحسر عن ذلك إن أراد فعله، فإنَّه على كلِّ ما يشاء قدير، والحكمةُ وإنْ لم تكن منافيةً لاتخاذ (٢) اللَّهو _ وهو ما يُتلهَّى به، ويندرج فيه اللَّعب _ لكنَّها منافيةٌ لأنْ يَفعلَ فعلاً يكون به لاهياً.

﴿ مِن لَدُنّا ﴾؛ أي: مِن عالَم الغيب، لا من عالَم الشّهادة؛ لأنَّه أشنعُ وأبعدُ من شأن الحكيم.

﴿إِن كُنَّا فَعِلِينَ ﴾ ذلك، ويدل على جوابه الجوابُ المتقدِّمُ.

وقيل: ﴿إِن ﴾ نافية، وزيادة ﴿كُنَّا ﴾ لاستمرار النَّفي، لا لنفي الاستمرار؛ لأنه لا يناسب المقام، والجملة كالنَّتيجة للشَّرطيَّة.

* * *

(١٨) _ ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِ عَلَى ٱلْبَطِلِ فَيَدْمَعُهُ فَإِذَا هُو زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾. ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِ عَلَى ٱلْبَطِلِ ﴾ إضراب عن اتّخاذ اللّهو، وتنزيهٌ لذاته من

⁽۱) من هنا وقع سقط في (م) بمقدار صحيفتين وينتهي عند قوله: «من جملتها»، وسننبه على انتهائه في مكانه.

⁽۲) في النسخ: «لإيجاد»، والمثبت من «حاشية الشهاب» (٦/ ٢٤٦)، و «روح المعاني» (١/ ٣٩).

اللَّعب؛ أي: بل من شأننا أن نغلِّبَ الحقَّ الذي من جملته الجدُّ على الباطل النَّهو.

﴿ فَيَدَمَعُهُ ﴾: فيَمحقُه ويُفنيه، من دُمِغ الرَّجلُ: إذا شُجَّ شجَّةً تبلغُ أمَّ الدِّماغ، فلا يحيى صاحبُها بعدَها أبداً (٢).

استعار القذف _ الذي هو الرَّميُ البعيدُ المستلزِمُ لصلابة المرميِّ _ لإبطال الباطل بالحقِّ؛ تصويراً لإبطاله به ومحقِه في صورة جِرمٍ صلبٍ _ كالصَّخرة مثلاً _ قُذِفَ به على جِرْم رخوٍ أجوفَ فدمغه؛ قضاءً لحقِّ البلاغة.

وقرئ: (فيدمَغَه) بالنَّصب (٣)، ووجهه - مع بُعْدِه - الحملُ على المعنى، والعطف على ﴿ وَإِلَيْ ﴾.

﴿ فَإِذَا هُو زَاهِقٌ ﴾: هالكٌ، الزُّهوق: ذهابُ الرُّوح، وذكرُه لترشيح المجاز.

﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾: ممَّا تصفونه مِمَّا ينافي حكمته ويستحيل عليه، وهو في موضع الحال، و(ما) مصدريَّة، أو موصولة، أو موصوفة.

* * *

(١٩) ـ ﴿ وَلَهُ مُن فِي ٱلسَّمَا وَالْأَرْضِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندُهُ لَا يَسْتَكَمِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾.

﴿ وَلَهُ مُنَ فِي ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ خلقاً وملكاً.

⁽۱) في (ف): «عداد».

⁽٢) «أبداً» من (ف).

⁽٣) نسبت لعيسى بن عمر. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩١)، و «البحر» (١٥/ ١٩٣).

﴿ وَمَنْ عِندَهُ ﴾ منزلةً ومكانةً، لا منزلاً ومكاناً؛ يعني: الملائكة. شُبِّهوا في كرامتهم عند الله وقربهم بالمقرَّبين عند الملوك من زمرة خواصِّهم؛ بياناً لشرفهم.

ويوقف على ﴿وَٱلْأَرْضِ ﴾؛ لأنَّ (مَن) مبتدأٌ خبرُه: ﴿لَايَسَتَكُبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾: لا يتعظَّمون عنها.

ويجوز أن يكون معطوفاً على ﴿مَن فِي ٱلسَّمَوَاتِ ﴾، والمعنى: له مَن في عالَم الشَّهادة ومَن في عالَم الغيب.

﴿وَلَا يَسَتَحْسِرُونَ ﴾: ولا يَعيَون منها، وإنَّما نُفي الاستحسارُ _ وهو مبالغةٌ في الحسور _ للإيماء إلى أن ما هم فيه من دوام العبادة والدور بلا فترةٍ يوجب غاية الحسور(١١)، وهم لا يحسرون، وإلَّا لكان نفي أدنى حسورٍ أبلغ(٢).

* * *

(٢٠) - ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾.

﴿ يُسَيِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ ينزِّهونه ويعظِّمونه دائماً.

﴿ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ حال من الواو في ﴿ يُسَيِّحُونَ ﴾، وهو استئنافٌ، أو حالٌ مِن الضمير قبلَه(٣).

⁽١) من قوله: «للإيماء...» إلى هنا ساقط من (ف) و(ك).

⁽٢) مراد المؤلف والله أعلم: أن صيغة الاستفعال المنبئةِ عن المبالغة في الحُسور ليست لإفادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت أصلِه في الجملة، بل للتنبيه على أن عباداتِهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يُستَحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون. انظر: «تفسير أبي السعود» (٦/ ٦٠)، و«روح المعانى» (٧١/ ٤٥).

⁽٣) في النسخ: «من ضمير قبله»، والصواب المثبت، والمراد: ضمير الواو في ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾.

(٢١) - ﴿ أَمِر أَتَّخَذُوٓا عَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمَّ يُنشِرُونَ ﴾.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا عَالِهَةً ﴾ ﴿ أَمِ ﴾ هي المنقطعة بمعنى: (بل) والهمزة؛ للإضراب عمَّا قبلها، والإنكار لِمَا بعدَها، وهو اتِّخاذُ آلهةٍ أرضيَّة، وفي قوله:

﴿ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ سواءٌ كانَ صفة للآلهة، أو متعلِّقاً بالفعل على معنى الابتداء، تجهيلٌ لهم واستركاك لقولهم، وقوله:

﴿ هُمْ مَ يُنشِرُونَ ﴾ تهكّم بهم، ولومٌ لهم؛ فإنّهم وإن كانوا لا يصرّحون بذلك لكنّه يلزمهم بادّعاء الإلهيّة لها، فإنّ الإله هو الذي يقدر على كلّ ممكن، والإنشار من جملتها (۱)، وهم يُنكِرون نسبة البعث وإنشار الموتى إلى الله تعالى القادرِ على كلّ شيء، ويثبتون الإلهيّة لأصنام نحتوها فلزمهم حصر الإنشار فيهم، فلذلك (۲) أورد ﴿ هُمْ مَ ﴾ المفيدَ للحصر؛ مبالغةً في التّجهيل والتّوبيخ والتّهكّم بآلهتهم، وهو توبيخ في توبيخ.

* * *

(٢٢) - ﴿ لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَ أَهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾.

﴿ لَوْكَانَ فِيهِمَا ءَالِهَ أَهِ إِلَّاللَّهُ ﴾: صفة لـ ﴿ الله أَهُ ﴾، بمعنى: غيرُ الله؛ لتعنُّر الاستثناء (٣)، فإنَّ ﴿ اَلِهَ أَهُ ﴾ جمعٌ منكورٌ غيرُ محصور، لا يشمل الله حتى يُستثنى منه، ولدلالته على أنَّ الفساد إنَّما يلزم من وجود آلهة فيهما دونه، والمرادُ لزومُ الفسادِ من وجودِها مطلقاً سواءٌ (١) كانت معه أو لا.

⁽١) هنا نهاية السقط في (م).

⁽٢) في (م): «ولذلك».

⁽٣) في هامش (ف): «لَمَّا تعذَّر الاستثناء تعذَّر الرَّفع على البدل؛ لأنَّه مفرَّع عليه. منه».

⁽٤) «سواء» من (م).

ثمَّ إنَّ الفسادَ الآتي ذكرُه لزومُه على ما ستقف عليه على تقدير مطلق التَّعدُّد في الإله، وإنَّما فَرَض الآلهةَ غيرَ الله تعالى على وَفق معتقدِهم؛ لزيادة تجهيلهم في هذا الأمر الجليل الشَّأن، فكأنَّه ضمَّنَ إثباتَ مطلقِ (١) التَّوحيد إبطالَ معتقدهم على أفحشِ وجهٍ وأشنعِه (٢).

﴿لَفَسَدَتَا﴾: لبطلتا؛ لِـمَا يكون بينهما من التَّمانُع؛ إذ لا مجال للتَّوافق في المراد، وإلَّا يلزم أن تتطارد عليه القُدَر.

﴿ فَسُبْحَنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ ﴾ المحيطِ بجميعِ الأجرام، الذي هو محلُّ التَّدابير، ومنشأ التَّقادير.

﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾: عمَّا يصفونه به ممَّا لا يليق بشأنه.

* * *

(٢٣) - ﴿ لَا يُسْتَلُعَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ ﴾.

﴿ لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ لعلو سلطنته، وكمالِ علمِه وعظمتِه، وتفرُّدِه بالألوهيَّة، ولَمَّا كان الملوك والجبابرة عادتهم أن لا يُسألوا عن أفعالهم وتدابيرهم في ملكهم تهيُّباً وإجلالاً مع جواز الخطأ عليهم، فلأَنْ لا يُسأل ربُّ الأرباب ومَلك الملوك خالقُ الكلِّ أولى، مع استحالة ذلك عليه.

﴿ وَهُمَّ يُسْتَلُونَ ﴾ لأنَّهم مملوكون مستعبَدون، والضَّمير للآلهة أو للعباد.

* * *

⁽۱) في (س) و(ف) و(ك): «مطلب».

⁽٢) في هامش (ف): «لا يخفي ما في تقرير القاضي من الخلل فتأمل. منه».

(٢٤) _ ﴿ أَمِرَاتَّخَـٰذُواْ مِن دُونِهِ ۚ ءَالِهَـٰةُ قُلْ هَاتُواْ بُرُهَانَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِى وَذِكْرُ مَن قَبْلِيِّ بَلَ ٱكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقِّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾.

﴿ أَمِ اَتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ﴾ ؛ أي: من دون الله ﴿ اَلِمَةً ﴾ : كرَّره استعظاماً لكفرهم، واستفظاعاً لأمرهم، وتبكيتاً وإظهاراً لغاية جهلهم، وضمًّا لإنكار أن يكون لهم دليل من العقل إلى إنكار أن يكون لهم دليلٌ من النَّقل، ولهذا رتَّب على الأوَّل دليلَ العقل، وعلى الثَّاني دليلَ النَّقل (١٠)؛ يعني: أوجدوا آلهة يُنشرون الموتى فاتَّخذوهم العقل، وجدوا فيهم من خواصِّ الألوهية، أم وجدوا في الكتب الإلهيَّة المنزَّلة الأمرَ بإشراكهم (٢) فامتثلوا الأمر؟!

﴿ قُلَ هَاتُوا بُرُهَانَكُو ﴾ من العقل والنّقل؛ فإنّه لا يصحُّ القولُ بما لا دليل عليه، كيف وقد تطابقت الحُجَج على بطلانه عقلاً ونقلاً؟

﴿ هَذَا ذِكُرُ ﴾؛ أي: هذا الوحي الوارد على الأنبياء عليهم السلام كلّهم (٣) عِظَةُ ﴿ مَن مَّعِي ﴾ يعني: أمم الأنبياء عليه السلام ﴿ وَذِكُرُ مَن قَبْلِ ﴾ يعني: أمم الأنبياء الماضين عليهم السلام، فانظروا هل تجدون فيها إلّا الأمر بالتّوحيد، والنّهي عن الشّرك؟

وقرئ: (ذكرٌ مَن معي وذكرٌ مَنْ قبلي) بالتَّنوين (١٠)، على أنَّ (مَن) منصوب المحلَّ مفعولٌ للذِّكْر، وهو الأصل، والإضافة عارضة.

⁽١) في هامش (ف): «وبالجملة: الإعادة لزيادة الإفادة، فإنَّ الأوَّل للإنكار من حيث العقل، والثاني من حيث النقل. منه».

⁽٢) في (ف) و(ك): «باشتراكهم».

⁽٣) في (م): «كله».

⁽٤) انظر: «الكشاف» (٣/ ١١١)، و «البحر المحيط» (١٥/ ٢٠١).

وقرئ: (مِن معي ومِن قبلي)(١) على (مِن) الجارَّة، وإدخالُها على (مع) غريب، والوجه أنَّه ظرفٌ نحو: قبلُ وبعدُ وعندَ^(٢) ولَدُنْ وما أشبه ذلك، فدخلت عليه (مِن) كما دخلت على أخواته.

﴿ بَلَ أَكْثُرُهُ وَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقِّ فَهُم مُعْرِضُونَ ﴾ بل عندهم (٣) ما هو أصل الشَّرِ والفساد وأسُّ الغيِّ والضّلال، وهو الجهل وعدم التَّمييز بين الحقِّ والباطل، فلذلك كانت عادتهم الإعراض عن الحقِّ من التَّوحيد واتِّباعَ الباطل.

وقرئ: (الحقُّ) بالرَّفع (٤)، على أنَّه خبرُ مبتدأ محذوف، وهي جملةٌ مؤكِّدة وسِّطت بينَ السَّبب والمسبَّب؛ أي: كون الجهل المحض سبباً للإعراض هو الحقُّ، وقُدِّمَتْ على المسبَّب لشدَّة الاهتمام والاعتناء بأنَّ سبب الإعراض ليس إلَّا الجهل، ويجوز حمل المنصوب على هذا المعنى، كقولك: هذا عبدُ الله الحقَّ لا الباطل، و ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فعلٌ منسيُّ المفعول، جارٍ مجرى اللَّازم؛ لسلب (٥) مطلق العلم عنهم رأساً، وهذا الوجه أفصح وأعرب.

* * *

⁽۱) أي: بـ (مِـن) الجارة مـع تنوين (ذكر) كالتي قبلها، نسبت ليحيى بن يعمر. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ۹۱)، و «المحتسب» (۲/ ۲۱)، و «الكشاف» (۳/ ۱۱۱)، و «البحر المحيط» (۵/ ۲۰۱).

⁽٢) «قبل» ضبطت في نسخة نفيسة من «الكشاف» بالضم فوق اللام والتنوين تحتها، وكذا «بعد» بالضم والتنوين، و «عند» بالفتح والتنوين، إشارة إلى جواز الوجهين في كل منها.

⁽٣) «بل عندهم» من (س).

⁽٤) نسبت لابن محيصن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩١).

⁽٥) في (ف) و(ك): «لسبب»، وهو تحريف.

(٢٥) - ﴿ وَمَا آَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولِ إِلَّا نُوجِى إِلَيْهِ أَنَّهُ رُلاَّ إِلَهَ إِلَّا أَنَّا فَأَعْبُدُونِ ﴾.

﴿ وَمَاۤ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَهُ الْآ إِلَهَ إِلَّا أَناْ فَأَعَبُدُونِ ﴾ تعميمٌ بعدَ تخصيصٍ ؛ لأنَّ ﴿ ذكرُ مَن قبلي ﴾ خبرٌ للمُشارِ إليه بـ ﴿ هَذَا ﴾ ، فلا يتناول إلَّا ذكر الموجودين بينَ أظهُرهم، وهو الكتب الثَّلاثة، والآية مقرِّرة لِمَا سبقها من آي التَّوحيد.

* * *

(٢٦) - ﴿ وَقَالُواْ اتَّخَذَالرَّحْمَنُ وَلَدًا اللَّهِ خَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُوك ﴾.

﴿ وَقَالُواْ اَتَّحَدُ اَلرَّمْنُ وَلَدًا ﴾ نزلَتْ في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بناتُ اللهِ(١٠). ﴿ وَقَالُواْ اَتَّحَدُ اللهِ تَعَالَى عن ذلك.

﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكُرِّمُونَ ﴾ أضربَ عنه ثمَّ أثبت أنهم عباد، والعبوديَّة (٧) تنافي الولادة، لكنهم مكرَمون مقرَّبون، فمِن ذلك أخطؤوا وزلَّتْ أقدامُهم.

* * *

(٢٧) - ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ, بِٱلْقَوْلِ وَهُمِياً مْرِهِ - يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ, بِٱلْقَوْلِ ﴾: لا يقولون شيئاً حتى يقوله، كما هو دَيْدَنُ العبيد المودَّبين، وأصله: لا يَسبق قولُهم قولَه، فنسبَ السَّبق إليه وإليهم، وجعلَ القولَ أداتَه ومحلَّه؛ تنبيهاً على استهجان السَّبق المعرَّض به للقائلين على الله تعالى ما لم يقله.

⁽٦) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٣٦).

⁽٧) في (م): «والمعبودية».

وأُنيب اللَّام مناب الإضافة اختصاراً وتحامياً(١) عن تكرير الضَّمير.

وقرئ: (لا يَسبُقونه) بالضَّمِّ (٢)، من سابقتُه فسبقتُه أَسْبُقُهُ.

﴿ وَهُم إِأْمْرِهِ عَنْمَلُونَ ﴾؛ أي: كما لا يسبقونه بالقول لا يسبقونه بالعمل، فلا يعملون إلا ما أمرهم به.

* * *

(٢٨) - ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ- مُشْفِقُونَ ﴾.

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خُلْفَهُمْ ﴾ كالعلَّة لِمَا قبلَه، والتَّمهيدِ لِمَا بعده؛ أي: إنهم بعين الله تعالى يعلَم ما قدَّموا وما أخَّروا من أعمالهم؛ أي: لا يخفى عليه خافية، فلإحاطتهم بذلك يَضبطون أنفسهم ويتحفَّظون ممَّا (٣) لم يؤمروا به قولاً وفعلاً.

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ ﴾ مهابةً منه ﴿ إِلَّا لِمَنِ ٱزْتَضَىٰ ﴾: لمن ارتضاه وأهَّله للشَّفاعة.

﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾؛ أي: إنَّهم مع ذلك كلِّه قاضون حقَّ الهيبة والعظمة على حذر ورِقْبَةٍ (١٠).

والخشيةُ: خوفٌ مع تعظيمٍ، ولذلك خُصَّ بها العلماء.

⁽١) في (ف): «وتجافياً».

⁽٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩١).

⁽٣) في (م): «عما».

⁽٤) في (م): «ورقية».

والإشفاقُ: خوفٌ مع الاعتناء؛ فإنْ عُدِّي بـ (مِن) فمعنى الخوف فيه أظهرُ، وإنْ عُدِّيَ بـ (على) فبالعكس.

* * *

(٢٩) - ﴿ وَمَن يَقُلُ مِنْهُمْ إِنِّتِ إِلَهُ مِن دُونِهِ عَنَدُلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الطَّالِمِينَ ﴾.

﴿ وَمَن يَقُلُ مِنْهُمْ ﴾: مِنَ الملائكة، أو مِنَ الخلائق:

﴿إِنِّ إِلَٰهُ مِن دُونِهِ عَنَالِكَ نَجَزِيهِ جَهَنَا مُ العَرامة والقُرْب والأوصاف الجميلة والأفعال المرضيَّة هدَّدَ مَن أشركَ منهم على سبيل الفَرْض والتَّقدير، وأنذره بالوعيد الشَّديد، مع إحاطة علمه بأنَّه لا يكون؛ تفظيعاً لشأن المشركين، وتهديداً لهم بتهديد مدَّعي الرُّبوبيَّة، ومبالغة في نفي الولد؛ إذ لو أمكنَ لكان ربّاً من جنسه.

﴿كَنَالِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ ﴾: مَن ظلمَ بالإشراك وادِّعاء الرُّبوبيَّة.

* * *

(٣٠) _ ﴿ أُولَمْ يَرَالَّذِينَ كَفَرُوٓ أَانَّ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَنَا رَثْقَا فَفَنَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ أُوَلَمْ يَرَ ٱللَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أولم (١) يعلموا، تقريرٌ، والواو للعطف على مقدَّر؛ أي: أنكروا قدرتنا على البعث ولم يعلموا، والكفرةُ وإن لم يعلموا لكنَّهم متمكِّنون من العلم به بالاستفسار من الأخبار (٢) ومطالعة الكتب، فكأنَّهم علموا.

⁽١) في (م): «أو».

⁽٢) كذا في النسخ، ولعل الصواب: «من الأحبار»، ففي «روح المعاني» (١٧/ ٧٥): «أو استفسارا من =

وقيل: بالنَّظر؛ فإنَّ الفتقَ به عارضٌ مفتَقِرٌ إلى مؤثِّرٍ موجِبِ بالذَّات ابتداءً أو بوسط(١).

وفيه أنَّ أصالة الرَّتق وعروضَ الفَتق ممَّا لا يستقلُّ في معرفته (٢) العقلُ.

﴿ أَنَّ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَنَا ﴾ إنَّما قال: ﴿كَانَنَا ﴾ دون: كنَّ؛ لأنَّ المراد جماعة السَّماوات وجماعة الأرّضين.

﴿رَتُقاً ﴾: ذاتَ رتقٍ، وهو الالتحام، أو: مرتوقتين؛ أي: كانتا شيئاً واحداً، وحقيقةً متَّحدةً.

وقرئ: (رَتَقاً) بفتح التَّاء^(٣)، على تقدير: شيئاً رَتَقاً، فَعَلَّ بمعنى مفعولٍ، كالنَّقَض^(٤) والرَّفض.

﴿فَفَنَقَنَّهُمَّا ﴾ بالتَّنويع والتَّمييز بالصُّور المختلفة.

﴿ وَجَعَلْنَامِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍ ﴾: وخلقنا من الماء كلَّ حيوانٍ ؛ لأنَّه أعظم موادِّه، أو لفرط احتياجه إليه وامتناع وجوده وبقائه بدونه، أو صيَّرنا كلَّ شيء حيٍّ بسببٍ من الماء.

⁼ علماء أهل الكتاب الذين كانوا يخالطونهم ويقبلون أقوالهم.. أو بمطالعة الكتب السماوية»، ونحوه في «تفسير البيضاوي» (٤/ ٥٠).

⁽١) في (ف): «بوسيط»، والمثبت من باقي النسخ و «تفسير البيضاوي» (٤/ ٥٠).

⁽٢) في (ك): «معرفة».

⁽٣) نسبت لأبي حيوة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩١).

⁽٤) في (م): «كالنفض»، وهو تمثيل صحيح أيضاً، وهو بمعنى المرفوض، ومعناه: ما سقط من الورق والثمر.

وقرئ: (حيًّا)(١) على أنَّه صفة ﴿كُلُّ ﴾ أو مفعول ثانٍ والظَّرفُ لغوٌّ.

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ مع ظهور الآيات.

* * *

(٣١) - ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَسِي أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَهُمُ يَمْتَدُونَ ﴾.

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ ﴾: ثابتات، مِن رَسى: إذا ثبتَ.

﴿ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ مفعول له؛ أي: كراهةَ أنْ تميدَ بهم، وقيل: لئلًا تميدَ بهم، فحذف (لا) لأَمْنِ اللَّبس(٢٠).

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا ﴾: في الأرض أو الرَّواسي (٣).

﴿فِجَاجًا ﴾: جمع فحّ، وهو الطَّريق الواسع، وإنَّما قُدِّمَ على: ﴿سُبُلَا ﴾ وهو صفةٌ له ليصير حالاً مقدَّرةً، فيدلَّ على أنَّه حين خلقَها خلقَها مستعدَّة لذلك، أو ليُبدل منها ﴿سُبُلَا ﴾ فيدلَّ ضمناً على أنَّه خلقَها ووسَّعها للسَّابلة، مع ما يكون فيه من التَّوكيد، وأُخِر في قوله: ﴿سُبُلَافِجَاجًا ﴾ [نوح: ٢٠] للبيان والتَّوضيح بعد الإبهام.

﴿لَعَالَهُمْ مَهُ مُنْكُونَ ﴾؛ أي: ليهتدوا بها إلى مقاصدهم.

* * *

⁽۱) نسبت لحميد ومعاذ القارئ وابن ابي عبلة. انظر: «زاد المسير» (٥/ ٣٤٨)، و«البحر المحيط» (١٥/ ٢١٠).

⁽٢) في (ف): «فحذف لأمن الإلباس».

⁽٣) في (ك) و(م): «أو في الرواسي».

(٣٢) _ ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَاءَ سَقَفًا تَحَفُّوطَ أَوهُمْ عَنْ اَيْنِهَا مُعْرِضُونَ ﴾.

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا تَحَفُوظَ أَنَّ ﴾ بقدرتنا من أنْ تقع على الأرض بغير عَمَدٍ (١٠).

﴿وَهُمْ عَنْءَايَنِهَا ﴾: أحوالِها الدَّالةِ على وجود الصَّانع وكمال قدرته وحكمته، وهو ما يُعلَمُ مِنْ عِلْمَي الهيئة والطَّبيعة.

﴿ مُعْرِضُونَ ﴾؛ أي: هم قوم عادتهم الإعراض (٢).

* * *

(٣٣) . ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَ مَلَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمْرُ كُلُّ فِي فَلَكِ يَسْبَحُونَ ﴾.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَكَرُ ﴾ بيانٌ لبعضِ تلك الآيات، والمرادب ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَكَرُ ﴾ جنسَ الطَّوالع؛ اكتفاءً بأبينهما.

﴿ كُلُّ فِ فَلَكِ ﴾ التَّنوين في ﴿ كُلُّ ﴾ عوضٌ من المضاف إليه؛ أي: كلُّهم.

﴿ رَسَّبَحُونَ ﴾ حالٌ من ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾، كقوله: ﴿ وَوَهَبَّنَالَهُۥ إِسْحَنَى وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، أو استئناف، أو خبر ﴿ كُلُّ ﴾.

والمراد بالفُلْكِ: الجنسُ، كقولهم: كساهم الأميرُ الحُلَّة.

⁽١) في هامش (س) و(ف) و(م): «قيل: أو استراق السمع بالشُّهب، ويأباه قوله: ﴿سَقَفَا ﴾ فإنَّه حينئذ يضيع، ولا يحمله شأن البلاغة و[...] الإعجاز. منه». وما بين معكوفتين كلمة لم تجود، ورسمها مثل: «أتى».

⁽٢) في هامش (ف) و(م): «مبنى هذا على أنَّه لا يقال: مُعرِض، إلاَّ لمن صدر عنه الإعراض مراراً. منه».

قالوا: إنَّ تحتَ السَّماء فُلكاً هو موجٌ مكفوفٌ فيه الكواكب كلُّها، ولذلك قال: ﴿ يَسۡبَحُونَ ﴾ كما يسبح الإنسان في الماء.

وقيل: شُبِّهَتْ حركتُهما في الإسراع بسباحة السَّابح.

ويردُّه: أنَّ حقَّ التَّشبيه أن يكون المشبَّه به أقوى من المشبَّه في وجه الشَّبه، وعكسه اللَّازم على ما ذُكِرَ مردودٌ في الكلام البليغ، فكيف في المعجِزِ؟!

وإنَّما جُمِعَ جمعَ العقلاء لأنَّهم وُصِفُوا بوصفِهم.

* * *

(٣٤) - ﴿ وَمَاجَعَلْنَا لِبُشَرِقِن قَبْلِكَ ٱلْخُلَّةِ أَفَإِين مِّتَ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ ﴾.

﴿ وَمَاجَعَلْنَا لِبَشَرِمِن قَبْلِكَ ٱلْخُلَدُ ﴾ كانبوا يقولون: نتربَّص به ريب المنون، فنزلَتْ (۱).

والفاء في قوله: ﴿أَفَإِين مِتَ فَهُمُ ٱلْمَنلِدُونَ ﴾ لتعليق الشرطيَّة بما قبلَها من التَّمهيد، والهمزةُ لإنكارها بعدما تقرَّر ذلك.

* * *

(٣٥) - ﴿ كُلُّ نَفْسِ ذَآبِفَ أَٱلْمَوْتِّ وَنَبَلُوكُم بِٱلشَّرِ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾.

﴿ كُلُّ نَفْسِ ذَآبِقَ لَهُ ٱلْمَوْتِ ﴾؛ أي: كلُّ نفسِ حيوانٍ تذوقُ مرارة مفارقتها جسدها، وهو تقريرٌ لِمَا مهَّده، وبرهانٌ على ما أنكره.

﴿ وَنَبَلُوكُم ﴾: ونعاملكم معاملة المختبِر ﴿ بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ ﴾: بما يجبُ فيه الصَّبر من البلاء، وما يجب فيه الشُّكر من النِّعم، وإنَّما قدَّم الشَّرَّ لأنَّه أنسبُ بالابتلاء.

⁽١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ٢٧٥).

﴿ فِتُنَاةً ﴾: ابتلاءً، مصدر من غير لفظه.

﴿ وَإِلَيْنَا تُرْبَعُونَ ﴾ فنجازيكم على حسَب ما يوجد منكم من الصَّبر والشُّكر، والجزَع والكفر.

وفيه إيماءٌ إلى أنَّ المقصودَ من هذه الحياة الدُّنيا الابتلاءُ، والتَّعريضُ للتَّوابِ والعقاب؛ تقريراً لما سبق.

* * *

(٣٦) - ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓ أَإِن يَنَّخِذُونَكَ إِلَّا هُمُزُوَّا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَ تَكُمُّ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّمَّنِ هُمْ كَغِرُونَ ﴾.

﴿ وَإِذَا رَءَالَكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓ الِنَ يَنَّخِذُونَكَ إِلَّا هُـُزُوًا ﴾؛ أي: ما يتخذونك إلا مهزوَّا به، ويقولون:

﴿ أَهَا ذَا ٱلَّذِي يَذَكُرُ ءَالِهَ تَكُمُ ﴾؛ أي: بسوءٍ، وإنَّما أطلقَه لدلالة الإنكار والتَّعجُّب المفهومَيْن مِن قولهم: ﴿ أَهَا ذَا ﴾.

﴿ وَهُم ﴾ خاصَّةً ﴿ بِنِكِرِ ٱلرَّمَنِ ﴾؛ أي: بذكرك للرَّحمن بالخير، وما يجب أن يُذْكَر به كالتَّوحيد والثَّناء عليه بما هو أهله من التَّسبيح والتَّمجيد.

﴿ هُمْ مَ كَافِرُونَ ﴾ فهم أحقُّ أنْ يُتَّخذوا هزواً؛ لأنَّك محقٌّ وهم مبطلون، فتقديم ذكر الرَّحمن على الكفر دلالةٌ على تخصيصهم الكفر بذكر الرَّحمن دون آلهتهم، فإنَّهم عاكفون على ثنائهم وتعظيمهم.

والجملة في محلِّ النَّصب على الحال؛ أي: يتخذونك هزواً وحالُهم أنَّهم على شيءٍ هو أصل الهزءِ والسُّخرية.

(٣٧) _ ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَانُ مِنْ عَجَلِّ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾.

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ جعلَ ما طُبِعَ عليه بمنزلةِ ما طُبِعَ هو منه مبالغةً في فرط استعجال، ومِن عَجَلَتِه استعجال الوعد.

﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَكِي ﴾: نقماتي في الدُّنيا كوقعة بدر، وفي الآخرة عذاب النَّار. ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ بالإتيان بها.

والمفهومُ ممَّا تقدَّم أنَّ الإنسان إذا خُلِّيَ وطبعَه يكون على العجلة، وهذا لا ينافي النَّهي عنها بل يستوجبه.

* * *

(٣٨) - ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُإِن كُنتُدُ صَدِقِينَ ﴾.

﴿ وَيَقُولُونَ مَنَىٰ هَٰذَاٱلْوَعُدُ﴾: وقتُ وعدِ العذاب، أو القيامةِ.

﴿إِن كُنتُمْ صَلِيقِينَ ﴾ يعنون النَّبيُّ عليه السلام وأصحابَه رضي الله عنهم.

* * *

(٣٩) - ﴿ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُواْحِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُودِهِمْ وَلَاهُمْ يُنْصَرُونَ ﴾.

﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْحِينَ لَا يَكُفُّرُنَ عَن وُجُوهِهِ مُ ٱلنَّارَ ﴾ ذكر الوجوه لأنَّها أشرف ما (١) في ظاهر الإنسان، ومحلُّ حواسِّه، وهو أحرص على الدِّفاع عنه من غيره من أعضائه.

⁽١) في (ف) و(م): «بما»، وفي (ك): «مما»، والمثبت من (س)، وهو الصواب.

﴿ وَلَا عَن ظُهُورِهِ مَ وَلَا هُمْ يُنصَرُون ﴾ جواب ﴿ لَوَ ﴾ محذوف، و﴿ حِينَ ﴾ مفعول ﴿ يَعْلَمُ ﴾ ؛ أي: لو يعلمون الوقت الذي يستسخرون عنه بقولهم: ﴿ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ ﴾ ، وهو وقت صعب تحيط بهم النّار فيه من قدّام وخلف، فلا يقدرون على دفعها من (١) أنفسهم، ولا يجدون ناصراً ينصرهم = لَـمَا كانوا بتلك الصّفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال، ولكن جهلهم به هو الذي هوّنه عليهم، أو: لَـمَا استعجلوا مستهزئين.

أو منصوب بمضمَر، و ﴿ يَعْلَمُ ﴾ مطلَق بلا مفعول، مُجرًى إجراء اللَّازم؛ أي: لو كان لهم علم لَما كانوا مستعجلين، حين (٢) لا يكفُّون عن وجوههم النَّار ولا عن ظهورهم يعلمون أنَّهم كانوا على الباطل، وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم.

وإنَّما وُضعَ الظَّاهر فيه موضِعَ المضمَر (٣) للدِّلالة على ما أوجب لهم ذلك.

(٤٠) - ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةُ فَتَبْهَا مُكْرِيسَ عَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾.

﴿ بَلَ تَأْتِيهِم بَغْتَ أَ ﴾: فجأة، مصدر أو حال، أضرب عن كفِّ النَّار عن وجوههم وظهورهم؛ أي: لا يكفُّونها، بل تفجأهم.

﴿ فَتَبَّهُم ﴾: فتغلبُهم، يقال للمغلوب في المحاجَّة: مبهوت.

⁽١) كذا في النسخ، ولعل الأنسب بالسياق: (عن).

⁽٢) «حين» منصوب بما سيأتي من قوله: «يعلمون»، وهذا الفعل هو المضمر الذي أشار إليه بقوله: «أو منصوب بمضمر».

⁽٣) في (ف) و(ك): «الضمير».

وقرئ الفعلان على التَّذكير (١)، والضَّمير للوعد أو للحين، وعلى التَّأنيث يجوز أن يرجع إلى العِدَةِ أو الموعدة أو الحين، على تأويل السَّاعة أو النَّار أو البغتة.

﴿ فَكَا يَسْ تَطِيعُونَ رَدَّهَا ﴾: فلا يقدرون على دفعها.

﴿ وَلَا هُمْ يُنظِرُونَ ﴾: يمهلون، وفيه تذكيرٌ لهم بإمهالهم في الدُّنيا.

* * *

(٤١) - ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلِ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِدِه يَسْنَهْزِءُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُمْزِئَ بِرُسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾: تسلية لرسول الله ﷺ.

﴿فَحَاقَ﴾: فحلَّ ونزلَ ﴿بِٱلَذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم ﴾ جزاء ﴿مَاكَانُواْ بِهِ مِيَسَنَهُ زِءُونَ ﴾ وعدٌ له عليه السلام بأنَّه يحيق بهم ما يفعلونه به (١)، كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا.

* * *

(٤٢) ـ ﴿ قُلُ مَن يَكُلُونُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَيْنُ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُعْرِضُونَ ﴾.

﴿ قُلْمَن يَكُلُونُكُم بِأَلَيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ أمرَ رسولَه عليه السلام بسؤال المستهزئين عمَّن يحفظهم دائماً، وإنَّما قدَّم اللَّيل لأنَّ الحاجة إلى الحفظ أكثر وأظهر.

﴿ مِنَ ٱلرَّحْمَينِ ﴾: مِن بأسِه إن أراد بكم.

⁽١) نسبت للأعمش. انظر: «المختصر في شواذ القراراءات» (ص: ٩١).

⁽۲) في (ف): «يفعلون به».

قيل: في ذكر اسم ﴿الرَّمْنِنِ ﴾ تنبيهٌ على أنْ لا كالئ غيرُ رحمته العامة، وأنَّ اندفاع البأس عن النَّاس لا يكون إلَّا بها.

وعندي أنَّ التَّنبيه فيه على أنَّ رحمته العامةَ لا تمنعه عن الغضب، فلا تغترُّوا بها، ولا يخفى أنَّ هذا هو الأنسب للمقام.

﴿ بَلَ هُمْ عَن ذِحَرِ رَبِّهِ مَ مُعْرِضُون ﴾ إضرابٌ عن مقدَّر؛ أي: إنهم غير معرضين عن ربهم، وليسوا بغافلين عنه، حتى لا يجدي السُّؤال عنه، كيف وهم يتَّخذون الآلهة ويعبدونها في كلِّ وقت للشَّفاعة عنده تعالى، بل معرضون عن ذكره، فالتذكير يناسب حالهم (۱).

وهذا المعنى مع ظهوره من مساق الكلام، ووضوح انطباقه لمقتضى المقام، قد خفي على النَّاظرين فيه حتى قالوا(٢): لا يُخْطرونه ببالهم، فضلاً أن يخافوا بأسه، حتى إذا كُلِئوا منه عرفوا مَنِ الكالئ، وصلحوا للسؤال عنه.

ولم يتنبَّهوا أنَّه حينئذ لا يبقى وجه للأمر بالسُّؤال، وأيضاً حينئذٍ تضيع عبارة الذِّكر، بل تخلُّ بالمقصود؛ لإيهامها الشُّعور في الجملة.

* * *

(٤٣) - ﴿ أَمْ لَكُمْ عَالِهَا أُهُ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِكَ أَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَاهُم مِنّا لَيُسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَاهُم مِنّا لَيُسْحَبُونَ ﴾.

﴿ أَمْ لَهُمْ عَالِهَ أُهُ تَمْنَعُهُم ﴾ تحفظهم مانعين العذاب ﴿ مِن دُونِكَ ﴾ أضربَ عمَّا تقدَّم، منكراً لكلاءة آلهتهم ومنعهم من العذاب متجاوزاً منه تعالى، أو من عذاب

⁽١) في هامش (س) و(ف): «فإن الإعراض عن الشيء يكون كناية عن الغفلة والنسيان بخلاف الإعراض عن ذكره فإنه ينبئ عن حضوره في الذهن وشعوره. منه».

⁽٢) القائل هو الزمخشري وتابعه البيضاوي.

يكون من عنده، بما في ﴿أَمَّ﴾ من معنى (بل) والهمزةِ، وهذا الإضراب ليس للإبطال ولا للتَّرقي بل للانتقال من كلام إلى آخر.

قيل: والإضرابان عن الأمر بالسُّؤال على التَّرتيب، فإنَّه عن المعرِض الغافل عن الشَّيء بعيد، وعن المعتقِد لنقيضه أبعد.

وقد عرفْتَ فساد مبناه، ثمَّ إنَّه لا ينتظِم مع ذلك الاعتبارِ ما في الإضراب الثاني من زيادة الإنكار، وبعد اللَّتيا والَّتي قوله (١٠): المعتقِد لنقيضه، فريةٌ ما فيها مريةٌ؛ لِـمَا نبَّهت عليه آنفاً.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِنّا يُصْحَبُونَ ﴾: يجارون، يُقال: صَحِبَكَ الله؛ أي: حفظك وأجارَك، استئناف بإبطال ما ذُكِرَ؛ فإنَّ مَن لا يقدر على نصر نفسه ولا يحفظه الله كيف ينصرُ غيرَه ويحفظه؟!

* * *

(٤٤) _ ﴿ بَلْ مَنَّعْنَا هَلَوُلآءِوَءَابَآءَهُمْ حَتَىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْمُعُمُّرُ أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْقِ ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ ٱلْعَكِلِبُونِ ﴾.

﴿ بَلْ مَنْعَنَا هَلَوُلاَ وَ عَابِكَا مَهُمْ حَتَى طَالَ عَلَيْهِ مُ الْعُمُرُ ﴾ ثمّ أضرب عن المتوهّم المتبادِر من ظاهر حالهم بعدما أنكره ببيان أنَّ ما هم عليه من الحفظ والكلاءة إنَّما هو منَّا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا، وإنَّما حفظناهم للاستدراج، وهو تمتيعه تعالى إيَّاهم وآباءهم بما قُدِّر لهم من الأعمار، حتى حسبوا بسبب طول (٢) مدَّة الإمهال أنَّهم لا يزالون كذلك، وأنَّه بسبب ما هم عليه.

⁽١) في (ك): «قول».

⁽٢) في (ك): «بطول» بدل «بسبب طول».

⁽٣) في (س) و(ك): «سبب».

ثمَّ عقَّبه بما يدلُّ على أنَّه أملٌ (١) كاذب وغرورٌ باطل، وهو قوله تعالى:

﴿ يَرَوِّنَ أَنَّانَأْقِ ٱلْأَرْضَ ﴾: أرض الكفر ﴿ نَنَقُصُهَا مِنَ أَطْرَافِهَا ﴾ بتسليط المسلمين، عليها، وهو تصوير ما كان الله تعالى يجريه على أيدي المسلمين، وفي إضافة إتيانهم بأمره إلى نفسه تعظيمٌ لشأنه.

﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَلِبُونَ ﴾ إنكارٌ لغلبتهم على الرَّسول عليه السلام والمؤمنين بعدَ هذه المغلوبيَّة المتجدِّدة دائماً.

وفي التَّعريف تعريضٌ بأنَّ أعداءهم هم (٢) المعروفون المتعيِّنون بالغلبة دونهم.

* * *

(٤٥) _ ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنْذِرُكُم فِالْوَحْيُ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّدُّ ٱلدُّعَآعِ إِذَامَا يُنذَرُونَ ﴾.

﴿ قُلُ إِنَّكُمَّا أَنْذِرُكُم مِا لُوحِيَّ ﴾: بما أوحيَ إليَّ من الله تعالى، لا مِن قِبَلِ نفسي.

﴿ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُ الدُّعَاءَ ﴾ وقرئ: ﴿ لا تُسْمِعُ ﴾ من الإسماع ـ على خطاب الرَّسولِ _ ونصبِ ﴿ الصَّمَعُ ﴾ (٣) ، وبالياء على إضماره (١) ، و: (لا يُسْمَعُ) مبنياً للمفعول (٥) ، من أُسْمِعَ .

(١) في (ف): «أصل».

⁽٢) «هم» من (س) و(ك)

⁽٣) قرأ بها ابن عامر. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٥).

⁽٤) أي: (يُسْمِعُ) على إضمار الفاعل الذي هو الرسول على المختري في «الكشاف» (٣/ ١١٩) ولم ينسبها. وقرأ أحمد بن جبير الأنطاكي عن اليزيدي عن أبي عمرو: (ولا يُسمِعُ الصُّمَّ الدعاءُ) على إسناد الفعل إلى الدعاء اتساعاً، والمفعول الثاني محذوف، كأنه قيل: ولا يُسمِعُ النداءُ الصمَّ شيئاً. انظر: «البحر المحيط» (١٥/ ٢٢٦).

⁽٥) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩١).

وفي قراءة: ﴿تُسْمِعُ﴾ المبني للفاعل التفاتُّ وتنويةٌ بذكر الرسول وتعظيمٌ له.

وإنَّما سمَّاهم الصُّمَّ ووضعه موضع ضميرهم للدِّلالة على فرط تصامِّهم، وعدمِ انتفاعهم بالأسماع (١)، وإنْ جعلنا اللَّام للجنس كان أبلغَ؛ لِمَا فيه من معنى البرهان بالتَّعميم، ونوع من الكناية، وهو أبلغ مِن التَّصريح.

﴿إِذَامَا يُنذَرُونَ ﴾ منصوب بـ ﴿يَسَمَعُ ﴾ لا بـ ﴿الدُّعَاءَ ﴾؛ لأنَّه مصدر، فلا يعمل إلَّا منوَّناً.

والتَّقييد به لكون الكلام في الإنذار، وللمبالغة في أتَّهم لا يتأثرون به وقت الإنذار، فضلاً عن أن يسمعوه ثم يَذهلوا عنه، ولكونه كالقرينة في الكناية، كأنَّه أمره بقوله: ﴿إِنَّمَا أُنْذِرُكُم بِٱلْوَحِيِّ ﴾، ثمَّ قال: ولا يؤثر فيكم، فأنتم صمُّ، ولا يسمَعُ هذا الجنسُ الدُّعاءَ.

* * *

(٤٦) - ﴿ وَلَهِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَ يَنُويْلَنَّا إِنَّا كُنَّا ظَلِمِينَ ﴾.

﴿ وَلَهِن مَّسَتَهُمْ نَفْحَةً ﴾ أصل النَّفْحِ: هبوب رائحة الشَّيء، ويستعمل في كلِّ قلَّة، يُقال: نفحَتْهُ أ^(۱) الدَّابةُ: إذا رمحتْه رَمحاً يسيراً، ونفحه بعطيَّة: إذا رضخه أنه منافغة من جهة مادَّته الدَّالة على معنى النَّزارة، ومن جهة صيغته؛ أي: بناءِ السمرَّة، فإنَّها لأقلِّ ما ينطلق عليه الاسم، ومن جهة تنكيره الدَّال على التَّقليل.

⁽۱) في (ف): «بأسماعهم».

⁽٢) في (ف): «نفحت».

⁽٣) رضخ له: أعطاه قليلًا. انظر: «مختار الصحاح» (مادة: رضخ).

وأمَّا المس فهو أقوى من الإصابة؛ لِمَا في مفهومه من قيدٍ زائد عليها (١١)، وهو أنْ تتأثر منه حاسَّة الممسوس (٢)، فإيثاره هنا على الإصابة للدِّلالة على أن عذاب الله تعالى وإنْ كان في غاية (٣) يتأثر منه مَن يصيبُه.

﴿ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُكَ يَنُولِلنَا إِنَّا كُنَا طَالِمِينَ ﴾؛ أي: ولئن مسَّهم أدنى شيءٍ من العذاب الذي يُنذَرون به لأذعنوا واعترفوا بظلمهم في تصامِّهم وإعراضهم، داعين على أنفسهم بالويل.

* * *

(٤٧) - ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوْزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيْمَةِ فَلَا نُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْعًا ۗ وَإِن كَانَ مِثْقَ الَ حَبِّكَةٍ مِّنْ خَرْدَلِ ٱلْيَنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِبِينَ ﴾.

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَذِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾: صفة ﴿ ٱلْمَوَذِينَ ﴾، ولم يُجمَع لأنَّه مصدر وصفت به للمبالغة كلِّها في أنفسها، عدل، وجاز أن يكون على حذف المضاف؛ أي: ذواتِ القسط، وقد سبق ما يتعلَّق بوضع الموازين في سورة الأعراف، وما يدلُّ على أنَّه حقيقةٌ لا تمثيل.

واللام في: ﴿لِيَوْمِ الْقِينَمَةِ ﴾ للوقت؛ أي: في يوم القيامة.

وقيل: معناه: لجزاء يوم القيامة، أو لأهلهم؛ أي: لأجلهم، على الحذف.

(١) في هامش (س) و(ف): «والقاضي مع اعترافه بهذا على ما صرح به في سورة البقرة كيف قال هنا: (وفيه مبالغاتٌ: ذكرُ المس..). منه».

⁽٢) في النسخ: «المحسوس»، والصواب المثبت. انظر: «روح المعاني» (١١٧/١١). ولم يرتض الآلوسي هذا الكلام.

⁽٣) لعل المراد: «في غاية القلة».

﴿ فَلَا نُظْ لَمُ نَفْسُ شَيْئًا ﴾ بنقصٍ من ثوابه الموعود، أو زيادةٍ في عذابه المعهود، ويجوز أن يكون معناه: شيئاً من الظُّلم.

﴿ وَإِن كَانَ ﴾؛ أي: ما يُفعَل به مِنَ النَّقص والزِّيادة أو الظُّلم ﴿ مِثْقَالَ ﴾: مقدارَ ﴿ حَبَى إِمِنْ مَنْ وَلَى السَّامة.

وتأنيثُ ضمير المثقال في: ﴿أَنَيْنَا بِهَا ﴾ لإضافته إلى الحبَّة، كقولهم: ذهبتْ بعضُ أصابعه.

أي: أحضرناها، وقرئ: (آتينا)(١)، بمعنى: جازينا بها، من الإيتاء، فإنَّه بمعنى الإعطاء(٣)، أو من المؤاتاة، فإنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء.

﴿ وَكُفِّي بِنَا حَسِبِينَ ﴾ إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا.

* * *

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـُرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءٌ وَذِكْرُ لِلْمُنَقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَغْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبُ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيآ الْهُوكُرُا ﴾ هذه الثّلاثة هي التّوراة؛ فهي فرقانٌ بينَ الحقّ والباطل، وضياءٌ يُستضاءُ به ويُتوصَّل به إلى سبيل النّجاة في ظلمات الحيرة والجهالة، وذِكْرٌ؛ أي: شرفٌ، أو وَعْظٌ وتنبيهٌ، أو ذِكْرُ ما يحتاج إليه النّاس في مصالح دارهم.

⁽١) قرأ بها نافع. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٥).

⁽٢) نسبت لابن عباس ومجاهد. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩١).

⁽٣) في هامش (ف): «لا قريب منه كما توهم. منه».

ودخلت الواو على الصِّفات كما في قوله: ﴿وَسَكِيدَا وَحَصُورًا وَنَبِيتًا ﴾ [آل عمران: الله وقرئ: (ضياءً) بغير واو(١١)، على أنَّه حال من ﴿ٱلْفُرْقَانَ ﴾.

ولَمَّا انتفعَ بذلك المتَّقون خصَّهم الله تعالى بقوله: ﴿ لِلَمُنَّقِينَ ﴾، ومحلُ: ﴿ اللَّذِينَ ﴾ جررٌ على الوصفيَّة، أو نصبٌ على المدح، أو رفع عليه.

﴿يَغْشُونِ رَبُّهُم مِٱلْغَيْبِ ﴾ حال من الفاعل أو المفعول.

﴿ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ ﴾: القيامة وأهوالها.

﴿مُشْفِقُونَ ﴾ الإشفاقُ: خوفٌ مع اعتناء.

وفي تصدير الضَّمير وبناء الحكم عليه مبالغةٌ وتعريضٌ.

* * *

(٥٠) - ﴿ وَهَانَا ذِكْرٌ مُّبَارَكُ أَنَزَلْنَهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾.

﴿ وَهَنَذَا ﴾ القرآن ﴿ ذِكُرُّ مُّبَارِكُ ﴾: كثيرٌ خيرُه ﴿ أَنزَلْنَهُ ﴾ على محمَّدٍ عليه السلام. ﴿ أَفَأَنتُمُ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ استفهامُ توبيخ بعد وضوح إعجازه ووفور بركته.

* * *

(١٥) - ﴿ وَلَقَدْ ءَانَيْنَاۤ إِبْرُهِمَ رُشَدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّابِهِ عَلِمِينَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ ءَانَيْنَا ٓ إِبَرُهِيمَ رُشَدَهُ . ﴾: الاهتداءَ لوجوه (٢) الصَّلاح، وإضافتُه ليدلَّ على أنَّه رُشْدُ مِثْله (٢)، وأنَّ له شأناً.

⁽۱) نسبت لابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ۹۱)، و «الكشاف» (۳/ ۱۲۱).

⁽۲) في (ف) و(م): «الاهتداء بوجوه»، وفي (ك): «للاهتداء بوجوه». والمثبت من (س)، وهو الموافق لما في «الكشاف» (۳/ ۱۲۱)، و «تفسير البيضاوي» (٤/ ٥٣).

⁽٣) بإضافة «رشد» إلى «مثله»؛ أي: لتدل إضافة الرشد إلى إبراهيم على أن ما آتاه الله إياه من =

وقرئ (رَشَدَه)، وهو لغة(١).

﴿ مِن قَبْلُ ﴾: مِن قبلِ موسى وهارون عليهما السلام، أو: مِن قبلِ محمَّد عليه السلام.

﴿ وَكُنَّا بِهِ عَلِمِينَ ﴾ علمنا أنَّه أهلٌ لما آتيناه، أو جامعٌ لمحاسن الأوصاف ومكارم الأخلاق.

* * *

(٥٢) - ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ عَمَا هَاذِهِ ٱلتَّمَانِ لُأَلِّي أَنتُمْ لَمَا عَكِمُونَ ﴾.

﴿ إِذْقَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ - ﴾ متعلِّق بـ ﴿ ءَانَيْنَآ ﴾ ، أو بـ ﴿ رُشْدَهُ ، ﴾ ، أو بمحذوفٍ ؛ أي: اذكر من أوقات رشده وقتَ قوله:

﴿ مَا هَذِهِ ٱلتَّمَاشِلُ ٱلِّتِ ٱنتُمْ لَمَا عَكِمُونَ ﴾ تجاهلٌ منه وتَغَابٍ لتحقيرِ شأنها وتوبيخهم على إجلالها؛ فإنَّ التِّمث ال جمادٌ لا يضرُّ ولا ينفعُ، أصله: الصُّورة المصنوعة مشبَّهةً (٢) بمخلوقٍ من مخلوقات الله تعالى، ومنه تمثَّلْتُ الشَّيءَ بالشَّيءَ إذا شبَّهتهُ به.

واللام للتَّعليل؛ أي: لتعظيمها، و﴿عَكِفُونَ ﴾ مجرَّى إجراءَ الـالَّازم، غيرُ منويِّ

الرشد هو رشد رسول مثله، وهو رشد خاص كائن مما أوتي مثله من أولي العزم من الرسل. انظر: «حاشية القونوي» و «حاشية ابن التمجيد» (١٢/ ٥٣٥)، وما ذكرناه ملخص كلامهما، فمن أراد التمام فليراجعهما.

⁽۱) نسبت لعيسى الثقفي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ۹۲)، و «البحر المحيط» (۱۸) ، (۳۳۰).

⁽۲) في (ف): «لشبهه»، وفي (ك) و(م): «شبهه».

المفعول؛ أي: فاعلون العكوفَ لأجلها، وهو اللَّزوم لأمرٍ من الأمورِ، أو لتضمُّنِ العكوف معنى العبادة؛ لزيادة التَّوبيخِ، ويعضده ما في جوابهم (١) من قولهم: ﴿ لَمُا عَبِدِينَ ﴾.

* * *

(٥٣) - ﴿ قَالُواْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَمَا عَبِدِينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ وَجَدْنَا ٓ عَالِمَا ٓ عَالِمَا عَلِيدِينَ ﴾ جوابٌ عن التَّوبيخ بأنَّه طريقة أسلافنا، ما أحدثناها.

ولَمَّا ضمَّنوا جوابهم دعوى سواءِ (٢) طريقهم بالإسناد إلى الآباء والأجداد، ردَّ عليهم حيث:

(٤٥) - ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَ آؤُكُمْ فِيضَلَالِ مُبِينٍ ﴾.

﴿ قَالَ لَقَدَّكُنتُمْ أَنتُمْ ﴾ تأكيدٌ للمتَّصل في ﴿ كُنتُمْ ﴾؛ ليصحَّ العطفُ عليه.

﴿وَءَابَ آؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ مستقرُّون في ضلالٍ ظاهر.

والتَّأكيد بالقسم ووصفُ الضَّلال بالمبين؛ لإفادة وضوح استقرار المقلِّدين في ضلالٍ لا يخفى على مَن له أدنى عقلٍ؛ لعدم تمشُّك الفريقَيْن بدليلٍ، والتَّقليد في الأصول غير جائزٍ أصلاً، وفي الفروع إنَّما يجوز لمن علم في الجملة كونَ المقلَّدِ على الحقِّ.

* * *

⁽١) في (ك): «جوابه».

⁽٢) في (ف) و(ك): «لرد»، والمثبت من (م)، ورسمها في (س) قريب من (م).

(٥٥) - ﴿ قَالُوٓ أَأْجِثَنَنَا بِٱلْحَقِّ آمُ أَنتَ مِنَ ٱللَّعِينَ ﴾.

﴿ قَالُوٓا الْحِثْتَنَابِا لَحْقِقَ الْمَ أَنتَ مِنَ اللَّعِينَ ﴾ لاستبعادهم تضليله إيَّاهم وآباءَهم، حسبوا أنَّه إنَّما قال ما قال (١) على وجه المزاح والملاعبة، فقالوا: أبجدِّ تقولُ أم أنت لاعبٌ؟

وإنّما غيّروا النّظم بإدخال الهمزة على الجملة الفعلية وقرينتها الجملة الاسميّة لتوطينهم (٢) أنفسَهم على أنّه من اللّاعبين، ورسوخ ذلك الاعتقاد عندهم، وأمّا القِسْمُ الأول فلم يثبت عندهم فأظهروا أنّه إنْ ثبتَ فشيء اختلجَ في ظنّه.

* * *

(٥٦) ﴿ قَالَ مِن زَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنِ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُومِّنَ ٱلشَّلِهِدِينَ ﴾.

﴿ قَالَ بَلَ رَّبُ أَلْسَكُوْتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَ ﴾ إضراب عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما ادَّعاه.

والضَّمير في ﴿فَطَرَهُرَ ﴾ لـ ﴿السَّمَوَتِوَالْأَرْضِ ﴾؛ أي: أنشأهنَّ من غير شيءٍ، أو لـ ﴿التَّمَاشِلُ ﴾، وهو أَدخُلُ في تضليلهم وإلزام الحجَّة عليهم، فكأنَّه قيل: إنَّه تعالى خالقٌ وهنَّ مخلوقُه، فأنَّى يُعبَد المخلوق ويُجحَدُ الخالق!

﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمُ ﴾ المذكور من التَّوحيد.

⁽١) «ما قال» سقط من (ك).

⁽۲) في (ف): «لتوطنهم».

﴿ مِنَ ٱلشَّامِهِدِينَ ﴾؛ أي: من المحققِّين له؛ لأنَّ الشَّاهد هو الذي تحقَّق الشَّيءَ وحققَّه، كأنَّه قال: وأنا أحقِّق ذلك وأُثْبته بالبرهان، لستُ مثلكم فأقولَ ما لا أقدر على إثباته (١) بالحجَّة، وأتمسَّكَ بالتَّقليد كما تمسَّكتم به.

* * *

(٥٧) - ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ بَعَدَأَن تُولُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾.

﴿ وَتَأَلَّهِ ﴾ قرئ بالباء على الأصل(٢)، والتَّاء بدل من الواو المبدلة منها.

والتَّاء في القَسَم تفيد معنى التَّعجب من المقسَم عليه، كأنَّه تعجَّب من تسهُّل ذلك الأمر الصَّعب على يده، ولهذا عبَّر عنه بالكيد المشتمِل على نوعٍ من الحيل.

﴿لَأَكِيدَنَّ أَصَّنَكُمُ ﴾ الكيدُ: الاحتيال في وصول الضَّرر إلى المكيد.

﴿بَعْدَأَنَ تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾: بعد (٣) ذهابكم عنها.

وعن قتادة: أنَّه قال ذلك سرًّا(٤).

وقيل: سمعه رجلٌ واحدٌ (٥).

فلمًّا ذهبوا بقى إبراهيم عليه السلام فكسر الأصنام، فالفاء في قوله:

⁽١) في (ف): «ثباته».

⁽٢) نسبت لمعاذ بن جبل. انظر: «الكشاف» (٣/ ١٢٢)، وزاد في «البحر المحيط» (١٥/ ٢٣٩): الإمام أحمد.

⁽٣) في (م): «يعني».

⁽٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٩٣).

⁽٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٢٩٣) عن مجاهد.

(٥٨) - ﴿ فَجَعَلَهُ مُ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَمُّ مُ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾ فصيحةٌ، والجُذَاذُ: فُعالٌ بمعنى مَفعولٍ _ كالحُطام _ من الجذِّ وهو القَطْع، أو جمع جُذَاذة كزُجاجة وزُجاج.

وقرئ بالكسر(١١)، وهو لغةٌ فيه، أو جمع جَذيذٍ، كخِفافٍ وخَفيفٍ.

وقرئ بالفتح (٢)، و: (جُذُذاً) جمع جَذيذ، و: (جُذَذاً) جمع جُذَّةٍ (٣).

﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَمَامُ ﴾: للأصنام، أو للكفَّار. وروي أنه عليه السلام كسرها كلَّها بالفأس إلَّا كبيرَها فعلَّق الفأس في عنقه (٤):

﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ ﴾: إلى الكبير ﴿يَرْجِعُونَ ﴾ فيسألونه عن كاسرها، فيتبيَّنُ (٥) لهم عجزُه.

وقيل: إلى إبراهيم عليه السلام، فيحاجُّهم بقوله: ﴿بَلُ فَعَلَهُۥكَبِيرُهُمْ﴾ فيَحُجُّهم.

أو: إلى الله؛ أي: يرجعون إلى توحيده عند تحقُّقهم عجز آلهتهم، ويرِدُ عليه أنَّه حينئذ يكون قوله: ﴿إِلَّاكَمْ ﴾ أجنبيًّا في البَيْن.

* * *

⁽١) قرأ بها الكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٥).

⁽٢) نسبت لأبي نهيك وأبي السمال. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٢).

⁽٣) انظر القراءتين في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٢)، و «الكشاف» (٣/ ١٢٣) والكلام منه، و «البحر المحيط» (١٥/ ٢٤٢).

⁽٤) روي نحوه عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن إسحاق. انظر: «تفسير الطبري» (٦٦/ ٢٩٦)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٥/ ٦٣٧).

⁽٥) في (ف): «فيبين».

(٥٩) - ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَلَا إِعَالِهَتِنَا إِنَّهُ لِهِنَ ٱلظَّلِلِمِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا ﴾ حين رأوا ذلك بعدَ ما رجعوا:

﴿ مَن فَعَلَ هَلاَ إِنَا لِهَتِنَآ إِنَّهُ لَكِنَ ٱلظَّلِمِينَ ﴾: لشديدُ الظُّلم؛ لجراءته على الآلهة الحقيقَة بالإعظام.

* * *

(٦٠) _ ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتَى يَذَكُّرُهُمْ يُقَالُ لَهُ وَإِبْرَهِيمُ ﴾.

﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ ﴾ بسوءٍ، صفةٌ لـ ﴿ فَتَى ﴾ مصحِّحةٌ لتعلُّق السَّمع به، وهو أبلغ في نسبة الذِّكْرِ إليه، وقيل: مفعولٌ ثانٍ لسمع، وليس يَثبت.

﴿ يُقَالُ لَهُ وَإِبْرَهِيمُ ﴾ صفةٌ أخرى، و ﴿ إِبْرَهِيمُ ﴾ فاعلٌ، يُقال: لأنَّ المراد به الاسمُ لا المسمَّى.

* * *

(٦١) - ﴿ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِ عَلَىٰ أَعَيْنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾.

﴿ قَالُواْ فَأْتُواْ يِهِ عَلَى آَعَيُنِ النَّاسِ ﴾ في محلِّ النَّصب على الحال؛ أي: بمرأًى منهم ومَنظرٍ، بمعنى: معايَناً مشاهَداً متمكِّناً صورتُه (١) في أعينهم تمكُّنَ الرَّاكب على المركوب.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ عليه بما فعله، أو بما يُسمع منه، أو يحضرون عقوبتنا له.

* * *

⁽١) في (ك): «صورة»، وسقطت من (ف).

(٦٢ ـ ٦٣) ـ ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلَّتَ هَنذَا بِعَالِمَتِ نَا يَتَإِبْرَهِيمُ ۚ اللَّ ۚ قَالَ بَلْ فَعَكَهُ, كَبِيرُهُمْ هَنذَا فَتَعَلُّوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾.

﴿ قَالُواْ ﴾ بعدما أحضروه: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِثَالِمُتِـنَا يَتَإِبْرَهِيـمُ ﴿ أَنَ قَالَ ﴾ إبراهيمُ عليه السلام:

﴿ بَلْ فَعَلَهُ وَكِيرُهُمْ هَنَذَا فَتَ تُلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنْطِقُونَ ﴾ أسند الفعل إلى السّبب مجازاً؛ إذ الحاملُ على كسرهم هو؛ لأنّه لَمّا غاظه زيادةُ تعظيمهم له تسبّب لمباشرته إيّاه.

والأحسنُ الأفصح أنّه من مَعاريض (۱) الكلام، وذلك أنّه لم يُرِدْ أن ينسبَ الفعل إلى الصّنم، بل أراد تقريرَه لنفسه على أسلوبِ تعريضٍ مع الاستهزاء بهم بالغا به غرضه (۲) من إلزامهم (۳) الحجّة وتبكيتِهم، لا نفيه (۱) عن نفسه وإثباته للصّنم؛ لأنّ إثباته للعاجز والأمر دائرٌ بينهما استهزاءٌ به وإثباتٌ للقادر، وما روي أنه عليه السلام قال: «كذب إبراهيمُ ثلاث كذبات» (۵)، تسميةٌ للمَعاريض (۱) بالكذب لَمّا شابهت صورتُها صورتَه.

ويجوز أن يكون حكايةً لِمَا يؤدي إليه مذهبهم من جوازه، كأنَّه قال: ليس بمنكرِ أن يفعل هذا وأشدَّ منه مَن يُدْعى إلهاً.

⁽١) في (ك): «معارض».

⁽٢) في (ف) و(ك) و(م): «غرضهم»، والمثبت من (س) وهو الصواب.

⁽٣) في (ك): «إلزام».

⁽٤) عطف على «تقريره».

⁽٥) رواه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٦) في (ك): «للمعارض».

وقرئ: (فَعَلَّهُ كبيرُهم)(١) بمعنى: فلعلَّه كبيرهم(٢)؛ أي: فلعلَّ الفاعل كبيرهم.

* * *

(٦٤) - ﴿ فَرَجَعُوٓ أَ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓ أَ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴾.

﴿ فَرَجَعُوٓ اللَّهَ الْفُسِهِم ﴾ ورجعوا إلى عقولهم ﴿ فَقَالُوٓ ا ﴾: فقال بعضهم لبعض: ﴿ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّلِمُونَ ﴾ بعبادةِ مَن لا ينطقُ ولا يمكنه دفعُ الضّرر عن نفسه، لا مَن ظلمتُموه بقولكم: ﴿ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّلِمِينَ ﴾.

* * *

(٦٥) - ﴿ ثُمَّ أَكِسُواْ عَلَى رُءُ وسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَتُؤُلَّاهِ يَنطِقُونَ ﴾.

﴿ ثُمَّ نُكِسُواً ﴾ النَّكسُ: جعلُ الشَّيء أسفلَه أعلاه، ومنه نُكِس المريضُ: إذا رجعَ أَوَّل حاله.

وهو عبارةٌ عن إطراقهم رؤوسَهم خجلاً، وللمبالغة في هذا المعنى ضمَّنه معنى الشُّقوط؛ أي: نُكِسُوا ساقطين ﴿عَلَىٰرُءُوسِهِمْ ﴾، وقولهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ ﴾ رميٌ عن حيرةٍ، ولهذا(٣) أثوا بما هو حجَّةٌ عليهم.

وقيل: انقلبوا إلى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة، شبَّه عَودهم إلى الباطل بصيرورةِ أسفلِ الشَّيءِ أعلاه.

ويَرِدُ عليه أنَّه حينئذٍ يضيع قوله: ﴿عَلَىٰرُءُوسِهِمْ ﴾.

(١) نسبت لمحمد بن السميفع. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٢).

⁽۲) «کبیرهم»: من (ف).

⁽٣) في (ف): «ولقد».

وقرئ: (نكِّسوا) بالتَّشديد (نكَسوا) على البناء للفاعل (٢)؛ أي: نكَسوا أنفسَهم على رؤوسهم.

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَتَوُلاَهِ يَنطِقُونَ ﴾ فكيف تأمرنا بسؤالها؟ وهو على إرادة القول، كان أمرُه عليه السلام بالسُّؤال للتَّوبيخ والتَّبكيت، وحملوه على الحقيقة تجاهلاً، ثم نزَّلوا المخاطب منزلة الجاهل بمضمون الخبر، فلذلك أكَّدوه بـ (قد) ولام القسم، فكأنَّهم قابلوا توبيخه بنوع من التَّشنيع.

* * *

(٦٦) - ﴿ قَالَأَفَتَعُ بُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْعًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾.

﴿ فَالَأَفَتَعُبُدُونَ ﴾ إنكارٌ لعبادتهم لها بعد اعترافهم بأنَّها جمادات لا تنفع ولا تضرُّ.

﴿ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُ كُمْ ﴾ إنْ عبدتموه ﴿ شَيْئًا ﴾ في موضع المصدر؛ أي: نفعاً مّا ﴿ وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ إن لم تعبدوه.

* * *

(٦٧) - ﴿ أُنِّي لَّكُورُ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ أُنِّ ﴾: صوتٌ إذا صُوِّتَ به عُلِمَ أنَّ صاحبه متضجِّرٌ، أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم، وإصرارهم على الباطل بعد وضوح الحقِّ، فتأفَّف بهم.

⁽۱) نسبت لأبي حيوة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ۹۱)، و «الكشاف» (٣/ ١٢٥).

⁽٢) نسبت لرضوان بن عبد المعبود. انظر المصدرين السابقين.

واللام في: ﴿لَكُرُ وَلِمَاتَعَبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ لبيان المتأفَّف به؛ أي: لكم ولآلهتكم هذا التَّاقُفُ.

وقيل: معناه: قبحاً ونَتْناً.

ثمَّ وبَّخهم (١) على تمادي جهلهم بقوله: ﴿أَفَلَاتَعْقِلُونَ ﴾؛ أي: أَبَعْدَ وضوحِ الحقِّ وزهوق الباطل لا تدركون قُبْحَ صنيعكم؟!

* * *

(٦٨) - ﴿ قَالُواْ حَرِقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْءَ الِهَتَكُمْ إِن كُنْهُمْ فَعِلِينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ ﴾ أخذاً (٢) في المضارَّة عند العجز عن المحاجَّة: ﴿ حَرِّقُوهُ ﴾ بالنَّار؛ فإنَّها أهون ما يُعاقب به وأفظع.

﴿وَٱنصُرُوٓا عَالِهَ تَكُمُ ﴾ بالانتقام منه ﴿إِن كُنكُمُ فَعِلِينَ ﴾ فعلاً، وفيه تنزيلُ لسائر أنواع العذاب منزلة العدم في هذا الباب، ولا يخفى لطف هذا التَّعبير البليغ على ذوي الألباب.

* * *

(٢٩) ـ ﴿ قُلْنَايَكُنَارُكُونِي بَرْدَا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَهِيمَ ﴾.

﴿ قُلْنَا يَكُونِ بَرَدًا ﴾ شُبِّهَتِ النَّار لمطاوعتها إرادة الله تعالى وأمرَه بمأمورٍ مطيع لا يتوقَّف في ذلك بإقامة:

⁽١) في (ف) و(ك): «وطنهم».

⁽۲) في (ف): «أخذ».

كوني ذاتَ بردٍ، مقامَ: ابرُدي (١)، ثمَّ حذف المضافَ وأقيم (١) المضافُ إليه مقامه.

﴿ وَسَلَنَمًا ﴾؛ أي: ابرُدي برداً غيرَ ضارً ، وقيل: نصبُه (٣) بفعله؛ أي: وسلَّمنا سلاماً عليه.

روي: أنَّهم وضعوه في المنجنيق مغلولاً فرموه في نارٍ عظيمة (١٠)، ولم يحترق منه إلَّا وثاقه، وعلى هذا تكون النَّار على حالها. ولا يناسبه المبالغةُ المذكورة في أمر تبريدها؛ فإنَّها ظاهرة في تحوُّلها(٥) من الحرارة إلى البرودة.

ولا إشعار في قوله: ﴿عَلَى إِبْرَهِيمَ ﴾ بعدم التَّحوُّل؛ لأنَّه متعلِّق بقوله: ﴿وَسَلَامًا ﴾، لا بقوله: ﴿وَسَلَامًا ،

* * *

(٧٠) - ﴿ وَأَرَادُواْ بِهِ عَكِيدًا فَجَعَلْنَا هُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾.

﴿وَأَرَادُواْ بِهِ،كَيْدًا ﴾ احتيالاً في إضراره.

﴿ فَجَعَلْنَا هُمُ ٱلْأَغْسَرِينَ ﴾ بتصييرِ سعيهم برهاناً قاطعاً على أنَّه على الحقِّ وأنَّهم على الباطل، وموجباً لارتفاع درجته واستحقاقهم أشدَّ العذاب.

* * *

⁽۱) بضم الراء من باب نصر وكرم. انظر: «حاشية الشهاب» (٦/ ٢٦٣).

⁽٢) في النسخ: «وإقامة»، والمثبت من «تفسير البيضاوي» (١٤/٥٥).

⁽٣) في (ف): «نصب».

⁽٤) في (ف): «عظيم».

⁽٥) في (ف): «تحويلها».

⁽٦) في هامش (س) و(ف) و(م): «لا اختصاص برودتها به عليه السلام».

(٧١) - ﴿ وَخَتَنَكُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَدَرَّكْنَافِهَا لِلْعَلَمِينَ ﴾.

﴿ وَنَجَيِّنَكَ هُولُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَكَرِّكَنَا فِيهَا لِلْعَلَمِينَ ﴾؛ أي: من العراق إلى الشَّام. وبركاتُه الدِّينيَّة العامَّة: بعثُ أكثر الأنبياء عليهم السلام، وانتشار شرائعهم التي هي مَبادي الخيرات في جميع أهل العالم.

وبركاته الدُّنيويَّة: كثرةُ النِّعم والخصب بكثرة الرَّوْضِ (١) والماءِ والشَّجر، والرُّخص فيه، فهي الأرض التي بورك فيها مطلقاً.

و ﴿بَرَكُنَافِيهَا ﴾ أبلغ من: باركناها؛ لدلالته على الظّرفية والاستقرار، فكأنَّ تلك الأرض محيطة لأنواع البركات إحاطة الظّرف للمظروف، وهي مستقرَّة فيها لا تزول عنها.

وروي: أن إبراهيم عليه السلام نزل بفلسطين، ولوطاً (٢) عليه السلام بالمؤتفكة، وبينهما مسيرة يوم وليلة (٣).

* * *

(٧٢) ـ ﴿ وَوَهَبْ نَالُهُۥ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةٌ وَكُلَّا جَعَلْنَا صَلِحِينَ ﴾.

﴿ وَوَهَبْنَالَهُ وَإِسْحَنَى وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ النَّافلةُ: ولد الولد، وهي في الأصل: الزِّيادة والفضل.

قيل: ﴿نَافِلَةً ﴾ زيادةً على ما سأل؛ لأنَّه عليه السلام سأل إسحاق فأُعْطِيه، وأُعْطِيَه، وأُعْطِيَه بالمارية على ما سأل وفضلاً، حال مختَّصة، ولا بأس به للقرينة.

⁽١) الرُّوض والرياض: جمع روضة.

⁽٢) في (ك) و(م): «ولوط».

⁽٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣١٣) عن ابن إسحاق.

﴿وَكُلَّا﴾؛ أي: من (١) الأربعة المذكورين ﴿جَعَلْنَاصَلِحِينَ ﴾ لأنَّ الأنبياء هم المصلحون، وشرطُ الإصلاح هو الصَّلاح.

* * *

(٧٣) - ﴿ وَجَعَلْنَاهُمُ أَيِمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَاۤ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوْةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكُوْةِ وَكَانُواْ لَنَاعَلِينَ ﴾.

﴿ وَجَعَلْنَا هُمُ أَيِمَةً ﴾ يقتدون بهم ﴿ يَهْدُونَ ﴾ النَّاسَ إلى الحقِّ ﴿ بِأَمْرِنَا ﴾ لهم بذلك.

﴿ وَأَوْحَيْ نَا إِلَيْهِمْ فِعْ لَ ٱلْخَيْرَاتِ ﴾ للاهتداء أوَّلاً، ثمَّ القيام بالهداية حتى يشملَهم وأممَهم (٢) فعلُها، ويتمَّ كمالهم بانضمام العمل إلى العلم.

وأصلُه: أن تُفعل الخيرات، ثم: فِعلاً الخيراتِ، ثم: ﴿فِعَـٰ لَٱلْخَيْرَاتِ ﴾ بالإضافة، وكذلك قوله:

﴿ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوْةِ وَإِيتَ آءَ ٱلزَّكُوةِ ﴾ وهو عطف الخاصِّ على العامِّ للتَّفصيل. وحذف تاء الإقامة المعوَّضة من أحد (٣) الألفين لقيام المضاف إليه مقامه.

﴿وَكَانُواْ لَنَاعَابِينَ ﴾ مخصّصين بنا العبادة(١٠).

* * *

(۱) «من» من (ف).

⁽٢) في (م): «وأمم».

⁽٣) في (ف): «إحدى».

⁽٤) في (ف): «العبودية».

(٧٤) _ ﴿ وَلُوطًاءَانَيْنَهُ حُكُمًا وَعِلْمًا وَنَجَيْنَهُ مِنَ ٱلْقَرْبِيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَعْمَلُ ٱلْخَبَنَيِثُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءِ فَاسِقِينَ ﴾.

﴿ وَلُوطًا ءَانَيْنَكُ مُكُمًّا ﴾: حكمةً، وهو فعلُ ما ينبغي فعلُه وجوباً أو ندباً.

وقيل: نبوَّة، أو فصلاً بين الخصوم.

﴿ وَعِلْمًا ﴾ بما ينبغي علمُه للأنبياء عليه السلام.

﴿ وَنَجَّيْنَكُ مِنَ ٱلْقَرْبِيةِ ﴾ هي سدوم.

﴿ اللَّهِ كَانَت تَعْمَلُ الْخَبَتَمِثُ ﴾ من اللّواطة وسائر المنكرات التي كانوا يأتونها في ناديهم، وصَفها بصفة أهلها، وأسندَها إليها على حذف المضاف وإقامتها مقامه، على ما دلَّ عليه التعليل بقوله:

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءِ فَاسِقِينَ ﴾ ونكتةُ ذلك الإشعارُ بعلامة السَّببية، فإنَّ للتُّربة تأثيراً في تغيير طبيعة أهلها من السَّداد إلى الفسادِ، ولذلك قال: ﴿وَنَجَيَّنَكُ مِنَ الشَّرِيةِ ﴾؛ أي: أخلصناه من تلكَ التُّربة الخبيثة.

* * *

(٧٥) _ ﴿ وَأَدْخَلْنَاكُ فِي رَحْمَتِنَأَ إِنَّكُ مِنَ ٱلصَّبَلِحِينَ ﴾.

﴿ وَأَدْخَلْنَكُ فِي رَحْمَتِنَا ۗ ﴾؛ أي: في أهل رحمتنا، أو: في الجنَّة.

﴿إِنَّهُ مِنَ ٱلصَّلِحِينَ ﴾ الذين سبقَتْ لهم منَّا الحسنى، وهو كالتَّعليل لِمَا تقدَّمَ.

* * *

(٧٦) - ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَكَبُلُ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ، فَنَجَيْنَهُ وَأَهْلَهُ، مِنَ أَلْكَرْبِ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ ﴾؛ أي: دعا ربَّه على قومِه بالهلاك ﴿ مِن فَكُبُلُ ﴾ المذكورين ﴿ فَأَسْتَجَبِّنَا لَهُ ، ﴾ دعاءَه.

﴿ فَنَجَيْنَكُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ هو الطُّوفان، أو أذى قومه، والكربُ: الغمُّ المفرط.

* * *

(٧٧) - ﴿ وَنَصَرْزَنُهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِتَايَلِتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقُنَكُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ وَنَصَمْرَنَهُ ﴾ فانتصر (١) ﴿ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِيكَ كَذَّبُواْ بِتَايَدَتِنَا ۚ ﴾ فتعديتُه بـ ﴿ مِنَ ﴾ بمدلوله إشارةً، لا بما في مفهومه من معنى المنع، ولا بتأويل (٢): جعلناه منتصراً (٣).

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْقُومَ سَوْءٍ ﴾ تعليلٌ لِمَا تقدَّم، وتمهيدٌ لِمَا تأخَّر.

﴿ فَأَغْرَقَنَهُم ﴾ لذلك ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ عذاب الاستئصال لشدَّة الغضب، وهي لكمال استحقاقهم له.

* * *

(٧٨) - ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحَكُمَانِ فِي ٱلْحَرَثِ إِذْنَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَا اللهِ عَنْهُ الْقَوْمِ وَكُنَا اللهِ عَنْهُ اللهُ وَاللهُ عَنْهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ ⁽١) في (م): «فانتصرنا»، وسقطت من (ف).

⁽۲) في (ف): «بتأويله».

 ⁽٣) في هامش (ف): «فإن الانتصار لازِمُ نصره تعالى لا يتخلف عنه، ففي التّعدية بذلك الاعتبار تنبية على أنّ نصرته تعالى ليس من جنس نصر العباد، فافهم، والله الهادي إلى سبيل الرّشاد. منه».

﴿ وَدَاوُردَ وَسُلَيْمَنَ ﴾ نصب باذْكُرْ، ﴿إِذْ ﴾ بدلٌ منهما ﴿يَمَكُمَانِ فِي ٱلْحَرَّتِ ﴾ هو محلُّ الزَّرع.

﴿إِذْنَفَشَتَ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ قال ابن السِّكِّيْتُ: والنَّفْشُ: مصدر نفشْتُ القطنَ وغيره، والنَّفْشُ: أن تَنْفُشَ الإبلُ باللَّيل فترعى (١).

﴿وَكُنَّا لِلْكُمْمِهِمَ ﴾ جمع الضَّمير لأنَّه أرادهما والمتحاكمَينِ إليهما، وقرئ: (لِحُكْمِهِما)(٢).

﴿شُلِهِدِينَ ﴾: عالِمِين.

* * *

(٧٩) _ ﴿ فَفَهَمَنْكُهَا سُلَيْمُنَ وَكُلًّا ءَالَيْنَا حُكُمًا وَعِلْمَا وَسَخَّرْنَامَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرُ وَكُنَّا فَعِلِينَ ﴾.

﴿ فَفَهَّمَّنَّهَا سُلَيْمَانَ ﴾ الضَّمير للحكومة، أو الفتوى.

روي (٣) أن داود عليه السلام حكم الغنم لصاحب الحرث، فقال سليمان عليه عليه السلام وهو ابن إحدى عشر سنة : غير هذا أرفق بالفريقين، فعزم عليه ليحكمَن، فقال: أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها، والحرث إلى أرباب الغنم يقومون عليه حتى يعود كهيئة يوم أُفْسِد،

⁽١) انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (١/ ٣٨).

⁽٢) دون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٠٨)، ولابن عباس وابن مسعود وابن أبي عبلة في «زاد المسير» (٥/ ٣٧١).

⁽۳) في (ف): «يروى».

ثم يترادًان، فقال: القضاء ما قضيْت، وأمضى الحكم بذلك(١).

وكان ذلك باجتهاد منهما، وهذا كان في شريعتهم، وعدمُ انتقاض حكم الاجتهاد باجتهادٍ آخر في شريعتنا، فلا دلالة فيه على أنَّهما حَكَمَا بالوحي، أو كان حكم سليمان عليه السلام وحدَه بالوحي.

ولَمَّا كان المتبادِر إلى الوهم من تخصيص سليمان عليه السلام بتفهيم الحكومة أنْ لا يكون ما قضاه داود عليه السلام حكماً شرعيًّا دفعَه بقوله:

﴿وَكُلَّا ءَانَيْنَا حُكُمًا وَعِلْمًا ﴾ فالقول السَّابِق دلَّ على أنَّ الأصوبَ كان حكمَ سليمان عليه السلام، وهذا القولُ دلَّ على أنَّهما جميعاً على الصَّواب، ففيه دليلٌ على أنَّ كلَّ مجتهِدٍ مصيبٌ.

﴿ وَسَخَّرَنَامَعَ دَاوُردَ ٱلْحِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾ حال بمعنى: مسبِّحاتٍ، أو استئنافٌ على تقدير سؤال سائل قال: كيف سخرهن (٢)؟ فقال: يسبِّحن؛ أي: يقدِّسْنَ اللهَ تعالى. و مَعَ ﴾ متعلِّقة به، أو ب ﴿ وَسَخَّرْنَا ﴾ ، وتتمَّة الكلام تأتي في (سورة سبأ) بإذن الله تعالى.

﴿وَٱلطَّيْرَ ﴾ عطف على ﴿ٱلْجِبَالَ ﴾، أو مفعول معه، وإنَّما قدَّم الجبال على الطَّير، وجعلَتْ أصلاً في التَّسبيح؛ لأنَّ تسخيرها وتسبيحها أدلُّ على القدرة، وأدخَلُ في الإعجاز، وأخرقُ للعادة؛ لأنَّها جماد. وقرئ بالرَّفع على الابتداء (٣).

⁽۱) انظر: «الكشاف» (۳/ ۱۲۸). رواه الطبري في «تفسيره» (۱٦/ ٣٢٢ ـ ٣٢٨) عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهما.

⁽٢) في (ك): «تسخرهن».

⁽٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ٥٧)، و «البحر المحيط» (١٥/ ٢٦١).

﴿وَكُنَّا فَكِلِينَ ﴾: قادرين على أمثاله، ليس ببِدْعٍ منَّا وإنْ كان عجيباً عندكم، أو: فاعلين للأنبياء أمثالَ ذلك.

* * *

(٨٠) - ﴿ وَعَلَّمْنَا لُهُ صَنْعَاةً لَبُوسِ لَّكُمْ لِنُحْصِنَاكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾.

﴿ وَعَلَمْنَكُ مُنْعَكَةً لَبُوسٍ ﴾ اللَّبوسُ: اللِّباسُ، والمراد الدِّرع؛ قال قتادة: كانت صفائح، فأوَّل مَن حلَّقها وسَرَدها داود عليه السلام، فجَمَعَتِ الخفَّةَ (١) والتَّحصين (٢).

﴿لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ﴾ بدل منه بدلَ الاشتمال بإعادةِ الجارِّ، والضَّمير لداود عليه السلام، أو لـ ﴿لَوُسِ ﴾.

وقرئ بالتَّاء للصَّنعة، أو لـ ﴿لَبُوسِ ﴾ على تأويل الدِّرع، وقرئ بالنُّون لله تعالى (٣).

﴿ فَهَلَ أَنتُمْ شَكِرُونَ ﴾ أصله: فهل تشكرون؟ لاقتضاء الاستفهام الفعل، فعدل عن الجملة الفعلية إلى الاسميّة (٤)، ولم يقل: فهل أنتم تشكرون (٥)؛ لئلا يُفْهَم منه رائحة التَّجدد، ويفهم منه طلبُ دوام الشُّكر، وهو أمرٌ أُخرِجَ

⁽١) في (ف) و(ك): «للخفة»، وفي (م): «الحصنة»، والمثبت من (س) و «الكشاف» (٣/ ١٢٩).

⁽۲) انظر: «الكشاف» (۳/ ۱۲۹). وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (۱٦/ ٣٢٩).

⁽٣) قرأ ابن عامر وحفص: ﴿لِنُحْصِنَكُم ﴾ بالتَّاء، وأبو بكر بالنُّون، والباقون بالياء. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٥).

⁽٤) في (ف): «اسمية».

⁽٥) في (ف) زيادة: «أصله»، ولا معنى لها.

في صورة الاستفهام، وأُفرغ في هذا القالب؛ للمبالغة في طلب دوام الشُّكر مع التَّقريع.

* * *

(٨١) - ﴿ وَلِسُلَيْمَنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى فِأَمْرِهِ ۚ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَنَرَّكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِمِينَ ﴾.

﴿ وَلِسُلَيْمَنَ ٱلرِّيمَ ﴾: وسخَّرناها له، وإنَّما جيء باللَّام فيه وب ﴿مَعَ ﴾ في داود عليه السلام على تعلُّقه بـ (سخرنا)؛ لأنَّ نفع تسخير الرِّيح ـ وهي جريانها بأمره ـ مختصُّ به، بخلاف تسبيح الجبال، بعد اشتراكهما في خرق العادة (١١).

﴿عَاصِفَةً ﴾ وصف الرِّيحَ هنا بالعصف، وهو شدة الهبوب، وفي سورة (ص) بالرَّخاوة لكونها في نفسها رخيَّةً طيِّبةً كالنَّسيم(٢)، وفي فعلها بكرسيه عليه السلام وإذهابه في مدَّةٍ يسيرة عاصفةً.

وقيل: كانت عاصفةً تارة، ورُخاءً أخرى، على حسب إرادته.

﴿جَرِي إِأْمُرِهِ ﴾: بمشيئته، حال ثانية، أو بدلٌ من الأولى، أو حالٌ من ضميرها.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـُرَكْنَافِيهَا ﴾؛ أي: حاملةً لكرسيِّه إليها؛ أي: إلى الشَّام، وكان^(٣) منزله بها، وتحمله الرِّيح من نواحي الأرض إليها.

﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِمِينَ ﴾ فنُجْريهِ على ما تقتضيه الحكمة.

* * *

⁽١) في هامش (ف): «في تقرير القاضي نوع قصور وخلل، فتأمَّل. منه».

⁽٢) في (م): «كالنسم».

⁽٣) في (ف): «وكانت».

(۸۲) _ ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ، وَيَعْمَلُونَ عَمَلُادُونَ ذَالِكٌ وَكُنَّا لَهُمْ حَيفِظِينَ ﴾.

﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ ﴾ في البحار فيستخرجون نفائسها.

و ﴿ مَن ﴾ منصوب المحلِّ، عطف على ﴿ الرِّيحَ ﴾، أو مرفوع بالابتداء، و ﴿ وَمِن ﴾ أسْيَنطِينِ ﴾ خبره قدِّم (١) عليه، فساغ الابتداء بها وهي نكرة على أنَّها موصوفة.

﴿وَيَعْمَلُونَ عَكَلَادُونَ ذَالِكَ ﴾: ويتجاوزون ذلك إلى أعمالٍ أُخَر، على ما فصَّلَ في سورة (ص).

﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَنِفِظِينَ ﴾ أن يزيغوا عن أمره، أو يميلوا إلى الفساد الذي هو مقتضى جِبلَّتهم.

* * *

. (٨٣) - ﴿ وَأَيُّوكِ إِذْنَادَىٰ رَبُّهُ وَأَنِّي مَسَّنِي ٱلصُّرُ وَأَنْتَ أَرْحَمُ ٱلرَّحِينَ ﴾.

﴿ وَأَيُّوكِ إِذْنَادَىٰ رَبُّهُ وَ فَصِبِ بِإِضْمَارِ (اذكر)، و ﴿ إِذْ ﴾ بدل منه.

﴿ أَتِي مَسَّنِي ﴾؛ أي: بأني، وقرئ بالكسر (٢) على إضمار القول، أو تضمُّنِ النِّداء معناه.

﴿ٱلشُّرُ ﴾ بالفتح شائع في كلِّ ضرر، وبالضَّمِّ مختصُّ بما في النَّفس من مرضٍ وهُزال.

(۱) في (ف): «مقدم».

⁽٢) دون نسبة في «الكشاف» (٣/ ١٣٠)، ولأبي عمران الجوني في «زاد المسير» (٥/ ٣٧٥)، ولعيسيى بن عمر في «البحر المحيط» (١٥/ ٢٦٨).

﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ ٱلرَّحِينَ ﴾ وصف ربَّه بغاية الرَّحمة بعدما وصفَ نفسَه بما يوجبها، واكتفى بذلك عن عرض المطلوب؛ رعايةً لحسن السُّؤال ولطفه، وقضاءً لحقً الأدب.

وكان روميًّا من ولد عيص بن إسحاق عليه السلام، استنبأه الله تعالى، وكثر أهله وماله، فابتلاه الله تعالى بهلاك أولاده، وذهاب أمواله، والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة، وقالت له امرأته يوماً: لو دعوْتَ الله تعالى، فقال لها: كم كانت مدَّة الرَّخاء؟ قالَتْ: ثمانين سنة، فقال: أنا أستحي (۱) من الله تعالى أن أدعوه وما بلغَتْ مدَّة بلائى مدَّة رجائى (۲).

* * *

(٨٤) - ﴿ فَالسَّتَجَبِّنَالُهُ فَكَشَفْنَا مَابِهِ مِن ضُرِّ وَءَاتَيْنَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُ مَرَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرِيْ لِلْعَبِدِينَ ﴾ .

﴿ فَأَسْتَجَبُّنَا لَهُ وَكُشَفْنَا مَا يِهِ مِن ضُرِّر ﴾ عظيمٍ بالشِّفاء من مرضه.

﴿ وَءَاتَيْنَهُ أَهَ لَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ لَمَّا كشفَ اللهُ تعالى عنه أَحْيَى ولدَه بأعيانهم، ورزقَه مثلَهم معهم "".

﴿ رَحْمَةً ﴾ على أيُّوب ﴿ مِّنْ عِندِنَا وَذِكْ رَىٰ لِلْعَلِدِينَ ﴾: وتذكرةً لغيره من العابدين،

⁽۱) في (ك): «أستحيى»، وكلاهما صواب.

⁽۲) انظر: «الكشاف» (۳/ ۱۳۱).

⁽٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣١٦/١٦ ـ ٣٦٣) عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة. وخبر ابن مسعود ضعيف لانقطاعه؛ لأنه من رواية الضحاك عنه، وخبر ابن عباس ضعيف جدًّا لضعف رواته.

ليصبروا(١) كما صبرَ، فيثابوا كما أُثِيْبَ في الدُّنيا والآخرة، أو: لرحمتنا للعابدين، وأنَّا نذكُرهم بالإحسان ولا ننساهم(٢).

وإذا أوقعنا الرَّحمةَ والذِّكْرَ على العابدين، ولم نخصِّص الرَّحمةَ بأيُّوب، دخل هو فيهم دخولاً أوَّليًّا، وأفاد أنَّ الرَّحمة والذِّكر بالإحسان إنَّما كانا بسبب العبادة والصَّبر، فكلُّ عابدٍ مرحومٌ مذكورٌ بالإحسان، وكان مِن باب إقامةَ المظهر مقامَ المضمَر، فكان آكَدَ وأبلغ لإثبات الرَّحمة له بالبرهان.

* * *

(٨٥) - ﴿ وَإِسْمَعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلُّ مِنَ ٱلصَّدِينَ ﴾.

﴿ وَلِسْمَنِعِيلَ وَلِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ هو إلياسُ عليه السلام، وقيل: يوشعُ، وقيل: زكريًا، سُمِّيَ بذلك لأنَّه كان ذا الحظِّ مِنَ الله تعالى، أو تكفَّل أمَّته.

وقيل: كان له ضِعفُ عمل أنبياء زمانه وضِعفُ ثوابهم، والكِفْلُ يجيء بمعنى النَّصيب والكفالة والضِّعف.

﴿ كُلُّ ﴾؛ أي: كلُّ هـؤلاء ﴿ مِّنَ ٱلصَّدِينَ ﴾ على مشاقً التَّكاليف وشدائد النَّوائب.

* * *

(٨٦) - ﴿ وَأَدْخَلْنَكُمْ مِ فِرَحْمَتِنَا ۚ إِنَّهُمْ مِنَ ٱلصَّلِحِينَ ﴾.

﴿ وَأَدْخَلْنَكُهُمْ فِرَحْمَتِنَا أَنَّ ﴾ قد سبق تفسيره، وتفسير: ﴿إِنَّهُمْ مِّنَ ٱلصَّلِحِينَ ﴾.

⁽١) في (ف): «فيصبروا».

⁽٢) قوله: «أو لرحمتنا للعابدين...» إشارةٌ إلى أن رحمة وذكرى تنازعا قوله: ﴿لِلْمَنْدِينَ ﴾ لا أنه متعلق بذكرى وحده كما في الوجه السابق. انظر: «حاشية الشهاب» (٦/ ٢٦٨).

(۸۷) _ ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذِذَ هَبَ مُغَنْضِبًا فَظَنَّ أَن لَنَ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَآ إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَننَكَ إِنِّ كُنتُ مِن ٱلظَّلِمِينَ ﴾.

﴿ وَذَا النُّونِ ﴾: وصاحبَ الحوت يونسَ عليه السلام ﴿ إِذَ هَبَ مُعَكَضِبًا ﴾ لقومِه؛ لكثرة ما قاسى في دعوتهم، وشدَّة سآمته لطول ما ذكَّرهم فلم يذَّكُروا، فهاجر عنهم، أو: أغضبهم بمهاجرته لخوفِهم لحوق العذاب بهم، وكان عليه أن ينتظر الإذن، فلم يصبر، وظنَّ أنَّ المهاجرة أولى لكونها للغضب لله ودينه، والبغض للكفر وأهله، فابتليّ ببطن الحوت، وهو بناء المغالبة للمبالغة (١٠)؛ لأنَّ المغالب يُنفذ وسعه في الفعل.

أو بمعنى: مُغْضَباً، وقد قرئ به (٢).

﴿ فَظُنَّ أَن لَن نَقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ من القَدْر وهو التَّضيق، لا من القدرة، ويعضده أنَّه قرئ مثقَّلاً (٣)، ويجوز أن يكون ﴿ نَقْدِرَ ﴾ مخفَّفاً من القدرة، بمعنى: أنْ لن نُعمل قدرتنا فيه.

﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَاتِ ﴾؛ أي: في الظُّلمة الشَّديدة المتكاثفة في بطن الحوت.

⁽۱) قوله: «وهو من بناء المغالبة»؛ أي: المفاعلة، واختاره (أي: البيضاوي) لمجانسته المبالغة، ولأنّ التفاعل يكون بين اثنين يَجهد كل منهما في غلبة الآخر، فيقتضي بذل المقدور والتناهي، فاستعمل في لازمه للمبالغة دون قصد مفاعلة. انظر: «حاشية الشهاب» (٦/ ٢٦٩).

⁽٢) نسبت لأبي شرف. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٢)، و «الكشاف» (٣/ ١٣١).

⁽٣) نسبت لابن أبي ليلى وأبي شرف والكلبي ويعقوب. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٢). وقراءة يعقوب المشهورة عنه: ﴿يُقدَر﴾ بالياء مضمومة وفتح الدال. انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٤).

وقيل: ظلمات بطن الحوت والبحر واللَّيل.

﴿ أَن لَّا إِلَكُ إِلَّا أَنتَ ﴾: بأنَّه لا إله إلا أنت، أو بمعنى: أيْ.

﴿ سُبْحُننَكَ ﴾ أنْ يعجزك شيء.

﴿إِنِّ كُنتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ لنفسي بالمبادرة إلى المهاجَرة.

* * *

(٨٨) - ﴿ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَعَيَّنَكُ مِنَ ٱلْغَيِّ وَكَذَلِكَ نُصْجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَنَيْنَكُمِنَ ٱلْعَيِّرَ ﴾ بأنْ قذفه الحوت إلى السَّاحل. و ﴿ ٱلْعَيِّرَ ﴾: غمُّ الالتقام.

﴿ وَكَذَلِكَ نُصْحِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ من غمومٍ دعَوا الله بالإخلاص. وقرئ: (ننجِّي) مثقَّلاً ١٠٠.

وفي «الإمام»: ﴿نجي﴾، فلذلكَ أخفى الجماعة النُّون الثَّانية؛ فإنَّها تخفى مع حروف الفم(٢)، ومَنْ شدَّد الجيم(٣) فوجهُ صحَّته مشكلٌ، لا يكاد يتمشَّى.

⁽١) نسبت للجحدري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٢)، و «الكشاف» (٣/ ١٣١).

⁽٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ٥٥). قال الشهاب: قوله: (في الإمام) الإمام اسم للمصحف العثماني، ولا يختص بما كان عنده رضي الله عنه وهو شهيد؛ لتعدده كما بيّنه القرّاء، وقوله: (نُجي)؛ أي: رسم فيه بنون واحدة، وقوله: (ولذلك...) لا يخفى ما في هذا التعليل، فإنَّ القراءة مبنية على صحة الرواية لا مجرّد متابعة للرسم العثماني كما تُوهمه هذه العبارة، فالظاهر أن يؤوَّل بأن المراد: اختار الجماعة هذا على القراءة بنونين لكونه أوفَق بالرسم العثماني فتأمل، وقوله: (فإنها)؛ أي: النون (تخفى) بالبناء للمعلوم والمجهول، والإخفاء: حالة للحرف بين الإظهار والإدغام، وحروف الني مخرجها من فضاء الفم، وهي ثلاثة: الجيم والشين والضاد، وتسمى: الأحرف الشجرية. انظر: «حاشية الشهاب» (٢٠ / ٢٧).

⁽٣) قرأ ابن عامر وأبو بكر: (نجِّي) بنون واحدة مشدَّداً، والباقون بنونين مخففاً. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٥).

(٨٩) _ ﴿ وَزَكَرِيّا إِذْ نَادَكَ رَبِّهُ ، رَبِّ لَاتَ ذَرْنِي فَكُرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْوَارِثِينَ ﴾.

﴿ وَزَكَ رِنَا إِذْ نَادَكُ رَبَّهُ وَ رَبِّ لَا تَذَرْفِ فَكُرْدًا ﴾: وحيداً ؟ أي: ارزقني ولداً يرثني. ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَرِثِينَ ﴾ استسلام وتفويض بعد السُّوال ؟ لأنَّه اقتراح وجرأة على الله تعالى ؟ أي: الأمرُ إليك، فإنْ لم ترزقني فلا بأسَ، وأنتَ خيرُ الوارثين.

* * *

(٩٠) - ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَنَ وَأَصْلَحْنَ اللهُ، زَوْجَهُ وَ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسْرِعُونَ فِي ٱلْحَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبُ أَوْكَانُواْ لَنَا خَشِعِينَ ﴾.

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ, وَوَهَبْنَا لَهُ, يَحْيَنَ وَأَصْلَحْنَ اللهُ, زَوْجَهُ وَ ﴾؛ أي: حسَّنَا خُلُقَها، وكانت سيِّئة الخُلُق.

وقيل: جعلناها صالحة للولادة بعد عُقرها.

وفيه: أنَّ حقَّ النَّظم والتَّرتيب أن يذكر ﴿ وَأَصْلَحْنَا ﴾ قبل ﴿ وَوَهَبْ نَا ﴾.

﴿إِنَّهُمْ ﴾؛ أي: الأنبياءَ المذكورين ﴿كَانُواْ يُسَرِعُونَ فِٱلْخَيْرَتِ ﴾ المسارعةُ: المبادرة، وتعديتُها بـ (إلى)، وإنَّما عدلَ عنها إلى ﴿فِ ﴾ للدّلالة على أنَّهم لا يغترُّون الجِدّ والرَّغبة والرَّغبة إلى تحصيل بعض الخيرات، بـل يُظهرون الجِدّ والرَّغبة إلى تحصيل بعض آخر منها، وهذه الدلالة تجعل الخيرات ما فيه المسارعة، لا ما إليه.

﴿ وَيَذْعُونَنَ كَارَغَبُ كَارَكُمْ كُنَّ ﴾؛ أي: طمعاً وخوفاً، كقوله تعالى: ﴿ يَحَذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْرَ مُمَّةً رَبِّهِ ﴾ [الزمر: ٩]، وهما مصدران في موضع الحال، أو المفعولِ له؛ أي:

⁽١) تحتمل في بعض النسخ أو كلها: «يفترون»، والمثبت أوفق بحرف الجر المتعلق به.

للرَّغبة فينا والرَّهبة منَّا، وهو بإشارته إلى أنَّهم يعلمون أنَّ النَّفع والضُّرَّ مِن الله تعالى تمهيدٌ لِمَا دلَّ عليه قوله:

﴿وَكَانُواْ لَنَاخَاشِعِينَ ﴾ من ثباتهم واستمرارهم، على تخصيص الخشوع له تعالى، وقد سبقَ تفسير الخشوع، والمعنى: أنّهم ما استحقُّوا الإجابة إلى طلباتهم، وما نالوا من الله تعالى ما نالوا، إلّا بهذه الخِصَال.

* * *

(٩١) - ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَلَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَافِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَهَا وَٱبْنَهَا ءَايَةً لِلْعَلَيِينَ ﴾.

﴿وَٱلَّتِيٓ﴾ واذكر التي؛ يعني: مريم، وإنَّما ذكرها بطريق الكناية لأنَّ تنويه الشَّأن بالأسماء حقُّ الرِّجال.

﴿ أَحْصَكُنَتُ فَرَجَهَا ﴾ الإحصانُ: إحرازُ الشَّيء عن الفساد، والفاء التفريعية في قوله:

﴿ فَنَفَخْنَا ﴾ قد دلَّت على أنَّ المراد: حفظُها من الحرام فقط؛ لأنَّ النِّكاح مستحبُّ، بل سُنَّة قديمة، فلا يصلح الاحتراز عنه منشأً للفضيلة.

﴿ فِيهِ اللهِ عَلَىٰ النَّفَحَ في مريم.

﴿ مِن رُوحِنَ ﴾: من جهته، والمراد من الرُّوح: جبريلُ عليه السلام، فإنه نفخ في جيب درعها، فوصل النَّفخ إلى جوفها، وإضافتُه إليه تعالى للتَّشريف.

﴿وَجَعَلْنَكُهَا وَٱبْنَهَا ﴾؛ أي: حالها وهي ولادتها إيَّاه من غير فحل (١٠)، ولذلك وحَّدَ قوله:

⁽١) في (ف) و (ك) و (م): «محل»، والمثبت من (س) و «الكشاف» (٣/ ١٣٣).

﴿ اَلَهُ ﴾ والتَّقدير: وجعلناها آية وابنها كذلك، ويعضدُه قراءة: (آيتين) (١٠٠٠. ﴿ لِلْعَلَمِينَ ﴾ فإنَّ مَن تأمَّل حالَهما تحقَّق كمال قدرة الصَّانع تعالى.

* * *

(٩٢) - ﴿ إِنَّ هَاذِهِ وَأُمَّتُكُمُ أُمَّةً وَرَحِدَةً وَأَنَارَبُكُمْ فَأَعْبُدُونِ ﴾.

﴿ إِنَّ هَـٰذِهِ ءَأُمَّتُكُمُ ﴾ الأمَّة: الملَّة، والإشارة إلى ملَّة التَّوحيد والسَّلام؛ أي: إنَّ هذه الملَّة ملَّتُكم التي يجب أن تكونوا عليها.

﴿ أُمَّةً ﴾: ملَّةً، حالٌ من معنى الإشارة في ﴿ هَنذِهِ ٢ ﴾؛ أي: يُشار إليها أمَّة.

﴿ وَكِدَةً ﴾ غيرَ مختلفةٍ فيما بين الأنبياء عليهم السلام.

قرئ: (أمَّتكم) بالنَّصب على البدل من ﴿ هَلَذِهِ ٥ ﴾، و(أمَّةُ) بالرَّفع على الخبر (٢). وقرئ برفعهما (٣) على أنهما خبران أو قدِّر للثَّاني مبتدأ على: هي أمَّة.

﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ ﴾ ربُّ واحدٌ لا إلهَ غيري ﴿ فَأَعْبُدُونِ ﴾ لا غيري.

* * *

(٩٣) - ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُم ۖ حُكُّ إِلَيْنَا رَجِعُونَ ﴾.

﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُم م الله كان الخطاب السَّابق عامًّا للنَّاس كافَّة، فالتفتَ إلى الغيبة لينعى على الذين تفرَّقوا في الدِّين وكانوا شيعاً تقبيحَ فعلهم إلى غيرهم؛

⁽۱) نسبت لابن مسعود وابن أبي عبلة. انظر: «زاد المسير» (٣/ ٢١١).

⁽٢) نسبت للحسن. انظر: «الكشاف» (٣/ ١٣٤).

⁽٣) نسبت للحسن وابن أبي إسحاق. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩١)، و «الكشاف» (٣/ ١٣٤).

تمثيلاً لاختلافهم فيه، وصيرورتهم فِرَقاً وأضراباً شتَّى؛ أي: جعلوا أمرَ دينهم فيما بينهم قطعاً، كما يتوزَّع الجماعة الشَّيء ويقسمونه قطعة قطعة (١).

﴿ كُلُّ ﴾ ثمَّ توعَّدهم بأنَّ كلَّ واحدة من تلك الفِرَق.

﴿ إِلَيْمَنَا ﴾ خاصَّة لا إلى غيرنا ﴿ رَجِعُونَ ﴾ فنجازيهم.

* * *

(٩٤) - ﴿ فَمَن يَعْمَلُ مِنَ ٱلصَّلِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفُرانَ لِسَعْيِهِ - وَإِنَّا لَهُ، كَنْبُونَ ﴾.

﴿ فَمَن يَعْمَلُ مِنَ ٱلصَّلِاحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ بالله ورسوله.

﴿ فَلَا كُفُرَانَ لِسَعْيِهِ عِهِ استُعير الكفران لمنع الثَّواب والحرمان كما استُعير الشُّكر لإعطائه وقيل: إنَّ اللهَ شكورٌ (٢)، ونُفِيَ (٣) نَفْيَ الجنس للمبالغة؛ فإنَّه أبلغ من أن يُقال: فلا نكفر سعيه.

ثمَّ بُولِغَ وأكِّد في عدم تضييع سعيه بـ(إنَّ) وتقديم الجارِّ والمجرور فقيل: ﴿ وَإِنَّالُهُ وَكَانِبُونَ له الْ السَّعي في صحيفة عمله مُثْبتون له افلا تضيع بوجه ما.

* * *

⁽١) «قطعة» سقط من (ف) و(م).

⁽٢) يعني: الكفران مثل في حرمان الثواب، كما أن الشكر مثل في إعطائه إذا قيل لله: شكور. انظر: «الكشاف» (٣/ ١٣٤).

⁽٣) في (ك) و(م): «نفي»، والمثبت من (س) و(ف)، وهو الموافق لما في «تفسير البيضاوي» مع حاشية الشهاب (٦/ ٢٧٣)، وفي «الكشاف» (٣/ ١٣٤): (وقد نفي نفي...).

(٩٥) - ﴿ وَحَكَرُمُ عَلَى قَرْبَةٍ أَهَلَكُنَّكُ أَنَّهُمْ لَايْرَجِعُونَ ﴾.

﴿ وَحَكَرُمُ ﴾ وقرئ: ﴿وحِرْمٌ ﴾ (١)، وهما لغتان، كحَلالٍ وحِلٍّ.

﴿عَلَىٰ قَرْبَةٍ ﴾؛ أي: ممتنعٌ على أهل قرية.

﴿أَهْلَكُنُّهَا ﴾: أردنا إهلاكها باستئصال أهلها.

﴿ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾: رجوعُهم إلى التَّوبة أو الحياة، و ﴿ لَا ﴾ صلةٌ، أو: عدمُ رجوعهم للجزاء، و (إنَّ) مع اسمها وخبرها مبتدأ، خبره (حرام).

وقرئ: (إنهم) بالكسر(٢)، على أنَّ الكلام تمَّ قبله، والمبتدأ محذوفٌ دلَّتْ عليه الآية المتقدمة؛ أي: وحرام على قرية أهلكناها ذلك؛ أي: العملُ الصَّالح والإيمانُ والسَّعيُ المشكور غيرُ المكفور، ثمَّ استُؤنف على سبيل التَّعليل، فقيل: إنَّهم لا يرجعون عن الكفر.

وعلى قراءة الفتح أيضاً لا يَبعد هذا الوجه؛ أي: لأنهم لا يرجعون.

* * *

(٩٦) - ﴿ حَقَّى إِذَا فُنِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾.

﴿ حَقَى ﴾ هي التي يُحكى بعدها الكلام، والكلام المحكيُّ الجملة من الشَّرط والجزاء؛ أعنى:

﴿إِذَا﴾ وما في حيِّزها.

﴿ فُلِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ المفتوح حقيقة هو السَّدُّ المنسوب إليهما، وإنَّما

⁽١) قرأ بها أبو بكر وحمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٥).

⁽٢) نسبت للحسن. انظر: «معانى القرآن» للنحاس (٥/ ٤٩٠)، و «الكشاف» (٣/ ١٣٤).

أسند إليهما على التَّجوُّز؛ لعلاقة ظاهرة، ونكتة لا يَخْفَى لطف موقعها.

و ﴿ حَقَّ ﴾ متعلِّقة بـ ﴿ وَحَكَرُمُ ﴾، أو بمحذوفٍ دلَّ عليه الكلام؛ أو بـ ﴿لَا يَرْجِعُونَ ﴾؛ أي: يستمر الامتناع، أو الهلاك، أو عدم الرُّجوع، إلى قيام السَّاعة، وفتحُ السَّد من أمارتها كُني به عنه.

﴿ وَهُم ﴾ يعني: يأجوج ومأجوج ﴿ مِن كُلِّ حَدَبٍ ﴾: مرتفَعٍ من الأرض، ولفظة ﴿ كُلِّ ﴾ للمبالغة في الكثرة.

أو المراد النَّاس كلُّهم، ويعضده قراءة ابن عباس رضي الله عنه: (جَدَثٍ) بالجيم والثَّاء (١٠)، وهو القبر.

﴿يَنْسِلُونَ ﴾: يسرعون.

* * *

(٩٧) _ ﴿ وَأَقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِي شَخِصَةٌ أَبْصَدُرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَنَوَيْلَنَا قَدْ كُنَّافِ عَفْلَةٍ مِّنْ هَاذَا بَلْ كُنَّا ظَائِلِمِينَ ﴾.

﴿ وَأَقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾؛ أي: القيامة.

﴿ فَإِذَا هِ صَ شَخِصَةً أَبْصَدُ اللَّذِينَ كُفَ رُوا ﴾ جواب الشَّرط، و (إذا) للمفاجأة سدَّ مسدَّ الفاء الجزائيَّة؛ كقوله: ﴿ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم: ٢٦]، فإذا جاء الفاء معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشَّرط، فيتأكَّد (٢)، وتوهُّمُ الجمع بين البدل والمبدَل ساقطٌ؛ لأنَّ (إذا) باقية على حالها، لم تُمحَّض بدلاً حتى يلزم الامتناع.

⁽۱) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ۹۲)، و «الكشاف» (٣/ ١٣٥).

⁽۲) في (ف): «فتأكد».

ويجوز أن يكون الضَّمير بعدها ضميرَ القصَّة، و ﴿ أَبْصَائُرُ ٱلَّذِينَ كُفَرُوا ﴾ مبتدأ، ﴿ شَخِصَةً ﴾ خبره، وأن يكون ضميراً مبهماً يفسِّره ﴿ أَبْصَائُرُ ٱلَّذِينَ كُفَرُوا ﴾ .

﴿ يَكُولَيْكَ ﴾ مقدَّر بالقول، واقع موقع الحال من الموصول.

﴿قَدَّكُنَّا فِي غَفْلَةِ مِّنْ هَاذًا ﴾ اليوم.

﴿ بَلْ كُنَّا ظُلِمِينَ ﴾ أنفسَنا بعدم الاعتبار بإنذار المنذِرين، إضرابٌ عن الإخبار عن استقرارهم في الغفلة، وإبطالٌ له بالاعتراف بما هو الحقُّ.

* * *

(٩٨) _ ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرُدُونَ ﴾.

﴿إِنَّكُمْ وَمَاتَعْ بُدُونَ مِن دُونِ اللهِ الأوثان؛ إذ الخطاب لقريش، لا الشَّيطانَ وأعوانَه؛ لِمَا سيأتي أن (ما تعبدون) لا يتناول ذوي العقول، ولا دلالة على ذلك فيما روي: أنَّه عليه السلام لَمَّا تلا الآية على المشركين قال له ابن الزِّبَعْرَى: خَصَمْتُك وربِّ الكعبة! أليس اليهود قد عبدوا عزيراً، والنَّصارى المسيحَ، وبنوا مليح الملائكة، فقال عليه السلام: «بل هم عبدوا الشَّياطين التي أمرتُهم بذلك»، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتَ لَهُم مِنْكَ ٱلْحُسَىٰ الآية الأنياء: ١٠١] (١٠).

⁽۱) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (۱۲۷۳۹)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ۳۰۵)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (۷/ ۲۹): رواه الطبراني، وفيه عاصم بن بهدلة وقد وثق وضعفه جماعة. وانظر: «الكشاف» (۳/ ۱۳۲)، و «تفسير الثعلبي» (۶/ ۲۷۲). ورواه بنحوه دون ذكر الآية الإمام أحمد في «المسند» (۲۹۱۸).

وليس فيه تخصيص تأخّر عن الخطاب؛ لأن (ما) لمن لا يعقل، فلا يتناولهم، دلَّ على ذلك ما رُوي أن النبيَّ (١) عليه السلام قال له: «ما أجهلك بلغة قومك! أما علمت أنَّ (ما) لما لا يعقل (٢)، فعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللهُم ﴾ الآية لدفع احتمال المجاز والتَّغليب، لا لتخصيص العامِّ كما سبق إلى بعض الأوهام.

﴿ حَصَبُ جَهَنَدَ ﴾ الحَصَبُ: ما يُرْمَى به، فَعَلُ بمعنى مفعولٍ؛ أي: يُحصب بهم في النَّار، وقرئ بسكون الصَّاد (٣) وصفاً بالمصدر.

﴿أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴾: استئناف أو بدل من ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾، واللَّام معوَّضة من (على) للاختصاص والدِّلالةِ على أنَّ ورودهم لأجلها.

* * *

(٩٩) - ﴿ لَوْكَانَ هَتَوُلآء ءَالِهَاةُ مَّاوَرَدُوهَا ۚ وَكُلُّ فِيهَا خَلِدُونَ ﴾.

﴿ لَوْكَا َ هَٰ اَلِهَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

﴿وَكُلُّ ﴾؛ أي: العابد والمعبود.

﴿ وَيَهَا خَلِدُونَ ﴾ إنَّما قُرِنوا بآلهتهم لزيادة تعذيبهم؛ فإنَّ ما أصابهم إنَّما أصابهم

⁽١) في (ف): «أنه».

⁽٢) قال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١١١ ـ ١١٢): لا أصل له، والوضع عليه ظاهر.

⁽٣) نسبت لابن السميفع. انظر: «المحتسب» (٢/ ٦٦)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٠١).

⁽٤) في (م): «في النار».

بسببهم، فإذا قُرِنوا بهم ازداد غمُّهم وحسرتهم للِّقاء المؤذي، ولأنَّهم قدَّروا انتفاعهم في الآخرة بهم، وإذا وجدوا الأمر على عكس ما قدَّروا لم يكن شيءٌ أبغضَ إليهم منهم، ومن هنا اتَّضح وجهُ خلودها في النَّار.

* * *

(١٠٠) - ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾: أنينٌ وتنفُّسٌ شديد، وفيه تجوُّزٌ من جهة نسبة فعل البعض إلى الكلِّ، وتغليبٌ من جهة إطلاقهم على مجموع العقلاء وغيرهم، ولا تأثير للتَّغليب في الأوَّل.

﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ من الهولِ وشدَّة العذاب، وذلك بعد حين؛ لِمَا وردَ في بعض الآيات من مكالمتهم مع (١) خزنة النَّار.

* * *

(١٠١) - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِيكَ سَبَقَتَ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰ أَوْلَتِهِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾.

﴿ إِنَّا ٱلَّذِيكَ مَكَ مَتَ لَهُم مِّنَا ٱلْحُسْنَى ﴾: الخصلة الحسنى، وهي السَّعادة القصوى، أو البُشرى بالثَّواب، أو التَّوفيق للطَّاعة.

﴿ أُولَكِمِكَ عَنَّهَا مُبْعَدُونَ ﴾ بدخول الجنَّة، سبقت الغاية في البداية، فظهرت الولاية في النّهاية.

وفي عبارة ﴿مُبَّعَدُونَ ﴾ إشارةٌ إلى أنَّهم يَرِدونها ويقربون منها أوَّلاً، ولـمَّا كان ذلك مظنَّة أن يتأذَّوا عنها عند ورودهم إيَّاها وقُربهم منها دفعَه بقوله:

⁽١) «مع» ليست في (ف).

(١٠٢) - ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهُ أَوْهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَلِدُونَ ﴾.

﴿لَايَسَمَعُونَ حَسِيسَهَأَ ﴾: صوتَها الذي يُحَسُّ وحركةً لهبها(١)، حالٌ من ضمير ﴿مُبَّعَدُونَ ﴾؛ يعني: أنهم في حال سلامتهم عنها وعن آثارها المؤذية يَرِدُونها ويُبعدون عنها.

﴿ وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَلِدُونَ ﴾ الشَّهوةُ: طلبُ النَّفسِ اللَّذَّةَ؛ أي: دائمون في الاستغراق في مشتهياتهم، وتقديم الظَّرف للاختصاص، ومحافظةِ الفواصل.

* * *

(١٠٣) - ﴿ لَا يَعَنُّ زُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَلَنَلَقَ لَهُمُ ٱلْمَلَتِيكَةُ هَلَا اَيَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾.

﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْمِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ الْآخرة (٢)؛ لقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِ ٱلضَّورِ فَفَزِعَ مَن فِ ٱلسَّمَوَتِ وَمَن فِ ٱلأَرْضِ ﴾ [النمل: ٨٧].

﴿ وَلَنَالَقًا هُمُ ٱلْمَلَتِ إِكَةً ﴾؛ أي: تستقبلهم مهنتين.

﴿ هَلَذَا يَوْمُكُمُّ ﴾: يومُ ثوابكم (٣)، وهو مقدَّرٌ بالقول.

﴿ اللَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ في الدُّنيا.

* * *

(١٠٤) - ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّكَمَاءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبُّ كَمَابَدَأْنَا أَوَّلَ حَالِي نَعِيدُهُ، وَعْدًا عَلَيْنَأَ إِنَّا كُنَا فَعِلِينَ ﴾.

⁽١) في (ف): «صوتها وحركتها التي سجى تلهبها».

⁽٢) في (ك): «الأخيرة».

⁽٣) في (ك) و (م): «تقربكم».

والعامل في ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّكَمَآءَ ﴾: ﴿ وَلَئَلَقَ نَهُمُ ﴾، أو ﴿ ٱلْفَنَعُ ﴾، أو ﴿ لَا يَخُرُنُهُمُ ﴾.

والطَّيُّ: ضدُّ النَّشرِ، أو: المحوُّ، من قولك: اطوِ عنِّي هذا الحديث.

﴿ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكتابِ ﴾: كطيِّ الطُّومار لأجل الكتابة، أو: لِمَا يُكْتَب، أو كُتِبَ فيه، ويؤيِّده القراءة على الجمع (١٠)؛ أي: للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه.

وقيل: السِّجلُّ: مَلَكٌ يطوي كتبَ الأعمال إذا رُفِعَتْ إليه.

وفيه: أنَّ حقَّ التَّشبيه أن يكون بالمعهود المعروف، وطيُّ ذلك^(۲) الملَك لم يُعرَف إلَّا مِن هذا الكلام.

وقيل: كاتبٌ كانَ لرسول الله عليه السلام.

وفيه: أنَّه ليس لطيِّه خصوصيَّةٌ زائدة، وتخصيصُ التَّشبيه به يقتضي ذلك.

وقرئ: (السَّجْلِ) كالدَّلُو، و: (السُّجُلِّ) كالعُتُلِّ، وهما لغتان فيه (٣).

﴿كَمَابِدَأْنَا أَوِّلَ خَالِي نُعِيدُهُ ﴾ ﴿ أَوِّلَ خَالِي ﴾ مفعول ﴿بَدَأْنَا ﴾ ، ومحلُّ الكاف النَّصبُ على المصدر ، و(ما) كافَّة ، أو مصدريَّة ؛ أي: مثلَ ما بدأنا أوَّل خلق نعيده .

أو مفعول (نعيد) مضمرِ يفسِّره ما بعده (١٤)؛ أي: نعيدُ أوَّل خلقِ كما بدأناه.

⁽١) قراءة حفص وحمزة والكسائي، وباقي السبعة بالإفراد. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٥).

⁽٢) «ذلك» من (س) و(ك).

⁽٣) انظر القراءتين في «الكشاف» (٣/ ١٣٧). والثانية نسبت لأبي هريرة رضي الله عنه وصاحبه أبي زرعة بن عمرو بن جرير. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٣)، و «المحتسب» (٢/ ٧٧).

⁽٤) أي: ﴿أَوَّلَ حَالَقِ ﴾ مفعول (نعيد) المضمر الذي يفسره ﴿نُعِيدُهُ، ﴾ المذكور، وهو ما يسمى النصب =

ويجوزُ أن تكون الكاف منصوبة بفعلٍ مضمرٍ يفسّره ﴿ نُعِيدُهُ ، ﴾ و (ما) موصولة و ﴿ أَوَّلَ حَكْمَ ﴾ نصب على الظّرف (١) لـ ﴿ بَدَأْنَا ﴾ ، أو نصب على الحال من ضمير الموصول المحذوف المقدَّر (٢) في ﴿ بَدَأْنَا ﴾ ؛ أي: نعيدُ مثلَ الذي بدأنا ونعيده في أوَّل خلقِنا إيَّاه ، أو حالَ كونه أوَّل خلقٍ ، شُبِّهَتِ الإعادة بالإبداء في تعلُّق القدرة بهما على السَّواء ، والمرادُ إثبات صحَّة الإعادة بالقياس على الإبداء ؛ لشمول الإمكان الذَّاتي المصحِّح للمقدورية لهما ؛ أي: كما أنَّ أوَّل إيجاده من عدم نعيده ثانياً عن عدم .

وإنَّما وحَّد ﴿ حَلَقٍ ﴾ ونكَّر ليفيدَ تفصيلهم واحداً واحداً "، والمعنى: أوَّل الخلائق، كما تقول: أوَّل رجل جاءني، بمعنى: أوَّل الرِّجال، وإنَّما نُكِّرَتْ ووُحِّدَتْ ليفيد تفصيلهم رجلاً رجلاً، هذا تحرير ما قالوا.

والذي يظهر لي: أنَّ الخلق بمعنى المخلوق، وتقييده بالأوَّل الإخراج (١٠) المخلوق ثانياً وهو الرُّوح عن متناوَل الكلام؛ الآنَه في إعادة البدن، وهو المخلوق أوَّلاً؛ لقوله تعالى: ﴿ ثُمُّ أَنشَأَنَهُ خَلُقًاءَا خَرَ ﴾، فتدبَّر.

﴿ وَعُدًا عَلَيْنَا ﴾ مصدر مؤكّد؛ لأنَّ قوله: ﴿ نُعُيدُهُ ، ﴾ (٥) عِدَةٌ للإعادة علينا؛ أي: علينا إنجازه.

= على الاشتغال.

 ⁽١) في (ف): «الظرفية».

⁽۲) في (ف): «والمقدر».

⁽٣) في (ف): «تفصيل واحد واحد».

⁽٤) في (م): «إخراج».

⁽٥) في (ف): «نعيد».

﴿إِنَّا كُنَّا فَنعِلِيرَ ﴾: عازمين في الأزل على أن نفعل ذلك لا محالة، أو: قادرين على أن نفعل ذلك.

* * *

(١٠٥) - ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَ افِ الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَ ادِي ٱلْقَسَالِ حُوبَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَ افِ ٱلزَّبُورِ ﴾: في كتاب داود عليه السلام ﴿ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾؛ أي: التَّوراة.

﴿أَتَ ٱلْأَرْضَ﴾: أرضَ الجنَّة، أو الأرضَ المقدَّسة ﴿ يَرِثُهَا عِبَ ادِي ٱلصَّالِحُونَ ﴾: عامَّة المؤمنين، أو أمَّة محمَّد عليه السلام.

* * *

(١٠٦) ـ ﴿ إِنَّ فِ هَنذَالْبَلْنَغَالِّقَوْمِ عَكِيدِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ فِ هَنَدًا﴾؛ أي: فيما ذكر من الأخبار والمواعظ والمواعيد ﴿لَلَكَعَا﴾ للغاية، أو: لسبب بلوغ إلى البغية.

﴿لِّقَوْمٍ عَكِيدِينَ ﴾: همُّهم العبادة دونَ العادة.

* * *

(١٠٧) ـ ﴿ وَمَآ أَرْسَأْنَاكَ إِلَّارَحْمَةُ لِلْعَالَمِينَ ﴾.

﴿ وَمَا آرْسَلْنَكَ إِلَّارَحْمَةَ لِلْعَلَمِينَ ﴾ لأنه (١) جاء بما يسعدهم في الدَّارين، ويصلح معاشهم ومعادهم، وازديادُ كفر بعضهم بسببه إنَّما هو من عند أنفسهم وعنادهم لا منه.

⁽١) في (ف): «إنه».

وقيل: كونه رحمة للكفَّار: أمْنُهم به من عذاب الاستئصال والمسخ والخسف، وتأخيرُ عقوبتهم.

* * *

(١٠٨) - ﴿ قُلْ إِنَّ مَا يُوحَىٰ إِلَى أَنَّمَا إِلَهُ كُمْ إِلَكُ وَحِدٌّ فَهَلْ أَنتُ مُسْلِمُونَ ﴾.

﴿ قُلْ إِنَّ مَا يُوحَى إِلَى ﴾ (ما) في ﴿إِنَّ مَا ﴾ كافَّة، ويجوز أن تكون موصولة بمعنى: إنَّ الذي يوحى إليَّ.

﴿ أَنَّمَا ٓ إِلَا لَهُ وَاحِدٌ ﴾ لأنَّ المقصود الأصلي من بعثته (١) هو التَّوحيد.

﴿ فَهَلَ أَنتُ مُسُلِمُونَ ﴾: مخلصون العبادة لله تعالى، على مقتضى الوحي المصدَّق بالحجَّة والتَّوحيد ممَّا يصحُّ إثباته بالسَّمع.

* * *

(١٠٩) - ﴿ فَإِن تَوَلَّوْ أَفَقُلْ ءَاذَننُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِي ٓ أَقَرِيبُ أَمْ بَعِيدُ مَّا تُوعَدُون ﴾.

﴿ فَإِن تَوَلُّوا ﴾ وأعرضوا(٢) عن التَّوحيد.

﴿ فَقُلُ اَذَن كُمْ ﴾ آذنَ مِن أَذِنَ: إذا عَلِمَ الكنَّه شاع استعماله في الإنذار الي: أعلمتكم (٣) ما أمرْتُ به، أو حربى (١) لكم.

⁽١) في (م): «بعثه».

⁽۲) في (ف): «وتعرضوا».

⁽٣) في (ف): «أعلمكم».

⁽٤) تحرفت في النسخ إلى: «جرى»، والمثبت من المصادر. انظر: «تفسير البيضاوي» (٢٢/٤)، و«روح المعاني» (١٧/ ٢٢٤)

﴿عَلَىٰ سَوَآءِ ﴾ نصب على الحال من المخاطبين؛ أي: مستوين في الإعلام به، أو ني المعاداة.

أو صفة مصدر محذوف؛ أي: إيذاناً(١) على سواء.

وقيل: أعلمتكم وأنا على سواء؛ أي: عدلٍ واستقامةِ رأي بالبرهان النّيّر.

﴿ وَإِنْ أَدْرِي ﴾: وما أدري ﴿ أَقَرِيبُ أَم بَعِيدُ مَا تُوعدونه من غلبة المسلمين، أو من الحشر، لكنَّه كائن لا محالة.

* * *

(١١٠) - ﴿إِنَّهُ رَبِعُلُمُ الْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾.

﴿ إِنَّهُ أَنَهُ مُكَالَجُهُ رَمِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾؛ ألى: ما يجهرون به من (١) الطَّعن في الإسلام. ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾: ما تكتمونه من الإحَنِ والأحقاد للمسلمين، فيجازيكم عليه.

* * *

(١١١) - ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ رَفِتْ نَةٌ لِّكُمُّ وَمَنْتُعُ إِلَى حِينِ ﴾.

﴿ وَإِنْ أَذَرِي لَعَلَّهُ مُونِتَ نَةً لَكُمْ ﴾: وما أدري لعلَّ تأخير هذا الوعد افتتانٌ لكم وامتحانٌ لننظرَ كيف تعملون.

﴿ وَمَنْكُم ﴾: وتمتُّع واستدراجٌ لكم ﴿ إِلَى حِينِ ﴾ ليكون ذلك حجَّة عليكم، وليقع الموعَد (٣) به في وقتٍ قدَّره فيه بمقتضى حكمته.

⁽١) في (ف): «إنذاراً».

⁽٢) في (ف): «في».

⁽٣) في (ف): «الموعود».

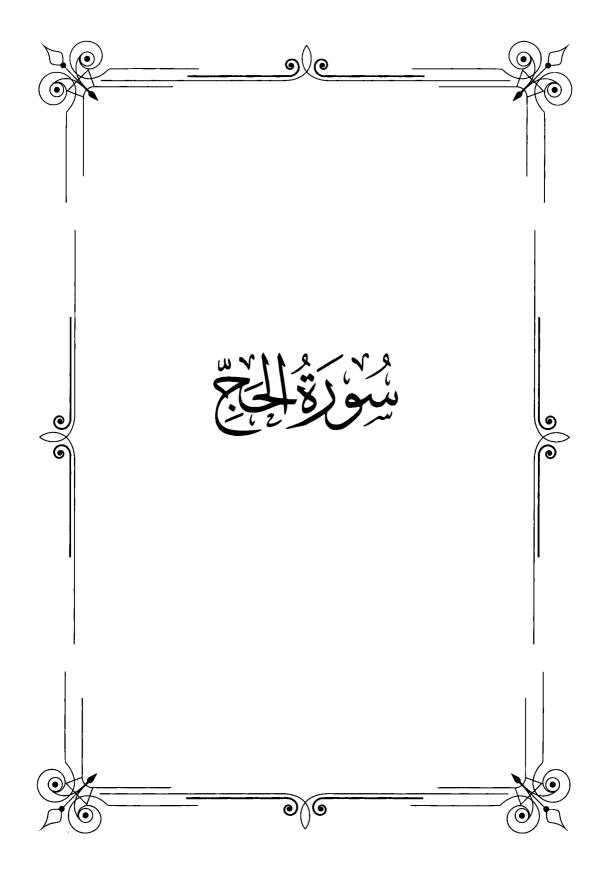
(١١٢) - ﴿ قَالَ رَبِّ آخَكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَانُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾.

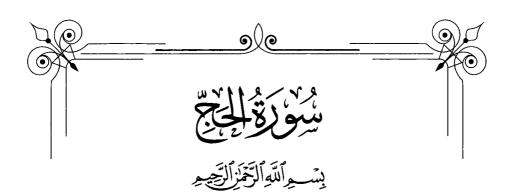
﴿ قَالَ رَبِّ آمَكُم بِإِلَمْ قِي بِيننا وبين أهل مكَّة بالعدل، أمر باستعجال العذاب، فعُذَّبوا ببدر، وكان مقتضى العدل ذلك.

﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّمْنَنُ ﴾: كثير الرَّحمة على خلقه.

﴿ٱلْمُسْتَعَانُ ﴾: المطلوبُ منه المعونة.

﴿عَلَىٰ مَاتَصِفُونَ ﴾: ما تصفونه من الحال بأنَّ الشَّوكة تكون لهم، وأنَّ راية الإسلام تخفق أياماً ثم تسكن، فخيَّب الله تعالى آمالهم، وكذَّب ظنونهم، ونصر رسوله عليه السلام والمؤمنين عليهم.





(١) - ﴿ يَكَأَيُّهُا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِن زَلْزَلْهَ ٱلسَّاعَةِ شَى مُعَظِيدٌ ﴾.

﴿ يَثَأَيُّهُا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ﴾ أَمرَ بني آدم بالتَّقوى، ثمَّ علَّلَ أمرهم به بفظاعة السَّاعة حيث قال:

﴿إِنَ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ ﴾ ليتصوَّروها بعقولهم، ويعلموا أنَّه لا يؤمِّنهم منها سوى التَّدرُّعِ بلباس التَّورُّع، والتَّردِّي برداء التَّقوى، ويُبْقوا على أنفسهم، ويَقوها(١) من الرَّدى(٢) بملازمة التَّقوى.

والزَّلزلةُ: شدَّةُ التَّحريك والإزعاج، وأن يُضاعَفَ زليلُ^(٣) الأشياء عن مقارِّها ومراكزها.

وإضافتها إلى ﴿السَّاعَةِ ﴾ إضافةُ المصدر إلى الفاعل على التَّجوُّز في الإسناد، كأنَّها هي التي تزلزل الأشياء، أو إلى الظَّرف على إجرائه مجرى

⁽۱) في (ف): «وينقوها»، وفي (س) و(ك) و(م): «ويتقوها»، والمثبت من «تفسير البيضاوي» مع حاشية الشهاب (٦/ ٢٨١). قال الشهاب: أي: يحفظوها، وما في بعض النسخ: (ويتقوها) تحريف.

⁽٢) في (س) و(ك) و(م): «عن الردي»، والمثبت من (ف)، وليست في «تفسير البيضاوي».

⁽٣) الزليل: مصدر زَلِلْت: زَلِقت في طينٍ أو مَنْطِق. انظر: «القاموس المحيط» (مادة: زلل).

المفعول به، أو بتقدير (١) (في) كقول تعالى: ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [سبأ: ٣٣].

وهذه الزَّلزلة هي المذكورةُ في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالْهَا ۚ ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالُهَا ۞ وَقَالَ ٱلْإِنسَانُ مَا لَهَا ۞ يَوْمَبِذِ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْجَىٰ لَهَا﴾ السورة.

عن الحسن: أنها تكون يوم القيامة(٢).

وعن علقمة والشَّعبي: عند طلوع الشَّمس من مغربها(٣).

وإضافتها إلى ﴿السَّاعَةِ ﴾ لأنَّها من أشراط السَّاعة.

﴿ شَىٰ مُعَظِيمٌ ﴾ لَمَّا وصفه (١) بالعِظَم وأبهمها تعظيماً بأنَّها شيءٌ لا يُكتَنَهُ كُنْهُ عظمته، أخذ في تصوير هولها بصورةٍ منكرة (٥)، فليسَ المرادُ من قوله:

(٢) - ﴿ يَوْمَ تَـرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلٍ حَمْلًا اللهِ اللهُ اللهِ شَكِيدُ ﴾.

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُ ذَاتِ حَمْلٍ ﴾ فهولَ المرضعة ووضع الجنين، بل شدَّةُ الهول، هذا على القول الأوَّل.

والضمير للزَّلزلة، و﴿ يَوْمَ ﴾ منتصبٌ بـ ﴿ تَذْهَلُ ﴾، وقرئ: (تُذْهِلُ) معروفاً

⁽١) في (ف): «أو تقدير».

⁽۲) انظر: «الكشاف» (۳/ ۱٤۱)، وروى الطبري في «تفسيره» (۱٦/ ٤٥٣) نحوه عن ابن زيد.

⁽٣) انظر: «الكشاف» (٣/ ١٤١)، وروى الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٤٦) عن علقمة في تفسير هذه الآية قال: «قبل الساعة»، وروى عن الشعبي قال: «هذا في الدنيا قبل يوم القيامة».

⁽٤) قوله: «وصفه» كذا في النسخ، ولعل الأنسب بالسياق: (وصفها).

⁽٥) في هامش (ف) و(م) و(س): «والقاضي ومن حذا حذوه لم يميزوا في تفسيرهم بين القولين. منه».



ومجهو لاً^(۱)؛ أي: تذهلها الزَّلزلة، من الذُّهول، وهو الذَّهاب عن الأمر دهشةً وحيرة، لا من الذَّهْل لأنَّه بمعنى السُّلوِّ، قال الشَّاعرُ:

صَحا قلبُ ياع نُو كَادَ يَذْهَ لُهُ (٢)

و(ما) مصدريَّة أو موصولة.

والمرضعةُ: هي الَّتي تكون في حال الإرضاع ملقِمةً ثديَها الصَّبيَّ، والمرضعُ التي شأنها أن ترضعَ وإن لم تباشِر الإرضاع.

وأمَّا المعنى على القول الثَّاني وعليه الجمهور - أنَّ هولها (٣) بحيث إذا فوجئَتْ به التي ألقمَتْ الرَّضيع ثديَها نزعَتْه مِن فيه وذَهِ لَتْ عنه دهشةً، ولقد أحسنَ مَن قال: تَذهَلُ المرضعةُ عن ولدِها لغيرِ (٤) فِطام، وتضعُ الحاملُ ما في بطنِها لغيرِ تمام (٥).

﴿ وَتَرَى ﴾: و تظن ﴿ اَلنَّاسَ سُكُنرَىٰ ﴾ حقيقة، لا على التَّشبيه ﴿ وَمَا هُم بِسُكُنرَىٰ ﴾ في الواقع.

وأضحي يُريــدُ الصَّــرمَ أو يتبــدُّلُ

انظر: «ديوان كثير عزة» (ص: ١٤٩).

- (٣) في (ك): «ذهولها».
 - (٤) في (ف): «بغير».
- (٥) نسب هذا القول للحسن. انظر: «تفسير الماوردي» (٤/ ٦)، و «الكشاف» (٣/ ١٤٢).

⁽١) قراءة المبنى للمفعول بلا نسبة في «الكشاف» (٣/ ١٤٢).

وقراءة (تُذْهِلُ) بضم التاء وكسر الهاء؛ أي: تذهل الزلزلة أو الساعة (كلَّ) بالنصب. نسبت لابن أبي عبلة واليماني. انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٠٦)، و«البحر المحيط» (١٥/ ٢٠٦)، وبلا نسبة في «الكشاف» (٣/ ١٤٢)

⁽٢) صدر بيت لكثير عزة، وعجزه:

﴿ وَلَكِكَنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَكِيدٌ ﴾ أذهبَ عقولَهم لشدَّته، وطيَّر تمييزَهم بِهَوْلِهِ، فجعلَهم بحيث لا يُفَرَّقُ بينَهم وبينَ مَن يَذهبُ السُّكرُ بعقله وتمييزه.

وإنَّما جمعَ فاعل الرُّؤية أَوَّلاً وأفرد ثانياً لأنَّ الأُولى عُلِّقَتْ بالزَّلزلة، والزَّلزلة يراها النَّاس كلُّهم، والثَّانية عُلِّقَتْ بكون النَّاس على حال السُّكر، فلا بُدَّ أن يُجعَلَ كلُّ واحدٍ منهم رائياً لأثر السُّكر على صاحبه.

وقرئ: (تُرَى) بالضَّم ونصبِ (النَّاسَ)(١) من أُرِيْتُكَ قائماً، أو: رأيْتُكَ قائماً(٢)، ورفعِه على إسناد (تُرَى) إليهم(٣)، [وأنثه] على تأويل الجماعة(١٠).

و ﴿ سُكَنرَىٰ ﴾ حال، وقرئ: (سَكْرى) كعطشى (٥)؛ إجراءً للسُّكْر مجرى العِلَل.

⁽۱) نسبت لأبي هريرة وأبي زرعة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤)، و«الكشاف» (٣/ ١٤٢). وسقطت «ترى» من (م).

⁽۲) في (ف): «أو رُيتك قائما»، وسقطت العبارة من (ك)، والمثبت من (س) و(م)، وهو الموافق لما في «تفسير البيضاوي» مع حاشية الشهاب (٦/ ٢٨٢). والمعنى على الرباعي (أُريتك): تظنُّ أنت الناس سُكارى، أقيم ضميرُ المخاطب مقام الفاعل، ونصب (النَّاسَ) و(سُكَارَى) على أنهما المفعولان الثاني والثالث؛ لأن أُريت مُتعدًّ إلى ثلاثةٍ، وإن كان من الثلاثي (رأيتُك) فالمعنى: تُظنُّ الناسُ سُكارى، أقيم (الناسُ) بالرفع مقام الفاعل، ونُصبَ (سُكَارَى) على المفعولية؛ لأن رأيتُ متعدًّ إلى اثنين. وجاء في مطبوع «الكشاف» (٣/ ١٤٢): (رُؤِيْتُكَ)، وهي نسخة البخاريين كما قال الطيبي، وزاد: وهو مشكلٌ، فإنا ما وجدنا رأيتُ متعدياً إلى ثلاثة.

⁽٣) أي: (وتُرَى الناسُ) برفع (الناس). وهي في «المحرر الوجيز» (٤/ ١٠٦) بلا نسبة، ونسبت في «البحر المحيط» (١٠٦/ ٣٠٦) للزعفراني وعباس.

⁽٤) انظر: «الكشاف» (٣/ ١٤٢)، وما بين معكوفتين منه.

⁽٥) وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٧).

(٣) - ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمِ وَيَتَّبِعُ كُلُّ شَيْطُن ِ مَّرِيدِ ﴾.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ لا يخفى ما في هذا التَّعبير من التَّحقير بشأنه؛ حيث نزَّله بمنزلة من احتاج إلى الإخبار عنه بأنَّه من جنس الإنس.

﴿ مَن يُجَدِلُ ﴾: مَن يخاصِمُ خُصومةً شديدةً.

﴿ فِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمِ ﴾ نزلَتْ في النَّضر بن الحارث، وكان جَدِلاً يقول: الملائكة بنات الله تعالى، والقرآن أساطير الأولين، ولا بعْثَ بعد الموت(١).

وهي عامَّة في كلِّ مجادلٍ لا يرجعُ إلى علمٍ.

﴿ وَيَتَّبِعُ كُلُّ شَيْطُ نِ مَّرِيدِ ﴾ في جداله وسِيرته، والمرِّيدُ: المتجرِّدُ للفسادِ.

* * *

(٤) - ﴿ كُنِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ ريضِ أَهُ وَيَهْدِيدِ إِلَى عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾.

﴿ كُنِبَ عَلَيْهِ ﴾: على الشَّيطان ﴿ أَنَّهُ ، ﴾: الضَّمير للشَّأن ﴿ مَن تَوَلَّاهُ ﴾؛ أي: جعله وليًّا وتبعه.

وقرئ: (إنَّه) بالكسر(٢)، على حكاية المكتوب، أو إضمار القول، أو تضمينِ الكتب معناه.

﴿ فَأَنَّهُ رِيُضِلُّهُ ﴾ خبر لـ ﴿ مَن ﴾ ، أو جواب له.

⁽١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٥٩) عن ابن جريبج، وذكره الماوردي في «النكت والعيون» (١/ ٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

⁽٢) نسبها ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ١٠٧) إلى أبي عمرو، وتعقبه أبو حيان في «البحر المحيط» (١٥/ ٣١٠) بقوله: وليس مشهوراً عن أبي عمرو.

﴿ وَيَهْدِيدِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ ولا يحصل من ولايته إلَّا الضَّلالُ عن طريق الحقِّ أو الجنَّة، والهداية إلى عذاب النَّار، بإغوائه وإغرائه إلى ما يؤدِّي إليه وحمله عليه؛ أي: يلزمه ذلك كأنَّه كُتِبَ عليه إضلال (١) مَن يتولَّه؛ لأنَّه مجبول عليه.

وقرئ: ﴿فَأَنَّهُ, ﴾ بالفتح (٢) على أنَّه مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: فحقٌ أنَّه يضلُّه، أو خبرُ مبتدأ محذوف؛ أي: فشأنُه (٣) أنَّه يضلُّه، ولا وجه للعطف إلّا أنْ يُجعَلَ الضَّمير للمجادِل و ﴿مَن تَوَلّا مُ ﴾ خبر (أنَّ)، وجاز على هذا أن يكون الضَّمير في ﴿عَلَيْهِ ﴾ له أيضاً.

* * *

(٥) - ﴿ يَثَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِرَبِ مِنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِن ثُرَابٍ ثُمَّ مِن ثُطْفَةِ ثُمَّ مِنْ عُلَقَةِ ثُمَّ مِن تُطَفَةِ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةِ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةِ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةِ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةِ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةِ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةِ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةِ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةِ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةِ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةِ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةِ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةِ وَنَعْتِ فِي ٱلْأَرْصَالَ مَا لَلْكُونَ وَمِن مُنْ اللَّهُ وَمِن مُن يُنوفُ وَمِن مُن اللَّهُ وَمِن مُن اللَّهُ وَمِن مَن اللَّهُ مِن اللَّهُ مَن اللَّهُ وَمِن مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مُولِكَ وَمِن اللَّهُ مَن اللَّهُ وَمِن اللَّهُ مُن اللَّهُ وَمِن اللَّهُ مَن اللَّهُ وَمَن اللَّهُ مَن اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مُن اللَّهُ مُن اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ ةُ اللللللْمُ الللللَّةُ الللللْمُ الللللْمُ اللَّهُ الللللللْمُ اللللللْمُ اللللللْمُ الللللْمُ اللَّهُ اللللللَّةُ اللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللللْمُ ا

﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِيرَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ﴾ من إمكانه وكونه مقدوراً. وقرئ: (من البَعَثِ) بالتَّحريك كالجَلَب والطَّرَدِ (١٠).

⁽١) في (ف) و(ك): «الضلال».

⁽٢) وهي قراءة الجمهور، وقرأ: (فإنه) الأعمش، ورويت عن أبي عمرو في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤)، و «المحرر الوجيز» (٤/ ١٠٧)، و «البحر المحيط» (١٠٧).

⁽٣) في (ف): «شأنه».

⁽٤) انظر: «الكشاف» (٣/ ١٤٤)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٠٧).

وتنوين ﴿رَبِّيٍ ﴾ للتَّحقير والتَّقليل، ولذلك جيء بكلمة الشَّكُ؛ أي: اتَّضح دليله، فإنْ بقيَ فيكم أدنى ريبٍ فالنَّظر في بدءِ خلقكم يزيلُه (١٠).

﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَكُمُ مِّن تُرَابٍ ﴾ كخلقِ آدم منه، أو من الأغذية المتكوِّنة منه.

﴿ ثُمَّ مِن نُطْفَقِ ﴾ وهي الماء القليل، من النَّطْفِ: وهو الصَّبُّ، والمراد: المنيُّ.

﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةِ ﴾: قطعةٍ من الدَّم الجامد.

﴿ ثُمَّ مِن مُّضَعَةٍ ﴾ وهي اللَّحمة الصَّغيرة قَدْرَ ما يُمْضَغُ.

﴿ مُخَلَّقَةِ ﴾ يُقال: خَلَّق العودَ: إذا سوَّاه وملَّسه، من قولهم: صخرةٌ خَلْقاءُ: إذا كانت ملساءَ.

﴿ وَغَيْرِ مُخَلِّقَ مَ اللهُ عَالَى خَلَق اللهُ مَعالى خَلَق اللهُ مَضَغ مِنْ اللهُ الله

أو: مصوَّرةٍ وغيرِ مصوَّرةٍ، أو: تامَّةٍ وناقصةٍ (٣).

﴿ لِنَّ بَيِّنَ لَكُمُ ﴾ بهذا التَّدريجِ قدرتَنا وحكمتنا، وأنَّ مَن قدرَ على تغييره وتصويره وتصويره أوَّلاً قدر على ذلك ثانياً، بل هذا أهون عند العقل وأدخلُ في المقدوريَّة، وإطلاق التَّبيين غير متعدِّ إلى مفعولٍ؛ إيماءً إلى أنَّ أفعاله هذه يُتبيَّن بها من قدرته وحكمته ما لا يَدخل تحت الذِّكْر ولا يُوْصَفُ.

⁽۱) في (س): «مزيله».

⁽۲) في (ك) و(م): «متفاوتاً».

⁽٣) في (س): «وساقطة».

﴿ وَنُقِتُ ﴾ : نُثبتُ ﴿ فِ ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ﴾ ثبوتَه ﴿ إِلَىٰ آَجَ لِ مُسَمَّى ﴾ وهو وقتُ الوَضْع، وعلم منه (١) حالُ قرينهِ المقابلِ له بطريق المفهوم.

﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمُ ﴾ منها ﴿ طِفْلًا ﴾ حالٌ وُحِّدَت لإرادة الجنس، أو لأنَّه مصدر في الأصل، أو على تأويل: كل واحدٍ.

وقرئ: (نُقِرَّ) بالنَّصب وكذا (نخرجَكُمْ) عطفاً على (نبيِّنَ)(٢).

والمعنى: إنَّا خلقناكم مدرَّجين لغرضَيْن؛ أحدهما: التَّبيين، والثَّاني: الإقرار في الأرحام حتى تُولَدوا وتنشؤوا وتبلغوا حَدَّ التَّكليف.

والغرضُ في الحقيقة هو الأخير؛ أعني: بلوغَ الأشُدِّ والصُّلوحَ للتَّكليف، لكن لَمَّا كان الإقرار وما تلاه من مقدِّماته صحَّ إدخاله في التَّعليل.

وقرئ بالياء رفعاً ونصباً (٣).

و: (نَقُرُّ) بالضَّم (١٠)، من قررْتُ الماء: إذا صَبَبْتُه.

﴿ ثُمَّ لِتَ بَلُغُواْ أَشُدَّ كُمُ ﴾ الأَشُدُّ: كمالُ القوَّقِ والعقلِ والتَّمييزِ، وهو من ألفاظ الجموع التي لم يُستَعمل لها واحدُّ، وكأنَّها شدَّةٌ في غير شيءٍ واحدٍ، فبُنِيَتْ لذلك على لفظ الجمع.

⁽١) في (ف): «به»، وسقط من (س).

⁽۲) نسبت لعاصم ويعقوب. انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٠٨)، و«البحر المحيط» (١٥/ ٣١٣). والمشهور عن عاصم ويعقوب كقراءة الجماعة. وهي في «الكشاف» (٣/ ١٤٤) دون نسبة، وعنه نقل المؤلف هذه القراءات.

⁽٣) انظر: «الكشاف» (٣/ ١٤٤)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٠٨)، و«البحر المحيط» (١٥/ ٣١٣).

⁽٤) نسبت ليعقوب. انظر: «الكشاف» (٣/ ١٤٤)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٠٨).

﴿ وَمِنكُم مَّن يُنُوفَك ﴾ عند بلوغ الأشُدِّ، أو قبلَه، أو بعدَه قبل الهرم.

وقرئ: (يَتوفَّى)(١)؛ أي: يتوفَّاه الله تعالى.

﴿ وَمِنكُم مِّن يُردُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ ٱلْمُمْرِ ﴾: الهَرم والخَرَف.

﴿لِكَيْلَايَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمِ شَيْئًا ﴾: ليعودَ كهيئته الأُولَى في أوان طفوليَّته، سخيفَ العقل، قليلَ الفهم.

والاستغراق المستفاد في ذكر ﴿شَيْئًا ﴾ في سياق النَّفي للمبالغة في نسيانِه ما عَلِمَه، وإنكارِه لِمَا عَرَفَهُ.

﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾: ميَّتة يابسة، من همدَتِ النَّارُ: إذا صارَتْ رماداً.

﴿ فَإِذَآ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ اللَّمَآءَ آهْ تَزَّتْ ﴾: تحرَّكَتْ بالنَّباتِ.

﴿ وَرَبَتُ ﴾: وانتفخَتْ، وقرئ: ﴿ ورَبَأَتْ ﴾ (١)؛ أي: ارتفعَتْ.

﴿ وَٱلْكَبَتَ مِن كُلِّ رَفْعٍ ﴾: مِنْ كُلِّ صِنْفٍ ﴿ بَهِيجٍ ﴾ البهيجُ: الحسنُ السَّالُّ للنَّاظرِ إليه.

وهذه دلالة ثانية على البعث، كرَّرها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة.

⁽١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤).

⁽۲) في النسخ: «أربأت»، والصّواب المثبت. وهي قراءة أبي جعفر من العشرة. انظر: «النشر» (۲/ ۳۲۵). وانظر كذلك: «تفسير الطبري» (۱٦/ ٤٦٦)، و «المحتسب» (۲/ ۷۶)، و «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ۹۶)، و «الكشاف» (۳/ ۱٤٥) والكلام منه.

(٦) - ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُ رَيْحِي ٱلْمَوْتَى وَأَنَّهُ رَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿ ذَلِكَ ﴾: إشارة إلى ما ذُكِرَ مِن خلق الإنسان في أطوارٍ مختلفةٍ، وتحويله على أحوالٍ متضادَّةٍ، وإحياءِ الأرض بعد موتها، وهو مبتدأٌ خبرُه:

﴿ إِلَّا اللهِ هُو الْحُقُ ﴾؛ أي: حاصلٌ بسببِ أنَّ الله هو الحقُّ الثَّابت الوجودِ في نفسه، الذي تتحقَّق به الأشياء.

﴿ وَأَنَّهُ ، يُحِي ٱلْمَوْقَ ﴾ وأنَّه يقدر على إحيائها، وإلَّا لَمَا أَحيَى النُّطفةَ والأرضَ الميتة .

﴿ وَأَنَّهُ مُكَلِّكُم اللَّهِ وَلِيرٌ ﴾ لأنَّ قدرته لذاته، ونسبتُها إلى الكلِّ سواءٌ، فَلَمَّا دلَّتُ المشاهدة على إحياء بعض الأموات لزم اقتدارُه على الكلِّ.

* * *

(٧) - ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَّةٌ لَّا رَبِّ فِيهَا وَأَنَ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِٱلْقُبُورِ ﴾.

﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةً لَارَيْبَ فِيهَا ﴾ لا ينبغي أن يُرتَابَ فيها؛ لأنَّ التَّغيُّرَ من مقدِّمات الانصرام وطلائعه.

﴿وَأَكَ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾؛ أي: إنَّه تعالى حكيمٌ لا يُخْلِفُ ميعادَه، وقد وَعَدَ السَّاعة والبعث، فلا بُدَّ أن يفي بما وعد، ولَمَّا كان المرادُ إحياءَ موتى الإنسان عبّر عنها بما هو مِن خصائصهم، فمعنى ﴿مَن فِ ٱلْقُبُورِ ﴾: مَن ماتَ مِن جنسِ الإنسانِ بطريق الكنايةِ.

(٨) - ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَدِلُ فِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمِ وَلِا هُدَى وَلِا كِنْبِ مُّنِيرِ ﴾.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَدِلُ فِٱللَّهِ ﴾: في صفاتِه، فيصفُه بغير ما هو له، نزلَتْ في أبي جهل (١).

﴿بِغَيْرِعِلْمِ﴾ ضروريً ﴿وَلَاهُدَى﴾ كسبيٍّ، فإنَّه غالباً يكون بتعليم الغير وإرشاده ﴿وَلَا كِننَبِ مُنِيرٍ ﴾؛ أي: وحي.

أي: يجادلُ بتخمين وتقليدٍ، لا بأحدِ هذه الثلاثة.

* * *

(٩) - ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ -لِيُضِلَّ عَنسَبِيلِ لَللَّهِ لَهُ مِن الدُّنيَّا خِزْيٌّ وَنُذِيقُهُ ، يَوْمَ ٱلْقِيكَمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾.

﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ عَ ثَنيُ العَطْفِ كنايةٌ عن الكِبْر والخيلاء بالتَّبختُرِ، أو عن الإعراض عن الحراض عن الحقّ استخفافاً. وقرئ بفتح العين؛ أي: مانعَ تَعَطُّفِهِ (٢).

﴿لِيُضِلَّ عَنسَبِيلِ اللَّهِ ﴾ تعليلٌ للمجادَلة.

وقرئ بفتح الياء (٣)، على أنَّ إعراضَه عن الهدى المتمكِّن منه بالإقبال على الجدال الباطل خروجٌ من الهدى إلى الضَّلال، وأنَّه من حيث هو مؤدَّاه كالغرض له.

﴿لُهُ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ هو ما أصابَه يوم بدرٍ.

﴿ وَنُذِيقُهُ مُ يَوْمَ ٱلْقِيكَمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾: عذابَ النَّار المحرقة.

* * *

(۱) انظر: «الكشاف» (٣/ ١٤٦) عن ابن عباس، وفي «تفسير القرطبي» (١٤ / ٣٢٧): (وأكثر المفسرين أنها نزلت في النضر بن الحارث كالآية الأولى، فهما من فريق واحد، والتكرير للمبالغة في الذم). ويعني بالآية الأولى الآية (٣) من هذه السورة.

⁽٢) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٤)، و «الكشاف» (٣/ ١٤٦).

⁽٣) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو. انظر: «التيسير» (ص: ١٣٤).

(١٠) - ﴿ ذَالِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ يِظَلَّنِهِ لِلْعَبِيدِ ﴾.

﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتُ يَدَاكَ ﴾: إشارةٌ إلى الخزي والعذابِ، وغيَّر النَّظمَ بالالتفات إلى الخطاب، وأتى بلفظ البعيد؛ للتَّنبيه، وتعظيم الموعَدِ به وتهويله، والإيماء إلى تفاقم الخَطْب، وإلى أنَّه بسبب ما اقترفه من الكفر والمعاصي.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّمِ لِلْعَبِيدِ ﴾ عطف على ﴿بِمَا ﴾؛ أي: وبأنَّ الله تعالى؛ يعني: أنَّ العدلَ هو الذي (١) اقتضى ذلك، لا الظُّلم، ولفظ المبالغة لأنَّ قليلَ الظُّلم منه مانعٌ مع علمه بقبحه واستغنائه كالكثير منَّا، وللإيماء إلى أنَّ مَن هو في غاية الكمال شأنُه أن يكون وصفُه كذلك.

* * *

(١١) - ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَى حَرْفِ ۚ فَإِنْ أَصَابَهُ مَنْدُ ٱظْمَأَنَ بِهِ ۗ وَإِنْ أَصَابَنْهُ فِنْ نَةُ ٱنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ وَخَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَالِكَ هُوَ ٱلْخُسُرَانُ ٱلْمُدِينُ ﴾.

﴿ وَمِزَالنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَى حَرْفِ ﴾ على طرفٍ من الدِّين، لا في وسطِهِ.

﴿ فَإِنَّ أَصَابَهُ مَنَّ أَطْمَأَنَ بِهِ وَإِنَّ أَصَابَنْهُ فِنْنَةُ آنقَلَبَ عَلَى وَجْهِدِ ﴾ كالَّذي يكون على طرفِ الجيش؛ فإنَّ أحسَّ بالظَّفر قَرَّ؛ وإلَّا فَرَّ.

روي أنَّها نزلَتْ في أعاريب قدموا المدينة، وكان أحدهم إذا صحَّ بدنه ونُتِجَتْ فرسُه مُهراً سريًّا، وولدَت امرأتُه غلاماً سويًّا، وكثر ماله وما يشتهيه قال: ما أصبْتُ منذ دخلْتُ في ديني هذا إلَّا خيراً، واطمأنَّ (٢)، وإنْ كانَ الأمرُ بخلافه قال: ما أصبْتُ إلَّا شرًّا، وانقلَبَ (٣).

⁽۱) «الذي»: ليست في (م).

⁽٢) في (ك) و(م) زيادة: «به».

⁽٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٠٧)، «الكشاف» (٣/ ١٤٦) وعنه نقل المؤلف. وروى =

وذِكْرُ الفِتنةِ في مقابلةِ الخيرِ للتَّنبيه على أنَّ الشَّرَّ لا يصدر عنه تعالى قصداً، إنَّما المقصود منه الابتلاء.

﴿خَسِرَ الدُّنيا ﴾ بذهاب عصمته ﴿وَأَلْآخِرَةَ ﴾ بحبوط عمله بالارتداد.

وقرئ: (خاسِرُ) بالنَّصب على الحال وبالرَّفع (١) على الفاعليَّة، أو على أنَّه خبرُ مبتدأ محذوف، وعلى الأوَّل يكون من باب وضع الظَّاهر موضع الضَّمير تنصيصاً عليه بالخسران.

﴿ ذَلِكَ هُوَ ٱلْخُسُرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾: الظَّاهر الذي لا يخفَى على أحدٍ.

* * *

(١٢) - ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّونُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ أَذَٰ لِكَ هُوَ ٱلضَّلَالُ ٱلْبَعِيدُ ﴾.

﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ أَنْ ﴾؛ أي: لا يقدرُ على شيءٍ أصلاً، فإنَّ النَّفع والضُّرَّ في التَّعبير بهما عن جميع الآثار كالسَّماء والأرض في التَّعبير بهما عن جميع الأثار كالسَّماء والأرض في التَّعبير بهما عن جميع الأجسام.

وإعادة كلمة ﴿مَا﴾ للدِّلالة على استقلالِ كلِّ من الوصفَيْنِ المذكورَيْنِ في إخراج موصوفه إلى معرض الذَّمِّ.

﴿ ذَلِكَ هُوَ ٱلضَّمَكَ لُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ عن المقصدِ، مستعارٌ من ضلالِ مَن أبعدَ في التَّيهِ فطالَتْ وبَعُدَتْ مسافةُ ضلالِه.

⁼ نحوه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٧٢ ـ ٤٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما وجمع.

⁽۱) انظر: «الكشاف» (۳/ ۱٤۷). والنصب منسوب لحميد ومجاهد. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ۹۵).

(١٣) - ﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُ وَأَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ - لِيَنْسَ ٱلْمَوْكَ وَلِيلْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾.

﴿ يَدْعُواْ لَمَن ضَرَّرُهُۥ ﴾ بكونه معبوداً لإيجابه القتلَ في الدُّنيا والعذابَ في الآخرة. ﴿ أَقَرَبُ مِن نَفْعِدِهُ ﴾ الذي يُتوقَّع بعبادته، وهو الشَّفاعةُ والتَّوسُّلُ بها إلى الله تعالم ..

وإنَّما قال: ﴿ أَقُرَّبُ ﴾ ولا قُرْبَ للنَّفع؛ تهكُّماً واستهزاءً بهم.

واللَّام معلِّقة لـ ﴿ يَدَّعُوا ﴾ من حيث إنَّه بمعنى: يَزعم، والزَّعمُ قولٌ مع اعتقادٌ.

وقيل: إنَّها داخلةٌ على الجملة الواقعة مقولاً؛ إجراءً له مجرى (يقول)؛ أي: يقول الكافر ذلك بدعاءٍ وصُراخ حين يرى استضراره به.

ويأباه ما في عبارة ﴿أَقُرُبُ ﴾ من معنى التَّفضيل.

ويجوز أن تكون مستأنفة على أنَّ ﴿ يَدْعُواْ ﴾ تكريرٌ للأوَّل، و ﴿ مِن ﴾ مبتدأ خبرُه: ﴿ لِيَنْسَ ٱلْمَوْلِي ﴾: النَّاصرُ ﴿ وَلَيِنْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾: المخالطُ.

* * *

(١٤) _ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدِّخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّكِلِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَعْلِهَا ٱلْأَنْهَارُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدِّخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّكِلِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجَرِي مِن تَحْنِهَا ٱلْأَنْهَارُ أِنَّ اللَّهَ وَالْمَالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجَرِي مِن تَحْنِهَا ٱلْأَنْهَارُ أَإِنَّ اللَّهَ عَلَى مَا إِنَّا اللَّهِ المؤمن الصَّالح، وعقابِ الكافر الطَّالح، لا دافِعَ له ولا مانِع.

* * *

(١٥) _ ﴿ مَن كَاكَ يَظُنُّ أَن لَن يَنصُرَهُ اللهُ فِ الدُّنْيَ وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدُ بِسَبِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لَيُغَطَّمُ فَلْيَنظُرُ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ، مَا يَغِيظُ ﴾.

﴿ مَنَكَاكَ يَظُنُّ أَنَ لَنَ يَنَصُّرُهُ ٱللَّهُ فِ ٱلدُّنِيا وَٱلْآخِرَةِ ﴾ كلامٌ فيه اختصارٌ، معناه: أنَّ اللهَ تعالى ناصرٌ رسولَه في الدُّنيا والآخرة، فمَن كانَ يظنُّ من حاسديه وأعاديه أنْ لا يفعل ذلك ويغيظه ما يفعل الله:

﴿ فَلْيَمْدُدُ بِسَبَبٍ إِلَى اَلسَّمَآءِ ثُمَّ لَيُقْطَعُ ﴾ فلْيَستفرغُ وُسْعَهُ في إزالة غيظِه إلى سماءِ بيتِه، كما يفعل مَن بلغَ به الغيظ كلَّ مَبلغ، ثمَّ ليختنق. سمَّى الاختناقَ قَطعاً لأنَّ المختنِقَ يقطعُ نَفَسَهُ بحبسِ مجاريه، ومنه قيل للبُهْر: القُطْع (١).

أو فليمدُدْ حبلاً إلى السَّماءِ المُظلَّة وليصعَدْ عليه، ثمَّ ليقطعِ الوَحيَ أنْ ينزلَ عليه.

﴿ فَلْيَنْظُرُ ﴾: ولْيتصوَّرْ في نفسه ﴿ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ ﴾ هل يُذْهِبُ نصرَ اللهِ الذي يغيظه إنْ فعلَ ذلك!

وسمَّى فعلَه كيداً لأنَّه وضعَه موضعَ الكيدِ، حيثُ اجتهدَ فلم يقدِرْ إلَّا عليه، أو على سبيل الاستهزاء؛ لأنَّه لم يَكِدْ به محسودَه إنَّما كادَ به نفسَهُ.

﴿ مَا يَغِيظُ ﴾ غيظَه، أو: الذي يَغيظُه من نصر الله.

* * *

(١٦) - ﴿ وَكَ لَالِكَ أَنْزَلْنَاهُ ءَايَلَتِ بَيِّنَكَتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴾.

﴿ وَكَنَاكِ ﴾: مشلَ ذلك الإنزال، والإشارةُ إلى مصدر الفعل المذكور بعدَه، لا إنزالِ آخر يُقصد تشبيهُ هذا الإنزال به (٢)، فالكافُ مُقْحَمٌ إقحاماً كاللَّازم، لا يكادون يتركونه في لغة العرب وغيرهم.

⁽١) «البهر» بضم الباء: العلة التي تمنع التنفس. انظر: «فتوح الغيب» (١٠/ ٤٥٤). والقُطع بضم القاف بمعناه. انظر: «القاموس» (مادة: قطع).

⁽۲) «به» من (م) و (س).

﴿ أَنْزَلْنَاهُ ﴾: أنزلنا القرآنَ كلَّه ﴿ ءَايَنتِ بَيِّنَتِ ﴾: واضحاتٍ.

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي ﴾: ولأنَّ الله يهدي به، أو يثبِّتَ على الهداية.

﴿ مَن يُرِيدُ ﴾ هدايته، أو ثباته، أنزله لذلك(١) مبيِّناً.

* * *

(١٧) _ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّلِئِينَ وَٱلنَّصَرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشَرَكُواْ إِلَّا اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءِ شَهِيدُ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّنِئِينَ وَٱلتَّصَنَرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ يعني: عبدةَ الأوثانِ.

قيل: الأديان خمسةٌ؛ أربعةٌ للشَّيطان وواحدٌ للرَّحمن. والصَّابئون نوعٌ من النَّصاري، فلا تكون ستَّةً.

﴿ إِنَ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُ مُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ﴾ في الأحوال والأماكن، فلا يجازيهم جزاءً واحداً، ولا يجمعهم في موطنٍ واحدٍ، أو: بالحكومة بينهم وإظهارِ الـمُحِقِّ منهم مِن المُبْطِل.

وإنَّما دخلَتْ ﴿إِنَّ ﴾ على كلِّ واحدٍ من طَرَفي الجملة لمزيد التَّأكيد.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِ شَيْءِ شَهِيدُ ﴾ عالمٌ به، مراقِبٌ لأحواله، فلينظرْ كلُّ امرئ معتقدَه وقولَه وفعلَه. وهو أبلغُ وعيدٍ.

⁽۱) في (م): «أنزله كذلك».

(١٨) _ ﴿ أَلَرْ مَرَ أَتَ اللّهَ يَسَجُدُلُهُ مَن فِي السَّمَوَتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالتَّجُومُ وَاللّهَ مَن فِي اللّهُ فَمَا لَهُ مِن وَاللّهَ مَن يُمِنِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِن وَاللّهَ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُمِنِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِن مُكِرِم إِنَّ اللّهَ وَمَن يُمِنِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِن مُكْرِم إِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

﴿ أَلَوْ تَرَ ﴾: ألم تعلم علماً يقومُ مَقامَ العَيانِ.

﴿ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُلُهُ مَن فِ السَّمَوَتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ استُعِيْر السُّجودُ للانقياد والمطاوعة لِمَا يريدُ الله تعالى من الأفعال؛ لأنَّه هيئةٌ من هيئات المكلَّف، لا هيئةَ أدَلَ منها على الذِّلَةِ والتَّسخير.

و ﴿ مَن ﴾ يعمُّ أولي العَقلِ وغيرهم للتَّغليب، فيكون قوله:

﴿ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنَّجُومُ وَٱلِجَبَالُ وَٱلشَّجُرُ وَٱلدَّوَآتُ ﴾ إفراداً لها بالذِّكْرِ لِشُهرَتِها واستبعادِ ذلك منها في العادة.

﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّامِنُ ﴾ تخصيصٌ بعدَ التَّعميم؛ للإيماءِ إلى أنَّ مِن النَّاس مَن لا ينقاد لحكمِه ولا يتسخَّر لأمره.

ولا يلزمُ مِن (١) عطفِه على سائر السَّاجدين المحذورُ عند (٢) الجمهور ـ لِمَا فيه مِن استعمال اللَّفظ الواحد مجازاً وحقيقةً في حالة واحدة ـ إذ يجوز أن يُجْعَلَ فاعلَ فعلٍ مُضمَرٍ دلَّ عليه ﴿ يَسَجُدُ ﴾؛ أي: يسجد له كثيرٌ مِنَ النَّاسِ السُّجودَ الحقيقيَّ، ويجوز أن يكون مبتدأً محذوفَ الخبر، مدلولاً عليه بخبرِ قسيمه؛ أي: حَقَّ له النَّواب، أو الخبر مذكور (٣) على ما سيأتي.

⁽١) «من» سقط من (ك) و(م) و(س).

⁽٢) في (ك): «المحذور عن».

⁽٣) في (ف): «المذكور».

﴿وَكِثِيرُ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ بكفره وإبائِه عن الطَّاعة، ويجوز أن يكون (كثيرٌ) الثَّاني تكريراً للأوَّل مبالغةً في تكثير المحقوقين بالعذاب، وأن يُعطَفَ به على السَّاجدين بالمعنى العامِّ، موصوفاً بما بعدَه.

وقرئ: (حقٌّ) بالضَّمِّ، و(حقًّا)(١)؛ أي: حقَّ عليهم العذاب حقًّا.

﴿ وَمَن يُمِنِ ٱللَّهُ ﴾ بأنْ حكم عليه بالشَّقاوة.

﴿ فَمَالَهُ مِن مُكْرِمٍ ﴾ يجعله سعيداً، وقرئ بالفتح (٢) بمعنى الإكرام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُمَا يَشَآهُ ﴾ من الإهانة والإكرام.

* * *

(١٩) - ﴿ هَلْدَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّمٍ ۚ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ هَمُ ثِيَابٌ مِّن نَارِ يُصَبُّمِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾.

﴿ هَٰذَانِ خَصَمَانِ ﴾؛ أي: فريقان يختصمان، ولذلك قال: ﴿ آخَنَصَمُوا ﴾ حملاً على المعنى، ولو عكس وقال: هؤلاء خصمان اختصما، جاز. والمرادُ بهما: المؤمنون والكافرون.

﴿ فِي رَبِّهِمْ ﴾ في دينِه، أو: في ذاته وصفاته.

روي أنَّ أهل الكتاب والمؤمنين تخاصموا، فقال أهلُ الكتاب: نحنُ أحقُّ بالله وأقدم منكم كتاباً، ونبيُّنا قبل نبيَّكم، وقال المؤمنون: نحن أحقُّ بالله، آمنًا

⁽۱) نسبت الأولى لجناح بن حبيش، والثانية ذكرها ابن جبير. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥)، و «الكشاف» (٣/ ١٤٧) والكلام منه.

⁽۲) بفتح الراء، ذكرها أبو معاذ كما قال ابن خالويه، ونسبت لابن أبي عبلة كما ذكر غيره. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥)، و «المحرر الوجيز» (١٦/ ١١٣)، و «البحر» (١٦/ ٣٣٠).

بمحمَّدِ ونبيَّكم، وبما أنزل الله من كتابٍ، وأنتم تعرفون نبيَّنا وكتابَنا ثمَّ كفرتم به حسداً. فنزلَتْ(۱).

﴿ فَالَّذِينَ كَ فَرُواً ﴾ فصلٌ لخصومتهم، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ إِنَ اللَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ مِنَوْمُ ٱلْقِيَامَةِ ﴾ [الحج: ١٧].

﴿ قُطِّعَتْ لَمُمْ ﴾ على مقادير جثيبهم ﴿ ثِيَابٌ مِّن نَارِ ﴾ نيرانٌ تُحِيطُ بهم إحاطةَ الشَّياب.

واختير لفظ الماضي لأنَّه كائن لا محالة.

﴿ يُصَبُّ﴾ خبرٌ ثانٍ، أو حالٌ من الضَّمير في ﴿ لَمُمُ ﴾.

﴿ مِن فَوْقِ رُءُ وسِمِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾: الماء الحارُّ.

* * *

(٢٠) - ﴿ يُصْهَرُ بِهِ عَمَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجِلُودُ ﴾.

﴿ يُصْهَرُ بِهِ ـ ﴾: حالٌ من ﴿ الْخَمِيمُ ﴾، أو مِنَ الضَّمير في ﴿ رُءُوسِمٍ مُ ﴾، والصَّهرُ: الإذابةُ. وقرئ بالتَّشديد(٢) للتَّكثير.

﴿ مَا فِي بُطُونِهِم ﴾ من الشُّحوم ﴿ وَٱلْجَلُودُ ﴾ فأنَّى اللحوم؟! أي: يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم، فيُذابُ ما في باطنهم "" وظاهرهم.

⁽۱) روى نحوه الطَّبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

⁽٢) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥).

⁽٣) في (م): «بطونهم».

(٢١) _ ﴿ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾.

﴿ وَلَمُ مُ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾: سِياطٌ منه، جمع مِقْمَعة (١)، وحقيقتُها: ما يُقْمَعُ به؛ أي: يُكَفُّ بعنف.

* * *

(٢٢) - ﴿ كُلَّما آزَادُوٓ اللَّهِ يَغُرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَيِّر أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾.

﴿ كُلَّمَا أَرَادُوَاْأَن يَغْرُجُواْ مِنْهَا ﴾ من النَّارِ ﴿مِنْ غَمِّ ﴾ بدلُ اشتمالٍ من ﴿مِنْهَا ﴾ بإعادة الجارِّ، أو الأُولى لابتداء الغاية، والثَّانيةُ بمعنى: مِن أَجْل؛ يعني: كلَّما أرادوا الخروجَ مِنَ النَّار مِن أجلِ غَمِّ يلحقهم.

وإرادةُ الخروجُ كنايةٌ عن القرب منه، كقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يَنفَضَ ﴾ [الكهف: ٧٧](٢).

﴿أُعِيدُواْفِهَا ﴾ بالمقامِع. والمرادُ إعادتُهم إلى معظم النَّار، لا أنَّهم يخرجون منها ثمَّ يعودون إليها؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَاهُم بِخَرْجِينَ مِنْهَا ﴾ [المائدة: ٣٧]، ولقوله: ﴿فِهَا ﴾ دون: إليها.

﴿ وَذُوقُوا ﴾؛ أي: وقيل لهم: ذوقوا ﴿ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾: النَّارَ البالغةَ في الإحراق. ثمَّ ذكر جزاء الخصم الآخر بقوله:

* * *

(١) في هامش (س) و(ف): «بكسر الميم المقرعة يقمع بها المضروب. منه».

⁽٢) في هامش (ف) و(م) و(س): «ولو كان مساق الكلام على خروجهم لقيل: كلما خرجوا منها أعيدوا؛ إذ حينتُذ يضيع ذكر الإرادة، وما روي عن الحسن: أنَّ النَّار تضربهم بلهبها صريحٌ في أنَّ الإرادة ليست على حقيقتها. منه».

(٢٣) - ﴿ إِنَّ ٱللَّهُ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَتِ جَنَّنَتٍ تَعَرِى مِن تَعْتِهَا ٱلْأَنْهَدُ يُحَالُونَ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَتِ جَنَّنَتِ تَجَرِى مِن تَعْتِهَا ٱلْأَنْهَدُ ﴾ تغييرُ النَّظم في التَّفصيل بترك العطف، واستئنافِ الكلام، وإدخال حرف التَّأكيد، وإسناد الإدخال إلى الله تعالى، تعظيمٌ لشأن المؤمنين وإحمادٌ لحالهم.

﴿ يُحَكَّلُونَ فِيهَا ﴾ من حَلِيَتِ المرأةُ: إذا لبست الحليَّ، فهي حاليَّهُ، شُدِّدَ للنَّقل (١)، وقرئ مخففاً مبنيًّا للمفعول (٢).

﴿ مِنْ أَسَاوِرَ ﴾ صفة مفعول محذوف، والأساور: جمع أَسْوِرة، وهي جمع سِوَارِ.

﴿مِن ذَهَبٍ ﴾ بيانٌ له.

﴿ وَلُوْلُوا ﴾ عطف على ﴿ أَسَاوِرَ ﴾ ، أو ﴿ ذَهَبٍ ﴾ على أنَّها مرصَّعة [به] (٣).

وقرئ منصوباً (٤) على إضمار فعلٍ؛ أي: يلبسون أو يُؤتون، أو عطفاً على محلِّ الجارِّ والمجرور.

﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ تغيير الأسلوب فيه للدِّلالة على أنَّ الحريرَ لباسُهم المعتاد، مع رعاية الفاصلة.

⁽١) أي: شدد الفعل للنقل من اللزوم إلى التعدية. انظر: «البحر المحيط» (١٥/ ٣٣٤).

⁽٢) أي: (يُحْلُون). انظر: «البحر المحيط» (١٥/ ٣٣٤).

⁽٣) أي: على أن الأساور مرصعة به. انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ٦٩)، وما بين معكوفتين منه.

⁽٤) قرأ نافع وعاصم: ﴿وَلُوْلُوْلُوا ﴾ بالنَّصب، وباقي السبعة بالخفض. انظر: «التيسير» (٦/ ٧٥).

(٢٤) - ﴿ وَهُدُوٓ ا إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓ ا إِلَىٰ صِرَطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾.

﴿ وَهُدُوۤا إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ أُبهم الفاعل، ولم يُقل: (وهداهم الله)؛ إيفاءً لحق التَّعظيم، وأُبهم القولُ، وجيء بـ ﴿ ٱلطَّيِّبِ ﴾ ثمَّ بُيِّن تفخيماً لشأنه، وإيماءً إلى أنَّه هذا الملقَّبُ بالطَّيِّب، وهو قولهم: ﴿ ٱلْحَمَّدُ لِلّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعَدَهُ ﴾ [الزمر: ٧٤]، أو كلمة التَّوحيد.

﴿ وَهُدُو اللَّهِ صِرَطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ كرَّر ﴿ وَهُدُوا ﴾ تنبيها على أنَّ كلَّ واحدٍ منها أمرٌ مرضيٌّ بالأصالة، تامُّ معتدُّ به في الهداية إليه.

واختير اسم ﴿ اَلْحَمِيدِ ﴾ من أسماء الله تعالى للإشارة إلى خصوصيَّة القول الطّيّب؛ أي: إلى طريق المستحِقِّ لذاته الحمد، وهو الله تعالى، أو أرادَ: المحمود عاقبتُه، وهو الإسلام.

وقيل: طريق الجنَّة، وأضيف إلى الله تكريماً للجنَّة بنسبتها إليه، وأن طريقَها طريقُه.

* * *

(٢٥) - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَكِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَكَرامِ الَّذِي جَعَلْنَهُ لِلتَّاسِ سَوَلَةُ الْعَنْ كِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُردِ فِيهِ مِإِلْحَادِ بِظُلْمِ أَنْذِقَهُ مِنْ عَذَابِ ٱلِيمِ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ خبر ﴿ إِنَّ ﴾ محذوفٌ، دلَّ عليه جواب الشَّرط؛ أي: إنَّ الذين كفروا نذيقهم من عذاب أليم.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَكِيلِ ٱللَّهِ ﴾ عطف على ﴿كَفَرُواْ ﴾؛ لقوله تعالى في موضع آخر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَكِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١٧]؛ أي: يواظبون على الصُّدود، وهو الصَّرف عن الخير خاصَّة، وليس المراد الحالَ أو الاستقبال، بل

استمرارُ وجودِ الصَّدِّ منهم في جميع الأزمان، كقولهم: فلانٌ يُحسن للفقراء(١) ويكرم الضِّيفان، ولذلك حَسُن عطفه على الماضي.

﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَكُوامِ ﴾ عطف على ﴿ سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

﴿ اَلَّذِى جَعَلْنَهُ لِلتَّاسِ ﴾ مطلقاً من غير فرق بين حاضر وبادٍ، فإنْ أُرِيدَ بالمسجد الحرام مكَّة ولا إجارتُها، بالمسجد الحرام مكَّة ونفيه دليلٌ على أنَّه لا يجوز بيع أرض مكَّة ولا إجارتُها، ولا يعارضه قوله تعالى: ﴿ اللَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِين رِهِم ﴾ [الحج: ١٤] لأنَّ الإضافة باعتبار أنَّهم يملكون البناء، ولا شراءً عمر رضي الله عنه داراً يسجنُ فيها؛ لأنَّه اشترى البناء دونَ الأرضِ (٢).

وإن أريد به البيت فالمعنى: أنَّه قِبلةٌ لجميع النَّاس، والأوَّل هو الظَّاهر؛ لقوله تعالى:

﴿ سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ ﴾: المقيمُ بمكَّة ﴿ وَٱلْبَادِّ ﴾؛ أي: السَّاكنُ في البادية؛ أي: ليسَ لأحدٍ أن يمنعَ أحداً عنه.

قيل: كانت بيوتُ مكَّةَ لا يُتَّخذُ لها أبوابٌ حتى ظهرَتِ السَّرقةُ فيهم، فقال عمر رضي الله عنه لرجلٍ منهم وهو أوَّل مَنِ اتَّخذ باباً ـ: اتخذْتَ باباً لتحتَجِبَ به؟ فقال: لا، ولكنْ أحرزْتُ المتاعَ عن السَّرقة. فقال له: إنَّه لا يحلُّ لأهل مكَّة أن يأخذوا أجورَ بيوتهم (٣).

⁽١) في (ف) و(م) و(س): «الفقراء».

 ⁽۲) روى نحوه عبد الرزاق في «المصنف» (۹۲۱۳)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (۲۳۲۰۱)،
والفاكهي في «أخبار مكة» (۲۰۷٦).

⁽٣) لم أجده.

وفي جوازِ بيعِ أرضِ مكَّةَ عن أبي حنيفةَ روايتان؛ قال في «الجامع الصغير»: لا يجوز^(۱).

وروى ابن زياد عنه أنَّه يجوز^(٢).

و ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ مفعول ثانٍ لـ ﴿ جَعَلْنَهُ ﴾، و ﴿ سَوَآةً ﴾ خبر مقدَّم، و ﴿ ٱلْعَلَكِفُ ﴾ مبتدأً، والجملة حالٌ، أو مفعول ثانٍ، و ﴿ لِلنَّاسِ ﴾ حال.

وقرئ: ﴿ سَوَاتًا ﴾ بالنَّصب (٣) على أنه مفعول ثانٍ أو حالٌ.

و ﴿ ٱلْعَاكِفُ ﴾ مرفوع على الفاعلية؛ أي: مستوياً العاكفُ فيه والباد، وقرئ: (العاكفِ) بالجرِّ (١٤) على أنَّه بدل من (النَّاس).

﴿ وَمَن يُرِدُ فِيهِ ﴾ تُرِكَ مفعولُه ليتناولَ كلَّ متناوَلٍ، وقرئ بالفتح (٥) من الورود. ﴿ وَإِلْحَادِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الله

﴿يُظَلُّو ﴾ بغير حقٍّ.

وهما حالان مترادفان، أو الثَّاني بدل من الأوَّل بإعادة الجارِّ، أو صلةٌ له؛ أي:

⁽۱) ونص قوله: (ولا بأس ببيع بناء بيوت مكة ويكره بيع أرضها)، وقال في شرحه: (قوله: ويكره بيع أرضها أيضاً لأنها مملوكة لهم كالبناء، بيع أرضها أيضاً لأنها مملوكة لهم كالبناء، ولأبي حنيفة أن مكة حرة محرمة بالنص فلا يجوز بيعها). انظر: «الجامع الصغير وشرحه النافع الكبير» (ص: ٤٨١).

⁽٢) انظر: «عيون المسائل» للسمرقندي (ص: ٢٦٧).

⁽٣) قرأ حفص بالنصب والباقون بالرفع. انظر: «التيسير» (ص: ١١٥٧).

⁽٤) نسبت للأعمش في رواية. انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١١٥).

⁽٥) حكاها الكسائي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥).

ملحداً بسبب الظُّلم، كالإشراك واقتراف الآثام، وعلى قراءة فتح الياء في (يَرِدْ) تكون الباء في ﴿بِإِلْحَادِ ﴾ للتَّعدية؛ أي: ومن أتى فيه بإلحاد ظالماً.

﴿ تُذِقُّهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ جواب لـ (مَن).

* * *

(٢٦) - ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرُهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَنَ لَا تَشْرِلِفَ بِى شَيْئَا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآبِفِينَ وَٱلْقَآبِيينَ وَٱلرُّكِعِ ٱلسُّجُودِ ﴾.

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَهِي مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾؛ أي: واذكرْ حين جعلنا لإبراهيمَ مكانَ البيت مباءةً؛ أي: مرجعاً يَرجع إليه للعبادة، ولَمَّا كان المقصود من التَّبوئة العبادة فُسِّرَتْ بالنَّهي عن الشِّركُ والأمرِ بتطهير البيت، فـ ﴿ أَن ﴾ في قوله:

﴿أَن لَا تُتُمْرِلِفَ فِي شَيْعًا وَطَهِّرَ بَيْتِي لِلطَّآبِفِينَ وَٱلْقَآبِمِينَ وَٱلرُّحَعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ مفسّرةٌ، كأنَّه قيل: تعبَّدْنا إبراهيم قلنا له: لا تشرك بي شيئاً وطهّر بيتي عن الأوثان والأقذار أنْ تُطرح حوله للطَّائفين والمصلِّين، وإنَّما عَبَرَ عن الصَّلاة بأركانها للدِّلالة على أنَّ كلَّ واحدٍ منها مستقلُّ باقتضاء ذلك، كيف وقد اجتمعَتْ.

وفصلَ بين الأوَّلِ والأخيرَيْنِ بالواو، وجمع بينَ الأخيرَيْن بغير واو؛ لأنَّ القيامَ تعظيمُ اللهِ تعالى، والرُّكوعَ والسُّجودَ تذلُّلُ له، فاتَّحد هذان وغايرهما(١) الأوَّل.

وقيل: هي مصدريَّة موصولة بالنَّهي؛ أي: فعلنا ذلك لئلَّا تُشرك بعبادتي، وتطهِّرَ^(۲) بيتي.

* * *

⁽١) في النسخ: «وغيرهما»، والصواب المثبت.

⁽۲) أي: ولتطهر بيتي، وفي (م): «وطهر».

(٢٧) - ﴿ وَأَذِن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالَا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْنِينَ مِن كُلِّ فَجَّ عَمِيقٍ ﴾.

﴿ وَأَذِن فِ ٱلنَّاسِ ﴾: نادِ فيهم. وقرئ: (آذِنْ) من الإيذان(١١).

﴿ إِلَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ إِلَى مقصدٍ منيعٍ.

روي أنَّه (٢) عليه السلام صعد أبا قبيس فقال: يا أيها النَّاس، حجُّوا بيتَ ربِّكم، فأجابَ مَن قُدِّرَ له أن يحجَّ من الأصلاب والأرحام بـ: لبَّيْكَ اللَّهمَّ لبَّيْكَ (٣).

وعن الحسن: أنَّه خطابٌ لرسول الله ﷺ، أُمِرَ أَنْ يفعلَ ذلك في حجَّة الوداع^(٤). والأوَّل أظهر.

وجواب الأمر: ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾: مشاةً، كقائم وقيام.

﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ صَالِم ﴾ معطوف على (رِجَال)، كأنَّه قال: رجالاً وركباناً. والضَّامرُ: البعيرُ المهزولُ.

والإطناب المعنوي، وزيادة لفظ ﴿كُلِّ ﴾؛ للمبالغة في تعميم الأمر لكلِّ مَن يقدر على المركب ولو ضعيفاً، وقدِّم الرِّجال على الرُّكبان إظهاراً لفضيلة المشاة، كما ورد في الحديث (٥٠).

⁽١) نسبت للحسن وابن محيصن. انظر: «الكشاف» (٣/ ١٥٢)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١١٧).

⁽٢) أي: إبراهيم عليه السلام.

⁽٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٠٩٩) عن علي، والطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥١٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهم.

⁽٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ١٨)، و «الكشاف» (٣/ ١٥٢).

⁽٥) لعله يقصد ما رواه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٧)، والبزار في «مسنده» (٤٧٤٥)، وابن خزيمة في =



﴿ يَأْنِينَ ﴾ صفة لـ ﴿ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾؛ لأنَّه في معنى الجمع، وقرئ: (يأتون)(١) صفة للرِّ جال والرُّ كبان، أو استئناف فيكون الضمير للناس.

﴿مِن كُلِّ فَحٍّ ﴾؛ أي: طريق واسع.

﴿ عَمِيقِ ﴾ وإنَّما عبَّرَ عن البعد بالعمق ليناسب الغرض المعتبَر في مفهوم الفجّ (٢).

وقرئ: (مَعِيْق)(٣)، والمعنى واحد.

* * *

(٢٨) - ﴿ لِيَشْهَدُواْ مَنْ فِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ اُسْمَ اللَّهِ فِي آَيَامِ مَعْ لُومَنَ عَلَىٰ مَا رَفَقَهُم مِنْ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَارِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَالطِّعِمُوا ٱلْبَابِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾.

﴿ لِيَشْهَدُواْ ﴾: ليحضروا، متعلِّق بـ ﴿ وَأَذِّن ﴾، أو ﴿ يَأْتُوكَ ﴾.

[&]quot;صحيحه" (٢٧٩١)، والحاكم في "المستدرك" (٢٦٩١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "من حج ماشياً كتب له بكل خطوة سبع مئة حسنة من حسنات الحرم" قال بعضهم: وماحسنات الحرم؟ قال: "بكل حسنة بمئة ألف حسنة". وصححه الحاكم، فتعقبه الذهبي بقوله: ليس بصحيح. وقال البوصيري في "إتحاف المهرة" (٣/ ١٥١): رواه أبو يعلى، ورجاله على شرط مسلم إلا أنه منقطع، ورواه ابن خزيمة في صحيحه، والحاكم وصححه، والبيهقي وقال: تفرد به عيسى بن سوادة وهو مجهول، وقال ابن خزيمة: إن صح الخبر؛ فإن في القلب من عيسى بن سوادة. قال الحافظ المنذري: قال البخاري: منكر الحديث. قلت: وكذا قال أبو حاتم، وقال ابن معين: كذاب رأيته. وانظر: "الترغيب والترهيب" للمنذري (٢/ ٧٠١).

⁽١) نسبت لابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥).

⁽۲) في (م): «الحج».

⁽٣) نسبت لابن مسعود رضى الله عنه. انظر: «الكشاف» (٣/ ١٥٢)، و «تفسير البيضاوي» (٤/ ٧٠).

﴿ مَنْ فِعَ لَهُمْ ﴾ دينيَّةً ودنيويَّة، وتنكيرها لأنَّ المراد نوعٌ منها مختصُّ بهذه العبارة.

﴿ وَيَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ ﴾ عندَ إعداد الهدايا والضَّحايا وذبحها.

وقيل: كُني بالذِّكر عن النَّحْرِ لأنَّ ذبح المسلمين لا ينفكُّ عنه؛ تنبيهاً على أنَّه المقصود ممَّا يُتقرَّب به إلى الله تعالى.

﴿ فَ أَيْنَامِ مَعْ لُومَنتِ ﴾ هي عشر ذي الحجَّة وأيَّام النَّحر ﴿ عَلَى مَا رَزَقَهُم ﴾ الله ﴿ مِنْ بَهِ يمَةِ ٱلْأَنْعَلَيِّ ﴾ علَّق الفعل بالمرزوق وبيَّنه بالبهيمة تحسيناً للكلام بنوع من البلاغة لم يوجد في غير هذه العبارة، وتنبيهاً على الكناية بالقرينة، وتعظيمُ المرزوق بالإبهام والتَّوضيح للتَّحريض على التَّقرُّب به، وقد سبق في (المائدة) ما يتعلَّق بتفسير ﴿ بَهِ يمَةِ ٱلْأَنْعَلِمِ ﴾ (١).

﴿ فَكُلُواْمِنْهَا ﴾ أمر إباحةٍ؛ إزاحةً لِمَا عليه أهل (٢) الجاهلية من التَّحرُّج فيه، أو ندباً لِمَا فيه من مواساة الفقراء ومساواتهم، واستعمالِ التَّواضع، وهذا في هَدْي التَّطوُّع والمتعة والقِران؛ لأنَّه دمُ (٣) نُسكِ فأشبهَ الأضحية دونَ سائر الهدايا.

﴿ وَلَطِّعِمُوا ٱلْبَآيِسَ ﴾: الذي أصابه بأسٌ؛ أي: شدَّة ﴿ ٱلْفَقِيرَ ﴾: المحتاج. الأمر فيه للوجوب، وقد قيل به في الأوَّل.

⁽١) تفسير سورة المائدة غير موجود كاملاً والموجود منها في بعض النسخ إلى الآية رقم (١٢) منها، وقد نبهت النسخ كلها كما تقدم على ذلك.

⁽٢) «أهل» ليست في (ف).

⁽٣) في (ف): «لأنه عليه السلام»، ولعله وهم من الناسخ، ظن (دم): (ع م) وهي في أكثر النسخ رمز لـ (عليه السلام).

(٢٩) - ﴿ ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَنَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَظَوَّفُوا بِالْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾.

﴿ ثُمَّ لَيَقْضُواْ تَفَكَّمُ ﴾: ثم ليزيلوا عنهم أدرانهم، كذا قال نفطويه(١).

وقيل: قضاء التَّفث: قصُّ الشَّارب والأظفار ونتف الإبط والاستحداد، وذلك عند الإحلال، ولذلك صدَّره بكلمة التَّراخي.

﴿ وَلَـ يُوفُواْنُذُورَهُمْ ﴾: مواجبَ حجِّهم، والعرب تقول لكلِّ مَن خرج عمَّا وجبَ عليه: وفَّى بنذره وإن لم ينذر، أو: ما ينذرونه من أعمال البرِّ في حجِّهم.

﴿ وَلَـ يَطُوَفُوا ﴾ طوافَ الزِّيارة الذي هو ركن الحجِّ، ويقع (٢) به تمامُ التَّحلُّل. وقيل (٣): طواف الوداع.

﴿ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾: القديم؛ لأنّه أوّل بيت وُضِعَ للنّاس، أو: الكريم، ومنه: عِتاق الخيل، لكرائمها، وعتاق الرَّقيق: الخروج مِنْ ذُلِّ (١٠) العبودية إلى كرم الحريّة، أو: المعتق من الغرق لأنّه رُفِعَ من الطُّوفان، أو مِنْ تسلُّط الجبابرة، فكم مِن جبَّار سارَ إليه ليهدمه فمنعه الله تعالى، وأمّا الحَجَّاجُ فإنّه قصدَ إخراج ابن الزُّبير رضي الله عنه ـ الذي تحصنَ (٥) به ـ منه، دون التَّسلُّط عليه.

* * *

(۱) انظر: «تفسير الرازي» (۲۲ / ۲۲۲)، و «تفسير النسفي» (۲/ ٤٣٧). ونفطويه هو إبراهيم بن محمد بن عرفة توفي سنة (۳۲۳ه). ويعرف بابن عرفة وبنفطويه.

⁽٢) في (ف) و(ك): «قد يقع».

⁽٣) في (ك): «وقبل».

⁽٤) في (ك) و(م): «عن ذل».

⁽٥) في (م): «تحصر».

(٣٠) - ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَنتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِندَ رَبِّهِ وَأَحِلَتَ لَكُمُ الْأَنْفَ مُ إِلَّا مَا يُتَلَى عَلَيْكُمُ فَا أَجْتَ لِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْشِنِ وَآجْتَ لِبُواْ فَوْكَ الزَّغْدَمُ إِلَّا مَا يُتَلَى عَلَيْكُمُ فَا أَجْتَ لِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْشِنِ وَآجْتَ لِبُواْ فَوْكَ الزَّوْدِ ﴾.

﴿ ذَلِكَ ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الأمرُ ذلك، وهو وأمثاله للفصل بين كلا مَيْن .

﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَنتِ ٱللهِ ﴾ الحرمة: ما لا يَحلُّ هتكُه (١)، وجميع ما كلَّفه الله تعالى بهذه الصِّفة، فيجوز أن يكون عامًّا في جميع أحكامه، وأن يكون خاصًّا فيما يتعلَّق بالحجِّ.

وقيل: ﴿ حُرُمُ كَتِ ٱللَّهِ ﴾: البيت الحرام، والمشعَر الحرام، والشَّهر الحرام.

﴿ فَهُوَ ﴾؛ أي: التَّعظيم ﴿ فَيْرٌ لَهُ ، ﴾ والتَّعظيمُ: القيامُ بمراعاتها مع اعتقاد أنَّها واجبة المراعاة.

﴿عِندَرَيِّهِ عَني: في الآخرة.

﴿وَأُحِلَّتَ لَكُمُ ٱلْأَعْدَمُ إِلَّا مَا يُتَلَى عَلَيْكُمُ * تحريمُه، وهو ما حُرِّمَ الله منها لعارض كالميتة وما أُهلَّ به لغير الله، فلا تحرِّم وا منها (٢) غيرَ ما حرَّم الله تعالى كالبَحيرة والسَّائبة.

وفي عبارة ﴿ يُتُلِّكُ ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ التَّحريم لا يكون إلَّا من الشَّارع بنصِّ متلوٍّ.

⁽۱) في (ف): «اهتكه».

⁽۲) في (ف): «فيها»، وسقطت من (س). والمثبت من (ك) و(م) وهو الموافق لما في «تفسير البيضاوي» (۶/ ۷۰).



﴿ فَ اَجْتَكِنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْكِينِ ﴾ صدَّره بالفاء السَّببيَّة لأنَّه لَمَّا حثَّ على تعظيم حرمات الله تعالى لزم وجوب المحافظة على حدوده وأعظمُها التَّوحيد، فدخل وجوب الاجتناب من عبادة الأوثان فيه دخولاً أوَّليًّا، وتسبَّبَ منه .

و ﴿ مِنَ ﴾ للبيان؛ أي: الرِّجسَ الذي هو الأوثان، وهو غاية المبالغة في النَّهي عن تعظيمها، حيث سمَّاها ﴿ ٱلرِّجسَ ﴾، وعرفه بلام الجنس، وأمر بالاجتناب عن عينه، وبيَّنه ب ﴿ ٱلْأَوْثَكِنِ ﴾، كأنَّ جنس الرِّجس ما هو الأوثان، كلُّ ذلك تنفيراً عن عبادتها خصوصاً جَعْلُها الرِّجس الذي ينفر الإنسان عنه بطبعه .

﴿ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَکَ ٱلزُّورِ ﴾ قرنه بالشِّركِ في وجوب الاجتناب عنه، ولم يعطف، بل كرَّر (اجتنبوا) تنبيها على أصالة تحريمه، وتعميماً لِمَا ذُكِرَ؛ فإنَّ الشِّركَ يلزمه قول الزُّور؛ إذ المشرك يدَّعي ألوهيَّة الوثن، ويدخل فيه تحريم الشِّركَ يلزمه قبول الزُّور؛ إذ المشرك يدَّعي ألوهيَّة التحريم الشِّرك بتحريم لازِمه البَحائر وغيره من مفترياتهم (۱)، فيكون كالعلَّة لتحريم الشِّرك بتحريم لازِمه الأعم.

وقيل: المراد بـ ﴿ وَوَلَكَ ٱلزُّورِ ﴾: شهادةُ الزُّور؛ لِمَا روي أنَّه عليه السلام قال: «عَدَلَتْ شهادةُ الزُّور الإشراكَ بالله» ثلاثاً، وتلا هذه الآية (٢).

والأظهرُ العمومُ ليتناول الشُّهادةَ وسائرَ الأكاذيب.

في (ك) و(م): «مقترحاتهم».

⁽٢) رواه أبو داود (٣٥٩٩)، والترمذي (٢٣٠٠)، وابن ماجه (٢٣٧٢)، من حديث خريم بن فاتك رضى الله عنه. قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٤/ ٣٤٩): إسناده مجهول.

والزُّورُ: مِنَ الزَّورِ، وهو الانحراف، كما أنَّ الإفْكَ مِن الأَفْكِ وهو الصَّرفُ، فإنَّ الكذبَ منحرفٌ ومصروفٌ عن الواقع.

* * *

(٣١) _ ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ عَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكُ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِ مَكَانٍ سَحِقٍ ﴾.

﴿ حُنَفَآءَ بِللهِ ﴾: مستقيمي الطّريقة على أمر الله، وأصلُ الحَنَفِ: الاستقامةُ، وقيل للمائلِ القدم: أحنف؛ تفاؤلاً بالاستقامة.

﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ غيرَه في العبادة. وهما حالان(١) من الواو.

﴿ وَمَن يُشْرِكُ بِأَللَّهِ ﴾ لَمَّا أَخذَ في التَّمثيل عدلَ عن الضَّمير إلى الاسم الظَّاهر في التَّفخيم المناسب لمقام التَّهويل.

﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾: سقطَ منها ﴿ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ﴾: الخَطْفُ: الاستلابُ بسرعةٍ.

﴿ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ ﴾؛ أي: تسقطُه (٢)، والهُويُّ: السُّقوطُ.

﴿ فِ مَكَانٍ سَحِقٍ ﴾: بعيدٍ، شبَّهَ حالَ المشرك في هلاكه هلاكاً لا خلاص معه (٣) بحالِ مَن يخرُّ مِنَ السَّماء فاختطفه الطَّير فتفرَّقَ قطعاً في حواصلها (١٠)، أو عصفَتْ به

⁽١) في (م): «حال».

⁽٢) في (ف): «أي تسقط»، وفي (م): «أو تسقطه».

⁽٣) في (ك): «له»، وسقطت من (ف).

⁽٤) في هامش (م) و(س): «من قال: إلى الأرض، لم يصب لأن الفاء الدالة على تعقيب الخرور بالخطف يأباه».

الرِّيح فهوَتْ به في بعض المهالك البعيدة، هذا إذا جعلْتَه من باب التَّشبيه المركَّب وتمثيلِ صورةِ حاله بصورةِ حالِ مَن هلك على إحدى الصُّورتَيْن (١).

وإنْ جعلْتَه مِنْ بابِ التَّشبيه المفرَّق (٢): شُبِّهَتِ الفطرةُ القابلة للتَّوحيد في علوِّ رتبتها بالسَّماء، والمشرك بالسَّاقط، والأهواءُ السمُرْ ديَةُ الموزِّعةُ أفكارَه (٢) بالطَّير المختطفة، والشيطان الذي يطوحُ به في تيه الضَّلال بالرِّيح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة (١)، والشرك الذي فيه (٥) بالمكان السَّعيق.

و ﴿ أَوْ ﴾ للتخيير كما في قوله تعالى: ﴿ أَوْكُصَيِّبٍ ﴾ [البقرة: ١٩] أو للتَّنويع، فإنَّ مِن المشركين مَن لا خلاص له أصلاً، ومنهم مَن يمكن خلاصُه بالتَّوبة لكن على بُعْدِ (٢٠).

* * *

(٣٢) - ﴿ ذَالِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَكَبِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾.

﴿ ذَالِكَ ﴾؛ أي: الأمر ذلك.

⁽۱) في هامش (س): «لا تشبيه هلاكه بهلاك أحد الهالكين كما توهمه القاضي، إذ حينئذ لا يكون من تشبيه المركب بالمركب بل من تشبيه المقيد بالمقيد، والفرق واضح عند أهل البيان».

⁽٢) في (ف) و(ك) و(م): «المفرد».

⁽٣) أي: أفكار المشرك. انظر: «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٠٥)، و«روح المعاني» (١١/ ٣١٢)

⁽٤) في (م): «المختلفة»، وفي (س): «المتعلقة».

⁽٥) «فيه»: ليست في (م).

⁽٦) في هامش (م) و(س): «من قال: شبهت بالتوحيد، فكأنه غافل عن أن المشرك بمعزل عن مقام التوحيد، فأنَّى السقوط!».

﴿ وَمَن يُعَظِّمُ شَعَكَ مِرَ اللهِ ﴾ معالمَ دينه، أراد بها الهدايا؛ لأنَّها من معالم الحجّ، والمخصِّص ما قبلها وما بعدها (١٠).

وتعظيمُها: اعتقادُ كونِ التَّقرُّب بها من معاظم الطَّاعات، واختيارُها حِساناً سماناً غاليةَ الأثمان، وتركُ المكاس في شرائها.

روي أنَّ عمرَ رضي الله عنه أهدى نَجِيْبَةً طلبت منه بثلاث مئة دينار (٢).

جزاؤه محذوفٌ تقديرُه: فهم متَّقون حقًّا(٣)؛ لدلالة التَّعليل القائم مقامه، ولهذا أدخل الفاء الجزائية عليه.

والضمير في: ﴿ فَإِنَّهَا ﴾ لتعظيمات مَن عظَّموا(١) شعائر الله.

﴿مِن تَقُوكَ ٱلْقُلُوبِ ﴾؛ أي: ناشئةٌ منها.

واللَّام عوض عن (٥) المضاف إليه؛ أي: مِن تقوَى قلوبهم، وإضافتُها إليها للاحتراز عن تَقْوَى الـمُرائي.

⁽١) في هامش (س): «سيظهر وجه هذا القيد عند بيان وجه إضافة التقوى إلى القلوب».

⁽٢) رواه أبو داود (١٧٥٦) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

⁽٣) في هذا الجزاء خلاف أساسه جعلٌ قوله: ﴿ فَإِنَّهَا مِن تَقُوكَ ٱلْقُلُوبِ ﴾ هو الجزاءَ مع تقدير العائد، وفيه بحث طويل تفصيله في «روح المعاني» (١٧/ ٣١٥ ـ ٣١٨)، ثم ختمه الآلوسي رحمه الله بما لعله عنى به المؤلف وتقديرَه فقال: (وذهب بعض أهل الكمال إلى ان الجزاء محذوف تقديره: فهم متقون حقا؛ لدلالة التعليل القائم مقامه عليه). ثم أورد عليه تعقبًا، وتعقبه، فقال: (وتُعقب بأن الحذف خلاف الأصل، وما ذكر صالح للجزائية باعتبار الإعلام والإخبار كما عُرف في أمثاله)، وتعقبه بقوله: (وأنت تعلم أن هذا التقدير ينساق إلى الذهن، ومثله كثير في الكتاب الجليل).

⁽٤) في (ك): «عظم»، وفي (ف) و(م): «عظمها»، والمثبت من (س).

⁽٥) في (ف): «من».

(٣٣) - ﴿ لَكُورُ فِيهَا مَنَفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلِ مُسَمَّى ثُمَّ عَجِلُّهَا ٓ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾.

﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَفِعُ ﴾ كثيرةٌ؛ دينيَّةٌ ودنيويَّةٌ، مِن دَرِّها ونسلها وظهرها وصوفها، والتَّصدُّقِ بفوائدها(١).

﴿إِلَّىٰٓ أَجَلِ مُّسَمَّى ﴾: إلى وقتِ نحرها.

﴿ ثُمَّ مَعِلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾: ثمَّ موضِعُ حِلِّ نحرها ينتهي إلى البيت أو قريب إليه (٢)، وهو الحرم، و ﴿ ثُمَّ ﴾ يَحتمِل التَّراخي في الوقت والتَّراخي في الرُّتبة؛ أي: لكم فيها منافع دنيويَّة إلى وقت النَّحر، وبعده منافع دينيَّة أعظمُ منها.

* * *

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّتِم ﴾: أهلِ دِيْنٍ ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾: متعبَّداً، أو قرباناً (٣) يتقرَّبون به إلى الله تعالى.

وقرئ بالكسر(١)؛ أي: موضِعَ نُسكٍ.

﴿لِّيَذَكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم ﴾ علَّةُ للجَعْلِ مبيِّنةً أنَّ المقصودَ مِن المناسكِ ذكرُ اللهِ عزَّ اسمُه عليها.

﴿ مِّن اللَّهِ مِلْ اللَّهُ عَلِم ﴾ فيه تنبية على أنَّ القربان لا يكون إلَّا مِنَ النَّعم.

⁽١) في (ف) و(م): «بعوائدها».

⁽۲) في (ف): «منه».

⁽٣) في (م): «وقربانا».

⁽٤) أي بكسر السين. وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٧).

﴿ فَإِلَا هُكُرُ إِلَهُ وَحِدُ فَلَهُ وَ أَسْلِمُوا ﴾ الفاء في الموضعين للسَّبية، وتقديم (له) للتَّخصيص؛ أي: لَمَّا كان المقصدُ الأصليُّ (١) مِن وَضْعِ المناسك ذكر اللهِ تعالى وتوحيدَه، فاعلموا أنَّ إلهكم وإلهَ جميعِ الأمم إلهٌ واحدٌ، فله خاصَّة أخلصوا الدِّكْرَ دون غيره، واجعلوه له سالماً؛ أي: خالصاً لا تشوبوه بالإشراك البتَّة.

﴿ وَهَشِرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾: المتواضعين الخاشعين، مِن الخَبْتِ، وهو المطمئن من الأرض.

* * *

(٣٥) _ ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّنِدِينَ عَلَىٰ مَاۤ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوْةِ وَعِمَارَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ ﴾: خافَتْ ﴿قُلُوبُهُمْ ﴾ منه هيبةً لإشراق أشعَّة جلاله عليها .

﴿وَٱلصَّنبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ من المحنِ والمصائب.

﴿وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوةِ ﴾ في أوقاتها.

﴿ وَمِمَّا رَزَقُنَّهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ في وجوه الخير.

* * *

(٣٦) _ ﴿ وَٱلْبُدُّ جَعَلْنَهَا لَكُمْ مِن شَعَتَ بِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۚ فَأَذَّكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَ ۗ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَالِيَعَ وَٱلْمُغَنَّرَ كَذَلِكَ سَخَرْنَهَا لَكُمْ لَعَلَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

⁽١) في (ف): «الأصل».

﴿ وَٱلْبُدُنَ ﴾: جمع بَدَنة، كخُشْبٍ وخَشَبة (١)، وأصله الضَّم، وقد قرئ به (٢).

وإنَّما سُمِّيَتْ به لِعِظَمِ بَدَنها، مأخوذ من بَدُن بَدَانَةً، وهي الإبل خاصَّة، وقد دلَّ عليه إلحاق رسول الله عَلَي البقر بالبَدَنة حين قال: «البُدْنُ عن سبعةٍ، والبقر عن سبعةٍ»(")، ولا دلالة فيه على صيرورة البدنة متناولة للجنسين في الشريعة.

وانتصابه بفعلٍ يفسِّرُه: ﴿جَعَلْنَهَا لَكُمُ ﴾ وقرئ بالرَّفع (١) على الابتداء، كقوله: ﴿ وَٱلْقَـمَرَقَدَّرْنَكُ ﴾ [يس: ٣٩].

﴿ مِن شَكَمِ إِللَّهِ ﴾؛ أي: من أعلام الشَّريعة التي شرَعَها الله تعالى، وإضافتُها إلى اسمه تعظيم.

﴿لَكُورُ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ منافعُ دينيَّة ودنيويَّة.

﴿ فَأَذَكُرُواْ اَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ﴾ بأن تقولوا عند النَّحْرِ: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، اللَّهمَّ منك وإليك (٥).

﴿ صَوَاتَ ﴾ حال من الهاء؛ أي: قائماتٍ، من صففْنَ أيديهنَّ وأرجلهنَّ.

⁽١) تجمع أيضاً على: خَشَبٌ، وخُشُبٌ. انظر: «تاج العروس» (مادة: خشب).

⁽٢) أي: (البُدُن)، نسبت للحسن وعيسى. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥).

⁽٣) رواه مسلم (١٣١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وفيه: «البدنة» بدل «البدن».

⁽٤) انظر: «الكشاف» (٣/ ١٥٨)، و«البحر المحيط» (١٥/ ٣٥٩).

⁽٥) روى الحاكم في «المستدرك» (٧٥٧١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَأَذَكُرُ وَا أَسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَ ﴾ قال: «قياماً على ثلاث قوائم معقولة، بسم الله، والله أكبر، اللَّهمَّ منك وإليك» وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقرئ: (صَوَافِنَ)(١) مِنْ صُفونِ الفرس، وهو أَنْ يقومَ على ثلاثٍ، وطَرَفِ سُنْبُكِ الرَّابعةِ؛ لأَنَّها تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث.

و: (صوافناً) بالتَّنوين عوضاً من حرف الإطلاق عند الوقف(٢).

و: (صَوَافيَ)(٣)؛ أي: خوالصَ لوجه الله.

و: (صَوَافٍ)⁽¹⁾ على لغةِ مَن يسكِّن الياء مطلقاً، نحو مثل العرب: أعطِ القوسَ باريها⁽⁰⁾.

﴿ فَإِذَا وَجَبَتُ جُنُوبُهَا ﴾؛ أي: سقطت على الأرض بعد نحرها قائمة، وهو كناية عن موتها.

﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعَتَرَ ﴾؛ أي: إذا مات حلَّ لكم الأكل منها والإطعام.

والقانع: الرَّاضي بما عندَه، وبما يُعطى من غير سؤالٍ، مِن قَنِعْتَ قُنوعاً وقَناعةً، يؤيِّده أَنَّه قرئ: (القَنِعَ)(٢)، وهو الرَّاضي.

⁽۱) نسبت لابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥)، و «المحتسب» (٢/ ٨١)، و «البحر» (١٥/ ٩٥).

⁽٢) نسبت لعمرو بن عبيد. انظر: «الكشاف» (٣/ ١٥٨).

⁽٣) نسبت لأبي موسى الأشعري والحسن وزيد بن أسلم وجمع. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥) و «المحتسب» (٢/ ٨١)، و «الكشاف» (٣/ ١٥٨)، و «البحر» (١٥٨ / ٥٥).

⁽٤) نسبت للحسن أيضاً. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥)، و «الكشاف» (٣/ ١٥٨) وعنه نقل المؤلف هذه القراءات مع توجيهها، و «البحر» (١٥٨/٥٥).

⁽٥) انظر: «الكشاف» (٣/ ١٥٨). وهذه قطعة من بيت كما في «جمهرة الأمثال» (١/ ٧٦)، وتمامه: ياباريَ القوسِ برياً ليسْتَ تُحكمُه لاتظلمِ القوسَ أعطِ القوسَ باريها

⁽٦) انظر: «المحتسب» (٢/ ٨٢)، و «الكشاف» (٣/ ١٥٨)، و «المحرر الوجيز» (٤/ ١٢٣).

والمعترُّ: المتعرِّض بالسُّؤال(١).

وقيل: القانع: السَّائل، مِن قَنَعْتُ إليه: إذا خضعْتَ له وسألتَه، قُنوعاً.

والمعترُّ: المتعرِّض بغير سؤال.

وقرئ: (والمُعْتَرِي)(٢)، يقال: عَرَّهُ وعَرَاهُ، واعْتَرَّهُ واعْتَراهُ بمعنى.

﴿كَذَالِكَ ﴾ مشلَ ما وصفناها قياماً معقولةً أيديها ﴿سَخَرَنَهَالَكُرُ ﴾ مع عظمها وفَرْط قوَّتها، حتى تأخذوها فتعقلوها وتحبسوها صافَّةً قوائمها، ثم تطعنون في لَبَّاتها(٣).

﴿ لَعَلَّكُمْ تَشَكُّرُونَ ﴾ إنعامَنا عليكم بالتَّقرُّب والإخلاص.

* * *

(٣٧) ـ ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لَحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِكِن يَنَالُهُ ٱلنَّقَوَىٰ مِنكُمَّ كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُورُ اللَّهُ النَّقَوَىٰ مِنكُمَّ كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُورُ لِثَكَبِرُواْٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُرُ وَبَثِيرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ ﴾: لن يصيب رضاه، ولن يقع منه موقع القَبولِ ﴿ لَحُومُهَا ﴾ المتصدَّقُ بها ﴿ وَلا دِمَا وُهُا ﴾ المهراقة عندَ النَّحر من حيث إنها لحوم ودماء.

﴿ وَلَكِكِن يَنَالُهُ ٱلنَّقَوَىٰ مِنكُمُ ﴾: ولكن يصيبُه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم إلى تعظيم أمر الله، والتَّقرُّب إليه، والإخلاص له، والتَّحرُّز عنها.

⁽۱) «المتعرض بالسؤال»، كذا في النسخ، وفي مطبوع البيضاوي (٤/ ٧٢): «المعترض بالسؤال»، وفي «حاشية القونوي» (١٣/ ٦٩) مثل النسخ، فلعله من اختلاف نسخ البيضاوي، والمؤدى واحد.

⁽٢) نسبت للحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٥).

⁽٣) اللَّبَّات: جمع اللَّبَّة، وهي موضع النَّحر. انظر: «المصباح المنير» (مادة: لبب).

قيل: كانَ أهلُ الجاهليَّة إذا نحروا البُدْنَ نضحوا الدِّماءَ حول البيت ولطَّخوه بالدَّم، فلمَّا حجَّ المسلمون أرادوا مثل ذلك، فنزلَتْ(١).

﴿كَنَالِكَ سَخَّرَهُا لَكُو ﴾ كرَّرَ التَّسخيرَ؛ تذكيراً للنِّعمة، وتعليلاً بقوله:

﴿ لِثُكَبِّرُو اللهَ عَلَى مَا هَدَى كُورُ ﴾؛ أي: لتَعْرفوه (٢) بإقداره إيَّاكم، وتعلموا أنَّه القادر على ما لا يقدر عليه غيره، فتصفوه بالكبرياء، وتشكروه على إنعامه عليكم بالهداية إلى طريق تسخيرها وكيفيَّة التَّقرُّب بها. فتعديثُه بـ ﴿ عَلَى ﴾ على تضمين معنى الشكر.

﴿ وَبَثِيرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾: المخلصين فيما يأتون به ويذرونه، وإنَّما ترك الـمُبَشَّر به للإشارة إلى أنَّه ممَّا لا يُعيِّنه العبارة (٣).

* * *

(٣٨) _ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓ أَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِثُ كُلَّ خَوَّانِ كَفُورٍ ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ ﴾ وقرئ: ﴿يُدَافِعُ ﴾ (١)؛ أي: يبالغ في الدَّفع مبالغةَ مَن يُغالِبُ فيه.

﴿عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓ أَ ﴾ حذف المفعول للتَّعميم، ثمَّ علَّل بقوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانِ ﴾ في أمانةِ اللهِ ﴿كَفُورٍ ﴾ لنعمته؛ أي: لا يحب

(۱) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (۸/ ۷۰) عن ابن جريج.

⁽٢) في (ك): «لتفردوه»، وفي (ف): «لتفرحوا». وفي «تفسير البيضاوي» (٤/ ٧٢): «لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء».

⁽٣) في (ف): «مما يعينه العبارة»، وفي (م): «مما لا يفيه العبارة».

⁽٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿يدفع﴾، والباقون: ﴿يُكَافِعُ ﴾. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٧).

أضدادهم (۱۱)، وضمَّنه الإيماء إلى أن أعاديَهم الواجبَ دفعُهم هم المشركون، والتَّعريضَ بأنَّ أضدادهم والتَّعريضَ بأنَّ أضدادهم المؤمنين هم الأمناء الشَّاكرون، وأنَّ الله تعالى يحبُّهم، وعلى مقتضى ما ضمَّنه أتى بصيغة المبالغة، وإلَّا فمقتضى الظَّاهر نفي محبَّته عن كلِّ خائنٍ وكافرٍ، بل إثباتُ بغضه لهما.

* * *

(٣٩) - ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَالَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾.

﴿أَذِنَ ﴾: رُخِّصَ ﴿لِلَّذِينَ ﴾ حذف المأذون فيه لدلالة: ﴿يُقَاتِلُونَ ﴾ عليه، وقرئ: ﴿يُقَاتِلُونَ ﴾ عليه،

﴿ إِلَّنَهُمْ ظُلِمُوا﴾: بسبب أنَّهم ظُلِموا، وهم أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ، كان المشركون يؤذونهم، وكانوا يأتونَه مِن بين مضروبٍ ومشجوجٍ يتظلَّمون إليه، فيقولُ لهم: «اصبروا فإنِّى لم أؤمر بالقتال»، حتى هاجر، ثم نزلَتْ هذه الآية (٣).

وهي أوَّلُ ما نزلَ في القتال(١)، بعدَما نُهي عنه عليه السلام في نيفٍ وسبعين آيةً.

⁽١) في (ف): «لأنَّه لا يحبُّ كلَّ أحد أضدادهم»، وفي (ك): «لأنه يحب أضدادهم»، وفي (س): «لأنه لا يحب أضدادهم»، والمثبت من (م).

⁽٢) قرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء والباقون بكسرها. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٧).

⁽٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٢٥) وعزاه للمفسرين، وذكره ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (٢/ ٩١٨) عن قتادة ومقاتل.

⁽٤) قطعة من خبر رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٠٨)، والإمام أحمد في «المسند» (١٨٦٥)، والترمذي (١٨٦٥)، والنسائي (٣٠٨٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الترمذي: هذا حديث حسن، ولم يرد عنده قول ابن عباس: (هي أول آية...).

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِم لَقَدِيرٌ ﴾ وعد لهم واردٌ على سَنَنِ كلام الملوك المقتدرين الجبَّارين، وتأكيدٌ لِمَا سبقَ من الوعد بدفع أذى الكفَّار؛ فإنَّ النَّصر ليسَ مطلقَ العون، بل العونُ بدفع الضَّرر.

* * *

(٤٠) - ﴿ ٱلَّذِينَ ٱُخْرِجُواْ مِن دِيكَرِهِم بِغَنْدِ حَقِّ إِلَّا أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّهُ اللَّهِ النَّهُ اللَّهِ النَّهُ اللَّهِ النَّهُ ٱللَّهِ كَنْ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَ ٱللَّهُ لَقَوِيْ عَزِيزٌ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ في محل الجرِّ، بدل من (الذين)، أو نصب ب(أعني)، أو رفع بإضمار: (هم).

﴿ أُخْرِجُواْ مِن دِيكرِهِم ﴾ يعني: مكَّة ﴿ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾: بغير (١) موجِبٍ استحقُّوا به الإخراج.

﴿ إِلَّا أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ إبدال ﴿ أَن يَقُولُواْ ﴾ من ﴿ حَقٍّ ﴾، تأكيدٌ للمدح بما يشبه الذَّمَّ على طريق قول النَّابغة:

ولا عيْبَ فيهِمْ غيرَ أنَّ سيوفَهُم بهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِراعِ الكَتائِبِ(١)

أي: بغير موجِبٍ سوى التَّوحيدِ الموجِبِ للإعزاز والتَّمكين والإكرام.

﴿ وَلُولًا دَفَّعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ بتسليط المؤمنين على المشركين بالجهاد.

﴿ لَمُرِّمَتُ ﴾ الهدمُ كنايةٌ عن الإبطال والتَّعطيل على وجه أبلغ؛ أي: لاستولى المشركون على أهل المِلَلِ وعطَّلوا متعبداتهم.

⁽١) في (ف) و(ك): «يعني».

⁽٢) انظر: ديوانه (ص: ١١). وقد تقدم في أكثر من موضع في هذا الكتاب.

﴿ صَوَيِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَتُ ﴾ الصَّوامعُ: جمع صومعةٍ، وهي متعبَّد الرَّهابنة.

والبِيَعُ: جمعُ بِيْعَةٍ، وهي متعبَّد النَّصاري ومصلَّاهم.

والصَّلوات وهي كنيسةُ اليهود، سُمِّيَتْ صلاة لأنَّها يُصلَّى فيها، وقيل: كلمة معرَّبة أصلها بالعبرانيَّة: صلاة.

﴿ وَمَسَاجِدُ ﴾ ومساجد المسلمين، إنَّما خصَّ التَّعبير بالمسجد عن مصلًا هم (١) لأنَّ السَّجدة من أركان صلاتهم خاصَّة، وإنَّما أُخِّرَتْ عن غيرها لِمَا في التَّقديم مِن القُرْبِ من التَّهديم.

﴿ يُذْكُرُ فِهَا ﴾ لا في المساجد خاصَّة، بل في جميع ما ذُكِرَ؛ لأنَّه كالتَّعليل لصونها عن التَّهديم بالدَّفع المذكور.

﴿ ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ صفةُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: ذكراً كثيراً.

﴿ وَلِيَنصُرُكَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَ ﴾؛ أي: ينصرُ دينَه ورسلَه. إخبارٌ من الله عن الغيب، ووعدٌ أنجزه بتسليط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم.

﴿ إِنَ ٱللَّهَ لَقَوِيُّ ﴾ على نصرهم ﴿ عَزِيرٌ ﴾ غالبٌ على أمره، وفيه تأكيدٌ لوعده.

* * *

(٤١) _ ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَنَّنَهُمْ فِ ٱلأَرْضِ أَفَامُواْ ٱلصَّكَوْةَ وَءَاتَوُا ٱلرَّكَوْةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِٱلْمُنكَرِّ وَلِلَّهِ عَنقِبَةُ ٱلْأَمُودِ ﴾.

⁽۱) في (س) و(ف) و(ك): «بمصلاهم».

﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ بدل مِن ﴿ مَن يَنصُرُهُ ؟ ﴾ ، أو صفةٌ أخرى لـ ﴿ لِلَّذِينَ يُقَنَّ تُلُونَ ﴾ ، وقوله: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ﴾ إلى اعتراضٌ بين الصِّفتَيْن (١٠).

﴿إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِٱلْأَرْضِ ﴾ وبسطنا لهم في الدُّنيا.

﴿ أَفَ امُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوْا ٱلزَّكُوةَ وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنكرِ ﴾؛ أي: قاموا(١) بأمر الدِّين حقَّ القيام.

وعن عثمان رضي الله عنه: هذا والله ثناءٌ قبل بلاءٍ (٣)؛ أي: أثنى عليهم قبلَ أن يُحْدِثوا من الخير ما أَحْدثوا، وفيه دليلٌ على صحَّة أمر الخلفاء الرَّاشدين؛ إذ لم يَسْتَجمع ذلك غيرُهم (٤) من المهاجرين.

﴿ وَلِلَّهِ عَنِقِبَةُ ٱلْأَمُورِ ﴾؛ أي: مرجعُها إلى حكمِه وتقديرِه، وفيه أيضاً تأكيدٌ لوعدِه.

* * *

(٤٢) - ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوجٍ وَعَادُّ وَثَمُودُ ﴾.

﴿ وَإِن يُكَدِّبُوكَ ﴾ تسليةٌ لرسوله عليه السلام من تكذيبِ قومِه إيَّاه؛ أي: لسْتَ بأوحديٍّ في التَّكذيب.

⁽١) «بين الصفتين» ليس في (ف).

⁽۲) في (ف): «أقاموا».

⁽٣) رواه خليفة بن خياط في «تاريخه» (ص: ١٧١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٣٤٧).

⁽٤) في (ك) و(م): «في غيرهم» والمثبت من (س) و(ف)، وهو الموافق لما في «تفسير البيضاوي» (٤/ ٧٣)، وعبارة «الكشاف»: (وقالوا: فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين، لأنّ الله لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين، لا حظ في ذلك للأنصار والطلقاء).

﴿ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبِّلَهُمْ ﴾: قبلَ قومَكِ ﴿قَوْمُ نُوجٍ ﴾ نوحاً عليه السلام ﴿ وَعَادُ ﴾ هوداً عليه السلام ﴿ وَتَمُودُ ﴾ صالحاً عليه السلام.

ولم (١) يقل فيهما: (قوم صالح وقوم هود)؛ لأنَّ الأصل في التَّعبير هو العَلَم، والعدول في غيرهما إلى التَّعبير بالأمر العام لضرورة فَقْدِ العلم.

* * *

(٤٣) - ﴿ وَقَوْمُ إِنْزَهِيمَ وَقَوْمُ أُوطِ ﴾.

﴿ وَقَوْمُ إِبْرُهِيمَ ﴾ إبراهيمَ عليه السلام ﴿ وَقَوْمُ أُوطِ ﴾ لوطاً عليه السلام.

* * *

(٤٤) _ ﴿ وَأَصْحَابُ مَدْيَتُ ۗ وَكُذِبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَغِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُم ۚ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ ﴾.

﴿ وَأَصْحَبُ مَدْيَكَ ﴾ شعيباً عليه السلام، ولم (٢) يقل هاهنا: (وقوم شعيب) لأنَّ المكذِّبين له من قومِه أصحابُ مدين خاصَّة.

﴿ وَكُذِبَ مُوسَىٰ ﴾ غُيِّر النَّظم فيه، ولم يُقَلْ: (وقوم موسى)؛ لأنَّ قومَه بنو إسرائيل لم (٣) يكذِّبوه، وإنَّما كذَّبه القِبْط، وأُفرد له الفعلُ لتعظيمه وبيان أنَّ تكذيبه كان أشنع، وآياتِه كانت أعظمَ وأسبغ، كأنَّه قيل: وكُذِّبَ موسى مع عظم آياته ووضوح معجزاته، فما ظنُّك بغيره؟!

(١) في (ك) و (م): «لم».

⁽٢) في (م): «لم».

⁽٣) في (ك) و(م): «ولم».

وبُني الفعل للمفعول إتماماً للكلام بالتَّجريد لِمَا سِيْقَ له.

﴿ فَأَمَّلَيْتُ لِلْكَنِينَ ﴾؛ أي: فأمهَلْتُهم (١) إلزاماً للحُجَّةِ.

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُم ﴾ عاقبتهم على كفرهم.

﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾: إنكاري عليهم بتغيير النِّعمةِ نَقمةً، والحياةِ هلاكاً، والعمارةِ خراباً، والبقاءِ استئصالاً.

* * *

(٤٥) ـ ﴿ فَكَأَيِن مِّن فَـ رُبِيَةٍ أَهْلَكُنْكَهَا وَهِى ظَالِمَةٌ فَهِى خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِيْرَ وَبِثْرِ مُّعَظَـ لَةِ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴾.

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْبَيَةٍ ﴾ منصوبُ المحلِّ (٢) بفعل مقدَّرِ يفسِّرُهُ: ﴿ أَهْلَكُنْنَهَا ﴾ أو مرفوعة بالابتداء، والخبر ﴿ أَهْلَكُنْنَهَا ﴾. يعنى: بإهلاكِ أهلها.

﴿ وَهِي ظَالِمَةٌ ﴾؛ أي: أهلُها، حال.

﴿ فَهِيَ خَاوِيَهُ ﴾ جملة معطوفة على ﴿ أَهْلَكُنَّكُهَا ﴾ لا محلَّ لها من الإعراب على الثَّاني.

﴿ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ متعلقة بـ ﴿ خَاوِيَةً ﴾، أو خبرٌ بعد خبرٍ.

والخاوي: السَّاقط، من خَوَى المنزل: إذا خلا من أهله.

والعرشُ: كلُّ مرتفع مُظِلِّ من سقفٍ أو خيمةٍ أو كَرْم.

أي: ساقطةٌ على عروشها بأنْ خَرَّتِ (٣) السُّقوف على الأرض، ثمَّ سقطَتْ

⁽١) في (م): «فأمهلتهم أي: فأمهلهم».

⁽٢) «المحل» سقط من (ك).

⁽٣) في النسخ: «خوت» والمثبت من «الكشاف» (٣/ ١٦١)، و «تفسير البيضاوي» (٤/ ٧٤).

جدرانها (١) فوقَ السُّقوف، أو: خاليةٌ مع بقاء عروشها وسلامتها، وعلى الوجه الثَّاني من الإعراب: فهي خاويةٌ وهي قائمة مع عروشها، أو مائلة مشرفة على السُّقوف السَّاقطة، بأنْ سقطَتِ السُّقوف على الأرض وبقيَتِ الجدران مشرفة عليها .

﴿وَبِنْرِمُّمَطَّـلَةِ﴾ عطف على ﴿قَـرْكِيةٍ﴾؛ أي: وكم بئر عامرة في البوادي فيها الماء عُطِّلَتِ وتُرِكَتْ لا يُستقى منها لهلاك أهلها. وقرئ بالتَّخفيف مِنْ أَعْطَله، بمعنى عَطَّله(١).

﴿ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴾: مجصَّصٍ، مِن الشَّيْد وهو الجصُّ، أو: مرفوعِ البنيان، مِن شادَ البناء: إذا رفَعه.

أخليناه عن ساكنيه، حُذِفَ لدلالة ﴿مُعَطَّلَةٍ ﴾ عليه.

والأنسب لهذا أن معنى ﴿خَاوِيَةُ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: خالية مع عروشها، والأظهر أنَّ البئر والقصر على العموم؛ أي: أهلكنا(٣) البادية والحاضرة جميعاً، فخلَتِ القصور عن أربابها، والآبار عن وارديها.

* * *

(٤٦) - ﴿ أَفَاكُمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَمُمُ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَاۤ أَوْءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَآ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَدُرُ وَلَكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ لَلِيِّ فِٱلصُّدُودِ ﴾.

﴿ أَفَكَرَيْسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ حثُّ لهم على السَّفر ليعتبروا بما رأوا من مصارع

⁽۱) في (م): «جداراتها».

⁽٢) نسبت للحسن. انظر: «الكشاف» (٣/ ١٦٢).

⁽٣) في (ك): «أهلكناها».

الـمُهلكين، وبقاء آثارهم، وهم وإن كانوا قد سافروا ولكنَّهم لم يعتبروا، فكأنَّهم لم يسافروا لعدم الفائدة لهم(١).

﴿ فَتَكُونَ لَهُمُ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾: ما يجب أن يُعْقلَ من توحيد الله تعالى وقدرته عند الاعتبار والاستبصار.

﴿ أَوْءَاذَانُ يَسْمَعُونَ عِهَا ﴾: ما يجبُ أَنْ يُسمَعَ من الوحي والتَّذكير بحالِ مَن شاهدوا آثارَهم، وإنَّما ذكرَ الأُذنَ دون البصر مع أنَّه أنسب أَنْ يُذكر لظراً إلى اتِّساق الكلام للاعتبار بالآثار؛ لأنَّ المقصود بيانُ حصول طريقي (٢): العلم الاستدلالي، والأخذِ من أفواه الرِّجال، والوصولُ إليهما (٣) بالسَّير للاعتبار، والبصرُ من وسائل الطَّريق الأوَّل، فلذلك لم يُذْكُرُ أصالةً (١).

﴿ فَإِنَّهَا ﴾ الضَّمير للقصَّة، وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: (فإنَّهُ) (٥٠) على تأويل الشَّأن، ويجوز أن يكون ضميراً مُبْهماً يفسِّره ﴿ الْأَبْصَنُرُ ﴾، وفي ﴿ تَعْمَى ﴾ راجع إليه، أو الظَّاهرُ أُقِيمَ مقامَه.

﴿ لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَلْكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ﴾؛ أي: ما عميت أبصارهم عن الإبصار (٢)، بل قلوبهم عن الاعتبار، والآفَةُ في قلوبهم باتّباع الهوى والتّقليد.

⁽١) «لهم» ليست في (ف).

⁽٢) في (ف): «طريق».

⁽٣) في (ف): «إليها».

⁽٤) «أصالة» لسيت في (ف) و(ك).

⁽٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٢٨)، و «تفسير الطبري» (١٦/ ٥٩٥)، و «الكشاف» (٣/ ١٦٢).

⁽٦) في (ك): «البصائر».

﴿ لَتِي فِ الصَّدُورِ ﴾ تأكيدٌ لنفي التَّجوُّز، فإنَّه يُقال: القلبُ لُبُّ كلِّ شيءٍ، والتَّنبيه على أنَّ العمى المتعارَف الذي في البصر لا اعتبار له (١)، وليس بعمًى في الحقيقة بالنِّسبة إلى عمى القلوب؛ فإنَّ العمى الحقيقيَّ هو عمى القلب الذي محلُّه الصَّدر، فهو مقرِّر لِمَا ذُكِرَ أَنَّ الأمر على خلاف ما عليه الجمهور مِن أنَّ العمى إنَّما هو في البصر حقيقةً وفي القلب استعارةً.

قيل: لما نزل ﴿ وَمَن كَاكَ فِي هَلَامِ الْمَعَىٰ ﴾ [الإسراء: ٧٧] قال ابن أمِّ مكتومٍ: يا رسول الله، أنا في الدُّنيا أعمى، أَفأكون في الآخرة أعمى؟ فنزلَتْ (٢٠).

ويَرِدُ عليه أنَّه حينئذ يكون المعنى: لا تعمى الأبصار في الآخرة ولكن تعمى القلوب، ويردُّه قوله تعالى: ﴿ قَالَرَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيَ أَعْمَىٰ وَقَدَّكُنتُ بَصِيرًا ﴾ [طه: ١٢٥].

* * *

(٤٧) ـ ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَةً ۚ. وَلِنَ يَوْمًا عِندَ رَيِّكَ كَأَلْفِ سَـنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونِ ﴾.

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونِكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَةً ، لا بالإهمالِ ولا بالإمهال؛ لأنَّه المحال في حقِّ الملك المتعال.

وحقيقة ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ﴾: إخبار في معنى الاستفهام على سبيل الإنكار؛ أي: لِمَ يستعجلون بالعذاب المتوعَّد به كأنَّهم شاكُّون في وقوعه، ومحالٌ أنْ يخلفَ الله وعدَه، فلا بُدَّ من وقوعه وإنْ طالَ الزَّمانُ.

⁽١) في (ك): «به».

⁽۲) انظر: «تفسير الثعلبي» (۷/ ۲۷)، و «تفسير القرطبي» (۱٤/ ۲۰).

﴿ وَإِنَ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾؛ أي: كيف يستعجلون بعذابٍ من يحومٍ واحدٍ من أيَّام عذابه في طول ألفِ سنة من سنيكم؛ لأنَّ أيَّام الشَّدائدِ طوال.

* * *

(٤٨) - ﴿ وَكَأَيِن مِن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَمَا وَهِي ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى ٱلْمَصِيرُ ﴾.

﴿ وَكَانِن مِن قَرْيَةٍ ﴾ كرَّره للتَّهويل، وتصويرِ حالهم في الإملاء، وبيانِ أنَّ الظَّلَمَةَ لا يُهمَلون غيرَ معذَّبين؛ أُمْهِلوا أو لم يُمْهَلوا، وإنَّما عطف الأوَّل بالفاء لكونها بدلاً من قوله: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ ﴾، وبقائها على التَّسبُّب، وأمَّا حكم هذه فحكمُ ما تقدَّمها من الجملتَيْن المعطوفتَيْن بالواو، وهما: ﴿ وَلَن يُخْلِفَ اللهُ وَعَدَهُ. ﴾، و﴿ وَإِنَ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ ﴾ على سبيل الاعتراض، وبيانِ أنَّ الاستعجالَ أمرٌ منكر؛ إذ لا بدَّ من تحقُّق العذاب.

﴿أَمْلَيْتُ لَمَا ﴾ كما أمهلْتُكم ﴿وَهِي ظَالِمَةٌ ﴾ مثلكم.

أصل ﴿مِن قَرْيَةٍ ﴾: من أهلِ قرية، فحُذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامَه في الإعراب، ورجع إليه الضَّمائر والأحكام مبالغةً في التَّعميم والتَّهويل.

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهَا ﴾ بالعذاب.

﴿ وَإِلَىٰ ٱلْمُصِيرُ ﴾؛ أي: حكمي مرجعُ الجميع، وتقديم (إلى) للاختصاص، والمبالغةِ في الوعيد (١٠)؛ أي: لا إلى غيري (٢٠).

* * *

⁽١) في (ك) و(م) و(س): «والمبالغة للوعيد».

⁽٢) في (م): «غيره».

(٤٩) _ ﴿ قُلْ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَاۤ أَنَا لَكُونَذِيرٌ مَبِّينٌ ﴾.

﴿ قُلْ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا آنَا لَكُونَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ الخطاب عامٌ للمؤمنين والكفَّار، والمنذر به قيام السَّاعة، وإنَّما كان عليه السلام نذيراً مبيناً لأنَّ بعثته من أشراطها، فاجتمع فيه الإنذار بها قالاً وحالاً، فقوله: ﴿ أَنَا لَكُونَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ كقوله عليه السلام: ﴿ أَنَا النَّذِيرِ العُرْيان ﴾ (١)، وقد دلَّ على ذلك تعقيب الخطاب بالإنذار بتفصيل حال الفريقين عند قيامها بقوله:

(٥٠) - ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمُ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِلِحَاتِ لَهُمُ مَّغْفِرَةٌ ﴾ لذنوبهم عند الحساب؛ لأنَّ الحسنات يُذْهِبْنَ السِّيئات.

﴿ وَرِنْتُ كُرِيرٌ ﴾ في الجنَّة. الكريم من كلِّ نوعٍ: ما يَجْمَع (٢) فضائلَه.

* * *

(١٥) - ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَلِينَا مُعَاجِزِينَ أَوْلَيْكَ أَصْحَلُ ٱلْجَحِيمِ ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاً فِي مَايَلِتِنَا ﴾ بالرَّدِّ والإفساد، وبالطَّعن فيها حيث سمَّوها سحراً أو شعراً أو أساطير الأوَّلين (٣)، وتثبيطِ النَّاس عنها، يُقال: سعى في أمرِ كذا: إذا أصلحه أو أفسده بسَعْيه.

﴿مُعَاجِزِينَ ﴾: سابقين في السّعي جادِّين فيه، مشاقِّين له، أو: سابقين في زعمهم، طامعين أنَّ كيدهم للإسلام يَتمُّ لهم. من عاجَزَه فأعجَزَه: إذا سابَقَه

⁽١) رواه البخاري (٦٤٨٢)، ومسلم (٢٢٨٣)، من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

⁽٢) في النسخ: «اجتمع»، والمثبت من «تفسير البيضاوي» (٤/ ٧٥).

⁽٣) في (ك) و(س): «وشعرا وأساطير»، وسقطت «الأولين» من (س).

فسبَقَه؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من المتسابِقَيْن في طلب إعجاز الآخر عن اللَّحاق به، وإذا سبقَه قيل: أعجَزَه وعجَّزَه.

وقرئ: (مُعْجِّزِيْنَ)(١) على أنه حالٌ مقدَّرة؛ أي: مثبِّطينَ النَّاسَ عن الإيمان. ﴿أُوْلَيَهِكَ أَصْحَبُ ٱلْجَعِيمِ﴾: النَّارِ الموقَدةِ، وقيل: اسمُ دَركةٍ من دَركاتِها.

* * *

(٥٢) - ﴿ وَمَاۤ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولِ وَلَانَعِي إِلَّاۤ إِذَا تَمَنَّىۤ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِ. فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَاينتِهِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيثُمُ حَكِيدُ ﴾.

﴿ وَمَا آرَسَلْنَامِن قَبْلِكَ مِن رَسُولِ وَلَا نَبِي ﴾ قد سبق تفسيرُ هما في سورة الأعراف وسورة مريم (٢)، وبيانُ الفرق بينهما بعموم الثَّاني وخصوص الأوَّل، ومَن شرَط في "آ الرَّسول شريعة مجدِّدة (٤) فكأنَّه نسي ما زعمه (٥) من الدِّلالة في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِياً ﴾ [مريم: ٥١] على أنَّ الرَّسول لا يلزم أنْ يكون صاحب شريعة.

﴿ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ﴾: تلا، قال الشَّاعِرُ:

تَمَنِّيَ داودَ الزَّبورَ على رِسْلِ (١)

تمنَّــى كــــابَ اللهِ أُوَّلَ ليـلِـــهِ

⁽۱) قراءة ابن كثير وأبي عمرو. انظر: «التيسير» (ص: ۱۵۸).

⁽٢) «في سورة الأعراف وسورة مريم» من (م)، ووقعت هذه العبارة في هامش (س) و(ف) مع زيادة: «منه».

⁽٣) في (ف): «من».

⁽٤) في (ف): «محددة».

⁽٥) في هامش (س) و(ف) و(م): «إنما قال: زعمه، لفساده على ما بين في سورة مريم. منه.».

 ⁽٦) دون نسبة في «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٧٤)، و«الزاهر» لابن الأنباري (٢/ ١٥١)،
و«المحكم» لابن سيده (١٠/ ٥١١). وجعلوهما بيتين صدرهما واحد، وعجز الآخر:



﴿ أَلْقَى ٱلشَّيْطَانُ فِي أَمْنِيَّتِهِ ۚ ﴾: في تلاوته.

قالوا: إنه عليه السلام قرأ في نادي قومه: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَاهُوَىٰ ﴾، فلمَّا بلغَ قولَه: ﴿ وَمَنَوْهُ ٱلنَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ سكت، فقال الشّيطان: تلك الغرانيق العُلى، وإنَّ شفاعتهنَّ لتُرْتَجى، وقرأها متَّصلاً بقراءة النّبيِّ عليه السلام، فوقع عند بعضهم أنَّه عليه السلام هو الذي تكلّم بها، وهذا معنى إلقاء اللّعين في قراءة سيّد المرسلين (١٠).

وكان يتكلَّم في زمنِ النَّبيِّ عليه السلام، ويُسْمَع (٢) كلامه، فقد روي أنه نادى يوم أحد: ألا إنَّ محمَّداً قد قُتِلَ، وقال يوم بدر: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيُوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّ جَارٌ لَكُمْ ﴾(٣).

وهذا لا يُخلُّ بالوثوق على القرآن؛ للاندفاع بقوله:

﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَانُ ﴾؛ أي: يَذْهَبُ به ويُبْطلُه، ويُخْبِرُ أنَّه من الشَّيطان.

وآخِره لاقى حِمامَ المقادر

وذكر ابن الأنباري أنه في رثاء عثمان، وعزاه الآلوسي في «روح المعاني» (١٧/ ٣٦٠) لحسان.

(۱) رويت في هذه الحادثة مرسلات عن قتادة والضحاك وأبي العالية وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وغيرهم، وروي فيها خبر من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، لكن إسناده ضعيف جدا. انظر هذه الأخبار في «تفسير الطبري» (۱۲/ ۲۰۶ ـ ۲۱۲).

وللعلماء كلام كثير في توهين ما روي في هذه القصة. انظر: «الشفا» (١١١/٢)، وقد رأى ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٤٣٩) أن كثرة الطرق تدل على أن للقصَّة أصلاً، ثم ذكر مسالك العلماء في تأويلها لعدم جواز الحمل على الظاهر، فراجع كلامه إن شئت.

⁽٢) في (ك): «وسمع».

⁽٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٧٤) و(٢/ ٧٨).

﴿ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ عَايَدتِهِ عَ اللَّهِ عَالَى اللَّهِ عَلَى النَّقصان، ولحوق النَّقصان، ولحوق الزِّيادة من الشَّيطان.

ولَمَّا كان الإحكام بهذا الوجه على رتبةٍ من النَّسخ المذكور صدَّره بكلمة ﴿ ثُعَرَ ﴾.

ولا احتمال لأنْ يكون هذا الكلام ونظائرُه كقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَلِنَا لَهُ لَهُ اللهُ الحجر: ٩] أيضاً من زيادة الشّيطان؛ لأنَّ ظهور الإعجاز عند انضمامه إلى ما يَبلغ به المجموع مقدار أقصر سورة من القرآن دلَّ على أنَّه من الرَّحمن؛ لقوله تعالى: ﴿ قُل لَينِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنشُ وَٱلْجِنُ ﴾ الآية [الإسراء: ٨٨]، فلا دلالة في الآية على جواز السَّهو على الأنبياء عليهم السلام وتطرُّقِ الوسوسة إليهم.

﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بما أوحى إلى نبيِّه عليه السلام وبقصَّة الشَّيطان.

﴿ حَرِيمٌ ﴾ لا يدعُه حتى يُكْشَفَ ويزيله، ثم ذكر أن ذلك ليفتنَ اللهُ تعالى به قوماً بقوله:

* * *

(٥٣) _ ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلِقِى ٱلشَّيْطَانُ فِتَنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمُّ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الللهُ اللّهُ اللهُ الللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الللهُ ا

﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَنُ فِتْنَةً ﴾: محنةً وابتلاءً.

﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾: شكٌّ وتردُّد.

﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ الجازمين بمعتقدهم الباطل، مُظهَراً كان ذلك أو مضمراً، ومن زعم أن المراد من الأوَّل المنافق فكأنَّه غافل عن أنَّ المنافق أقسى قلباً من الكافر المجاهر.

﴿ وَإِن الظَّلِمِينَ ﴾ من باب وضع الظَّاهر موضع الضَّمير تسجيلاً على الفريقَيْن بالظُّلم؛ لأنَّ القياس أن يقول بعد ذكرهما: وإنهم.

﴿ لَفِي شِفَاقِ ﴾: خلافٍ ﴿ بَعِيدٍ ﴾ عن الحقّ، ويلزمه البعد عن الرَّسول وعن المؤمنين.

* * *

(٥٤) _ ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن زَيِّلِكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ وَ فُكُوبُهُمْ مُ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِلَى صِرَاطِ مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

﴿ وَلِيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ﴾: الاعتقادَ المطابق للواقع، وهم المؤمنون.

﴿ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّيِّلِكَ ﴾ أنَّ القرآن هو الحقُّ النَّازل من عند الله، فلا يلتبسه (١) ما يلقى (٢) الشَّيطانُ من الباطل ولا يدخل فيه.

﴿فَيُزِّمِنُوا ﴾: فيعتقدوا ﴿بِهِ ، ﴾ ويطيعوا بأحكامه ٣٠٠.

﴿ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ بالخشوع والخضوع والخشية.

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ اللَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ فيما أشكلَ عليهم بالتَّوفيق للنَّظر الصَّحيح، وللكشف بنور هدايته.

﴿ إِلَى صِرَطِ ﴾ طريقٍ ﴿ مُسْتَقِيمٍ ﴾ هو طريق التَّأويل لِمَا يتشابه بالتطبيق على الأصول المحكمة، فلا يلحقهم حيرة (١٠) ولا يعتريهم شبهة.

⁽۱) في (ف): «يلبسه».

⁽٢) في (ف) و(ك) و(م): «ما بلغ».

⁽٣) في (ف) و(ك) و(م): «بإمكانه».

⁽٤) في (ف) و(ك): «ضيرة».

(٥٥) - ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِ مِرْيَةِ مِّنْ لُهُ حَقَّى تَأْنِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْنِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾.

﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِ مِن يَتِو ﴾ قد سبقَ في أوَّل سورة البقرة الفرق بين المرية والشَّك والرَّيب.

﴿مِّنْهُ ﴾: من القرآن.

﴿ حَتَى تَأْنِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾: القيامة، والمرادُ إتيانُ الموت، فإنَّه من طلائِعها(١١)، ولذك قال عليه السلام: «مَن مات فقد قامت قيامته» (٢).

﴿بَغْتَـٰةً ﴾: فجأة.

﴿ أَوْ يَأْنِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾: يومِ حربٍ يُقْتَلون فيه كيوم بدرٍ، وإنَّما وُصِفَ يومُ الحرب بالعُقْم لأنَّ أولاد النِّساء يُقتَلون فيه، فيَصِرْنَ كالعُقم (٣).

وقيل: العقيم الذي لا خير فيه، يقال: ريح عقيم: إذا لم تُنشئ مطراً ولم تُلْقِح شجراً(٤).

* * *

(١) في هامش (ف): «ضرورة أن مريتهم لا تبقى إلى قيام الساعة بل تزول عند الموت. منه».

⁽٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١١١٧) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ١٠١٣): رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت» بإسناد ضعيف. ورواه الطبرى في «تفسيره» (٢٣/ ٤٦٨) عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه موقوفاً.

⁽٣) في النسخ: «كالعقر»، والمثبت من المصادر. انظر: «الكشاف»، و«تفسير البيضاوي» (٢٦/٤)، و«تفسير أبي السعود» (٦/ ١١٥)، و«روح المعاني» (١٧/ ٣٦٤).

⁽٤) في هامش (ف) و(س): «فوصف اليوم بوصفين اتساعاً. منه.».

(٥٦ - ٥٧) - ﴿ اَلْمُلْكُ يَوْمَبِنِ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَ الَّذِينَ عَامَنُواْ وَعَكِمْ لُواْ الصَّلِحَاتِ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ (٥٣ - ٥١) لَهُمْ عَذَابُ الصَّلِحَاتِ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ (٥٣ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِتَايَلِتِنَا فَأُوْلَتَهِكَ لَهُمْ عَذَابُ مُعِيثُ ﴾.

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَهِنِ ﴾؛ أي: يوم القيامة، والتَّنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلَّتْ عليها الغاية؛ أي: يوم تزول مِرْيَتِهم.

﴿لِلَّهِ ﴾ فلا منازع له فيه.

﴿ يَعَكُمُ بَيْنَهُم ﴾ بالمجازاة، والضَّمير يعمُّ الفريقَيْنِ، دلَّ عليه تفصيل الحكم بقوله:

﴿ فَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الله اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ على أنَّ إثابة المؤمنين بالجنَّات تفضَّل مِن الله تعالى، وأن عقاب الكافرين مسبَّبٌ عن أعمالهم، ولذلك قال: ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ ﴾، ولم يقل: (هم في عذاب) كما قال: ﴿ وَ جَنَّتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾، وفي تقديم الجار والمجرور دلالة على أنَّ العذابَ المهين مخصوصٌ بهم لا يشاركهم فيه المؤمنون.

ثمَّ خُصَّ قومٌ من الفريق(١) الأوَّل بفضيلة فقال:

(٥٨) - ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِ سَكِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَا تُواْلِكَ رُوُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنَاْ وَإِنَ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّزِقِينَ ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَكِيلِ ٱللَّهِ ﴾ خرجوا من أوطانهم مجاهدين ﴿ثُمَّرَ قُتِلُواْ ﴾ في الجهاد ﴿أَوْمَاتُواْ ﴾ حَتْفَ أنوفهم.

⁽١) في (ف) و(ك) و(م): «بالفريق»، والمثبت من (س).

﴿لَكَ رَزُقَنَهُمُ اللهُ رِزْقَ احَسَنَا ﴾ الرِّزْقُ الحسنُ: الذي لا يلحقه ألمُ الانقطاع، ولا يسبقه تعبُ الكَسْبِ، وذلك في البرزخ قبلَ دخول الجنَّة؛ لأنَّ الرِّزقَ الحسنَ في الجنَّة لا اختصاص له بالمجاهدين من المؤمنين، وإنَّما سوَّى بينَ مَن قُتِلَ في الجهاد ومَن ماتَ حَدُّفَ أنفه في الموعد؛ لاستوائِهما في القَصْدِ، وما في وسعهما من العمل.

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَايْرُ ٱلرَّزِقِينَ ﴾ فإنَّه يرزق بغير حساب.

* * *

(٥٩) - ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُدْخَكُ لا يَرْضَوْنَهُ أَوْلِنَّ اللَّهُ لَعَكِيدُ حَلِيدٌ ﴾.

﴿ لَيُدَخِلَنَهُم مُّدَخَكُلا يَرْضَوْنَكُم ﴾ هو الجنَّةُ، دلَّ هذا على أنَّ ما تقدَّم من التَّرزيق قبل دخولها.

بَدَلٌ من قوله: ﴿لَيَـرُزُقَنَهُمُ اللهُ ﴾، و ﴿يَرْضَوْنَهُ أَ ﴾ صفة الـمُدْخَل، وهذا وصف لها بكلّ جميل؛ لأنّ ما وقع (١) موقعَ الرّضى فقد كَمَلَ.

﴿ وَإِنَّ آللَّهَ لَعَكِلِيمٌ ﴾ بأحوال مَنْ قضى نحبَه مجاهداً، وآمالِ مَن مات (١) وهو ينتظر مُعاهِداً ﴿ كَلِيكُ ﴾ بإمهال مَن قاتلهم معانداً.

رُوِيَ أَنَّ طُواتُفَ مِنْ أَصحاب رسولِ الله ﷺ قالوا: يا نبيَّ الله، هؤلاء الذين قُتِلوا قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير، ونحن نجاهد معك كما جاهدوا، فما لنا إن متنا(٣) معك؟ فأنزل الله تعالى هاتين الآيتيْنِ(١٠).

⁽١) في (ف): «يقع».

⁽٢) في (ك): «يمت».

⁽٣) في (ك): «قبضنا».

⁽٤) انظر: «الكشاف» (٣/ ١٦٧).

(٦٠) - ﴿ ذَالِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ عَثْمَ مُغِيَ عَلَيْهِ لَيَ نَصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَ ٱللَّهَ لَمَ غُوُّ عَنْ فُورُ ﴾.

﴿ زَالِكَ ﴾ للفصل بين الكلامين؛ أي (١): الأمرُ ذلك، فما بعده مستأنف.

﴿ وَمَنْ عَافَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ عَ ﴾ أي: لم يزد في القَصاص، وإنَّما سُمِّيت الجناية المبتدأة باسم جزائها الذي هو العقاب؛ لِمَا بينَ السَّبب والمسبَّب من الملابسَةِ، فأُطلقَ اسمُ المسبَّب على السبب مجازاً، أو للازدواج، وليُتصوَّر سرعة أداء السَّبب إليه.

﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ ﴾ بالمعاودة إلى العقوبة ﴿ لَيَـنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ﴾؛ أي: مَن جازى بمثلِ ما فُعِلَ به من الظُّلم ثمَّ ظُلِمَ بعد ذلك فحقٌ على الله أن ينصرَه.

﴿ إِنَ ٱللَّهَ لَعَنُّو ﴾: يمحو آثارَ الذُّنوبِ ﴿ غَفُورٌ ﴾: يسترُ أنواعَ العيوب.

وإنَّما وعدَ المنتصِر بهما لأنَّه اتَّبع هواه في الانتقام، وأعرضَ عمَّا نَدب الله إليه بقوله: ﴿ فَمَنْ عَفَ الْمَا اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَالِكَ لَمِنْ عَزْمِ اللهُ اللهُ وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَالِكَ لَمِنْ عَزْمِ اللهُ وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَر إِنَّ ذَالِكَ لَمِنْ عَزْمِ اللهُ وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَر إِنَّ ذَالِكَ لَمِنْ عَزْمِ اللهُ وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَر إِنَّ ذَالِكَ لَمِنْ عَزْمِ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ ه تعريضٌ بالحثِّ على العفو، فإنَّ الله تعالى مع كمالِ قدرتِه وتعالى شأنِه لَمَّا كانَ يعفو فغيرُه بذلك أولى.

وتنبيه على أنَّه قادرٌ على العقوبة؛ إذ لا يُوصَفُ بالغفور إلَّا القادر على ضدِّه.

* * * * -------

⁽١) في (ف): «أن».

(٦١) - ﴿ ذَالِكَ بِأَنَ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْسَلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْسَلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُ بَصِيرٌ ﴾.

﴿ ذَلِكَ بِأَكَ اللهَ يَولِجُ النَّهَ النَّهَ النَّهَ النَّهَ النَّهَ النَّهَ النَّهَ أَلَنَهُ النَّهَ أَلَيْ اللهَ على وفق مشيئته ومقتضى النَّصر بسببِ أَنَّ اللهَ تعالى قادرٌ على التَّصرُّف في العالم على وفق مشيئته ومقتضى حكمته، وما ذكر من التَّغييب خاصَّةً في المَلَوَيْنِ (١) بتغييب أحدِهما في (١) الآخر كنايةٌ عن التَّصرُف في الأفلاك بالتَّحريك على وجهٍ عليه مَدارُ الكائنات (٣) في عالم الكون والفساد (١) كيف يشاء، والنصر المذكور من جملة ما تقتضيه الحكمة.

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ ﴾ لما يقولون، ولا يشغله سَمْعٌ عن سَمْعٍ وإنِ اختلفَتِ (٥) الأصوات في النَّهار بفنون اللُّغات.

﴿بَصِيرٌ ﴾ بما يفعلون ولا يستترعنه شيء بشيء في اللَّيالي وإنْ توالَتِ الظُّلُمات.

* * *

(٦٢) - ﴿ ذَلِكَ بِأَكَ اللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَ مَا يَكْعُونَ مِن دُونِهِ - هُوَ ٱلْبَطِلُ وَأَنَ اللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُ الْحَالَى اللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُ الْحَيْدِ اللَّهِ اللَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيُ ٱلْحَيْدِ اللَّهِ اللَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيُ ٱلْحَيْدِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّ

﴿ ذَالِكَ بِأَنَ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾؛ أي: ذلك الوصفُ بكمال القدرة والعلم بسبب

⁽١) (المَلَوَانِ): اللَّيلُ والنَّهار، الواحدُ (مَلاً) مقصورٌ. انظر: «الصحاح» (مادة: ملا).

⁽٢) في (ف): «على».

⁽٣) في (م): «الكنايات».

⁽٤) الكون: الخروج من العدم إلى الوجود، والفساد عكسه. انظر: «حاشية الشهاب» (٤/ ١٥٤).

⁽٥) في (م): «اختلف».

أنَّ اللهَ هو الحقُّ الثَّابت في نفسه، الواجب لذاته (۱)، وكلُّ ما كان كذلك كان مبدأً لِمَا سِواه، عالِماً بذاته ممَّا عداه، أو الثَّابتُ الإلهيَّة، ولا يصلح لها إلَّا مَن كان عالماً قادراً.

﴿وَأَتِكَ مَا يَكْعُونَ مِن دُونِيهِ ، ﴾ من دون الله إلهاً.

وقرئ بالتَّاء على مخاطبة المشركين (٢)، وبالبناء للمفعول (٢)، فتكون الواو لـ ﴿مَا﴾ فإنه مِن معنى الألوهيَّة (٤).

﴿ هُوَ ٱلْبَاطِلُ ﴾: المعدوم في حدِّ ذاته، أو الباطل الألوهيَّة.

﴿ وَأَتَ اللَّهَ مُو الْعَلِيُ ﴾؛ أي: العالي على كلِّ شيءٍ بالقَهْرِ والسُّلطان بدون توهُّمِ المكان.

﴿ٱلْكَبِيرُ ﴾ عن أن يساويَه شيء، فضلاً عن أن يكون أعلى منه شأناً وأكبر سلطاناً.

* * *

(٦٣) - ﴿ أَلَمْ تَكَرَأَكَ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّكَمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُغْضَكَرَّةً إِنَ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾.

⁽۱) في هامش (س) و(ف) و(م): "ولا حاجة إلى التقييد بالوحدة لأن الواجب لذاته لا يكون إلا واحداً، ومن قال: إن وجوب وجوده ووحدته يقتضيان أن يكون مبدأ الكل، فقد أوهم التشريك في الاقتضاء المذكور بين وصفي الوجوب الذاتي، وليس كذلك، فإن المقتضي هو الوجوب الذاتي وإن الوحدة من جملة مقتضياته. منه».

⁽٢) قرأ بها الحرميان وابن عامر وأبو بكر، وباقي السبعة بالياء. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٨).

⁽٣) نسبت لليماني وموسى الأسواري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٦).

⁽٤) في «الكشاف» و «البيضاوي»: (في معنى الآلهة)، بدل: «من معنى الألوهية».

﴿ أَلَتْرَاكُ مِن اللَّهُ أَنْزَلَ مِن السَّكَ مَاءً ﴾ استفهامُ تقرير، ولهذا رُفع:

﴿ فَتُصِّبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ عطفاً على ﴿ أَنزَلَ ﴾ ؛ إذ لو نُصِبَ جواباً له (١) لدلَّ على نفي الاخضرار، كما في قولِكَ: ألم تر أني أنعمْتُ عليكَ فتشكرُ (٢) والمقصود إثباته، والرفع لعطفه على ﴿ أَنزَلَ ﴾ ، وتسببه منه مثبتُ البتَّة، كذلك في المثال؛ لأنه عطف على (أنعمتُ)، وأما النَّصب فلا وجه له إلَّا التَّسببُ عن الاستفهام، ويَؤُول المعنى في المثال إلى: ما رأيْتَ فما شكرْتَ؛ أي: لو رأيْتَ لشكرْتَ، وكذلك في الآية.

على أنَّ فيها مانعاً آخر، وهو أنَّ إصباحَ الأرضِ مخضرَّةً لا يصحُّ أنْ يتسبَّب عمَّا بعد الاستفهام، وإنما عدل عن الماضي ولم يقل: (أصبحَتْ) لاستحضار الحال الماضية، والتَّنبيه على كمال صنع الصَّانع بالمشاهدة، والدِّلالة على بقاء أثر المطرزمان.

وقرئ: (مَخْضَرَة)(٣) على وزن: مَفْعَلَة؛ أي: ذاتَ خضرةٍ، كَمَبْقَلَة ومَسْبَعَة (١). ﴿ إِنَ ٱللَّهَ لَطِيفُ ﴾ واصلٌ فضلُه وعلمُه إلى كلِّ شيءٍ.

﴿خَبِيرٌ ﴾ بمصالح الخلق ومنافعهم.

* * *

(١) «له» سقط من (ف) و(ك).

⁽٢) إن نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطَه فيه، وإن رفعته فأنت مثبت للشكر. انظر: «الكشاف» (٣/ ١٦٨).

⁽٣) انظر: «الكشاف» (٣/ ١٦٨).

⁽٤) في (ف) و (ك): «كمبقلة ومسغبة»، وفي (م): «كمقبلة ومسبغة»، والمثبت من (س). وانظر: «البحر المحيط» (١٥/ ٣٩٨).

(٦٤) - ﴿ لَّهُ مَا فِي ٱلسَّكَمُونِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَ ٱللَّهَ لَهُو ٱلْغَنِي ٱلْحَصِيدُ ﴾.

﴿ لَهُ مَا فِي ٱلسَّكَمُونِ وَمَا فِ ٱلْأَرْضِ ﴾ مُلْكاً ومِلْكاً.

﴿ وَإِنَ ٱللَّهَ لَهُو ٱلْغَنِي ﴾ في ذاته عن كلِّ شيءٍ، وما سواهُ محتاجٌ إليه.

﴿ٱلْحَكِيدُ ﴾ المستوجِبِ للحمدِ بصفاته وأفعاله.

* * *

(٦٥) - ﴿ أَلَدَ تَرَأَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَعْرِي فِٱلْبَحْرِبِأَمْرِهِ = وَيُمْسِكُ ٱلسَّكَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِدِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ وَإَلنَّاسِ لَرَءُ وَقُ زَحِيدُ ﴾ .

﴿ اَلَهُ تَرَأَنَّ اللَّهَ سَخَرَلَكُمُ مَا فِي اَلْأَرْضِ ﴾ مَنَّ علينا بتسخيره لنا ما بنا حاجة إليه في معاشنا من الحيوان وغيره، فلا أصلبَ من الحجارة والحديد، وقد ذلَّلهما نتَّخذ منهما ما نريد، فقوله: ﴿ مَّافِ ٱلْأَرْضِ ﴾ عامٌّ، لكنَّ المراد منه ما ينفعنا بقرينة قوله: ﴿ لَكُمُ ﴾ .

﴿ وَٱلْفُلَّكَ ﴾ عطف على ﴿ مَّا ﴾. وقرئ بالرَّفع (١) على الابتداء.

و ﴿ تَعْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِيدٍ ﴾ حال منهما، أو خبر.

﴿ وَيُمْسِكُ ٱلسَّكَمَآءَ ﴾ بيد القدرة ﴿ أَن تَقَعَ ﴾: من أن تقعَ، أو كراهة أن تقع ﴿ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ * ﴾ إِلَّا بِمشيئته.

وفيه رَدُّ لاستمساكها بذاتها، وأما ما قيل: إنها مساوية لسائر الأجسام في الجسميَّة فتكون قابلة للميل الهابط قَبولَ غيرها(٢)؛ منظور فيه.

⁽١) نسبت للأعرج والسلمي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٦).

⁽٢) «قبول غيرها» من (س). وهو الموافق لما في «تفسير البيضاوي» (٤/ ٧٨).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ تَحِيمٌ ﴾ بفتحه عليهم أبوابَ المنافع، ودفعِه عنهم أسباب المضارِّ.

والرَّؤوفُ أبلغ من الرَّحيم، وإنَّما قُدِّمَ عليه محافظةً على الفاصلة، وكذا تقديم ﴿ إِلَنَّاسِ ﴾ عليهما لها(١).

* * *

(٦٦) - ﴿ وَهُوَ اللَّذِي آخَيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحِيدِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَ فُورٌ ﴾. ﴿ وَهُو اللَّذِي آخَيَاكُمْ ﴾ بعد أن كنتم جماداً تراباً ونطفةً وعلقةً ومضغةً. ﴿ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ إذا جاء آجالكم ﴿ ثُمَّ يُحَيدِيكُمْ ﴾ في الآخرة.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَكَ فُورٌ ﴾: لجحودٌ لِمَا أفاضَ عليه مِنَ النِّعَم مع ظهورها.

* * *

(٦٧) - ﴿لِكُلِّ أُمَّةِ جَعَلْنَا مَسْكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَزِعُنَكَ فِي ٱلْأَمْرِ ۚ وَأَدْعُ إِلَى رَبِكَ ۗ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدَّى مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

﴿لِكُلِّ أُمَّةِ مَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ كرَّره بغير واو للتَّأكيد والتَّعميم، وتعليقِ الزِّيادة به، وجيء بالواو في الأوَّل لأنَّها وقعت مع ما يناسبها من الآي الواردة في أمر النسائك(٢)، فعطف عليها، وأمَّا هذه فواقعة مع أجانب من معناها، فلم تجد معطفاً(٣).

﴿هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾ هم عاملون به.

⁽١) أي: للفاصلة.

⁽٢) في (ف): «المناسك»، وفي (ك) و(م): «التناسك».

⁽٣) في (ف) و(ك): «مقطعاً».

﴿ فَلَا يُنْزِعُنَّكَ ﴾ سائرُ أرباب المِلَلِ.

﴿ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ في أمر الدِّين والنسائك(١)؛ لأنَّهم جُهَّالٌ أو أهل عناد(١)، أو لأنَّ أمر دينك أظهر من أن يَقبل النِّزاع.

وقيل: إنَّه نهيٌ لرسول الله ﷺ عن التَّعرُّض لمنازعتهم بالمناظرة المؤدِّية إلى نزاعهم، فإنَّها إنَّما تنفع طالب الحقِّ، وهم أهل مراءٍ وعناد؛ أي: لا تلتفِتْ إليهم ولا تمكِّنهم من أن يتنازعوا، أو عن منازعتهم (٣)، كما تقول: لا يضارِبَنَّكَ فلان؛ أي: لا تضاربه (١٠) البتَّة، ولهذا إنَّما يجوز في الفعل الذي بين اثنين.

وروي أنَّها نزلت في الخزاعيين قالوا للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قتلتُم، ولا تأكلون ما قتلتُم، ولا تأكلون ما قتله الله(٥٠؟! يعني: الميتة.

وقرئ: (فلا يَنْزِعُنَّكَ)(٢)؛ أي: اثبت في دينك ثباتاً لا يمكنهم أن يزيلوك

⁽١) في (ف): «والمناسك»، وفي (ك) و(م): «والتناسك».

⁽٢) في (ف) و(ك): «أو أهل فساد»، وفي (م): «وأهل فساد».

⁽٣) قوله: «عن منازعتهم» معطوف على قوله: «عن التعرض لمنازعتهم»، لكن في عبارة المؤلف نظر؛ لعدم ظهور الفرق بين المعطوف والمعطوف عليه، وعبارة البيضاوي في «تفسيره» (٤/ ٧٨): (وقيل: المراد نهي الرسول على عن الالتفات إلى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية... أو عن منازعتهم...). ونحوه في «الكشاف» (٣/ ١٦٩).

⁽٤) في (ك): «لا يضار بك فلان أي لا تضار به».

⁽٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٣٣)، و«الكشاف» (٣/ ١٦٩). وروى الطبري في «تفسيره» (٩/ ٥٢٣) عن عكرمة: أن ناساً من المشركين دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: «الله قتلها»، قالوا: فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُونُ مِنَا لَمُ يُدَالِّهُ وَلَا يَعْلَمُ اللهُ عَلَيْهِ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

⁽٦) نسبت لأبي مجلز. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٦)، و «الكشاف» (٣/ ١٦٩).

عنه، والمرادُ: زيادةُ التَّثبيت بما يُهيِّج حميَّته ويُلهب غضبه لله ولدينه.

وقال الزَّجَّاج: هو من باب المغالبة؛ أي: لا يغلِبُنَّكَ (١) في المنازعة، من نازَعْتُهُ فنزعتُه؛ أي: غلبتُه في النِّزاع (٢).

﴿ وَأَدْعُ ﴾ النَّاسَ ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾: إلى عبادة ربِّك.

﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدُى تُسْتَقِيمِ ﴾ طريقٍ إلى الحقِّ سويٍّ.

* * *

(٦٨) _ ﴿ وَإِن جَندُلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ وَإِن جَندَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعَلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾؛ أي: وإنْ أبوا إلَّا المجادلة بعد وضوح أمر دينك واجتهادك في ترك النّزاع، فادفعهم بأنَّ الله أعلم بما تعملونه من الجدال الباطل والعناد، فمجازيكم عليها، وهذا وعيدٌ مع رفق.

* * *

(79) - ﴿ ٱللَّهُ يَعْكُمُ مُلَّنَكُمْ مَوْمَ ٱلْقِيكَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَغْتَلِفُونَ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ يَحَكُمُ ﴾: يفصل ﴿ يَنْنَكُمُ ﴾ بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين يوم القيامة، كما فَصَلَ في الدُّنيا بالآيات والبيِّنات.

﴿ فِيمَا كُنْتُ مُ فِيهِ مَّغْتَلِفُونَ ﴾ من أمر الدِّين.

الخطاب عام، وفيه تسلية لرسول الله ﷺ بما يَلقى منهم (٣).

⁽١) في (م): «يغالبنك».

⁽٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٤٣٧).

⁽٣) في هامش (ف) و(س): «قد سبق وجهها في هذه السورة. منه».

ومن تمام التَّسلية تقرير علمه بمضمون ما ذكره بقوله:

(٧٠) _ ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُ أَكَ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّكَمَآءِ وَٱلْأَرْضِّ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَنْ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمُ أَكَ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّكَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ من الغيب والشَّهادة.

﴿إِنَّ ذَالِكَ فِيكِتَنِيٍ ﴾ هو اللَّوح المحفوظ، كتبه فيه قبل حدوثه. وتنكيره لأنَّه ليس من جنس الكتب المتعارفة.

ولَمَّا كان الإثبات في اللَّوح المحفوظ مَظِنَّة الحاجة في الحفظ إلى الكَتَبة دفعه بقوله:

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾؛ أي: الإحاطة به وإثباته في اللَّوح المحفوظ.

﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرُ ﴾ لعدم الحاجة إلى الآلة؛ فإنَّ علمه تعالى بذاته، فلا يخفى عليه شيءٌ، فلا يهمَّنَّكَ أمرُهم.

* * *

(٧١) - ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُعَزِّلْ بِهِ عَسُلْطَنَا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَصِيرٍ ﴾.

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لَمْ يُنزِّلْ بِهِ عَلْمَ اللّهُ مَا لَمْ يَتَمسكوا في جواز عبادته ببرهانٍ نازلٍ بالوحي من عند الله(١)، ولا بعلمٍ ضروريٍّ أو نظريٍّ؛ أي: ليس لهم في ذلك مستندٌ لا من جهة النَّقل ولا من جهة العقل، وإنَّما قدَّم الوجه

⁽١) في هامش (ف) و(م): «قد مرَّ وجه الفرق بين مطلق الحجة وبين البرهان والسلطان وبيان مزيتهما عليها في سورة الأعراف. منه».

النَّقلي لأنَّه الأصل في أمر العبادة، وفي العبارة عنه بما ذكر إشارةٌ إلى أنَّه مع انقسامه إلى أنَّه مع انقسامه إلى أربعة أقسام مذكورة في علم الأصول مرجعُه إلى الوحي.

وإعادة عبارة ﴿مَا ﴾ مع عدم الحاجة إليها في إفادة المعنى المذكور كإعادتها في قوله: ﴿مَالَا يَضُـرُهُ وَمَالَا يَنفَعُهُ ﴾ [الحج: ١٢].

﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ ﴾: وما للذين ظلموا هذا الظُّلمَ الشَّنيع ﴿ مِن نَّصِيرٍ ﴾ يُعينهم بدفع العذاب عنهم (١)، ووُضع (٢) الظَّاهر موضعَ الضَّمير للتَّسجيل على المشركين بالظُّلم.

* * *

(٧٢) _ ﴿ وَإِذَا لَتَكَ عَلَيْهِمْ ءَايَلَتُنَا بَيِّنَتِ تَعْرِفُ فِ وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْمُنكَّرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَنِينَا قُلْ أَفَا أَنِيثُكُم بِشَيِّرِ مِن ذَلِكُرُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا اللهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيِثْنَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

﴿ وَإِذَانُتَكَىٰ عَلَيْهِمَ ءَايَنتُنَا ﴾ من القرآن ﴿ بَيِّننَتِ ﴾: واضحاتِ الدِّلالة على العقائد الحقَّة.

﴿تَعْرِفُ فِي وَجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾؛ أي: يظهر فيها ظهوراً بيِّناً حتى يَعرفُه كلُّ مَن يـراه.

﴿ ٱلْمُنكَرِّ ﴾: الإنكارَ؛ لفرط نكيرهم للحقِّ وغيظهم لأباطيل أخذوها تقليداً. وهذا مُنتَهى الجهالة، وللإشعار بذلك وضع ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ موضع الضَّمير.

أو: الأمرَ المنكرَ الفظيع من آثار الغيظ وما يقصدونه من الشَّر.

⁽١) في هامش (ف) و(س): «قد مر أن معنى الدفع معتبر في معنى النصر. منه».

⁽٢) في (ف): «وضع».

﴿ يَكَادُونَ يَسْطُونَ ﴾ السَّطوُّ: الوثبُ والبَطشُ.

﴿ إِلَّا لَذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَكِيْنَا ﴾ هم النَّبيُّ ﷺ وأصحابُه رضي الله عنهم.

﴿ قُلْ أَفَأُنِيَّتُكُم بِشَرِ مِن ذَلِكُرُ ﴾: من غيظكم على التَّالِينَ (١) وسطوِكم عليهم، أو: ممَّا أصابكم من الكراهة والضَّجر بسبب ما يُتلَى عليكم.

﴿ ٱلنَّارُ ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ، كأنَّ قائلاً قال: ما هو؟ فقيل: النَّار، أو مبتدأً خبره: ﴿ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾.

وقرئ بالنَّصب^(۲) على الاختصاص، وبالجر^(۳) بدل من (شرِّ)، وعلى هذين الوجهَيْن يحتمل أن تكون الجملة حالاً بإضمار (قد)، وأن تكون استئنافاً كما إذا وقعت خبراً.

﴿وَيِثْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ النَّارُ.

* * *

(٧٣) _ ﴿ يَكَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلُّ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ ۚ إِنَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَعْلَقُواْ ذُكِا النَّاسُ مَعُواْ لَهُ مَ وَإِن يَسْلَبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْعًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْ فَ ضَعُفَ الشَّالِ وَالْمَطْلُوبُ ﴾.

﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلُّ ﴾ بُيِّنَ لكم حالةٌ غريبةٌ، سُمِّيَتْ مثلاً على سبيل

⁽١) في (ف) و(ك): «القالين».

⁽٢) بلا نسبة في «الكشاف» (٣/ ١٧٠)، ونسبها في «البحر المحيط» (١٥/ ٤٠٤) إلى ابن أبي عبلة والأعشى وزيد بن علي.

⁽٣) بلا نسبة في «الكشاف» (٣/ ١٧٠)، ونسبها في «البحر المحيط» (١٥/ ٤٠٤) إلى ابن أبي إسحاق وإبراهيم بن نوح عن قتيبة.

الاستعارة؛ لأنَّ الأمثال إنَّما سُيِّرَتْ لكونها مستغربةً، فلهذا نودي النَّاس لها(١٠). وأكَّد غرابتها بقوله: ﴿فَٱسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ وأبهم وبيَّن.

﴿إِنَ ٱلَّذِينِ تَنْعُونَ ﴾؛ أي: تدعونه، وقرئ: (يُدْعَوْنَ) مبنيًّا للمفعول(٢).

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ آلهةً؛ يعني: الأصنام.

﴿ لَن يَخَلُقُواْ ذُكِ اللَّهِ الذُّبابُ: مِنَ الذَّبِّ؛ لأنَّه يُذَبُّ سُمِّي ذباباً؛ لأنَّه كُلَّما ذُبَّ استقذاراً منه آبَ لاستكباره، وتخصيصه لمهانته (٣) وضعفه، وتأكيدُ النَّفيِّ بـ ﴿ لَن ﴾ للدّلالة على استحالة خلق الذُّباب منهم (١٠)، كأنَّه قال: محالٌ أن يخلقوه (٥).

﴿ وَلَوِ اَجْتَمَعُواْ لَهُ أَ بَجُوابه (٢) المقدَّرِ له المدلولِ عليه بالمذكور في موضع الحال، جيء بها للمبالغة؛ أي: لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه، فكيف إذا كانوا منفر دين؟

﴿ وَإِن يَسَلَّتُهُمُ ٱلذَّبَابُ شَيْئَالَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾؛ أي: هذا الخلق الأذلُّ الأقلُّ لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يستخلِصوه منه لم يقدروا عليه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنهم كانوا يَطْلُونها بالزَّعفران ورؤوسَها بالعسل، فإذا سلبَه الذُّباب عجز الأصنام عن أخذه (٧٠).

⁽۱) في (م): «بها».

⁽٢) نسبت لليماني وموسى الأسواري. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٦).

⁽٣) في (ف) و(م) و(ك): «بمهانته»، والمثبت من (س).

⁽٤) «منهم» من (م) و (س).

⁽٥) «يخلقوه» زيادة من (م) و(س).

⁽٦) في (س) و(ف): «لجوابه»، وهو خطأ.

⁽٧) انظر: «تفسير الثعلبي» (٤/ ٣١٢)، و «الكشاف» (٣/ ١٧١).

والظّاهر: أنَّ المرادَ جعلُ امتناعِ خلقِهم ذباباً وامتناعِ استنقاذِهم منه عند سلبه شيئاً منهم مثلاً لانتفاء قدرتهم المستلزِمة لانتفاء الألوهيَّة التي تستلزم الاقتدار على جميع المقدورات، ويُستحقُّ بها العبادة، فإنَّ ما(١) لا يقدر على خلقِ أحقر(٢) شيءٍ _ بل على الاستنقاذ منه _ كيف يَستحق أن يُعْبَد عبادةَ مَن له كمالُ القدرة على إيجاد كلِّ شيءٍ وتستخيره؟!

وهذا غايةٌ في تجهيلِهم واستركاك عقولهم.

﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ الصَّنم الطالبُ للاستنقاذ، والنُّبابُ المطلوب أن يُستَنقَذ منه.

وفي هذا التَّذييل إيهامُ التَّسوية، وتحقيقُ أنَّ الطَّالبَ _ يعني: الصَّنم _ أضعفُ لاَنَّه قدّم عليه أنَّ هذا الخلق الأذلَّ هو السَّالب، وذلك طالبٌ خاب عن طَلِبته (٣).

ولَمَّا أجراهم مجرى العقلاء بإثبات الطَّلب لهم، وبيَّنَ أَنَّهم أضعف من أذلِّ الحيوان، فقد نبَّه به على مكان آلهتهم في ذلك.

* * *

(٧٤) ـ ﴿ مَاقَكَدُرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَكْدِرِةً إِنَّاللَّهَ لَقَوِيتُ عَزِيزٌ ﴾.

﴿ مَاقَكَدُرُوا اللَّهَ حَقَى قَكْدِرِقَ عَ ﴿ مَا عَرَفُوهُ حَقَّ مَعَرَفَتُهُ ، حَيثُ أَشْرِكُوا بِهُ ، وسمَّوا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبةً ، وأوغلُ في الاتِّصاف بأضداد صفاته.

﴿إِنَّاللَّهَ لَقُوِيتُ ﴾: قادرٌ على خلق الممكِنات كلِّها.

⁽١) في (م): «من».

⁽٢) في (م): «أصغر».

⁽٣) في (س): «طلبه».

﴿ عَزِينٌ ﴾: غالبٌ على كلِّ شيءٍ، ولا يغلبه شيء، فكيف يُشْرَكُ به شيء، سيَّما أحقر الأشياء وأعجزها وأذلُّها؟!

ولَمَّا قرَّر الوحدانيَّة ونفى إلهيَّة الأنداد أرادَ أن ينفي عنها ما يدَّعون لها من التَّوسل بها إلى الله تعالى والتَّقرب إليه بتوسُّطها فقال:

(٧٥) ﴿ ٱللَّهُ يَصَطَفِي مِنَ ٱلْمَكَتِيكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ يَصَّطَغِي ﴾: يختارُ ﴿مِنَ ٱلْمَلَيْكِ عَرَسُلًا ﴾ يتوسَّطون بينَه وبينَ الأنبياء عليهم السَّلام بالوحي.

﴿ وَمِرِ النَّاسِ ﴾ رُسُلاً يبلِّغون رسالته إلى مَن دونهم، ويدعونهم إليه ويشفعون لهم، فلا وسيلة غير هذَيْن الصِّنْفَيْن، ولا تقرُّب إلى الله تعالى بغيرهما.

ففيه نفيٌ لما ادَّعوه من قولهم: ﴿مَانَعَبُدُهُمَ إِلَّالِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَيَ ﴾ [الزمر: ٣٩]، وقولهم: الملائكةُ بناتُ اللهِ، وردُّ لمذهبهم واعتقادهم أنَّ الرَّسولَ لا يكون من البشر.

﴿ إِنَ اللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ لأقوال الرَّسول فيما تقبله العقول ﴿ بَصِيرٌ ﴾ بأحوال الأمم في الرَّدِّ والقَبولِ.

* * *

(٧٦) - ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمُّ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾.

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾: ما مضى وما غَبَر، لا تخفى منهم خافيةٌ. ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾: وإليه مرجعُ الأمور كلِّها؛ لأنَّه مالكُها ومدبِّرُها، فلا

اعتراض لأحدٍ على حكمه وتدبيره واختيار رسله.

(٧٧) _ ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَافْعَكُواْ وَاسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَافْعَكُواْ الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ مُقْلِحُونَ ﴾.

﴿ يَكَأَيُّهُا اللَّذِينَ ءَامَنُواْ ارْحَكُواْ وَاسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَافْعَلُواْ الْخَيْرَ ﴾ درجَ في هذه الأوامر من الأخصّ إلى الأعمّ، فأمر بالصّلاة المشتولة على أصناف الطّاعات من القلبيَّات والقوليَّات والبدنيَّات، وعبَّر عنها بالرُّكوع والسُّجود لأنَّهما (١) أعظم أركانها، ثمَّ بمطلق العبادات كالصَّوم والزَّكاة والحجِّ، ثمَّ بسائر الخيرات كصلة الأرحام ومكارم الأخلاق والإصلاح بين النَّاس وأمثالها.

وقيل: كان النَّاسُ في أوَّلِ الإسلام يركعون بلا سجودٍ، ويسجدون بلا ركوعٍ، فأُمِرُوا بالجمع بينهما في الصَّلاة (٢٠).

﴿لَعَلَّكُمْ مُثْلِحُونَ ﴾؛ أي: افعلوا هذا كلَّه وأنتم راجون الفلاح غيرَ متيقِّنين به، متَّكلين على أعمالكم.

وعن عقبةَ بن عامر رضي الله عنه قال: قلْتُ: يا رسولَ اللهِ، في سورة الحجِّ سجدتان؟ قال: «نعم، إن لم تسجدهما فلا تقرأهما»(٣).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «فُضِّلَتْ سورةُ الحجِّ بسجدتَيْن »(١٠).

⁽١) في (ك) و(م): «لأنها».

⁽٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٣١)، و «الكشاف» (٣/ ١٧٢). قبال الآلوسي في «روح المعاني» (١٧٢/ ٤٢٣): لم نره في أثر يعتمد عليه.

⁽٣) رواه أبو داود (١٤٠٢)، والترمذي (٥٧٨)، وفيهما: «نعم، ومن لم يسجدهما، فلا يقرأهما»، قال الترمذي: إسناده ليس بذاك القوى.

⁽٤) ذكره الترمذي بعد الحديث السابق عن عمر وابن عمر رضي الله عنهما. وروى نحوه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٢٠٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وبذلك احتجَّ الشَّافعي فرأى السَّجدتَيْن فيها، وأبو حنيفة وأصحابه لا يرون فيها إلا سجدة واحدةً؛ لأنَّهم يقولون: قُرِنَ السُّجودُ بالرُّكوع، فدلَّ ذلك على أنها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة (١٠).

* * *

(٧٨) - ﴿ وَجَنِهِ دُواْ فِي اللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ الْهُو اَجْتَبَكُمُ وَمَاجَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٌ مِلْ اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَا عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّه

﴿ وَجَهِدُواْ فِي اللَّهِ ﴾ في شأنِه ومن أجلِه، أمرٌ بالغزوِ، أو بمجاهدة النَّفس والهوى، وهو الجهاد الأكبر؛ لقوله عليه السلام عند رجوعه من غزوة تبوك: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» (٢).

﴿ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ أصله: جهاداً حقًا؛ أي: خالصاً لوجه الله، فأضيف الحقُّ إلى الجهاد للمبالغة، كقولك: هو حقُّ عالم، ثم أضيف الجهاد إلى ضمير ﴿ اللَّهِ ﴾ إمّا للملابسة لاختصاصه به من حيث إنَّه مفعول لأجله، أو للاتِّساع في الظُّروف.

﴿ هُو ٱجْتَبَكُمُ *: اختاركم لدينه ونصرته، وبناء الفعل على الضَّمير للاختصاص المفيد لوجوب الجهاد؛ أي: هو وحده اجتباكم دون غيره، والذي اجتباه الله بنفسه لا بُدَّله من الجهاد الأكبر لقضاء حقِّ القرب والولاية، والأصغر

(١) في هامش (ف): «لا لأنه كما توهم لعدم الدلالة فيها على ما ظهر من تقدير ما ذكره أبو حنيفة. منه».

⁽٢) رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٥٢٣)، والبيهقي في «الزهد» (٣٧٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وقال: إسناده ضعيف.



لقوَّة (١) يقينه، ووثوقه بحفظه وكلاءته، والإعلاء كلمته، وإعزاز دينه، ففيه دليلٌ على المقتضي للجهاد في قوله:

﴿ وَمَاجَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾: ضِيقٍ بتكليفِ ما يشتدُّ القيام به عليكم، على أنَّه لا مانع لهم عنه (٢)، ولا عذر لهم في تركه، وضمَّنه الإشارة إلى الرُّخصة في إغفال بعض ما أمرهم به حيث شقَّ عليهم لقوله عليه السلام: «إذا أمرتُكُمْ بشيءٍ فأتوا به ما استطعْتُم» (٣).

وقيل: ذلك بأنْ جعل لهم من كل ذنبٍ مخرجاً، بأن رخَّص لهم في المضايق، وفتح عليهم بابَ التَّوبةِ، وشرعَ لهم الكفَّارات في حقوقه، والأروشَ والدِّيات في حقوق العباد، فلا ذنْبَ إلَّا وقد جعل لكم منه مخرجاً.

ويَرِدُ عليه: أنَّ الحرج لا ينتفي بوجود (١) المحرج في الجملة، لِمَا عرفْتَ أنَّه عبارة عن الضِّيق، لا عن عدم المخلَص.

﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ ﴾ نصبٌ على الاختصاص؛ أي: أعني بالدِّين ملَّة أبيكم، أو على الإغراء؛ أي: الْزَموا ملَّة أبيكم، أو بمضمون ما تقدَّم على المصدر؛ أي: وسَّع دينكم توسعة ملَّة أبيكم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامَه.

﴿إِنْزَهِيمَ ﴾ عطف بيان.

وإنَّما جعله أباً لأنَّ كلَّ نبيٍّ أبو أمَّته من حيث الحقيقة، وهو كان أبا محمَّدٍ عليه السلام، وأبُ الأبِ أبُّ، أو لأنَّ أكثرَ العرب كانوا من ذريَّته، فغلِّبوا على غيرهم.

⁽۱) في (ف): «لسدَّ».

⁽٢) «عنه»: ليست في (م).

⁽٣) رواه مسلم (١٣٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٤) في (م): «بوجوه».

﴿ هُوَ ﴾؛ أي: الله تعالى ﴿ سَمَّنَكُمُ ٱلْسَلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ من قبلِ القرآن في الكتب المتقدِّمة.

﴿ وَفِي هَنَدًا ﴾؛ أي: في القرآن.

وقيل: الضَّمير لإبراهيم عليه السلام، وهو وإنْ لم يسمِّهم فيه المسلمين، لكن سُمُّوا به بسبب تسميته إياهم (١) مسلمين من قبلُ في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَتِنَا آُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقولُه: ﴿ وَفِي هَٰذَا ﴾ تقديره: وفي هذا بيانُ تسميته إيَّاكم مسلمين.

ويشهد للأوَّل قراءة أُبِيِّ رضي الله عنه: (اللهُ سمَّاكم)(٢)؛ أي: هو خصَّكم بالاجتباء وسمَّاكم بهذا الاسم الأكرم.

﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ ﴾ يومَ القيامة، متعلِّق بـ ﴿سَمَّنكُمُ ﴾، أو بـ ﴿أَجْتَبَنكُمْ ﴾.

﴿ شَهِيدًا عَلَيْكُو ﴾ بأنَّه بلَّغكم، أو بعصيانِ مَن عصى وطاعةِ مَن أطاع.

﴿ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ بأنَّ الرُّسلَ قد بلَّغَتْهم.

﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الرَّكُوٰةَ ﴾؛ أي: وإذ قد خصَّكم بهذه الكرامة والشَّرف فاعبدوه وتوبوا إليه بأنواع الطَّاعات.

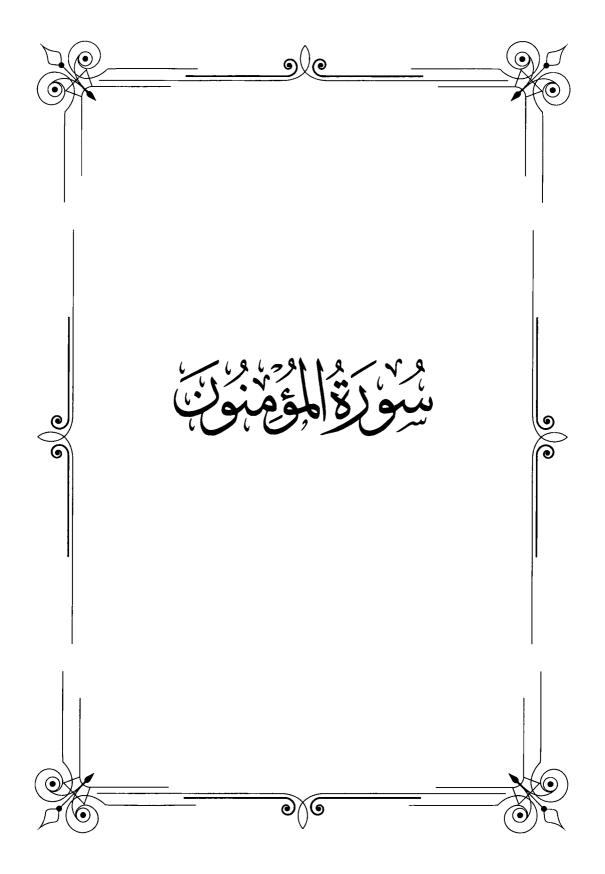
﴿وَأَعْتَصِمُواْ بِاللَّهِ ﴾ وثقوا به في مجامع أمورِكم.

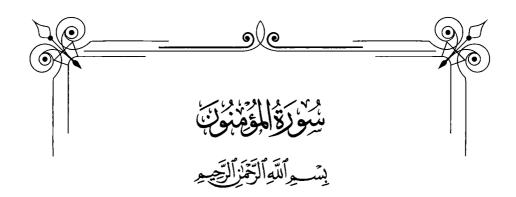
﴿هُوَمَوْلِنَاكُمْ ﴾ فلا تطلبوا النَّصرَ والولايةَ إلَّا منه.

﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلِي وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ حيث لا يمنعُكم رزقكم بعصيانِكم، ويعينُكُم على جلب المسارِّ ويدفَعُ عنكم المضارَّ.

⁽١) في (ك) و(م): «تسمية أبيهم».

⁽٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٦)، و «الكشاف» (٣/ ١٧٣).





(١) _ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ فَدَ أَفَلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (قد) تُثبت المتوقَّع كما أنَّ (لمَّا) تنفيه، وإذا دخلَتْ على الماضي دلَّتْ على دلَّتْ على دلَّتْ على الماضي دلَّتْ على ثباته.

والفَلاحُ: الظَّفرُ بالمطلوب، والنَّجاةُ عن المهروب؛ أي: فازوا بما طلبوا ونجوا عمَّا هربوا.

و ﴿ أَفَلَكَ ﴾: دخلَ في الفَلاح، كأبشرَ دخلَ في البِشارةِ، ويقال: قد أفلحه: إذا أوصله إلى الفلاح، وعليه قراءة: (قَدْ أُفْلِحَ) على البناء للمفعول(١٠).

وقرئ: ﴿قَدَ افْلَحَ ﴾ بإلقاء حركة الهمزة إلى الدَّال وحذفها(٢).

وقرئ: (قد أفلحوا)(٢) على الإبهام والتفسير، أو على لغة: أكلوني البراغيث.

و: (أفلحُ) بضمة اكتفاء بها عن الواو(١٠).

⁽١) نسبت لطلحة بن مصرف. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧).

⁽٢) وهي قراءة ورش عن نافع. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٤٨).

⁽٣) نسبت أيضاً لطلحة بن مصرف. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧).

⁽٤) نسبت أيضاً لطلحة بن مصرف. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧).

لَمَّا كان المؤمنون متوقِّعين بمثل هذه البشارة من فضل الله بُشِّروا بما دلَّ على ثبوت ما توقَّعوه.

والمؤمنون في اللَّغة: المصدِّقون، وأمَّا في الشَّريعة فقد اختُلِفَ فيه على أقوال قد سبق تفصيلُها في تفسير (سورة البقرة).

* * *

(٢) _ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِ صَلَاتِمِمْ خَشِعُونَ ﴾ الخشوعُ في الصَّلاةِ: خشيةُ القلبِ مع التَّواضع، وإلبادُ البصر (١) موضعَ السُّجود.

رُوي أنَّه عليه السلام كان يصلِّي رافعاً بصره إلى السَّماء فنزلَت، فنظر نحو مسجده (٢).

* * *

(٣) - ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾.

﴿ وَاللَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ لِمَا بهم مِن الجِدِّ ما يشغلهم عن اللَّغو، وهو ما لا يعنيك مِن قولٍ أو فعلِ، كالهزلِ واللَّعب، وكلُّ ما تُوجِب المروءة إلغاءه.

⁽١) في (ف): «وإلقاء البصر»، وفي (ك) و(م): «وإلقاء النظر». والمثبت من (ع) و(ي)، وجاء في هامش (ي): «من ألبد بالمكان؛ أي: أقام به. ص».

⁽٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٨٣) من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد فقد قيل عنه مرسلاً. وقال الذهبي: الصحيح مرسل.

والمرسل رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٢٦١)، وأبو داود في «المراسيل» (٤٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٨٣) وقال: هذا هو المحفوظ مرسل.

لَمَّا ذكرَ الخشوعَ أَتْبَعَه الإعراضَ عن اللَّغو ليجمعَ بينَ فعلِ ما ينبغي أَنْ يُفعَلَ وتركِ ما ينبغي أَنْ يُترَكَ، وهما الأصلان اللَّذان عليهما مدار التَّكليف.

وبالغ في أوصاف المؤمنين بإيرادِ الصِّلات جملاً اسميَّة، وتقديمِ صلة الإعراض، والتَّعبيرِ بالاسم دون الفعل، وإيرادِ الإعراض مكانَ التَّرك؛ لأنَّ أصلَه أن يكون في عُرْضٍ (١) غيرِ عُرْضه ليدلَّ على التَّجنُّب والبعد عنه بالكلِّيَّة مباشرةً وتسبيباً وميلاً وحضوراً، وكذلك قوله:

(٤) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلرِّكَ وْقِ فَنعِلُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزِّكُوةِ فَعِلُونَ ﴾؛ أي: للتَّزكية فاعلون؛ لأنَّ الفاعل لا يفعل إلَّا الحدث الذي هو المصدر، ولهذا سُمِّيَ المفعول المطلق، ويمكن أن يُفسَّر بالعَيْن ويُقدَّر مضاف؛ أي: لأداء الزَّكاة.

وإنَّما لم يقل: (مؤدُّون) لأنَّ في زيادة فاعلون دلالةً على المداومة.

* * *

(٥) - ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَنْفِظُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَفِظُونَ ﴾ الفرجُ يشتمل على سَوءة الرَّجل والمرأة.

﴿ حَنِفُتُونَ ﴾ من قولهم: احفظ عليَّ عَنان فرسي؛ بمعنى: أمسك، ولا بُدَّ فيه من تضمين معنى النَّفي ليصح الاستثناء؛ أي: يمسكون لا يُطْلقونها على أحدٍ.

* * *

(٦) - ﴿ إِلَّا عَلَيْ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾.

⁽۱) بضم فسكون. انظر: «حاشية الشهاب» (٦/ ٣٢٠).

﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَاجِهِمْ ﴾ حال؛ أي: والينَ على أزواجهم، أو: قوَّامين عليهنَّ، والمعنى: حافظون في كلِّ حالٍ إلَّا في حال ولايتهم على أزواجهم.

أو متعلِّق بمحذوف دلَّ عليه: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُمَلُومِينَ ﴾؛ أي: يلامون على كلِّ مباشرة إلَّا على ما أُطلق لهم فإنَّهم غير ملومين عليه.

﴿ أَوْمَامَلَكَتُ أَيْمَنُهُم ﴾؛ أي: إمائهم، ولم يقل: (مَن)؛ إجراءً للماليك مجرى غير العقلاء (١٠)؛ إذ الملك أصل في غيرهم والحريَّةُ فيهم (٢)؛ أو لأنَّ الإناث لنقصان عقلهنَّ من جنسٍ غيرهم.

وإنّما قال: ﴿مَامَلَكَتُ أَيْمَنُهُمْ ﴾، ولم يقل: ما ملكوا؛ إظهاراً لمِلك اليمين في مقابلة مِلك المتعة الظّاهر من قرينه؛ إشعاراً بانحصار سبب حلّ الوطء في المِلْكَين المذكورَيْن لا يتعدّى إلى مِلك الرَّقبة؛ فإنَّها(٣) إذا خلَتْ مِن ملك اليمين كما في المكاتب لا يوجد الحِلُّ المذكور.

﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ الضّمير لـ ﴿ حَفِظُونَ ﴾، أو لِمَن دلَّ عليه الاستثناء؛ أي: فإنْ أطلقوها لأزواجهم أو إمائهم فإنَّهم غير ملومين على ذلك.

* * *

(٧) - ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَلِكَ فَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾.

﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَى وَرَآءَ ذَالِكَ فَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ جَعل المستثنى حدًّا وجَب الوقوف عنده، وحَذف مفعول الابتغاء للتَّعميم، وجاء باسم الإشارة؛ أي: فأولئك المبتغون،

⁽١) وهذا على القول باختصاص (ما) بغير العقلاء. انظر: «روح المعاني» (١٨/ ١٦).

⁽Y) قوله: «غيرهم» و «فيهم» الضمير فيهما للعقلاء.

⁽٣) في (ف) و(ك): «الأنها».

ووسَّط الضَّمير، وعرَّف ﴿الْعَادُونَ ﴾؛ أي: مَن أحدثَ ابتغاء وراء ذلك الحدِّ بعدَ هذه الفسحة والاتِّساع فأولئك الكاملون في العدوان المتناهون فيه، كلُّ ذلك مبالغةٌ في التَّحذير عن الزِّنا.

وأفرده بالذِّكر بعد تعميم قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِمُعْرِضُونَ ﴾ لأنَّ المباشرة أشهى الملاهى إلى النَّفس وأعظمُها خطراً.

* * *

(٨) = ﴿ وَٱلَّذِينَ هُو لِأَمْنَنتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَعُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُولِاً مَنَاتِهِم وَعَهدِهِم ﴾ قيل: لِمَا يؤتَمنون عليه ويعاهَدون عليه من جهة الحقِّ أو الخلق.

وفيه: أنّه لا حاجة إلى الصَّرف عن الظَّاهر؛ فإنَّ العهد وكذا الأمانة ممَّا يُرَاعى. ﴿ وَعُونَ ﴾ الرَّاعي: القائمُ على الشَّيء بالحفظ والإصلاح، كراعي الغنم والرَّعيَّة. وقرئ: ﴿ لأمانَتِهم ﴾ على الإفراد (١٠)؛ لأنَّها في الأصل مصدر، أو لأمنِ الإلباس. ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَتِهِم يُحَافِظُونَ ﴾: يواظبون عليها ويؤدُّونها في أوقاتها، وجاء بلفظ الفعل معها (٢) لِمَا فيها مِن التَّجدُّد والتّكرار، والفعل المضارع في الجملة الاسميَّة يدلُّ على دوام التَّجدُّد.

وقرئ بلفظ الجمع هنا(٣) ليفيدَ المواظبة على أعدادها وأنواعها، ولم يُقرأ به(١)

⁽۱) قراءة ابن كثير. انظر: «التيسير» (ص: ۱۵۸).

⁽٢) في (ك) و (م): «معا».

⁽٣) قرا حمزة والكسائي بالإفراد وباقي السبعة بالجمع. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٨).

⁽٤) في (ف) و (ك) و (م): «ولم يفردبه»، والمثبت من (ع) و (ي)، وهو الصواب. انظر: «الكشاف» (٣/ ١٧٧).

فيما سبق؛ لأنَّ الكلام هناك في الخشوع، وهو مطلوب في جنس الصَّلاة وفي بدء الأوصاف، وختمُها بذكرها تعظيمٌ لشأنها وإعلاءٌ لقدرها.

* * *

(١٠) ـ ﴿ أُولَكِيكَ هُمُ ٱلْوَرِثُونَ ﴾.

﴿ أُولَيْهِكَ ﴾ الجامعون لهذه الصِّفات.

﴿ هُمُ ٱلْوَارِثُونَ ﴾: هم الأحقَّاء بأنْ يُسمَّوا وارثاً دون غيرهم.

* * *

(١١) - ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرَدَوْسَ ﴾؛ أي: يَصلون إليه وإلى ما فيه مِن النَّعيم المقيم بلا تعبِ الكسب، ويبقى في أيديهم، فإن الوراثة أقوى سببٍ للتَّملُّك، حيث لا يُعقب بفسخ ولا استرجاع، ولا يُبطل بردِّ ولا إسقاط.

والفردوسُ: هو البستان الواسع الجامع لأصناف الثَّمر.

وفي إطلاق الوارثين وتقييدهم، وما ترى من التَّفخيم لِمَا يرثونه وتعظيمِه، واستعارته الوراثة (١)، وإيراد اسم الإشارة = إشعارٌ بأنَّهم استحقُّوا ذلك الخطب الجليل من تلك الأعمال والصِّفات لا بسببيتها له (٢)، بل بمقتضى وعده، وهذا القَدْر يكفي في التَّحريض.

﴿ هُمْ فِيهَا خَلِادُونَ ﴾ أنَّتَ الضَّمير على تأويل الجنَّة أو الطَّبقة، فإنَّه أوسط الجنان

⁽١) في هامش (م): «لما عرفت أن الاستحقاق بلا كسب معتبر في استعارة الوراثة. منه».

⁽٢) في (ف) و(ك): «لا لاستئهاله»، وفي (ع): «لا بسببها له»، وسقطت «له» من (ي).

وأعلاها طبقةً، ومن هنا تبيَّن أنَّ ما قيل: إنَّهم يرثون من الكفَّار منازلهم فيها حيث فوَّتوها على أنفسهم لأنَّه تعالى خلق لكلِّ إنسان منزلاً في الجنَّةِ ومنزلاً في النَّار= لا يُناسِبُ المقامَ(١).

* * *

(١٢) - ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقَنَا ٱلْإِنسَنَ مِن سُلَالَةٍ ﴾ السُّلالةُ: صفوةُ الشَّيء التي (٢) تُخرج منه كأنَّها تُستلُ (٣) منه؛ كالصُّفاوة، فُعالة بمعنى مَفعولٍ، فيه معنى القِلَّة، كالقُلامة والقُمامة (٤).

⁽۲) في (م): «صوت الشيء ححتى»، وفي (ف) و(ك): «صوت الشيء»، والمثبت من (ع) و(ي)، وهو الصواب. انظر: «تفسير ابن فورك» (۱/ ۷۰)، و «غرائب التفسير» للكرماني (۲/ ۷۷۱)، و «تفسير البيضاوي» ((3/8)).

⁽٣) في (ف) و(ك) و(م): «نسل»، والمثبت من (ع) و(ي)، وهو الصواب. انظر المصادر السابقة.

⁽٤) في (ف) و (ك): «كالعلاقة والعمامة»، وفي (م): «كالعلامة والعمامة والسلامة»، والمثبت من (ع) و (ي)، وهو الصواب. انظر: «الكشاف» (٣/ ١٧٨). ومما ذكروه في هذا الباب: الفُضَالة والنُّخَالة والنُّخَالة والنُّخالة والنُّحاتة والقُوارة والبُراية والكُناسة. انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٨).

و ﴿ مِن طِينِ ﴾ هنا للابتداء متعلِّقة بـ ﴿ خَلَقَنَا ﴾، وفي قوله: ﴿ مِن طِينٍ ﴾ للبيان، صفة لـ ﴿ سُكنكة ﴾؛ أي: سلالة من طين (١).

* * *

(١٣) - ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَهُ نُطْفَةً فِي قَرَارِ مَّكِينٍ ﴾.

و ﴿ أَلْإِنسَكَنَ ﴾: آدم عليه السَّلام، ﴿ مُُمَّ جَعَلْنَهُ ﴾: ثم جعلنا نسلَه، على حذف المضاف؛ لقوله تعالى: ﴿ وَبَدَأَخَلْقَ ٱلْإِنسَكِنِ مِن طِينِ ﴿ ثُرَّجَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّآءٍ مَن مُلِينٍ ﴾ [السجدة: ٧-٨].

أو الجنسُ (٢)؛ لأنَّه لَمَّا خُلِقَ أَوَّلُ فردٍ منه من سلالة من طين، وسائرُ أفراده خُلِقوا من ذلك الفرد، كان الجنس مخلوقاً من سلالة من طين.

وأمَّا ما قيل: المراد بالطِّين: آدم عليه السلام؛ لأنَّه خُلِقَ منه، والسلالةُ نطفتُه؛ فلا وجه له لِمَا قيل من إخراجه عليه السلام من الجنس المذكور، حيث جُعِلَ مخلوقاً مِن نطفته.

﴿نُطَفَةً ﴾ بأنْ خلقناه منها.

﴿ فِ قَرَارِ مَّكِينِ ﴾: مستقرِّ حصينٍ؛ يعني: الرَّحِم، سُمِّيَ المستقرُّ بالقَرار مبالغةً كأنَّه نفسُ القَرار، ووُصِف بالمكانة التي هي صفة المستقِرِّ فيه (٢) على الإسناد المجازي؛ تتميماً لأمر المبالغة.

* * *

(١) «أي سلالة من طين» سقط من (ك)، و «أي سلالة» سقط من (ف).

⁽٢) عطف على: «آدمُ».

⁽٣) أي: «النطفة». انظر: «روح المعاني» (١٨/ ٣٢).

(١٤) _ ﴿ ثُرَّخَلَقَنَا ٱلنَّطُفَةَ عَلَقَةَ فَخَلَقَنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْفَحَةً فَخَلَقَنَاٱلْمُضْغَةَ عِظْمَا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظْكَمَ لَحْمَا ثُمَّ أَنشَأَنَهُ خَلَقًاءَ اخَرُ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخُلِقِينَ ﴾.

﴿ ثُرَّخَلَقَنَا ٱلنَّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ بأنْ أَحَلْنا النطفة البيضاء علقة حمراء بتدريج بعد زمانٍ.

﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْعَكَةً ﴾ فصيَّرناها قطعة لحم.

﴿ فَخَلَقْنَ المُصْغَةَ عِظْمًا ﴾ بأنْ صلَّبناها ﴿ فَكَسُونَا ٱلْعِظْكَمَ لَحْمًا ﴾ فأثبتنا عليها لحماً فصار لها كاللِّباس.

وقرئ: ﴿عَظْماً﴾(١) وضعاً للواحد موضعَ الجمعِ لعدم اللَّبس، واختلافُ العواطف(٢) لاختلاف الاستحالات والتَّكوُّنات(٢) في التَّراخي وعدمه، ف (ثمَّ)

⁽۱) وهي قراءة أبي بكر وابن عامر. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٨).

⁽٢) قوله: «واختلاف العواطف... إلخ»، قال الشهاب: (يعني: عُطف بعضها بثمَّ الدَّالة على التَّراخي وبعضها بالفاء التعقيبية، مع أنّ الوارد في الحديث من أن مدة كل استحالة أربعين يوما يقتضي أن يعطف الجميع بثم إن نظر لتمام المدة أو لأولها، أو بالفاء إن نظر لآخرها..). انظر: «حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي» (٦/ ٣٢٢). وانظر شرح الاختلاف المذكور للعواطف في التعليق الآتي.

⁽٣) في (ف): «لاستحالاة والتكونات»، وفي (ك): «لاستحالات وتكونات» وقوله: «لاختلاف» ساقط منهما. والمثبت من باقي النسخ، وعبارة البيضاوي: (واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات)، قال الشهاب: (يعني: أنّ بعضها مستبعد حصوله مما قبله وهو المعطوف بثم، فجعل الاستبعاد عقلاً أو رتبة بمنزلة التراخي والبعدِ الحسيّ؛ لأنّ حصول النطفة من أجزاء ترابية غريب جدا، وكذا جعلُ تلك النطفة البيضاء دماً أحمر، بخلاف جعل الدم لحماً مشابها له في اللون والصورة، وكذا تثبيتها وتصليبها حتى تصير عظماً؛ لأنه قد يحصل ذلك بالمكث فيما يشاهد، وكذا مد لحم المضغة عليه ليستره، وهذا ما عناه المصنف). انظر المصدر السابق.

للاستحالة الزَّمانيَّة، والفاء للتَّكوُّن الآتي، إلا ﴿ ثُرَّ﴾ في قوله: ﴿ ثُرُّ أَنشَأْنَهُ ﴾ فإنها مستعارة لِمَا بينَ الخلقَيْن مِن التَّفاوت.

﴿ خَلُقًا ءَاخَرَ ﴾ التَّنكير للتَّنويع؛ أي: نوعاً آخر مِن الخلق مبايناً للخلق الأوَّل بنفخ الرُّوح فيه، وجعلِه حيواناً مباينةً ما أبعدها (١٠)؛ إذ كان جماداً فجعله حيًّا سميعاً بصيراً، ذا أعضاء ظاهرة وباطنة، في كلِّ واحدٍ منها عجائب حكمِه، وغرائب صنعِه، ولطائف قوة (٢) لا يفي بها وصف واصف، ولا يبلغها شرح شارح.

واحتج به أبو حنيفة على أنَّ مَن غصب بيضة فأفر خت عنده لزمَهُ ضمانُ البيضةِ لا الفَرْخ؛ لأنَّه خلقٌ آخرُ.

﴿فَتَبَارُكَ ٱللَّهُ ﴾: فتعالى شأنُّه في قدرته وحكمته.

﴿أَحْسَنُ ﴾ بدل أو خبرُ مبتدأً (٢) محذوف، وليس بصفةٍ لأنَّه نكرةٌ وإنْ أُضِيفَ؛ لأنَّ المضاف إليه عوضٌ مِن (مِن)(٤).

﴿ لَلْكِلِقِينَ ﴾: المقدِّرين تقديراً، فحذف المميِّز لدلالة ﴿ الْخَلِقِينَ ﴾ عليه.

رُوي أنَّ عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله ﷺ، فنطق بذلك

⁽۱) في (ف) و(ك) و(م): «ما بعدها»، والمثبت من (ع) و(ي)، وهو الصواب. انظر: «روح المعاني» (۱۸/ ۳۵).

⁽٢) «قوة» ليست في (ف) و(ك).

⁽٣) في (ف): «أو خبر لمبتدأ».

⁽٤) في (ف): «عوضٌ مِن». وهذا الذي ذكره المؤلف من منع النعت هو قول أبي البقاء، وأجازه غيره على أن الإضافة محضة، فتفيده تعريفا إذا أضيف إلى معرفة. انظر: «روح المعانى» (١٨/ ٣٧).

قبل إملائه، فقال له (١) رسول الله ﷺ: «اكتب هكذا أنزلت» (٢)، قال عبدُ الله: إنْ كانَ محمَّدٌ نبيًّا يُوحَى إلى فأنا نبيٌّ يُوحَى إليَّ، فلحقَ بمكَّة كافراً، ثمَّ أسلم يومَ الفتح (٣).

وهذه الرِّواية غيرُ صحيحة؛ لأنَّ السُّورةَ مكيَّةٌ، وارتداده كان بالمدينة على ما اعترف به الرَّاوي.

* * *

(١٥) - ﴿ ثُمَّ إِنَّاكُم بَعْدَ ذَالِكَ لَمَيْتُونَ ﴾.

﴿ مُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ﴾: لصائرون إلى الموت لا محالة، ولذلك ذكر النَّعت الذي للثُّبوت دون اسم الفاعل، وقد قرئ به(٤٠).

* * *

(١٦) - ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيكَ مَا قِبُّ عَنُونَ ﴾.

﴿ ثُرَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيكَ مَةِ تُبَعَثُونَ ﴾ للمحاسبة والجزاء، ومعنى التَّراخي قد عُلم من الظَّرف، فإيراد أداته ليس لإفادته، بل لإيفاء حقِّ البلاغة.

· ·

(١) «له» ليست في (ف).

(٢) في (ك): «نزلت».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٤٣)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٥٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٤٠١): «غريب».

وأصل القصة رواها أبو داود (٤٣٥٨)، والنسائي (٢٠٤٥)، ولفظه: «عن ابن عباس قال: كان عبد الله ابن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله على فأزله الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله على أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان، فأجاره رسول الله على ».

(٤) أي: (لمائتون). نسبت لزيد بن علي وابن أبي عبلة وابن محيصن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧)، و«المحرر الوجيز» (١٣٨/٤)، و«البحر» (١٥/ ٤٣٠).

(١٧) ـ ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآبِقَ وَمَاكُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَفِلِينَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمُ سَبْعَ طَرَآبِنَ ﴾: سماوات؛ لأنَّ بعضها طُورق فوقَ بعض مطارقة النَّعل، وكلُّ شيءٍ فوقه مثلُه فهو طريقُه (١)، وأمَّا العرش والكرسي فليسا مِن الطَّرائق؛ لعدم المماثلة بينهما وبينها.

﴿ وَمَاكُنَا عَنِ ٱلْخَلْقِ ﴾: وما كنا عنها وعن حفظها وعن إمساكها أن تقع عليكم. ﴿ غَافِلِينَ ﴾ وفي التَّعبير عنها بالخلق فضلُ مبالغة في تعظيم شأنها، وزيادة ﴿ كُنًا ﴾ لاستمرار النَّفي، لا لنفي الاستمرار.

* * *

(١٨) = ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَآمًا بِقَدرِ فَأَسْكَنَّهُ فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِ بِعِد لَقَدر رُونَ ﴾.

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءُ مِآءً مِقَدَرٍ ﴾: بتقديرٍ تقتضيه الحكمة، أو بمقدارِ ما علمنا من الاحهم.

﴿ فَأَسَكَنَّهُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فجعلناه ثابتاً مستقرًّا في الأرض أنهاراً وينابيع.

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَامِ بِهِ عَلَى إِزَالته بِالإِفساد أَو التَّصعيد أَو التَّعميق بحيث يتعذَّر استنباطه.

﴿لَقَادِرُونَ ﴾ كما قدرنا على إنزاله.

وفي تنكير ﴿ ذَهَابِ ﴾ إيماءٌ إلى (٢) كثرة طرقه وأنواعه، ومبالغةٌ في الإيعاد (٣)،

⁽١) في (م): «طريقة».

⁽٢) في (ك) و(م): «على».

⁽٣) قوله: «في الإيعاد» كذا في النسخ بالياء، ومثله في «الكشاف» (٣/ ١٨٠)، و «البحر» (١٥ / ٣٣٤). وجاء في «تفسير البيضاوي» مع حواشي كل من شيخ زاده والشهاب الخفاجي والقونوي: (في الإبعاد به) بالباء وعليه شرحوا، ومثله في «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٢٨). وكلا اللفظين يحتملهما =

وتعديتُه بالباء تأكيدٌ له، دالٌ على ذهاب هو(١) معه يمنعه من الظُّهور، ليس في الإذهاب ذلك، وهو في غاية البلاغة، وزعموا أنَّه ليس في قوله: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَا وَكُرُ عَوْرًا فَنَ رَأْتِهُ رَبِمَا وَمَعِيزٍ ﴾ [الملك: ٣٠] هذه المبالغة والبلاغة، وليس الأمر كما زعموا على ما تقف عليه في موضعه بإذن الله تعالى.

﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُرْ بِهِ ١٠ ﴾ بالماء.

﴿جَنَّاتٍ مِّن نَّغِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُرُ فِيهَا ﴾: في الجنَّة.

﴿ فَوَكِهُ كَثِيرَةٌ ﴾ من غير الجنسَيْن المذكورَيْن تتفكُّهون بها.

﴿وَمِنْهَا ﴾: ومن الجنَّات ثمارها وزروعها.

﴿ تَأْكُونَ ﴾ تغذِّياً (٢)، أو: ترزقون وتحصِّلون معايشكم، من قولهم: فلان يأكلُ مِن حرفَتِه.

ويجوز أنْ يكون المراد: لكم في النَّخيل والأعناب أنواعٌ من الفواكه كالرُّطب والعنب والتَّمر والزَّبيب والبُسر والحصرم والدِّبس والعصير وغير ذلك، ومنها طعامٌ تأكلونه.

السياق، لكن لم أجد من نبه على هذا، ولعلنا لو جمعنا بين اللفظين لم نُبعد، لأن في المبالغة بالإبعاد إيعاد لهم شديد، وقد أشار لهذا الآلوسي في درج كلامه معدداً وجوه أبلغية هذه الآية على آية الملك فقال: (تضمين الإيعاد هنا إيعادَهم بالإبعاد عن رحمة الله تعالى؛ لأن ذهب به يستلزم مصاحبة الفاعل المفعول، وذهاب الله تعالى عنهم مع الماء بمعنى ذهاب رحمته سبحانه عنهم ولعنهم وطردهم عنها).

⁽۱) في (ف): «وهو».

⁽٢) في (ف) و (ك): «تغدياً»، وفي (م): «تعدياً»، والمثبت من (ع) و (ي)، وهو الصواب. انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ٨٤).

(٢٠) - ﴿ وَشَجَرَةً تَغْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنْكُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغِ لِلْأَكِلِينَ ﴾.

﴿ وَشَجَرَةً ﴾ عطف على ﴿ جَنَّاتٍ ﴾، وقُرِئَتْ بالرَّفع على الابتداء (١١)؛ أي: وممَّا أنشئ لكم به شجرةٌ.

﴿ غَنْمُ مِن طُورِ سَيْنَا آءَ ﴾: جبل موسى عليه السلام؛ إمَّا اسمٌ مركّبٌ من المضاف والمضاف إليه كامرئ القيس، وإمَّا اسمٌ مضافٌ إلى بقعة اسمُها سيناء، فمَن كسر سينَ ﴿ سِيناء ﴾ (٢) منعَه من الصّرف للتّعريف والعجمة، أو التّأنيث على تأويل البقعة، لا للألف؛ لأنَّ ألف (فِعلاء) ليسَتْ للتأنيث؛ فإنّه (فِيعال) _ كديماس _ من السّناء بالمد وهو الرّفعة، أو بالقصر وهو النّور، أو ملحق بـ (فِعلال) من السّين (٣)؛ كعلباء وحرباء، ومَن فتح السّين منعه لألف التّأنيث كصحراء.

﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ في موضع الحال؛ أي: تنبتُ ملتبِسةً بالدُّهن، ويجوز أن تكون الله عنه: الباء للتَّعدية كما في قولك: ذهبت بزيد، ويؤيِّده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: (تُخرِجُ الدُّهنَ وصبغَ الآكلين)(٤).

وقرئ: ﴿ تُنْبِتُ بِالدُّهن ﴾ من الإنبات (٥)، وهو إما من أَنْبتَ بمعنى نَبتَ، وأصلُه: دخلَ في النَّبات، وإمَّا حذف مفعوله؛ أي: تُنبِتُ زيتونَها ملتبِساً بالدُّهن.

⁽۱) نسبت لعاصم ونافع في رواية، والمشهور عنهم النصب كالجماعة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ۹۷).

⁽٢) قرأ الكوفيون وابن عامر بفتح السين وباقي السبعة بكسرها. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٩).

⁽٣) «من السين»؛ أي: من هذه المادة. انظر: «حاشية الشهاب» (٦/ ٣٢٥).

⁽٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧)، و«الكشاف» (٣/ ١٨١) والكلام منه.

⁽٥) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٩).

وقرئ على البناء للمفعول(١)، وهو كالأوَّل.

﴿ وَصِنْعِ لِلْآكِلِينَ ﴾ معطوف على ﴿ وَالدُّهْنِ ﴾ جارٍ على إعرابه، عُطف أحدُ وصفَي الشَّيء على الآخر؛ أي: تنبتُ بالشَّيء الجامع بين كونه دُهناً يُدهَن به ويُسرَج منه وكونه إداماً يُصبَغ (١) فيه الخبز؛ أي: يغمس فيه للائتدام.

وقرئ: (وصِباغِ)(٣) كدِباغِ في دِبْغِ.

وإنَّما خصَّ الأنواع الثَّلاثة بالذِّكر مِن بين الثِّمار لأَنَّها أكرم الشَّجر وأفضلها وأجمعها للمنافع؛ فإنَّ النَّخل والعنب يجمعان التَّفكُّه والتَّغذِّي، والزَّيتونَ يجمع الاصطباح والاصطباغ.

* * *

(٢١) _ ﴿ وَإِنَّ لَكُرٌ فِي ٱلْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً تَشْقِيكُرُ مِّمَّا فِي بُطُّونِهَا وَلَكُرٌ فِيهَا مَنْفِعُ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾.

﴿ وَإِنَّاكُمْ فِي ٱلْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾ تعتبرون بها، وتستدلُّون بها.

﴿ نُسْقِيكُم مِمَّافِ بُطُونِهَا ﴾ من الألبان على ما نُصَّ عليه في سورة النَّحل، استئنافٌ لسان العرة.

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنْفِعُ كَثِيرَةً ﴾ سوى الألبان.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ فتنتفعون بأعيانها.

* * *

⁽١) نسبت لعامر بن قيس. انظر: «المختصر في شواذ القراءت» (ص: ٩٧).

⁽٢) في (م): «يصطبغ».

⁽٣) نسبت لعامر بن عبد الله. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧).

(٢٢) - ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تَحْمَلُونَ ﴾.

﴿ وَعَلَيْهَا ﴾ في البرِّ ﴿ وَعَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾ في البحرِ ﴿ تُحْمَلُونَ ﴾ في أسفاركم، وقد غلب استعمال الأنعام في الإبل، ولذلك قُرنَتْ بالفُلْكِ لأنَّها سفائن البرِّ.

* * *

(٢٣) _ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ - فَقَالَ يَنَقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَاهٍ غَيْرُهُۥ ۖ أَفَلَا نَنَقُونَ ﴾ .

﴿ وَلَقَدُّ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ - فَقَالَ يَنقُومِ أَعَبُدُوا ٱللَّهَ ﴾ فقصَّتُه وسائر القِصَص مسوقٌ لبيان الكفران مِن النَّاس النِّعمَ المتلاصقة حتى ابتُلوا بزوالها.

﴿ مَالَكُمُ مِّنَ إِلَاهِ ﴾: معبودٍ ﴿ غَيْرُهُ ۗ ﴾ بالرفع على المحلِّ، وبالجر على اللَّفظ (١٠). والجملة (٢) استئنافٌ يجرى مجرى التَّعليل للأمر بالعبادة.

﴿ أَفَلَانَنَّقُونَ ﴾: أفلا تخافون أن يزيل نعمَه عنكم (٢) ويهلككم بعذابه برفضكم عبادته بعبادة غيره، وكفرانكم نعمَه التي لا تحصونها.

والهمزة الدَّاخلة على الفاء لا(٤) لإنكار التَّعقيب، بل لتعقيب الإنكار.

* * *

(۲٤) _ ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلُوُّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ عَمَا هَٰذَاۤ إِلَّا بَشَرُّ مِثْلُكُو يُرِيدُ أَن يَنْفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوَ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَزَلَ مَلَيْكَةً مَّاسَمِعْنَا بَهٰذَا فِي عَابَ آيِنا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

⁽١) قرأ الكسائي بالجر، وباقي السبعة بالرفع. انظر: «التيسير» (ص: ١١٠).

⁽٢) «والجملة» سقط من (ك).

⁽٣) في (ك) و(م): «عنكم نعمه».

⁽٤) كلمة: «لا»، سقطت من النسخ لكنها كتبت في (ي) فوق همزة «الفاء» استدراكاً.

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَوُّا ﴾: الأشرافُ ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ ، ﴾ قد سبق في تفسير سورة الأعراف وجه توصيف الملأ بهذا الوصف.

﴿ مَا لَمُنَّا إِلَّا بَشَرُّ مِنْ لُكُونِ ﴾ كنايةٌ على زعمهم عن نفي الرِّسالة عنه.

﴿ يُرِيدُ أَن يَنْفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾: أَنْ يطلبَ الفضلَ ويترفَّعَ عليكم بالرِّئاسة.

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ أن يرسل رسولاً ﴿ لَأَنزَلَ مَلَتَهِكَةً ﴾ رسلاً.

﴿مَّاسَمِعْنَا بِهَنَافِيَ اَبَالِأُولِينَ ﴾ بكون البشر رسولاً، أو بنوح ونبوَّته، أو بما يأمرهم من تخصيص الله تعالى بالعبادة ونفي كلِّ مَن دونه مِن الآلهة، أي (١٠): بمثل هذا الكلام، وذلك لكونهم في فترة متطاولة، أو لعنادهم وانهماكهم في الغيِّ، فتكذَّبوا(٢) في ذلك لأنْ يدفَعوا الحقَّ بما أمكنهم، ولهذا جنَّنوه حيث قالوا:

(٢٥) - ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلُ بِدِ، جِنَّةٌ فَ تَرَبَّصُواْ بِدِ، حَقَّى جِينِ ﴾.

﴿ إِنَّهُوَ لِلَّارَجُلُّ بِهِ عِنَّةً ﴾ مع علمهم أنَّه أرجحُ النَّاس عقلاً. والجِنَّةُ: الجنون.

﴿ فَ تَرَبَّصُواْ بِهِ مِ ﴾: فانتظروا ﴿ حَقَى حِينِ ﴾؛ أي: هو مجنون فلا تعجلوا في عقوبته، بل دعوه إلى مدَّة؛ فإمَّا أن يموت، أو يرجع عن هذا، أو تفعلون به ما شئتم.

* * *

(٢٦) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ أَنصُرُ فِي بِمَاكَذَّ بُونِ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرُفِ ﴾ عليهم بإهلاكهم وبإنجاز ما وعدتهم من العذاب.

﴿ بِمَاكَنَّهُونِ ﴾ بسبب تكذيبهم إيَّايَ، أو: بدل تكذيبهم إيَّايَ.

⁽١) في (ف): «أو».

⁽٢) في (ف): «فكذبوا»، وفي (ك) و(م): «فيكذبوا»، والمثبت من (ع) و(ي).

(٢٧) - ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ أَصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُورُ فَأَسْلُكُ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُحْطِبْنِي فِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغَرَقُوكَ ﴾.

﴿ فَأُوْحَيْنَاۤ إِلَيْهِ ﴾؛ أي: أجبنا دعاءه فأوحينا إليه.

﴿ أَنِ ٱصَّنَعِ ٱلْفُلُكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ مبالغةً في الحفظ، كان معه من الله تعالى حُفَّاظ (١٠) يحفظونه بعيونهم لئلا يُفْسِدَ عليه مفسدٌ عملَه.

﴿وَوَحْبِنَا ﴾: وأمرنا وتعليمنا كيف يصنع.

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾: عذابُنا، والمراد من مجيئه: ظهورُ طليعته، وهو (٢) فوران الماء مِن التَّنور، وإنما قال:

﴿ وَفَكَارَ ٱلتَّنَّورُ ﴾ مبالغة ، أخرجَ سبَبَ (٢) الغرقِ مِن موضعِ الحَرقِ؛ ليكونَ أبلغ في الإنذار والاعتبار.

روي أنَّه قيل لنوح عليه الصلاة والسلام: إذا رأيْتَ الماء يفور مِن التَّنور فاركب أنت ومَن معك في السَّفينة، فلمَّا نبعَ الماء مِن التَّنور أخبرتُهُ امرأتُه فركِبَ(٤).

﴿ فَٱسۡلُفَ ﴾: فأدخل ﴿ فِيهَا ﴾ سلك يجيء لازماً ومتعدِّياً، وجاء: أَسْلكه، بالنَّقل مِن اللَّازم.

⁽١) في (ع) و(ك) و(م) و(ي): «حفّاظا».

⁽۲) في (ك): «وهي».

⁽٣) في (ف) و(ك) و(م): «بسبب»، والمثبت من (ع) و(ي) و «تفسير النسفي» (٢/ ٤٦٥).

⁽٤) روى الطبري نحوه في «تفسيره» (١٢/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد.

﴿ مِن كُلِّ ﴾ بالتَّنوين؛ أي: مِن كلِّ أمَّةٍ ﴿ زَوْجَيْنِ أَثْنَيْنِ ﴾ تأكيدٌ، وبالإضافة (١٠)؛ أي: مِن كلِّ أمَّتي الذَّكر والأنثى واحدَيْن مزدوجَيْن.

﴿وَأَهْلَكُ ﴾ أي: أهلَ بيتك ومَن آمنَ معك.

﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْ عِالْقُولُ ﴾؛ أي: القولُ من الله بهلاكه بكفره، وإنَّما جي، برعلي الله بهلاكه بكفره، وإنَّما جي، برعلي الأنَّ السَّابق ضارٌ، كما جي، باللَّام حيث كان نافعاً في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَا ٱلْحُسَّيَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

﴿مِنْهُمٌّ ﴾؛ أي: مِن أهلِك، وهذا يأبي عن تخصيص تفسيره بمَن آمنَ.

﴿ وَلَا تُحَاطِبُنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وهذا نهيٌ عن الدُّعاء لهم بالإنجاء على وجهِ أبلغ، ومَن خصَّ الخطاب بالدُّعاء فقد أخلَّ بحقِّ البلاغة.

جعل النَّهي عن الدُّعاء معلَّلاً بالظُّلم، فلذلك وضع الموصول مع الصِّلة موضعَ الضَّمير، ولم يقل: ولا تخاطبني فيهم؛ إيماءً إلى العلَّة.

ولَمَّا لوَّح إلى (٢) أنَّ الحكمة تقتضي هلاك الظَّالم استأنفَ قوله:

﴿إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾ بالتَّأكيد؛ أي: لا محالة لظلمهم بالإشراك والمعاصي؛ ثمَّ بالغ في ذلك بأمره بالحمد على هلاكهم والنَّجاةِ منهم عُقَيْبَ النَّهي عن الدُّعاء.

* * *

(٢٨) _ ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْمُعَدُ لِلّهِ ٱلّذِى نَجَننا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظّليمِينَ ﴾. ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾: فإذا تمكّنتم عليها راكبين.

⁽١) أي: ﴿مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ ﴾ قراءة السبعة عدا حفص فقرأ بتنوين اللام. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٤).

⁽٢) «إلى» ليست في (ف) و(ك).

﴿ وَهُولِ ٱلْمُحَدُّدِيلِهِ النَّهِ الْقَوْمِ الطَّلِمِينَ ﴾ أمرَهُ بالحمد على نجاته ونجاة مَن معه؛ إشارة إلى أنَّ نجاة أتباعه أيضاً نعمة جليلة في حقه، وامتناناً بها أيضاً، ولو قال: (فقولوا) لم يحصل هذا المعنى.

وأيضاً كبرياء الرُّبوبيَّة يقتضي أنْ (١) لا يترقَّى إلى الخطاب بحضرتها إلَّا نبيُّ مثله (٢)، وأنَّ (٣) كلامه يغني عن كلامِهم، ولا يستأهل الإجابة إلَّا مثله.

* * *

(٢٩) _ ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَّكُا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾.

﴿ وَقُل رَبِّ ﴾ لَمَّا نهاه عن الدُّعاء لإنجائهم أمرَه بدعاء هو أهمُّ وأنفعُ، وهو أنْ يُنزَلَ منزلاً مباركاً.

﴿ أَنِرْلِي ﴾ في الأرض من السَّفينة، لا في السَّفينة؛ لأنَّه عَبَرَ عنه سابقاً بعبارة تدلُّ على الصُّعود، وقد حصل الفراغ عنه وعن إظهار الامتنان بما ترتَّب عليه مِن نعمةِ النَّجاة.

﴿مُنَزَّلَامُبَارَّكَا﴾: يُبارَك لي فيه، ويتسبَّب لزيادة خير الدَّارَيْن.

وقرئ: ﴿مَنْزِلاً﴾(١) بمعنى إنزالاً، أو موضعَ إنزال.

﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ ثناءٌ مطابقٌ لمسألته، أمرَه بأنْ يُشفِعَه بها مبالغةً فيها وتوسُّلاً

⁽١) في (ف): «لأن».

⁽۲) في (ف) و (ك): «من مثله» بدل «نبي مثله».

⁽٣) في (ف): «وإن كان».

⁽٤) وهي قراءة أبي بكر. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٩).

به إلى الإجابة، إنَّما أمرَه بالقولَيْن المذكورَيْن لا بالحمد والدُّعاء تعليماً (١) لطريقهما، وإظهاراً لفضيلة الحمد والدُّعاء (٢) بالعبارَتَيْن المذكورَتَيْن.

* * *

(٣٠) - ﴿ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَأَيْتِ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَنتِ ﴾ فيما فُعِلَ بنوحٍ وقومِه.

﴿لَايَنتِ﴾ يَستدلُّ بها ويَعتَبِر أولو الاستبصار والاعتبار.

﴿ وَإِن ﴾ هي المخفَّفة مِن الثَّقيلة، واللَّام هي الفارقة بينها وبين النَّافية، والمعنى: إنَّ الشَّأن والقصَّة.

﴿ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ لمختَبِرين بهذه الآيات عبادَنا لننظر مَن يعتبر ويذَّكَر؛ لقوله: ﴿ وَلَقَد تَرَكُنَهُ آءَايَةُ فَهَلْ مِن مُذَكِرٍ ﴾ [القمر: ١٥].

وقيل: لمصيبين قومَ نوحِ ببلاءٍ عظيمٍ. وليس في الإخبار به كثيرُ فائدةٍ.

* * *

(٣١) _ ﴿ ثُرَّا أَنشَأْنَامِنَ بَعْدِهِرْ قَرْنَاءَ اخْرِينَ ﴾.

﴿ ثُرُّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَاءَ اخْرِينَ ﴾: عاداً قوم هود عليه السلام؛ لقولِه: ﴿ وَأَذْ كُرُواَ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلُفَا آءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوجٍ ﴾ [الأعراف: ٦٩] _ فإنّه قولُ هود عليه السلام لا قولُ صالح عليه السلام _ ومجيءِ قصة هود على (٣) إثر قصّة نوح عليهما السلام في سورة الأعراف وهود والشُّعراء.

⁽١) في (م): «تعظيما».

⁽٢) «تعليماً لطريقهما وإظهاراً لفضيلة الحمد والدعاء» سقط من (ك).

⁽٣) «على» ليست في (ف) و(ك).

(٣٢) _ ﴿ فَأَرْسَلْنَافِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ أَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَالَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُۥ أَفَلا نَنْقُونَ ﴾.

﴿ فَأَرْسَلْنَافِيمٌ ﴾؛ أي: بين ظهرانيهم وفي زمرتهم، ولم يأتهم مِن موضِعٍ آخر. ﴿رَسُولًا﴾ التَّنكير للتَّعظيم ﴿مِنْهُمُ ﴾: مِن قبيلَتِهم.

﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَالَكُم مِنْ إِلَه عَيْرُهُ ﴾ (أنْ) مفسّرة لـ (أرسلنا)؛ أي: قلنا لهم على لسان الرّسول: اعبدوا الله.

﴿ أَفَلَا لَنَقُونَ ﴾ عذابَه، وإدخال الهمزة على الفاء لإنكار عدم التَّقوى بعد العلم بأنَّه لا إله لهم غيره.

وفيه تنزيلٌ لهم منزلةَ العالم به؛ لتمكُّنهم مِن العلمِ به، وتنبيهٌ على ظهور الدِّلالة على ذلك.

* * *

(٣٣) _ ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ الْآخِرَةِ وَالْتَرْفَنَهُمْ فِ الْحَيَوْةِ الدُّنْيَامَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْ الْمُرَافِقَ مَا تَشْرَبُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلاَ أُمِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ لَمَّا تضمَّن ﴿ فَأَرْسَلْنَا ﴾ معنى القَول عطف عليه قولهم بالواو(١٠)؛ أي: اجتمع في الحصول ذاك(٢) الحقُّ وهذا الباطل.

﴿ وَكَنَّبُواْ بِلِقِلَا وَ الْآخِرَةِ ﴾؛ أي: بلقاء ما فيها من الحساب والجزاء، يعني: بالبعث. ﴿ وَأَتَّرَفْنَهُمْ ﴾: ونعَّمناهم ﴿ فِ ٱلْخَيَوْةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ بكثرة الأموال والأولاد:

⁽۱) في هامش (ف) و(م) و(ع): «هذا هو الوجه لا ما ذكر القاضي من عدم اتّصال كلامهم بكلامه؛ لأنّه إنّما يصلح وجهاً لعدم التّصدير بالفاء، لا للتّصدير بالواو؛ لبقاء احتمال الفصل على الاستئناف. منه».

⁽٢) في (ف): «ذلك».

﴿مَاهَنِذَآ إِلَّا بَشُرٌ مِّثُلُكُمْ ﴾ في الحال والصَّفة.

﴿ يَأْكُلُومَمَّاتَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشَرَبُ مِمَّاتَشْرَبُونَ ﴾ تقريرٌ للمماثلة، ولذلك تُرِكَ في قصَّة نوح عليه السلام لترك قيد المماثلة.

و (ما) خبريَّة، وحذف العائد إلى الثَّاني لدلالة ما قبلَه، أو لشياع حذف المنصوب؛ أي: تشربونه.

* * *

(٣٤) _ ﴿ وَلَيِنَ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَحَلْسِرُونَ ﴾.

﴿ وَلَيِنَ أَطَعْتُم بَشَرًا مِنْلَكُم ﴿ فيما يأمركم به وينهاكم عنه.

﴿إِنَّكُمْ إِذَا ﴾ واقعٌ في جزاء الشَّرط، وجوابٌ للذين قاولوهم مِن قومهم.

﴿لَّخَاسِرُونَ﴾ بالانقياد لمثلكم، ومن حمقهم أنَّهم(١) أَبُوا اتِّباع أمثالهم وعبدوا أعجزَ منهم.

* * *

(٣٥) _ ﴿ أَيَعِذُكُمُ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنَّكُمْ تَعْرَجُونَ ﴾.

﴿ أَيَعِدُكُمُ آنَكُمُ إِذَامِتُمْ وَكُنتُمُ تُرَابًا وَعِظْنَمًا ﴾ لَمَّا كان كونه تراباً معلوماً بطريق العقل وكونُهم عظاماً مشاهَداً معلوماً بطريق الحسِّ، كان الثَّاني أشدَّ دفعاً في الاستبعاد عندَ العامَّة، فلذلك أخَّره، بل نقول: لو لا مشاهدة العظام لكان الوهم يعارض العقل في كونه تراباً، فهو كالتَّتميم للأوَّل، ولذلك تراه يُذكَرُ مؤخَّراً في جميع المواضع.

﴿ أَنَّكُمْ مُعْزَبُونَ ﴾ من العدم إلى الوجود تارةً أخرى.

⁽۱) «أنهم» ليست في (ف).

وثنَّى ﴿أَنَّكُمُ ﴾ للتَّأكيد، وحَسُنَ ذلك لطول الفصل بين الأوَّل والثَّاني، و ﴿ تُغْرَبُونَ ﴾ خبرٌ عن الأوَّل، و ﴿ إِذَا ﴾ لمجرَّد الظَّرفيَّة، أو محذوف الجواب لدلالة (أنَّ) مع اسمها وخبرها عليه.

أو(١) ﴿ أَنَّكُمُ مُخْرَجُونَ ﴾ مبتدأ خبره الظّرف، والجملة خبر (أنَّ) الأولى؛ أي: أنكم إخراجكم إذا متم، أو مرفوع بفعل مقدَّر هو جواب الشَّرط، والشرطيَّة خبر؛ أي: أنكم إذا متم وقعَ إخراجكم (١).

* * *

(٣٦) - ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَاتُوعَدُونَ ﴾.

﴿ هَيَهَاتَ هَيُهَاتَ ﴾ من أسماء الأفعال، واقعٌ موقع بَعُدَ، وفاعلها مُضمَر؛ أي: بَعُدَ التَّصديق أو الوقوع، واللَّام في:

﴿لِمَاتُوعَدُونَ﴾ للبيان، كما في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]، كأنَّهم لَمَّا صوَّتوا بكلمة الاستبعاد قيل: فما الذي له هذا الاستبعاد؟ قالوا: لما توعدون.

أو فاعلها ﴿لِمَاتُوعَدُونَ﴾ واللَّام زائدة؛ أي: بَعُدَ ما توعَدُون مِن البعثِ.

وقيل: ﴿ هَيْهَاتَ ﴾ بمعنى: البُعْدُ، وهو مبتدأٌ خبرُه ﴿ لِمَاتُوعَدُونَ ﴾.

وقرئ بالفتح منوَّناً للتَّنكير(٣)، وبالضَّمِّ منوناً على أنَّه جمع هيهةٍ، وغيرَ منوَّنٍ

⁽١) في (ك) و(م) و(ع): «و».

⁽۲) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ٨٧).

⁽٣) نسبت لخالد بن إلياس، ولهارون عن أبي عمرو. انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ١٤٣)، و«زاد المسبر» (٣/ ٢٦١).

تشبيها ب(قبل)، وبالكسر على الوَجهَيْن (١)، وبالسُّكون على لفظ الوقف (٢)، وبإبدال التَّاءِ هاءً (٣).

* * *

(٣٧) _ ﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَ الْنَاٱلدُّنْ الدُّنْ الْمُوتُ وَنَعْيَا وَمَا غَنُّ بِمَبْعُوثِينَ ﴾.

﴿إِنَّهِ عَلِلَا حَيَ النَّالَدُنْيَا ﴾ أصله: إنِ الحياةُ إلَّا حياتُنا الدُّنيا، فوضع ﴿ فِي ﴾ موضع (الحياة) لدلالة الخبر عليها؛ حذراً عن التَّكرار، وإشعاراً بأنَّ تعيينها مغنِ عن التَّصريح، كقوله:

هي النَّفسُ ما حَمَّلتَها تَتحمَّلِ (١)

والمعنى: لا حياةَ إلَّا هذه الحياة الدُّنيا؛ لأنَّ (إنْ) النَّافية دخلَتْ على (هي) التي بمعنى الجنس، فوازنت (لا) التي لنفي الجنس.

﴿ نَمُوتُ وَغَيّا ﴾ يموت منّا بعضٌ ويُولَد بعضٌ ﴿ وَمَا نَعُنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ بعدَ الموتِ.

* * *

(٣٨) - ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلُ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَعَنُ لَهُ، بِمُوَّمِنِينَ ﴾.

(١) قرأ بالكسر بلا تنوين أبو جعفر المدنى. انظر: «النشر» (٢/ ٣٢٨).

وللدَّهْـر أيّـامٌ تجـورُ وتعـدِلُ

⁽٢) أي: (هيهاتْ هيهاتْ). نسبت لخارجة بن مصعب وأبو حيوة والأحمر. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٧). وانظر كل ما ذكر من قراءات في «الكشاف» (٣/ ١٨٦).

⁽٣) وقف الكسائي والبزي بالهاء. انظر: «التيسير» (ص: ٦٠).

⁽٤) صدر بيت لعلي بن الجهم. انظر: «ديوانه» (ص: ١٦٢)، و «روضة العقلاء» (ص: ١٤٥)، و «معجم الشعراء» (ص: ٤٤)، وعجزه:

﴿ إِنَّ هُوَ ﴾: ما هو ﴿ إِلَّا رَجُلُ أَفْتَرَى عَلَى اللهِ ﴾ فيما يدَّعيه مِن إرساله (١) ، وفيما يعدنا مِن البعث، والمفتري قد يكون صادقاً في نفسه، ويكون الكذب في نسبته إلى المفترى عليه، فقوله:

﴿كَذِبًا﴾ لدفع هذا الاحتمال، وهذا غاية الضَّلال.

﴿ وَمَا نَعَنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾: بمصدِّقين، وتقديم ﴿ لَهُ ، ﴾ للمحافظة على الفاصلة.

* * *

(٣٩) - ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْ فِي بِمَا كَنَّ بُونِ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ اَنْصُرْ فِي ﴾ عليهم، وانتقم لي منهم ﴿ بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ قد سبق تفسيره.

فأجاب الله تبارك وتعالى حيث:

(٤٠) - ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلِ لَّيُصِّبِحُنَّ نَكِمِينَ ﴾.

﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلِ ﴾ (عن) يتعلَّق بـ (يصبحُنَّ)، و(ما) زائدة لتوكيد معنى القلَّة، أو بمعنى شيء، أو زمن، و ﴿ قَلِيلِ ﴾ صفةٌ له، وجواب القسم المحذوف.

﴿لَّيُصِّيحُنَّ نَكِمِينَ ﴾ على ما فعلوا إذا عاينوا ما يحلُّ بهم.

* * *

(٤١) ـ ﴿ فَأَخَذَتُهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ ٱلظَّلِلِمِينَ ﴾.

﴿ فَأَخَذَتُهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾: العقوبةُ الهائلةُ، لا صيحةُ جبريل عليه السلام وعلى إخوانه من الملائكة والنَّاس؛ لِمَا عرفْتَ أنَّ القصَّة قصَّة هود عليه السلام وعلى إخوانه (٢)، لا قصَّةُ صالح عليه السلام.

في (ف): «الرسالة».

⁽٢) «وعلى إخوانه» ليست في (ف).

﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ باستحقاقهم ذلك، أو: بالوجه الثَّابت الذي لا دافع (١) له، أو: بالعدل من الله تبارك وتعالى، أو: بالوعد (٢) الصِّدق.

﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءَ ﴾ شبَّههم في دمارهم بالغُثاء، وهو حميل السَّيل ممَّا بَلِيَ واسودً من الورق والعيدان، وهذا التَّشبيه يناسب حال قوم هود عليه السلام.

﴿ فَبُعَدًا ﴾ مصدر بَعُدَ: إذا هلك، وهو من المصادر المنصوبة بأفعال لا يُستعمل إظهارها.

واللَّام في:

﴿لِلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴾ لبيان مَن دُعِيَ عليه بالبُعْدِ، ووُضع الظَّاهر موضع المضمر (٣) للتَّعليل، ويحتمِل الإخبارَ.

* * *

(٤٢) - ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴾.

﴿ ثُمَّ أَنَشَأْنَامِنُ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴾ قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم عليه السلام.

* * *

(٤٣) ـ ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلُهَا وَمَا يَسْتَغْخِرُونَ ﴾.

﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ ﴾ مزيدةٌ للاستغراق ﴿ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾: الوقت الذي عُيِّنَ لهلاكها و كُتِبَ.

⁽۱) في (ف) و(ك): «دفع».

⁽۲) في (ف): «بالوعيد».

⁽٣) في (ك): «الضمير».

﴿وَمَايَسْتَنْخِرُونَ ﴾ الأجلَ.

* * *

(٤٤) _ ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلِنَا رَسُلَنَا تَثَرَّأَكُلَ مَا جَآءَ أُمَّةً رَسُولُمُنَا كَذَّبُوهُ فَأَتَبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضَا وَجَعَلْنَكُهُمْ أَكُلُوهُ فَأَتَبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضَا وَجَعَلْنَكُهُمْ أَكُونِتُ فَبُعُذًا لِقَوْمِ لَا يُوْمِنُونَ ﴾.

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَارُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ فَعْلى، والألف للتّأنيث؛ لأنَّ الرُّسل جماعة.

وقرئ: ﴿تَرَا﴾ بالتَّنوين (١) على أنَّه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالاً، والتَّاء بدل من الواو كما في تَوْلَج وتَيْقُور (٢)؛ أي: متواترين واحداً بعد واحدٍ، مِن الوتر، وهو الفرد.

﴿ كُلَّ مَا جَآءَ أَمَةً رَّسُولُمُا كَذَبُوهُ ﴾ أضاف الرُّسل مع الإرسال إلى المرسَل ومع المحيء إليهم، المحيء إلى المرسَل إليهم، لأنَّ مبدأ الإرسال (٣) منه ومنتهى المجيء إليهم، فالرَّسول يلابسُهما (١) جميعاً، فتصحُّ إضافتُه إليهما.

﴿فَأَتِّبَعْنَا بَعْضَهُم ﴾: فأتبعنا بعضَ الأمم أو القرون ﴿بَعْضًا ﴾ في الإهلاك.

﴿ وَبَحَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾: أخباراً يُسْمَر بها، ويُتعجَّب منها.

والأحاديثُ تكون اسمَ جمع للحديث، ومنه أحاديث الرَّسول عليه

(۱) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٩).

⁽٢) التَوْلَجُ: كِناسُ الوحِسُ الذي يَلِجُ فيه. التاء مبدلة من الواو، وهو فوعل لأنك لا تكاد تجد في الكلام تفعل اسماً. والتَّيْقورُ: الوقارُ، وأصلُه ويقور، قلبت الواو تاء. انظر: «الصحاح» (مادة: ولج، وقر).

⁽٣) في (ف): «الرسالة».

⁽٤) في (م): «ملابسهما».

السلام، وتكون جمعاً للأحدوثة، وهي ما يتحدَّثِ به النَّاسُ تلهِّياً وتعجُّباً، وهو المراد هنا.

﴿فَبُعُدًا لِّقَوْمِ ﴾ سبق تفسيره آنفاً ﴿لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ به.

* * *

(٤٥) ـ ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِثَايِنِتَا وَسُلْطَانِ مُبِينٍ ﴾.

﴿ ثُمُّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ ﴾ للإشعار بأنَّ إرساله عليه السلام كان تَبعاً لموسى عليه السلام، تعرَّض لأخوَّته له، ونزَّل ذلك الوصف منزلة الأصل، حيث جعل اسمه بدلاً عنه.

﴿ بِكَايَنتِنَا ﴾ بالآيات التّسع.

﴿ وَسُلْطَنَنِ مُّبِينٍ ﴾ وحجَّةٍ واضحةٍ تظهِرُ بُطلانَ المخالِف، ويجوز أَنْ يُراد به العصا، وإفرادُها بالذِّكرِ لأَنَّها أُمُّ المعجزات وأُولاها، وتعلَّقَتْ بها معجزاتٌ شتَّى كما ذكر، كأنَّها (١) ليست بعضَها لِمَا استندت به من الفضل، ويجوز أَنْ يُرادَ الآياتُ أَنفسها؛ لأَنَّها آياتٌ وحجَّةٌ بيِّنةٌ.

* * *

(٤٦) _ ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِنْ هِ-فَأَسْتَكُبُرُواْ وَكَانُواْ فَوَمَّا عَالِينَ ﴾.

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِنْهِ عَلَى مَا أَفْصِحَ عَلَى مَا أَفْصِحَ عَلَى مَا أَفْصِحَ عَلَى مَا أَفْصِحَ عَنْ فَي سُورة الشَّعراء، حيث قال: ﴿ فَأْتِيَافِرْعَوْنَ فَقُولَاۤ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ۚ ۚ أَنَّ أَرْسِلُ مَعَنَا بَنِيَ إِسْرَتِهِ بَلَ ﴾ [الشعراء: ١٦]؛ أي: خلِّهم يذهبوا معنا إلى الشَّام.

⁽١) في (ف): «كما إذا ذكر أنها»، وفي (ك): «كما ذكر أنها».

﴿ فَأَسْتَكُبُرُوا ﴾ عن تصديقِهما في الرِّسالة المذكورة، وعن الائتمار بأمرِهما، لا عن المتابعة؛ لأنَّهما عليهما السلام لم يَدْعوهم إليها، دلَّ على ذلك قولهما: خلِّهم يذهبوا معنا إلى الشَّام.

﴿وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ﴾: متكبرين.

* * *

(٤٧) _ ﴿ فَقَالُوا أَنْوَينُ لِبِشَرَيْنِ مِثْلِنَ اوَقَوْمُهُمَا لَنَا عَلِيدُونَ ﴾.

﴿ فَقَالُواْ أَنُوْمِنُ ﴾: أنذَعَنُ وننقادُ ﴿ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾ البَشرُ اسم الجنس، كما يُطلَق على الواحد كقوله: على الجمع كقوله: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِأَحَدًا ﴾ [مريم: ٢٦]، يُطلَق على الواحد كقوله: ﴿ بَشَرَاسُويًا ﴾ [مريم: ١٧]، وبهذا الاعتباريثنَّي.

و(مثل) كغير: يُوصَفُ به الاثنان والجمع، والمذكّر والمؤنّث، كقوله: ﴿إِنَّكُونَ إِنَّا مِثْلُهُمْ ﴾ [الطلاق: ١٢]، ويقال أيضاً: هما مثلاه، وهم أمثالهم.

﴿وَقَوْمُهُمَا ﴾ يعني: بني إسرائيل.

﴿ لَنَا عَنِيدُونَ ﴾ على الحقيقة، كأنَّه كان يدَّعي الإلهيَّة فادَّعي للنَّاس العبادة.

* * *

(٤٨) _ ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴾.

﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴾ بالغرق.

* * *

(٤٩) _ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِنْبَ لَعَلَّهُمْ يَهَندُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَّيْنَا ﴾ بعدَ إهلاكِهم ﴿ مُوسَى ٱلْكِئنَبَ ﴾: التَّوراةَ.

لَمَّا كان إيتاؤه موسى عليه السلام في حكم إيتائه قومه قال:

﴿لَعَلَّهُمْ يَهُنَدُونَ ﴾؛ أي: يعملون بشرائِعِها ومواعظها؛ فإنَّ الاهتداءَ بالكتبِ الإلهيَّةِ إنَّما يحصل بالعمل بما فيها، لا بعلْمِها.

* * *

(٥٠) - ﴿ وَجَعَلْنَاأَتِنَ مَرْيَمَ وَأُمَّتُهُ ءَايَةً وَءَاوَيْنَكُمْنَا إِلَىٰ رَبْوَةِ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾.

﴿ وَيَحَلَنَا أَبْنَ مَرْيَمَ ﴾ عَبَرَ عنه بكنيته دون اسمه؛ لما فيها من الإشارة إلى وجه كونه آية، وهو ولادته مِن غير أب، وذلك أنَّ الأصل في النَّسب هو الأب، فلا يُعدَلُ عنه إلَّا عندَ فقدِه.

﴿وَأَمْنُهُ ءَايَةً ﴾ بولادتها إيَّاه من غير مسيسٍ، فهما معاً آيةٌ واحدةٌ.

أو: وجعلنا ابنَ مريم آيةً بأنْ تكلَّم في المهد وظهرَتْ منه معجزاتٌ أُخَر، وأمَّه آيةً بأنْ ولدَتْ مِن غيرِ مَسيسٍ، فحذف الأولى لِدلالةِ الثَّانية عليها.

﴿ وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَىٰ رَبُوقِ ﴾: هي الأرضُ المرتفعة، قيل: هي بيت المقدس، وقيل غيره.

﴿ ذَاتِ قَرَارِ ﴾: مستقرِّ مِن أرضٍ منبسطةٍ، وقيل: ذات ثمارٍ وزروعٍ، فإنَّ ساكنيها يستقرُّون فيها لأجلها.

﴿ وَمَعِينِ ﴾ المَعينُ الماءُ الجاري على وجه الأرض، مفعول مِن عَانَه: إذا أدرك بالعَيْن نحو رَكَبَهُ: إذا ضربَه بالرُّكْبَةِ؛ أي: يُدْرَكُ بالعَيْن لظهوره، فميمه على هذا زائدة.

أو فعيل مِن مَعَنَ الماء: إذا جرى، وأصله: الإبعاد في الشَّيء، أو مِن الماعون الذي هو المنفعة؛ أي: نفَّاع، فميمُه أصليَّةٌ.

* * *

(٥١) - ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُواْ صَالِحًا إِنِّي بِمَاتَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ يَنَا يُهُمُّ الرَّسُلُ كُلُواْ مِنَ الطَّيِبَتِ ﴾ هذا النّداءُ والخطاب ليسا على ظاهرهما؛ لأنهم أُرْسِلوا متفرِّقين في أزمنةٍ مختلفةٍ، وإنَّما المعنى الإعلام بأنَّ كلَّ رسولٍ في زمانِه نُودِيَ لذلك ووصِّي به؛ ليعتقد السَّامع أن أمراً نودي له جميع الرُّسل ووُصُّوا به حقيقٌ أنْ يُؤْخَذ به ويُعْمَل عليه، أو خطابٌ لمحمَّدٍ عليه الصلاة والسلام لفضله وقيامه مقامَ الكلِّ في زمانه، وكان يأكل من الغنائم، أو لعيسى عليه السلام لاتصال الآيةِ بِذِكْرِه، وكان يأكل مِن غَزْل أمِّه، وهو أطيب الطَّيِبات.

والمراد بـ ﴿ الطَّيِبَاتِ ﴾: ما (١) حلَّ، والأمرُ للتَّكليف، أو: ما يُستطَابُ ويُستَلَذُ، والأمرُ للتَّرفيه (٢) والإباحة، ومع الاحتمال لا يتمُّ الاحتجاج به على الرَّهبانيَّة (٣) في رفض الطَّيِّباتِ بالمعنى الثاني.

﴿وَأَعْمَلُواْ صَالِحًا ﴾: موافقاً للشريعة.

﴿إِنِّي بِمَاتَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ فأجازيكم على أعمالكم.

* * *

(۱) في (ف) و(م): «مما».

(٢) في (ك): «للتنزيه».

(٣) في (ك): «الرهابنة».

(٥٢) _ ﴿ وَإِنَّ هَالَمِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَّا رَبُّكُمْ فَٱلْقُونِ ﴾.

﴿ وَإِنَّ هَالِهِ ﴾ بالكسر على الاستئناف، وبالفتح (١) بمعنى: ولأنَّ، والمعلَّل ﴿ وَإِنَّ هَالِهِ ﴾، أو هو معطوف على ما قبله؛ أي بما تعملون عليم وبأنَّ هذه، أو تقديره: واعلموا أن هذه.

وقرئ بالتَّخفيف(٢).

﴿أُمَّنُّكُورُ ﴾: مِلَّتُكم وطريقَتُكم.

﴿ أُمَّةً وَنَعِدَةً ﴾ في أصول الشَّرائع والمعتقدات، أو: جماعتكم جماعة واحدة متّفقة في التّوحيد والإيمان، ونصبُها على الحال.

﴿ وَأَنَّا رَبُّكُمْ ﴾ وحدي ﴿ فَأَنَّقُونِ ﴾ في شقِّ العَصا ومخالفة الكلمة.

* * *

(٥٣) - ﴿ فَتَقَطَّعُواْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْمِ مَرْحُونَ ﴾.

﴿ فَتَقَطَّعُواً ﴾ تقطَّع بمعنى قطَّع، والضَّمير لِمَا دلَّ عليه (الأمَّة) مِن أربابها، أو .

﴿أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ﴾: ما أُمِروا به مِن الشَّرائع والأحكام.

﴿ زُبُرُ ﴾: جمع زبور؛ أي: كُتُباً مختلفة؛ يعني: جعلوا دينهم أدياناً، وقيل: تفرَّقوا في دينهم كلُّ ينتحل (٢) كتاباً.

⁽١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٩).

⁽٢) بتخفيف النون مع فتح الهمزة قراءة ابن عامر. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٩).

⁽٣) في (ف) و(ك): «سبجل»، وفي (م): «مسبجد». والمثبت من (ع) و(ي)، وهو الصواب. انظر: «تفسير النسفي» (٢/ ٤٧٢)، والكلام منه، ولفظه: «تفرقوافي دينهم فرقاً كل فرقة تنتحل كتاباً».

وعن الحسن: قطَّعوا كتابَ الله قطعاً(١).

ويؤيده قراءة: (زُبَراً) بفتح الباء (٢٠)، جمع زُبْرةٍ مستعارة من زُبَر الحديد، ويجوز أن يكون حالاً من ﴿أَمْرَهُم ﴾، أو من الواو.

﴿ كُلُّ حِزْبِ ﴾: كلُّ فرقةٍ مِنْ فِرَقِ هؤلاء المختلفين المتقطِّعين دينهم.

﴿ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ مِن الكتاب والدِّين، أو مِن الهوى والرَّأي.

﴿ فَرِحُونَ ﴾: معجبون معتقدون أنَّهم على الحقِّ.

* * *

(٥٤) - ﴿ فَذَرُهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾.

﴿ فَذَرَهُمْ فِ عَمْرَتِهِمْ ﴾: في جهالتهم، شبَّهها في غلبتها عليهم بالماء الذي يَغْمُرُ القامة؛ لأنَّهم مغمورون فيها، أو شُبِّهوا باللَّاعبين في غمرةِ الماء؛ لِمَا هم عليه مِن الباطل.

﴿ حَتَى حِينٍ ﴾ إلى أن يُقتلوا أو يموتوا (٣). سُلِّيَ به رسول الله ﷺ، ونُهي عن الاستعجالِ بعذابهم.

* * *

(٥٥) - ﴿ أَيَعَسَبُونَ أَنَّمَانُيدُ هُر بِدِيمِن مَالِ وَبَينِ ﴾.

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَانُيذُهُم بِهِ عَهِ: أَنَّ مَا نعطيهم ونجعله مدداً لهم ﴿مِن مَّالِ وَبَنِينَ ﴾ بيانٌ

⁽۱) انظر: «تفسير النسفي» (۲/ ٤٧٢). وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (۱۷/ ٦٢ _٦٣) عن مجاهد.

⁽٢) نسبها الداني في «جامع البيان» لابن عامر (٢/ ٣٠٣) لكن بخلاف بين أصحاب هشام راوية ابن عامر، ونسبت لأبي عمرو في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٩).

⁽٣) في (م): «ويموتوا».

لـ (ما) لا خبرٌ له، فإنَّه غيرُ مُعابِ عليه، وإنَّما المعاب عليه اعتقادهم أنَّ ذلك خيرٌ لهم، فخبرُه:

* * *

(٥٦) _ ﴿ نُسَارِعُ لَمُمَّ فِي ٱلْخَيْرَاتِ عَلَ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

﴿ نُسَارِعُ لَمُمْ فِ ٱلْخَيْرَتِ ﴾ والعائد مِن خبر (أنَّ) إلى اسمها محذوفٌ؛ أي: نسارع لهم به، والمعنى: إنَّ هذا الإمداد ليس إلَّا استدراجاً لهم إلى المعاصي، وهم يحسبونه مسارعةً لهم في الخيرات، ومعاجلةً بالثَّواب جزاءً على حُسن صنيعهم، ويجوز أن يُراد: في جزاء الخيرات كما يُفعل بأهل الخير من المسلمين.

﴿بَل﴾ إضراب عمَّا يحسبونه.

﴿لَايَشُعُونَ﴾؛ أي: بل(١) هم أشباهُ البهائم، لا فِطنةَ بهم ولا شعور حتى يتأمَّلوا ويتفكَّروا(٢) في ذلك، فيعلموا أنه استدراجٌ لا مسارعةٌ في الخير.

* * *

(٥٧) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْكَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم ﴾ الخشيةُ: خوفٌ يَشوبُه التَّعظيمُ.

﴿ مُشْفِقُونَ ﴾: قاضُون لحقّ الهيبة والعظمة على حذرٍ ورقْبَةٍ. والإشفاقُ: خوفٌ معَ اعتناءٍ.

* * *

⁽١) «بل» سقط من (ف).

⁽۲) في (ك): «أو يتفكروا».

(٥٨) - ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم رِئَايَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم رِئَايَتِ رَبِّهِمْ ﴾ المنصوبة والمنزَّلة.

﴿ يُوْمِنُونَ ﴾: يصدِّقون مدلولَها ونزولَها مِن عند الله.

* * *

(٥٩) - ﴿ وَٱلَّذِينَ هُرِيرَةٍ مِ لَا يُشْرِكُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُرِبِرَيِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ شركاً جليًّا ولا خفيًّا.

* * *

(٦٠) _ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتُواْ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَّةً أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَجِعُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُوْتُونَ مَا ٓءَاتُوا ﴾ يعطون ما أعطوه من الصَّدقات. وقرئ: (يَأْتُوْنَ مَا أَتُوْا)(١١)؛ أي: يفعلون ما فعلوه مِن الطَّاعات.

﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةً ﴾ أَنْ لا يُقبلَ منهم، وأَنْ لا يقعَ على الوجه اللَّائق فيؤاخَذوا به. والوَجَلُ: اضطرابُ النَّفسِ لتوقَّع ما يُكْرَه (٢).

﴿ أَنَّهُمْ إِلَّا رَبِّهِمْ زَجِعُونَ ﴾ لأنَّ مرجعهم إليه، وهو يعلم ما يخفي عليهم.

* * *

(٦١) _ ﴿ أُولَكِيكَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْحَيَّرَتِ وَهُمْ لَمَا سَنِيقُونَ ﴾.

﴿ أُولَكِمِكَ يُسُرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَتِ ﴾: يرغبون فيها أشدَّ الرَّغبةِ فيبادرونها، والأحسنُ طباقاً لِما تقدَّم والأشدُّ وِفاقاً له أنَّ المعنى: أنَّهم يسارعون في نيل الخيرات

⁽۱) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ۹۸)، و «المحتسب» (۲/ ۹۵).

⁽۲) في (م): «لتوقع مكروه».

الدُّنيويَّة ويتعجَّلون في الدُّنيا المنافع ووجوه الإكرام، لأَنَّهم إذا سُورعَ بها لهم فقد سارعوا في نيلها وتعجَّلوها؛ لقوله: ﴿ فَانَنْهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنيَا وَحُسَّنَ ثَوَابِ اللَّهِمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنيَا وَحُسَّنَ ثَوَابِ اللَّهِمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّيْرَةِ ﴾ [آل عمران: ١٤٨]؛ لأنَّ فيه إثباتَ ما نُفِيَ عن الكفَّار للمؤمنين.

﴿ وَهُمْ لَمَا سَنِقُونَ ﴾؛ أي: لأجلها فاعلون السَّبْق، أو: سابقون النَّاس لأجلِها، أو: إيَّاها سابقون؛ أي: ينالونها قبلَ الإِخرة، حيث عُجِّلَتْ لهم في الدُّنيا.

حال من فاعل ﴿ يُمُنَرِعُونَ ﴾، أو عطف على ﴿ أُولَكِيكَ يُمَنَرِعُونَ ﴾ عطف الجملة على الجملة على الجملة ، و ا

* * *

(٦٢) - ﴿ وَلَانُكُلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَلَدَيْنَاكِنَاتُ بَنِطِقُ بِٱلْحَيَّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

﴿ وَلَا نُكِلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسَعَهَا ﴾: قَدْرَ طاقتها، يريد به التَّحريض على ما وصف به الصَّالحين وتسهيله على السَّامعين.

﴿ وَلَدَيْنَاكِكُنْكُ ﴾؛ أي: ما عملوه غيرُ ضائعٍ، بل مثبَتٌ في كتابٍ؛ أي: اللَّوحِ، أو صحيفةِ الأعمال.

﴿يَنْطِقُ بِٱلْحَقِّ ﴾: يبيِّنُ الصِّدق، لا يوجد فيه ما يخالفُ الواقعَ.

﴿ وَمُرَكَا يُظْلَمُونَ ﴾ بزيادة عِقابِ، أو نقصان ثواب، وتقديم ﴿ وَمُرَ ﴾ للمحافظة على الفاصلة، ثم عاد إلى ذِكْر الكافرين فقال:

⁽۱) والمعنى: يرغبون في الطاعات والعبادات أشد الرغبة، وهم لأجلها فاعلون السبق، أو لأجلها سابقون الناس إلى الثواب أو إلى الجنة. انظر: «روح المعانى» (۱۸/ ۱۰۳).

(٦٣) _ ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةِ مِّنْ هَلْذَا وَلَهُمْ أَعْمَالُ مِّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَلِمِلُونَ ﴾.

﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَوَ ﴾: في غفلةٍ غامرةٍ لها ﴿ مِّنْ هَٰذَا ﴾: مِن الذين وُصِفَ به السَّابقون.

﴿ وَلَمُمُ أَعْمَالُ ﴾ خبيثة ﴿ مِن دُونِ ذَلِكَ ﴾ متجاوزةٌ عمَّا وُصِفُوا به، والإشارة بـ ﴿ ذَلِكَ ﴾ للتَّعظيم.

﴿هُمُ لَهَاعَلِمِلُونَ ﴾: معتادون فعلها.

* * *

(7٤) ـ ﴿ حَتَى إِذَا أَخَذْنَا مُتَرْفِيهِم إِلْعَدَابِ إِذَاهُمْ يَجْتُرُونَ ﴾.

﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتَرفِيهِ ﴾ متنعّميهم.

﴿ الله م وهو القَتْلُ يومَ بدرٍ ، أو الجوعُ حين دعا عليهم رسولُ الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله عليه الله تعالى بالقَحْطِ حتى أكلوا الجيف والكلاب والعِظام المحرَّقة والقِدَّ والأولاد (٢).

﴿إِذَاهُمْ يَجْنَرُونَ ﴾ الجؤارُ: الصَّراخُ بالاستغاثة؛ أي: فاجَؤوا به، وهو جواب الشَّرط، والجملة مبتدأ بعد ﴿ حَقَّى ﴾، ويجوز أن يكون الجوابُ:

(٦٥) - ﴿ لَا تَحْتَرُوا ٱلْيُومِ ۖ إِنَّاكُمْ مِّنَّا لَا نُنْصَرُونَ ﴾.

﴿ لَا تَجْعُرُوا ٱلْيُومُ ﴾ فإنَّه مُقدَّر بالقول؛ أي: يُقال لهم: لا تجأروا.

⁽١) رواه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

⁽٢) انظر: «الكشاف» (٣/ ١٩٣). القد بالكسر: سير يقد من جلد غير مدبوغ.

﴿إِنَّكُمْ مِنَّالَانُصَرُونَ ﴾ تعليلٌ للنَّهي؛ أي: لا تجأروا، فإنَّه لا ينفعكم إذ لا تُمنعون (١) منا، أو لا يلحقكم نصرٌ مِن جهتنا.

* * *

(٦٦) _ ﴿ قَدْكَانَتْ ءَايَتِي نُتَلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُو نَنكِصُونَ ﴾.

﴿ قَدْكَانَتُ ءَايَنِي ﴾ يعني: القرآن.

﴿ نُتَلِّي عَلَيْكُمْ ﴾؛ أي: قد استمرَّ تجدُّد تلاوته عليكم وقتاً بعدَ وقتٍ.

﴿ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُو نَنكِصُونَ ﴾ تُعرضون عنها؛ أي: عن سماعها وتصديقها على أشنع وجه مستمرِّين على ذلك، والنُّكوص: أن يرجع القَهْقَرى، وهو أقبح مشيَةٍ لأنَّه لا يرى ما وراءه.

* * *

(٦٧) _ ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ عَسَيْمِ رَاتَهُ جُرُونَ ﴾.

﴿ مُستَكَمِرِينَ ﴾ على المسلمين ﴿ يهِ عَلَى المسلمين ﴿ يهِ عَلَى المسلمين ﴿ يَهِ عَلَى المسلمين ﴿ يقولون: لا يظهر علينا أحدٌ لأنَّا أهلُ الحرم، والذي سوَّغ هذا الإضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت (٣).

أو: ب ﴿ اَيْنِي ﴾ لأنّها في معنى: كتابي، ومعنى استكبارهم به: تكذيبُهم به استكباراً على التّضمين، أو مستكبرين بسببه؛ أي: إذا تُتلَى عليكم حدثَ بسببه استكباركُم.

⁽١) في (ف) و(ك): «تمتنعون».

⁽٢) في هامش (ع) و(ف) و(م): «وأمَّا التَّكذيب فلا يصلح سبباً للاستكبار، بل الأمر بالعكس».

⁽٣) «بالبيت» سقط من (ك).

أو يتعلق الباء بقوله: ﴿ سَنِمِرًا ﴾؛ أي: تَسْمُرون (١) بذكر القرآن وبالطّعن فيه، وذلك أنّهم كانوا يجتمعون حولَ البيت يَسمُرونَ، وكانت (٢) عاقبة سَمَرِهم ذكرَ القرآن وتسميتَه سحراً وشعراً. والسّامرُ نحوُ الحاضر في الإطلاق على الجمع.

أو بقوله: ﴿ تَهْجُرُونَ ﴾ وهو مِن الهَجْرِ بالفتح: الهذيان، وبالضَّم: الفُحْش.

وقرئ: ﴿ تُهْجِرُون ﴾ (٣)، [و: (تُهَجِّرون)] (١)، مِن أَهْجَرَ في منطقه: إذا أَفْحَشَ، ومِن هَجَّر الذي هو مبالغةٌ في هَجَرَ: إذا هَذَى؛ أي: تُعْرِضون عن القرآن وتَهْذون في شأنه، أو تُفحشون (٥٠).

* * *

(٦٨) - ﴿ أَفَكَرَيدَ بَرُوا ٱلْقَوْلَ أَمْرِ جَلَّهُ هُرَمَّا لَوَ يَأْتِ ءَابَآ مَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ أَفَكَرَيَدَّبَرُواْ الْقَوْلَ ﴾: القرآنَ؛ ليعلموا عند تدبُّره أنَّه الحقُّ المبين، فيصدِّقوا به وبمَن جاء به، أو ليخافوا(١) عند تأمُّل أقاصيصِه مثلَ ما أنزل(١) بمَن قبلِهم مِن المكذِّبين.

⁽۱) في (م): «تستمرون».

⁽۲) في (ف) و(م): «وكان».

⁽٣) وهي قراءة نافع. انظر: «التيسير» (ص: ١٥٩).

⁽٤) من «الكشاف» (٣/ ١٩٤). ونسبت لابن مسعود وابن عباس وجمع. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨)، و«البحر» (١٥/ ٤٦٨).

⁽٥) في (ع) و(ف) و(ك) و(م): «تفحشونه»، والمثبت من (ي).

⁽٦) في (ف) و(ك) و(م): «ليخالفوا»، والمثبت من (ع) و(ي) وهو الصواب. انظر: «روح المعاني» (٦) ١١٤).

⁽٧) في (ك) و(م): «ما نزل».

والهمزةُ للتَّقرير والتَّوبيخ؛ أي: أبعدَ وضوحِ آياتي المتلوَّة عليهم لم يتدبَّروه؟! و ﴿ أَمْ ﴾ في قوله: ﴿ أَمْ جَآءَ هُمُ مَّالَرَيَّاتِ عَالَمَا اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللهُ تعالى الله يَاتِ آباءَهم الأقدمين مِن كتابٍ أو رسولٍ أو أَمْنٍ مِن عذابِ الله تعالى فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأقدمون كإسماعيل عليه السلام وأعقابه؟!

فالهمزة هذه للإنكار، ويجوز أن يكون المراد بـ ﴿ آلْأُوَّلِينَ ﴾: الذين مَضوا ممَّنْ سبقوهم مِن الأقربين الذين قلَّدوهم، فتكون الهمزة للتَّقرير أيضاً.

* * *

(٦٩) - ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴾.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُوهُمْ ﴾ إضرابٌ عَما ذُكِرَ، وإنكارٌ لعدم معرفتهم إيَّاه، لأنَّهم عرفوه بالأمانة والصِّدق، وحسن الخُلُق، وكمال العلم مع عدم التَّعلُّم، إلى غير ذلك مما هو صفة الأنبياء.

﴿ فَهُمُ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ تفريعٌ على عدم معرفتهم إيَّاه، فيدخل تحت الإضراب والإنكار.

ولا وجه لِمَا قيل: لأحد هذه الوجوه (١)؛ لأنَّ الآتي بعده مِن جملة الوجوه، فلا وجه للفصل بينها بما ذُكِر.

* * *

⁽۱) يشير إلى البيضاوي الذي قال: (﴿فَهُم لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ دعواه لأحدهذه الوجوه إذ لا وجه له غيرها). قال الشهاب: قوله: (لأحدهذه الوجوه) المذكورة تعليل للإنكار بوجوه مذكورة في قوله: ﴿ أَفَلَرَ يَدَّبَّرُوا ﴾ إلى هنا فإنها وجوه للإنكار ترتب عليها (لا وجه له)؛ أي: للإنكار (غيرها). انظر: «حاشية الشهاب» (٦/ ٣٤٠).

(٧٠) _ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ عِنَةً أَبَلَ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثُرُهُمْ لِلْحَقِّ كَلْرِهُونَ ﴾.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ عِنَةً ﴾ إضرابٌ وإنكارٌ أيضاً لقولهم: ﴿ بِهِ عِنَّةً ﴾؛ لأنَّهم كانوا يعلمون أنَّه أرجحُهم عقلاً، وأتقنُهم رأياً، وأصوبُهم نظراً.

ويجوز أن تكون الهمزة للاستفهام، و﴿ أَمْ ﴾ هي المتصلة، ويكون الكلام على طريق المجادلة بالتي هي أحسن؛ أي: أيّ هذه الأمور كائنٌ، كما يقول المناظر: إنَّ الأمر لا يخلو مِن أحد هذه الأقسام، لكنَّ الأقسام (١) كلَّها باطلة إلَّا القسمَ الأوَّل، وهو عدم التَّدبُّر، وعبَّر عنه بقولِه:

﴿ بَلَ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكَثُرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ بمخالفته أهواءَهم، فلذلك لم يتدبَّروا، وإنَّما قيَّد الحكم بالأكثر لأنَّه كان منهم مَن تركَ الإيمان استنكافاً مِن توبيخِ قومِه، أو لقلَّة فطنتِه ولعدم فكرَتِه، لا لكراهةِ الحقِّ.

* * *

(٧١) - ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَنُوَتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِ كَ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُعْرِضُون ﴾.

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ على سبيل الفَرْضِ والتَّقدير كما تُفْرَضُ المحالاتُ ﴿ أَهْوَآ مُهُمْ ﴾ في الشِّرك بأنْ كان في الوجود آلهةٌ شتَّى ﴿ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَنُوَ ثُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ كما سبق تقريره في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَوَكَانَ فِي مَآ اَلِمُ أَوْ اللَّهُ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

أو: وَلَوِ اتَّبِع الحقُّ الذي قام به السَّماوات والأرضُ أهواءَهم لانقلَبَ باطلاً، ولذهبَ ما قام به العالم فلا يبقى شيءٌ منه (٢).

⁽١) «لكن الأقسام» من (م) و(ي).

⁽۲) في (ف): «منه شيء».

أو: وَلَوِ اتَّبِعِ الحقُّ الذي جاء به محمَّدٌ عليه السلام وهو الإسلام الهواءَهم وانقلب شركاً لجاء الله تعالى بالقيامة وأهلك العالَم مِن فرط غضبه ولم يؤخر.

وأمَّا ما قيل: معناه: ولو كان الله إلها يَتَّبع (١) أهواءهم ويأمر بالشِّرك والمعاصي لَمَا كان إلها ولكن شيطاناً؛ ففيه ما لا يخفى من جرأة (٢) على الله تعالى، وسوءِ أدبٍ فاحش.

﴿ وَمَن فِيهِ ﴾ خصَّ العقلاء تنبيهاً على أنَّ وجودَ الغيرِ تبعٌ لهم.

﴿ بَلَ أَتَيْنَهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾: بالكتاب الذي هو ذكرهم؛ أي: وَعْظُهم، أو: صِيْتُهم وَفَخْرُهم، أو بالذِّكْرِ الذي كانوا يتمنَّونه بقولهم: ﴿ لَوَأَنَّ عِندَنَا ذِكْرُامِنَ ٱلْأُوَّلِينَ ﴾ [الصافات: ١٦٨].

﴿ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُعْرِضُونَ ﴾ لا يلتفتون إليه، وإنما أعاد الذِّكْرَ باسمه تفخيماً.

* * *

(٧٢) _ ﴿ أَمْر تَسْنَكُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّزِقِينَ ﴾.

و ﴿ أَمِّ ﴾ في: ﴿ أَمِّر تَسْتَأَلُّهُمْ ﴾ منقطعةٌ.

﴿خَرْجًا ﴾ وقرئ: ﴿خَراجاً ﴾(٣).

⁽۱) في (ك): «لتبع)، وفي (م): «تبع»، وفي (ف): «ليتبع». والمثبت من (ع) و(ي) و «الكشاف» (٣/ ١٩٦).

⁽۲) في (ف): «الجرأة».

⁽٣) قرأ حمزة والكسائي: ﴿خراجاً فخراجُ﴾، وقرأ ابن عامر: ﴿خرجاً فخَرْجُ﴾، وباقي السبعة: ﴿خرجا فخراج﴾. انظر: «التيسير» (ص: ١٤٦).

والخَرْجُ: ما تُخرجُه إلى الإمام مِن زكاة أرضك، وإلى كلِّ عاملٍ مِن أجرته وجعله.

وقيل: الخرْجُ: ما تبرَّعْتَ به، والخَراجُ: ما لزمَكَ أداؤُه.

والوجهُ: أنَّ الخَرْجَ أَخَصُّ مِن الخَراجِ بقولِكَ: خَراجُ القرية وخَرْجُ الكَرْدة (١٠)، زاد اللَّفظ لزيادة المعنى، ولهذا حسنت القراءة الأولى؛ يعني: أم تسألهم على هدايتك لهم قليلاً مِن عطاء الخَلْقِ.

﴿ فَخَرَاجُ رَبِّكِ ﴾ فالكثيرُ مِن عطاء الخالق ﴿ خَيْرٌ ﴾ ففيه مندوحةٌ لكَ عن عطائِهم. ﴿ وَهُو خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴾ تقرير لخيريَّة خراجه.

* * *

(٧٣) - ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾.

﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيمِ ﴾ قد سبقَ تفسيرُه في الفاتحة. والتَّنكير هاهنا للتَّعظيم.

ولَمَّا ألزمهم الحجَّةَ وأزاح العلَّة بحصر الأقسام التي تقتضي الإنكار والاتهام (۱)، وبيَّنَ انتفاءها إلا عدم (۱) التَّدبُّر وكراهتهم الحقَّ لمخالفته أهواءهم، وأقام الدَّلائل على امتناع موافقته لِمَا هم عليه مِن التَّقليد واتِّباع الهوى؛ لِمَا يلزم

⁽۱) في (ك) و (م): «الكر»، وفي (ف): «الثمرة»، والمثبت من (ع) و (ي) و «الكشاف» (٣/ ١٩٧). الكَرْدَةُ: جمعُها: الكُردُ، وهو من وضع الكرد، والعرب لا تعرفها، وهي قطعةٌ من الأرض المزروعة، ولا تُعرفُ هذه اللغة في الأصول. انظر: «حاشية الطيبي على الكشاف» (١٠/ ٢٠٨).

⁽٢) في (ف) و (ك) و (م): «والابهام».

⁽٣) في (ك): «لا عدام».

ذلك مِن الفساد الكلِّيِّ = ثبتَ أنَّ ما عليه هو الصِّراط المستقيم البيِّن استقامتُه بشهادة العقول السَّليمة والفطرة الصَّافية، وأنَّه يدعوهم إليه، وأنَّهم لكفرهم عن الصِّراط المذكور لعادلون(١).

* * *

(٧٤) _ ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا لَا خِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَطِ لَنَاكِبُونَ ﴾.

وإنَّما عدل في قوله: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِأَلَّاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَطِ لَنَكِكِوُنَ ﴾ عن الضَّمير إلى الموصول؛ للتَّنصيص على علَّة عدولهم، وليكون كالبرهان على عدولهم؛ لدخولهم في الموصول دخولاً أوَّليًّا.

* * *

(٧٥) - ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِن ضُرِّ لَّلَجُواْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

﴿ وَلَوْ رَحْمَنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾ يعني: القَحْطَ.

﴿لَلَمُوا ﴾: لتمادَوا ﴿فِي طُغْيَنِهِم ﴾: في إفراطهم في الكفر والاستكبار عن الحقّ وعداوة الرَّسول عليه السلام والمؤمنين ﴿يَعْمَهُونَ ﴾؛ أي: لعادُوا إلى ما كانوا عليه مِن اللَّجاجِ في الطُّغيان، ولذهبَ عنهم هذا الإبلاس(٢) والتَّمسكُن بينَ يديه يسترحمونه، عَمِهِيْنَ عن الهدى.

ثمَّ استشهد على ذلك بقوله:

(٧٦) _ ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَهُم مِالْعَذَابِ فَمَا أَسْتَكَانُواْ لِرَبِهِمْ وَمَا يَضَرَّعُونَ ﴾.

⁽١) في (ع) و(ى): «لعادلوا»، ولعل الصواب: (عادلون).

⁽٢) في (ع) و(ف) و(ك) و(م): «الالباس»، والمثبت من (ي) وهو الصواب.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَهُم بِٱلْعَذَابِ ﴾؛ أي: القتل والأسرِ يومَ بدرٍ.

﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِهِمْ وَمَا يَنْضَرَّعُونَ ﴾ فما خضَعوا، وما تذلَّلوا، ولم يوجَدْ منهم ضرُّعٌ.

استكانَ: استفعل مِن الكون؛ لأنَّ الـمُتَذَلِّلَ انتقل مِن كونٍ إلى كونٍ، كالمستحيل للمتنقِّل مِن حالٍ إلى حالٍ، أو افتعل مِن السُّكون أُشبع فتحتُه.

* * *

(٧٧) - ﴿ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابِ شَدِيدٍ إِذَا هُمَّ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾.

﴿ حَتَىٰ إِذَا فَتَحْنَاعَلَيْهِم بَابًا ذَاعَذَاكِ شَدِيدٍ ﴾: بابَ الجوع الذي هو أشدُّ مِن القتل والأسر.

﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾؛ الإبلاسُ: اليأسُ(١) مِن كلِّ خيرٍ.

وقيل: السُّكوتُ مع التَّحيُّر؛ أي: فأُبلسوا ساعتئذٍ وخضعَتْ رقابُهم، حتى جاء أعتاهم يستعطفُكَ.

رُوي أَنَّه لَمَّا أسلمَ ثُمامَةُ بنُ أَثالٍ الحنفيُّ ولحقَ اليمامة ومَنع المِيْرَةَ من أهل مكَّة، وأخذهم الله تعالى بالسّنين حتى أكلوا العِلْهِزَ^(۲)، جاءَ أبو سُفيانَ رسولَ الله ﷺ فقال له: أَنشدُكَ الله والرَّحمَ! ألسْتَ تزعمُ أَنَّك بُعِثْتَ رحمةً للعالمين؟ فقال: «بلى»، قال: قتلْتَ الآباءَ بالسَّيفِ والأبناءَ بالجوع، فنزلَتْ^(۳). وهذا صريح في أنّها مدنيّة.

(١) في (ف) و(ك): «أي إبلاس» بدل «الإبلاس اليأس».

⁽٢) طعام من الدم والوبر كان يتخذ في المجاعة. انظر: «القاموس» (مادة: علهز).

⁽٣) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٩٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٦٣٨ _ ٦٣٩). وخبر ثمامة رواه البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤) دون ذكر مجيء أبي سفيان ونزول الآية.

(٧٨) - ﴿ وَهُوَ الَّذِيَّ أَنشَأَ لَكُو السَّمْعَ وَالْأَبْصَئرَ وَالْأَفْتِدَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾.

﴿ وَهُو اللَّهِ مَا اللَّهُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْدِدَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿ قَلِيلًا ﴾ نصب على المصدر، و ﴿ مَّا ﴾ زائدة للتّوكيد بمعنى حقًّا؛ أي: شكراً قليلاً تشكرون حقًّا، وإنّما خصَّ ﴿ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْعِدَةً ﴾ بالذّكر في مقام الامتنان لأنّها أصول الـمُدْركات الـمُنْتَفَع بها في المنافع الدّينيّة والدنياويّة، ولا يمكن الاستكمال إلّا بها، فإنه موقوف على الاعتبار والاستماع والاستبصار بالنّظر والاستدلال، فهي أصولُ النّعَمِ الموجبةُ للشّكر، ولَمَّا كان العمدة في الشّكر استعمالَها فيما خُلِقَتْ لأجله، ومقدمتُها الإقرار بواهبها ومُنشِئها قال:

(٧٩) - ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَّأَ كُرُ فِي ٱلْأَرْضِ وَ لِلَّذِهِ تُحْشَرُونَ ﴾.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَّا كُرُّ فِٱلْأَرْضِ ﴾: خلقَكم فيها بالتَّناسُل.

﴿ وَإِلَيْهِ تُحُشِّرُونَ ﴾: تُجمَعون يومَ القيامة بعدَ تفرُّ قكم.

* * *

(٨٠) - ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُعِيء وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَافُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ وَهُو اَلَّذِى يُحِيء وَيُمِيتُ وَلَهُ اَخْتِلَافُ الْيَّلِ وَالنَّهَارِ ﴾ قد سبق تفسيرُه؛ أي: هو المختصُّ بالإحياء المختصُّ بالإحياء والمختصُّ بالإحياء والإماتة، ﴿ وَلَهُ ﴾ خاصَّةً ﴿ اَخْتِلَافُ الْيَّلِ وَالنَّهَارِ ۚ ﴾، وهو متولِّيه، لا يقدر على تصريفهما (١) غيره، والاختصاصُ مستفادٌ مِن تقديم الضَّمير والظَّرف.

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾: أَبِعْدَ هذه الدَّلائل الواضحة لا تعقلون بالنَّظر والاستدلال

⁽١) في (ف) و(ك) و(م): «تصرفها»، وفي (ع): «تصريفها»، والمثبت من (ي).

واستعمال الـمُدْرَكات المذكورة أنَّ الكلَّ منَّا، وأنَّ قدرتنا تعمُّ الممكنات كلَّها، وأنَّ البعث مِن جُملتها، فلا تنكرونه.

والالتفات مِن التَّكلُّم إلى الغيبة ممَّا لا تخفى فائدته مِن التَّعظيم كما في ﴿ رَبِّهِمْ ﴾ (١)، وقرع العصا بالتكرير والافتنانِ فيه (٢).

وقرئ: ﴿يعقلون﴾ بالياء (٣) على الالتفات أيضاً، أو على أنَّ الخطاب السَّابق لتغليب المؤمنين.

* * *

(٨١) _ ﴿ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَاقَالُ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾.

﴿ بَلْ قَالُواْ ﴾؛ أي: كفَّار مكَّة ﴿ مِثْلُ مَاقَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾: كما قال الكفَّار قبلَهم.

* * *

(٨٢) - ﴿ قَالُواْ أَوِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْنَمًا أَوِنًا لَمَبْعُوثُونَ ﴾.

﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكَنَا ثُرَابًا وَعِظْنَمًا ﴾ قد سبقَ وَجْهُ تأخير قوله: ﴿ وَعِظْنَمًا ﴾ عن قوله: ﴿ قُرَابًا ﴾ .

﴿ أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ تكرار الهمزة للمبالغة في الإنكار والاستبعاد.

والتَّأكيد بـ (إنَّ) واللَّام لتوجيه الإنكار إلى الجزم بالبعث، واعتقادِ تحقُّقه، والإتيانِ به كما عليه الرَّسول والمؤمنون، ويُخبرون عنه.

* * *

⁽١) كتب فوقها في (ك): «في قوله: ﴿فَمَا ٱسۡتَكَانُواۡلِرَبِّهِمۡ ﴾»

⁽٢) كتب فوقها في (ك): «مثل في التفهيم، يعني تفهيم المعنى لإلقاء مكرراً، وبالتفنن بالعبارة».

⁽٣) رواية عن أبي عمرو. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨).

(٨٣) _ ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَعَنُ وَءَابَ آقُنَا هَنذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَنْأَ إِلَّا آسَنطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَعْنُ وَءَالِكَآقُنَا هَاذَا ﴾؛ أي: البعث ﴿ مِن قَبْلُ ﴾: مِن قبلِ مجيءِ محمَّدِ عليه السلام.

﴿إِنْ هَنْلَآإِلَّآ أَسَطِيرُ ٱلْأَقَلِينَ ﴾ الأساطيرُ: جمعُ أسطورةٍ، وهذا البناء لِما يُتلهَّى به، كالأضحوكة والأعجوبة والألعوبة(١).

وقيل: جمع أسطارٍ، جمع سطر، وهي ما كتبه الأوَّلون ممَّا لا حقيقة له.

* * *

(٨٤) - ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِكَ إِن كُنتُمْ تَعَلَمُونَ ﴾.

﴿ قُل لِمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَا ﴾ إنَّما قيل: (مَن) تغليباً للعقلاء، أو لأنَّه يلزم أن يكون له غيره (٢) من طريق الأولى.

﴿إِن كُنتُم تَع لَمُون ﴾؛ أي: إنْ كنتم مِن أهل العلم، أو: مِن العالمين بذلك، زيادة استهانة بهم (٢)، وتقريرٌ لفَرْط جهالتهم.

* * *

(٨٥) - ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكُّرُونَ ﴾.

﴿ سَيَعُولُونَ لِلَّهِ ﴾ لأنَّهم مقرُّون بأنَّه الخالق.

﴿ قُلْ ﴾؛ أي: بعد ما قالوه: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ فتعلموا أنَّ مَن فطرَ الأرض ومَن فيها كان قادراً على إعادة الخلق، وكان حقيقاً بأنْ لا يُشرَك به بعضُ خلقه في الرَّبوبيَّة.

⁽۱) انظر: «الكشاف» (۳/ ۱۸۸).

⁽٢) كذا في النسخ، ولعل الصواب: (غيرهم). انظر: «روح المعاني» (١٨/ ١٣١).

⁽٣) في هامش (ع) و(ف) و(م): «وإنما قال: زيادة؛ لأنَّ أصلها فاصلة بالسؤال، على ما سنقف عليه».

(٨٦) - ﴿ قُلْ مَن زَّبُّ ٱلسَّكَوَتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَكْرِشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

﴿ قُلْ مَن رَّبُ ٱلسَّمَوَتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ في توصيف ب ﴿ ٱلْعَظِيمِ ﴾ تصغير للسَّماوات السَّبع مع هذه العظمة في جنبه، وهذا غاية في التَّعظيم.

* * *

(٨٧) - ﴿ سَكَ مُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَ لَا لَنَقُونَ ﴾.

﴿ سَيَقُولُونِ لِلَّهِ ﴾ لأنَّ ذلك أيضاً قد تقرَّر عند العرب بإخبار أهل الكتاب.

وقرئ: ﴿لِلَّهِ ﴾ بغير لام فيه وفيما بعده (١) على ما يقتضيه لفظ السُّؤال، والأوَّل محمولٌ على المعنى؛ لأنَّ قوله: ﴿لِللَّهِ ﴾ معناه: لله هذه الأشياء، وهذا جوابٌ صحيحٌ، قال الشَّاعرُ:

إذا قِيلَ مَنْ رَبُّ القيانِ(٢) بموقِفٍ ورَبُّ الجيادِ الجرَّدِ قيل لخالد(٣)

﴿ قُلُ أَفَكَ لَا نَتَقُوكَ ﴾: أفلا تخافونه فلا تشركوا به (١٠)، ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته.

* * *

(١) قرءة أبي عمرو، ولا خلاف في الحرف الأول. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٠).

إذا قيل من رب المزالف والقرى

(٤) في (ك): «فلا تشكرونه».

⁽٢) في (ع): «القيام»، وفي (ف): «العباد»، وفي (ك): «العباب»، وفي (م): «العتاب»، وفي (ي): (القباب)، والمثبت من «حاشية الطيبي على الكشاف» (١٠/ ٢٢٠).

⁽٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٥٤)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٨٠)، و«تفسير النسفي» (٢/ ٤٧٩)، و «روح المعاني» (١٨/ ١٣٠). وصدره فيها جميعا:

(۸۸ ـ ۸۹) ـ ﴿ قُلْمَنْ بِيَدِهِ مَلَكُونَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيدُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعَامُونَ ۞ سَيَقُولُوبَ لِلَّهِ قُلُ فَأَنَّى تُشْخَرُونَ ﴾.

﴿ قُلْمَنْ بِيَدِهِ عَلَكُونُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾: مالكيتُه ومدبِّريَّته.

قيل: الملكوتُ: الملك، والواو والتَّاء للمبالغة، فينبئ عن عظم الملك.

﴿ وَهُو يَجِيرُ ﴾: وهو يغيثُ مَن يشاءً، مِن أجرْتُ فلاناً على فلان: إذا أغثته منه ومنَعْته (١).

﴿ وَلَا يُجُكَارُ عَلَيْهِ ﴾: ولا يغيثُ أحدٌ منه أحداً، وتعديته بـ (على) لتضمُّنه معنى النُّصرة.

﴿ إِن كُنتُمْ تَعَلَمُونَ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلُ فَأَنَّى ثَشْحَرُونَ ﴾ تُخدَعون فتُصرَفون عن توحيده وطاعته مع ظهور الأمر وتظاهر الأدلَّة.

وهذه الأسولة (٢) استهانةٌ بهم، وتقريرٌ لفرط جهالتهم في الأمور الدِّينيَّة، حيث جَهِلوا مثلَ هذا الجليِّ الواضح، وإلزامٌ بما لا يمكن مَن له أدنى مُسْكَةٍ مِن العلم إنكارُه، ولذلك أخبر عن جوابهم قبل أن يجيبوا بقوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِللهِ﴾؛ لأنَّ العقل الصَّريح قد اضطرهم إلى الإجابة بما أجاب، فلا يمكن لعاقل (٣) أن يجيب بجواب آخر.

ثمَّ إِنَّه رُوعِيَ في السُّؤالِ قضيَّة التَّرقي، فسئل عمَّن له الأرض وما فيها، ثمَّ سُئِلَ عمَّنْ له السَّماوات والعرش العظيم، والأرض بالنِّسبة إليه كلا شيءٍ، ثمَّ سُئِلَ

⁽١) في (ك): «أعنته» بدل «أغثته منه ومنعته»، وفي (ف): «أعنته منعه ومنعته».

⁽٢) في (ك): «الأسئلة».

⁽٣) في (ف) و(ك): «عاقل»، وفي (م) و(ع): «عاقلًا»، والمثبت من (ي).

عمَّنْ بيدِه ملكوتُ كلِّ شيءٍ، فأُتي بأعمِّ العامِّ وكلمةِ الإحاطة، وأُوثر الملكوت وهو الملك الواسع، وقيل: ﴿ بِيكِو ِ ﴾؛ تصويراً وتخييلاً.

وكذلك روعي هذه النُّكتة في الفواصل، فعبِّر أولاً بعدم التَّذكُّر، فإنَّ أيسر (١) النَّظر يكفي في انحلال عقدهم، ثمَّ بعدم الاتقاء (٢)، وفيه وعيدٌ، ثمَّ بالتَّعجُّب مِن خَدْع عقولهم فتخيِّل (٣) الباطل حقًّا والحقَّ باطلاً، وأنَّى لها التَّذكُّر والخوف.

* * *

(٩٠) - ﴿ بَلْ أَنَيْنَاهُم إِلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَالِبُونَ ﴾.

﴿ بَلْ أَنَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴾: بالتَّوحيد، واستحالةِ نسبة الولد والشَّريك إليه.

﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَانِبُونَ ﴾ حيث أنكروا ذلك، وادَّعوا أنَّ له ولداً ومعه شريكاً.

* * *

(٩١) _ ﴿ مَا أَتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدِ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَيْهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَامٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ شُبْحَنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾.

﴿ مَا أَتَّخَـٰذَاللَّهُ مِن وَلَيرِ ﴾ لتقدُّسه عن مماثلة أحدٍ.

﴿ وَمَاكَانَ مَعَهُ ، ﴾ في الوجود ﴿ مِنْ إِلَاهٍ ﴾ يساهمه في الألوهية.

⁽۱) في (ف) و(م): «أسير»، وفي هامش (م): «لعله يسير». والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق موافق لما في «روح المعاني» (۱۸/ ۱۳۱)، والكلام منقول من «الكشف» كما صرح بذلك الآلوسي.

⁽٢) في (ف) و(ك) و(م): «الإيفاء»، والمثبت من (ع) و(ي) والمصدر السابق.

⁽٣) في (ك): «بتخيل»، وفي (م): «بتخييل»، والمثبت من (ع) و(ف) و(ي) والمصدر السابق.

﴿ إِذَا ﴾ جوابٌ لمحاجَّتهم، وجزاءُ الشَّرط محذوف لدلالة ما قبله عليه؛ أي: لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً (١).

﴿لَّذَهَبَ ﴾: لانفرد ﴿ كُلُّ إِلَكِهِ بِمَاخَلَقَ ﴾: بخَلْقه الذي خلَقَه، واستبَدَّ به، ولرأيتم امتيازَ مُلكِ كلِّ واحدٍ عن مُلك الآخرين، ووقع بينهم التَّحاربُ والتَّغالبُ.

﴿ وَلَعَلَابَعَثُهُمْ عَلَى بَعْضِ ﴾: ولغلَبَ بعضُهم بعضاً كما هو حالُ ملوكِ الدُّنيا، ممالكُهم متمايزة، وهم متغالبون، وحين لم تروا أثراً لتمايز الممالك والتَّغالُب فاعلموا أنَّه إلهٌ واحدٌ بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ.

وأمَّا ما قيل: فلَمْ يكن بيده [وحده] ملكوت كلِّ شيءٍ، ولم يكن واحدٌ منهم إلهاً مطلقاً، واللَّازم باطل بالإجماع والاستقراءِ وقيامِ البرهان على استناد جميع الممكنات إلى واجبِ واحدٍ(٢).

فيَرِدُ عليه: أنَّ الإجماع والاستقراء لا يناسب المقام، وأمَّا البرهان فإنَّما قام على وجوب انتهاء سلسلة الموجودات إلى واجبِ بالذَّات، ولا يلزم منه أنْ لا يتعدَّد الواجب، ولا يكون في الوجود سلاسل ينتهي بعضها إلى واجبٍ وبعضها إلى واجب آخر.

⁽۱) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ٩٤)، وفيه: (أي: لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل منهم بما خلقه)، لم يذكر في التقدير (إذا)، وكذا في «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٤٨)، و «روح المعاني» (١٨/ ١٣٣)، و نقلوا هذا التقدير عن الفراء، وانظر: «معاني القرآن» للفراء (١/ ٢٧٤)، ولم يذكر في التقدير (إذا) أيضاً.

⁽٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ٩٤)، وما بين معكوفتين منه. وهذا القول جاء عنده بعد عبارة: (كما هو حال ملوك الدنيا)، ومثله في «تفسير أبي السعود» (٦/ ١٤٨).

﴿ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾: عمَّا يصفونه مِن نِسبة الولد والشَّريك إليه؛ لِمَا سبق من الدَّليل على فساده.

* * *

(٩٢) - ﴿ عَلِيمِ ٱلْعَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ فَتَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ خبرُ مبتدأ محذوف، وقرئ بالجرِّ (۱) على الصِّفة، دليلٌ آخر على نفي الشَّريك بناءً على توافقهم في أنَّه المنفرد بذلك، ولذلك رتَّب عليه:

﴿ فَتَعَلَىٰ ﴾ اللهُ ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ بالفاء.

* * *

(٩٣) ـ ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِينِّي مَا يُوعَدُونَ ﴾.

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّاتُرِينِي مَايُوعَدُونَ ﴾ (إنْ) هي الشَّرطيَّة، و(ما) والنُّون مؤكِّدتان لمعنى الشَّرط، وجواب الشَّرط: ﴿ فَكَلاَ تَجْمَعُنْنِي ﴾؛ أي: إن كان لا بُدَّ مِن أنْ تريني ما تعدُهم مِن العذاب في الدُّنيا أو في (٢) الآخرة.

* * *

(٩٤) - ﴿ رَبِّ فَ لَا تَجْعَلْنِي فِ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴾.

﴿ رَبِّ ﴾ تكرارٌ ما بين الشَّرط والجزاء، معترِضٌ للتَّنبيه على فضل التَّضرع والجؤار.

⁽۱) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وحفص بخفض الميم والباقون برفعها. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٠).

⁽٢) في (ف) و(ك): «وفي».

﴿ فَكَا تَجْمَلُنِي فِ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ ﴾؛ أي: فلا تجعلني قريناً لهم في العذاب.

عن الحسن: أخبره الله تعالى أنَّ له في أمَّته نقمةً، ولم يُخبره أفي (١) حياته أم بعد موته، فأمره أن يدعو بهذا الدُّعاء (٢).

وهو إمَّا لهضم النَّفس والقيام بحقِّ (٣) العبودية مع علمه بأنَّه لا يفعله، وإمَّا للإعلام بأنَّ شؤم الظَّلمة قد يَحيق بمَن وراءهم (٤)؛ لقوله تعالى: ﴿ وَاتَّ قُواْفِتَ نَةً لَّا تُصِيبَنَ ٱلَذِينَ ظَلَمُواْمِن كُمُّ خَاصَ لَهُ الأنفال: ٢٥].

* * *

(٩٥) - ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴾.

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِرُونَ ﴾ كانوا يستعجلون العذاب إنكاراً وعناداً (٥)، ويضحكون منه استهزاء، فقيل لهم: إنَّ الله قادرٌ على إنجاز ما وعدَ عاجلاً، لكِنْ يُؤخّرُه علماً بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون، أو: لا يعذبهم وأنت فيهم.

وقيل: قد أراه(١) يوم بدر أو يوم فتح مكَّة.

* * *

⁽۱) في (م): «في».

⁽٢) انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٠١)، و «تفسير البيضاوي» (٤/ ٩٤).

⁽٣) في (م): «بمعنى».

⁽٤) في (ف) و(ك) و(م): «يحيق عن ورائهم»، والمثبت من (ع) و(ي).

⁽٥) في (ف): «أو عناداً».

⁽٦) في (ف): «أراكهم»، وفي (ك) و(م): «أراد» والمثبت من (ع) و(ي).

(٩٦) _ ﴿ أَدْفَعُ بِأَلِّقِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّتَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾.

﴿ أَذْفَعْ بِاللِّي هِى آخْسَنُ ٱلسَّيِنَةَ ﴾ حثَّه على مكرمةٍ هي أفضل المكارم، ما لم تؤدّ إلى ثَلمٍ في الدّين أو إزراء (١) بالمروءة، وهو أبلغ مِن أنْ يُقالَ: بالحسنة السّيئة؛ لِمَا فيه مِن صيغة التَّفصيل والإجمال، والتفصيل (١) بإبهام الموصول، وتبيين الصّلة؛ أي: زدْ (٣) على الصّفح عن الإساءة بمقابلة السيّئة بما يمكن من الإحسان، حتى إذا اجتمع الصّفح والإحسان وبذل الوسْعِ فيه كانت حسنةً مضاعفةً بإزاء سيئةٍ، ودفعاً لها بالتي هي أحسن.

﴿ غَنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾: بما يصفونك به من صفات السُّوء، أو بوصفِهم لكَ وسوءِ ذكرِهم، وهو وعيدٌ لهم وتسليةٌ له عليه السلام؛ أي: والله أعلم بقولهم وفعلهم، وهو يجازيهم.

* * *

(٩٧) _ ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُودُ بِكَ مِنْ هَمَزَتِ ٱلشَّيْطِينِ ﴾.

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُودُ بِكَ ﴾ أمرٌ (١) بالتَّعوذ مِن نخساتهم بلفظ المبتهِل إلى ربِّه، المكرِّر لندائه تضرُّعاً وابتهالاً بالتَّعوُّذ مِنْ أَنْ يَحضروه أو يحوموا حوله (٥).

﴿مِنْ هَمَزَتِ ٱلشَّيَطِينِ ﴾ شبَّه حتَّ الشَّياطين النَّاسَ على المعاصى بالوساوس

⁽١) في (ك) و(م): «ازدراء».

⁽٢) في (م) و(ي): «التفضيل والإجمال والتفضيل».

⁽٣) في (ف) و(م): «رد».

⁽٤) في (ف): «أمر».

⁽٥) في (ف) و(ك): «يحدثوا» بدل «يحوموا حوله».

بهمزِ الرَّاضةِ للدَّوابِّ على المشي بالمهماز، والجمع إمَّا لتعدُّد الوساوس، أو لتنوُّعها، أو لتنوُّع المضاف إليه وتعددهم(١).

* * *

(٩٨) = ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَعَضُرُونِ ﴾.

﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَعَمُّرُونِ ﴾ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: عند تلاوة القرآن، وعن عكرمة: عند النَّزعِ(٢). وقيل: عند الصَّلاة.

والتَّخصيص بأحدها لأنَّها أحرى الأحوال بأنْ يُخاف عندَه.

* * *

(٩٩) _ ﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمُ ٱلْمَوِّتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾.

﴿ حَقَى ٓ إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ يتعلَّق (٣) بـ ﴿ يَصِغُونَ ﴾ ، غايةٌ لها؛ أي: لا يزالون يذكرونك بسوء إلى هذا الوقت، وما بينهما اعتراضٌ للإغضاء عنهم، مستعيناً بالله على (١) الشَّيطان أن يستزلَّه (٥) عن الحلم ويغريَه على الانتصار منهم.

أو بقوله: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (١).

⁽١) في (م): «أو تعددهم».

⁽۲) انظر: «الكشاف» (۳/ ۲۰۲).

⁽٣) كتب فوقها في (ك): «الأول لا الثاني».

⁽٤) في (ك): «من»، وبياض في (ف).

⁽٥) في (ع): «ينزله»، وفي (ك): «يزله»، وفي (م): «يستنزله».

⁽٦) يريد أن (حَتَّى) يتعلق بـ (يَصِفُونَ) أو مردودٌ على قوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَنذِبُونَ ﴾. انظر: «فتوح الغيب» (١٠/ ٦٢٦)

﴿ قَالَ ﴾ تحسُّراً على تفريطه السَّابق لَمَّا اطلع على الأمر اللَّاحق.

﴿رَبِّٱرْجِعُونِ﴾: رُدُّوني إلى الدُّنيا. والخطاب بلفظ الجمع للتَّعظيم، أو لتكرير (ارجعني)، كما قيل: في قِفَا وأطْرِقا، وهو يناسب الجؤار والتَّضرُّع.

* * *

(١٠٠) - ﴿ لَعَلِّى أَعْمَلُ صَلِيحًا فِيمَا تَرَكَّتُ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةُ هُوَ قَآبِلُهَا ۗ وَمِن وَرَآبِهِم بَرْزَخُ إِلَى يَوْمِ يُبَعَثُونَ ﴾.

﴿لَعَلِيَ أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكُتُ ﴾: في الإيمان الذي تركْتُه، أو لعلِّي آتي بما تركْتُه من الإيمان وأعمل فيه صالحاً.

وقيل: فيما تركْتُ فيه مِن المال، أو في الموضع الذي تركْتُ، وهو الدُّنيا.

﴿ كُلَّا أَ ﴾ رَدعٌ عن طلب الرَّجعة واستبعادٌ لها.

﴿إِنَّهَاكِلِمَةٌ ﴾؛ أي: طائفةٌ مِن الكلام المنتظِم بعضُها مع بعض، وهو قوله: ﴿رَبِّٱرْجِعُونِ ﴾ إلخ.

﴿ هُو قَآبِلُهَا ﴾ لا محالة، لا يسكُتُ عنها؛ لاستيلاء الحسرة والنَّدامة عليه، أو: هو قائلها وحده، لا يُجابُ ولا يُسمَعُ منه.

﴿ وَمِن وَرَآبِهِم ﴾: أمامِهم، والضَّمير للجماعة ﴿ رَزَجُ ﴾ البرزَخُ: الحاجزُ.

قال الضَّحَّاكُ: هو الحاجز بين الدُّنيا والآخرة(١).

وقيل: بينهم وبين الرُّجوع إلى الدُّنيا. ويأباه قوله:

⁽١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١١١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٠٩).

﴿ إِلَىٰ يَوْمِنُبَعَتُونَ ﴾ لأنَّه لا يصلح غايةً لعدمِ الرُّجوع المذكور، والعلمُ بأنَّه لا رجعةَ يومَ البعث إلى الدُّنيا، ولكنَّه لا يصلح أمراً لغايته (۱).

* * *

(١٠١) - ﴿ فَإِذَا نُقِحَ فِ ٱلصُّورِ فَلآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَهِ نِوَلاَ يَسَآعَلُونَ ﴾.

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِٱلصُّورِ ﴾ للبعث والنُّشور.

والقراءة بفتح الواو، وبه (٢) وبكسر الصَّاد (٣)، يؤيِّده أنَّ الصُّوْرَ أيضاً جمع الصُّورة؛ إذ الأصل في القراءة التَّوافُق.

﴿ فَكَا آنسا بَيْنَهُ م يَوْمَيِدِ ﴾ المنفيُّ نفعُ الأنساب لا نفيها، فإنَّ لكلِّ امرئِ يومَئدِ ما اكتسَب لا ما انتسَب.

قيل: لزوال التَّعاطف والتَّراحم مِن فَرط الحيرة واستيلاء الدَّهشة، بحيث يفرُّ المرء من أخيه وأمِّه وأبيه وصاحبته وبنيه، وفيه نظر⁽¹⁾.

﴿ وَلَا يَتَمَا اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَل

⁽١) في (ف) و(م): «لغاية»، وفي (ع): «لغائبة».

⁽٢) في (ع) و(ف) و(ك): «به»، وسقطت من (م)، والمثبت من (ي) و «تفسير البيضاوي» (٤/ ٩٥).

⁽٣) نسبت قراءة (في الصُّور) لابن عياض والحسن، ونسبت قراءة: (في الصَّور) لأبي رزين. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨).

⁽٤) في هامش (ف) و(م): «أمَّا أوَّلاً فلأنَّ التَّعاطف والتَّراحم يتحقَّق بين الصِّبيان ووالديهم على ما نطقَتْ به الأخبار، وأمَّا ثانياً فلأنَّ زوال التَّعاطف لا يستلزم عدمَ نفع الأنساب، وأمَّا ثالثاً فلأنَّ القرار المحدر عن المطالبة. منه».

زمانٍ؛ لقوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٧]، فإنَّه صريحٌ في أنَّهم يتساءلون، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِلَ بَعْضُعُمْ عَلَى بَعْضِ يَسَاءَلُونَ ﴾ [الصافات: ٢٧]، قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ذلك عند القيام بالنَّفخةِ الثَّانيةِ(١).

والفاءُ الجزائيَّةُ لا تدلُّ على التَّعقيبِ.

* * *

(۱۰۲ ـ ۱۰۲) ـ ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوْزِينُهُ ، فَأُولَتِهَكَ هُمُ ٱلْمُقْلِحُونَ ﴿ آَنَ وَمَنْ خَفَّتُ مَوْزِينُهُ ، فَأُولَتِهِكَ أَلْمُقْلِحُونَ ﴾ .

﴿ فَمَن ثَقَلَتَ مَوَزِينُهُ مَا أُولَيِكَ هُمُ ٱلْمُقْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتَ مَوَزِينُهُ وَأَوْلَتِهِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓ أَانَفُسَهُمْ ﴾ قد سبق تفسيره في سورة الأعراف.

﴿ فِي جَهَنَّمَ خَلِدُونَ ﴾ بدلٌ مِن ﴿ خَسِرُوٓ أَنَفُسَهُم ۗ ﴾، والجملتان في حكم الصّلة، فلا محلَّ لهما(٢) من الإعراب، أو خبرٌ بعد خبر لـ ﴿ فَأُولَتِكَ ﴾، فهو في محلِّ الرَّفع كـ ﴿ اَلَّذِينَ خَسِرُوٓ إِ ﴾، أو خبرُ مبتدأ محذوفٍ.

* * *

(١٠٤) ـ ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّادُ وَهُمْ فِيهَا كَلْلِحُونَ ﴾.

﴿ تَلْفَحُ وَجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾: تُحرِقُها. قال الزَّجَّاجُ: اللَّفْحُ كالنَّفْخِ، إلَّا أَنَّ اللَّفْحَ أَشُدُ تأثير أَ^(٦).

﴿ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ مِن شدَّة الإحراق.

⁽١) قطعة من خبر رواه البخاري قبل الحديث (٤٨١٦)

⁽٢) في (م): «لها».

⁽٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٣).

والكُلوحُ: أنْ تتقلَّصَ الشَّفتان، وتتشمَّرا(١) عن الأسنان كما ترى الرُّؤوس المشويَّة.

روي (٢) عن النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام أنه قال: «تَشْوِيْهِ النَّارُ فَتَتَقلَّصُ شَفَتُهُ العُلْيا حتى تبلغَ سُرَّتَهُ» (٣). العُلْيا حتى تبلغَ سُرَّتَهُ» (٣).

* * *

(١٠٥) _ ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُنْاَلَ عَلَيْكُوْ فَكُنْتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُنْكَ عَلَيْكُمْ ﴾ على إضمارِ القَولِ؛ أي: يُقالُ لهم: ألم تكن تُتلَى عليكم آياتي (٤) في الإنذار.

﴿ فَكُنْتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ تعنيفٌ وتذكيرٌ ممَّا استحقُّوا هذا العذابَ بسببه.

* * *

(١٠٦) ـ ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا عَلَبَتَ عَلَيْنَا شِفْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا صَآ آلِينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ رَبَّنَا عَلَيْتَ عَلَيْنَا شِقُوتُنَا ﴾: مَلكَتنا (٥)، من قولك: غلبني فلان على كذا: إذا أخذه منك وامتلكه. والشَّقاوةُ: سوءُ العاقبة.

⁽١) في (ع): «وينشمرا»، وفي (م): «ويتشمر».

⁽٢) في (م): «وروي».

⁽٣) رواه الترمذي (٣١٧٦)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وقال: حديث حسن صحيح غريب.

⁽٤) في (ف) و (ك): «آياتي عليكم».

⁽٥) في (ف) و(ك) و(م): «هلكتنا»، والمثبت من (ع) و(ي) و «الكشاف» (٣/ ٢٠٤).

وقرئ: ﴿شِقُوتُنَا﴾ و: ﴿شَقَاوَتُنا﴾ بفتح الشِّين وكسرها(١١)، كالسَّعادة والكِتابة؛ أي: غلبَتْ علينا الأعمالُ الرَّديَّة والأحوال القبيحة التي شقينا بها.

﴿وَكُنَّا ﴾ بها ﴿قَوْمَاضَآلِينَ ﴾ عن الحقِّ والصَّواب.

وليس هذا باعتذارٍ، بل هو اعترافٌ منهم بسوء الصَّنيعِ، ولا صحَّة لِما قيلَ: غلبَتْ علينا ما كُتِبَ علينا مِن الشَّقاوة؛ لأَنَّه إنَّما يُكْتَبُ ما يَفْعلُ العبدُ، وما يُعْلَمُ أَنَّه يختارُه، والعلمُ تابعٌ للمعلومِ لا العكس، فلا يكون مَغلوباً ومُضطراً في الفعل بسببِ التَّقديرِ الأزليِّ.

* * *

(١٠٧) _ ﴿ رَبُّنَا ٓ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَلِمُونَ ﴾.

﴿ رَبُّنَا ٓ أَغْرِجْنَامِنْهَا ﴾ مِن النَّارِ ﴿ فَإِنْ عُدَّنَا ﴾ إلى الكفر والتَّكذيب ﴿ فَإِنَّا ظَلِلْمُونَ ﴾ الأنفسنا.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿ قَالَ أَخْسَتُواْ فِيهَا وَلَاتُكَلِّمُونِ ﴾.

﴿ قَالَ ٱخۡسَتُواْ ﴾: انْزَجِروا ﴿فِيهَا ﴾ أذلَّاءَ، انزجارَ الكلابِ إذا زُجِرَتْ، يُقال: خَسَأَ الكَلْبُ وأخسأتُه لازماً ومتعدِّياً.

شُبِّهوا بالكلب في الذُّلِّ والهَوانِ فَطُرِدوا بـ ﴿ أَخْسَتُوا ﴾.

﴿ وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ في رفع العذاب، أو: ولا تكلِّمونِ أصلاً.

⁽۱) ﴿ شَقَاوِتَنا﴾ بفتح الشين وبالألف قراءة حمزة والكسائي، وباقي السبعة: ﴿ شِفُوتُنا﴾ بكسر الشين مع إسكان القاف. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٠). أما (شِقَاوتنا) يكسر الشين وبالألف فنسبت لقتادة ورواية عن الحسن. انظر: «البحر» (١٥/ ٤٨٩).

قيل: هو آخِرُ كلامٍ يتكلَّمون به، ثمَّ لا كلامَ بعدَ ذلك إلَّا الشَّهيق والزَّفير والعِواء كعواء الكلاب(١)، لا يَفهمون ولا يُفهمون.

* * *

(۱۰۹ ـ ۱۱۰) ـ ﴿ إِنَّهُ رَكَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُوكَ رَبَّنَآ ءَامَنَا فَأَغْفِر لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّحِينَ ﴿ وَكُنتُم مِنْهُمْ تَضْمَحُكُوكَ ﴾.

﴿ إِنَّهُ اِنَّ الشَّاٰنَ، وقرئ بالفتح (٢)؛ أي: لأنَّه.

﴿كَانَ ﴾ تعليلٌ لوجوبِ انزجارهم.

﴿ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي ﴾؛ يعني: المؤمنين، قيل: هم الصَّحابة رضي الله عنهم، وقيل: أهل الصُّفَّة خاصَّة.

﴿يَقُولُونَ رَبُّنَا ءَامَنَا فَأَغْفِر لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ في تفريع طلبِ(٣) المغفرةِ والرَّحمةِ على الإيمان دلالةٌ على كفايته فيها.

﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّحِينَ ١٠٠ فَأَتَّخَذُنُّمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾ هُزُواً، واشَّاغلتم (١) ساخرين.

﴿ حَتَىٰ آَنسَوْکُمُ ﴾ بکثرةِ تشاغُلِکم بهم ﴿ ذِکْرِی ﴾؛ أي: ترکتم أن تذکروني فتخافوني في أوليائي.

والسخريُّ بالضم والكسر: مصدر سَخِر كالسُّخُرِ، إلَّا أنَّ في ياء النَّسب زيادةَ قوَّة في الفعل ومبالغة، كما قيل: الخصوصيَّة في الخصوص، وعن الكسائي

⁽١) في (ك): «والزفير وعواء الكلاب»، وفي (ف): «والزفير والعواء كالكلاب».

⁽٢) نسبت لأبي بن كعب رضي الله عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨).

⁽٣) في (ك): «في توزيع طلب»، وفي (م): «هذا تفريع لطلب».

⁽٤) في (ع) و(ف) و(م) و(ي): «وشاغلتم».

والفرَّاء: أنَّ المكسور من الهزؤ، والمضموم من السُّخرة، بمعنى الانقياد والعبودية؛ أي: سخَّروهم واستعبدوهم (١). والأوَّلُ مذهب الخليل وسيبويه (٢).

﴿وَكُنتُم مِّنهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ استهزاءً بهم.

* * *

(١١١) - ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيُومَ بِمَا صَبُرُواْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَ آيِرُونَ ﴾.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيُوْمَ بِمَاصَبُرُوٓاً ﴾ على أذاكم.

﴿أَنَّهُمْ ﴾ بالفتح، ثاني مفعولي ﴿جَزَيْتُهُمُ ﴾، وبالكسر(٣) استئناف، كأنَّه لَمَّا أبهم الجزاء للتَّعظيم ولم يبيِّنه اتَّجه أنْ يَسألَ سائلٌ: كيف حالهم؟ قال: إنهم.

﴿ مُمُ أَلْفَ إِنَّونَ ﴾ مخصوصون بالفوزِ بجميع مراداتهم.

* * *

(١١٢) - ﴿ قَالَ كُمْ لَيِثْتُرُ فِي ٱلْأَرْضِ عَكَدَسِنِينَ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾؛ أي: اللهُ تعالى، أو المأمور بسؤالهم من الملائكة، وقرئ على الأمر (١٠) لمالك (٥٠)، أو لبعض رؤساء أهل النَّار.

﴿ كُمْ لَيِثْتُمْ فِ ٱلْأَرْضِ ﴾: في الدُّنيا أحياءً وأمواتاً في القبور.

(۱) انظر: «معانى القرآن» للفراء (۲/ ۲٤۳)، و«الكشاف» (۳/ ۲۰۵).

⁽٢) أي: مذهبهما أن مكسور السين ومضمومها معناهما واحد وهو الهزؤ. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٢٤)، لكن وقع في «العين» للخليل (٤/ ١٩٦) تفريق بينهما.

⁽٣) وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٠).

⁽٤) أي: ﴿قَلَ﴾، وهي قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٠).

⁽٥) في (ع) و(ك) و(م) و(ي): «للمالك»، وفي «تفسير البيضاوي» (٤/ ٩٧): «للملك».

﴿عَدَدَسِنِينَ ﴾؛ أي: كم عددُ سنين لبثتم؟ ف ﴿كُمْ ﴾ نصب بـ ﴿لَيِثْتُمْ ﴾، و عَدَدَ سِنِينَ ﴾، و عَدَدَ سنين لبثتم؟

* * *

(١١٣) - ﴿ قَالُواْ لِيَثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ فَسْتَلِ ٱلْعَاَّدِينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ لِيَنْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ ﴾ استقصروا مدَّة لبثهم فيها بالنِّسبة إلى خلودهم في النَّار، أو الأنَّها كانَتْ أيَّام سرورهم، وأيَّامُ السُّرور قِصارٌ، أو الأنَّها منقضية، والمنقضي في حكم المعدوم الذي يستحقُّ أنْ يُعبَّرُ عنه بالقِلَّةِ.

﴿ فَسَّكُلِ ٱلْمَآتِينَ ﴾: الذين يتمكَّنون مِن عدِّ أيامها (١٠) إِنْ أَردْتَ تحقيقَها، فإنَّا لِمَا نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكُّرها وإحصائها، أو: الملائكة الذين يَعدُّون أعمارَ النَّاس ويُحصون أعمالهم.

وقرئ: (العادِيْنَ) بالتَّخفيف(٢)؛ أي: الظَّلمةَ، فإنَّهم يقولون كما نقول.

وقرئ: (العادِيِّين) (٣)؛ أي: القدماء (٤) المعمَّرين فإنهم يستقَصرونها، فكيف بمن دونهم؟!

﴿ قَالَ ﴾ وقرئ: ﴿قل ﴾ (٥).

* * *

⁽۱) في (ك): «عدادها» بدل «عدِّ أيامها».

⁽٢) نسبت للحسن ورواية عن الكسائي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨).

⁽٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨)، و «الكشاف» (٣/ ٢٠٦). ووقع في (ع) و (ف) و (ك) انظر: «العادين»، والمثبت من (ي) ومصدري التخريج.

⁽٤) في (ع): «قدماء». والمثبت من باقي النسخ و «الكشاف» (٣/ ٢٠٦): «المعمرين».

⁽٥) وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٠).

(١١٤) - ﴿ فَكَلَ إِن لِّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُم كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿إِن لِّبَثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾؛ أي: ما لبثتم إلَّا زمناً(١) قليلاً، أو لبثاً قليلاً.

﴿ لَوْ أَنَّكُمُ كُنتُمُ تَعَلَمُونَ ﴾ صدَّقَهم اللهُ في مقالهم لِسِني لبِثِهم في الدُّنيا، ووبَّخهم على غفلتهم التي كانوا عليها.

* * *

(١١٥) - ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾.

﴿ أَفَكَسِبْتُمْ ﴾ توبيخٌ آخر على تغافلهم، وتجهيلٌ معَ إنكارٍ.

﴿ أَتَمَا خَلَقْنَكُمْ عَبَثَا ﴾ حال؛ أي: عابثين، أو مفعول له؛ أي: ما خلقناكم للعبث، وإنَّما خلقناكم لنتعبَّدكم ونجازيكم على أعمالكم، وهو كالدَّليل على البعث.

﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ عطفٌ على ﴿ أَنَّمَا خَلَقْنَكُمْ ﴾، ويجوز أن يكون معطوفاً على ﴿ وَالْكُمْ اللهِ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِي

وقرئ: ﴿تَرْجِعُونَ﴾ بفتح التَّاء (٢).

* * *

(١١٦) - ﴿ فَتَعَلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَهَ إِلَّاهُو رَبُّ ٱلْمَرْشِ ٱلْكَرِيرِ ﴾.

﴿ فَتَعَكَى اللَّهُ ﴾ مِن أَنْ يخلقَ عبثاً، تعليلٌ لِمَا تقدَّم.

﴿ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾: الذي يحقُّ له الملك؛ لأنَّ كلَّ شيء منه وإليه، أو: الثَّابتُ

⁽١) في (م): «زماناً».

⁽٢) وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٠).

الذي لا يزول، ولا يزولُ^(۱) ملكُه، ومَن عداه مملوكٌ له^(۱) بالذَّات، مالكٌ بالعَرَض زائلُ الملك.

﴿لَآ إِلَنَهُ إِلَّاهُوَ ﴾ فإنَّ ما عدَاه عبيد.

﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ﴾ الذي يحيط بالأجرام.

﴿ الْحَرِيرِ ﴾ بالجرِّ على أنَّه (٣) صفة العرش، وإنَّما وصفه بالكرم لأنَّ الرَّحمة والخير والبركة الإلهيَّة تنزل منه، ويجوز أن يكون توصيفُه بالكرم لنسبته إلى أكرم الأكرمين مجازاً، كما يُقال: بيتٌ كريمٌ: إذا كان ساكِنوه كراماً.

وقرئ بالرَّفع(١٤) على أنَّه صفة لـ ﴿ رَبُّ ﴾.

* * *

(١١٧) . ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَىٰ هَاءَ اخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ـ فَإِنَّمَا حِسَا بُهُ وَعِندَرَيِّهِ ۚ إِنَّــهُ وَلَا يُنْفَــلِحُ ٱلْكَنْفِرُونَ ﴾.

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَىٰ هَاءَ اخْرَ ﴾ يعبدُه إفراداً أو إشراكاً (٥).

﴿ لَا بُرُهُ مَنَ لَهُ بِهِ ﴾ صفةٌ أخرى لـ (إله)؛ أي: لا حجَّة له عليه؛ لأنَّ البرهان عقليٌّ أو نقليٌّ، وليس في واحدٍ منهما ما يجوز أنْ يكون معه إلهٌ آخر، وهذا

⁽۱) «ولا يزول» من (م) و(ي).

⁽٢) «له» من (ك) و(م).

⁽٣) «على أنه» سقط من (ك).

⁽٤) نسبت لأبان بن تغلب وابن محيصن وأبي جعفر المدني وإسماعيل عن ابن كثير. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨)،

⁽٥) في (ف) و (ك): «وإشراكا».

وإنْ كان مذكوراً في موضع الصِّفة فليس للتَّمييز؛ لأنَّ الباطلَ بمعزلٍ عن أنْ يكون له دليلٌ ضعيفٌ، فضلاً عن برهانٍ، وإنَّما جيءَ بها للتَّأكيد، ولبناء الحكم بالوعيد عليه؛ تنبيهاً على أنَّ التَّديُّن بما لا دليل عليه ممنوعٌ، فضلاً عمَّا دلَّ الدَّليل على خلافِه.

أو اعتراضٌ (١) بين الشَّرط والجزاء لبيان الملازمة، كقولك: مَن أحسنَ إلى زيدٍ لا أحقَّ بالإحسان منه، فاللهُ مُثيبُهُ(٢).

قوله: ﴿ فَإِنَّمَا حِسَا بُهُ عِندَرَيِّهِ ٤ كنايةٌ عمَّا ذُكِرَ ؟ أي: فهو مُجازٍ له بما يستحقُّه.

﴿إِنَّهُ، ﴿ أَي: إِنَّ الشَّأَنَ. وقرئ بالفتح (٣)؛ أي: لأنَّه، أو على أنه خبر؛ أي: حسابُه ﴿إِنَّهُ، لَا يُفْلِحُ الْكَفِرُونَ ﴾، من باب وضع الظَّاهر موضِعَ المُضْمَر؛ إذ أصله: حسابُه أنَّه لا يُفْلِحُ هو؛ لأنَّ (مَن يَدْعُ) في معنى الجمع، فمعنى حسابه أنَّه لا يفلح: حسابهم أنَّهم لا يفلحون، فغيّر تفظيعاً لشأنهم، وتفضيحاً لصورة حالهم، وإيماءً إلى عدم الفلاح لكفرهم.

وصيغة الجمع للتَّنبيه على أنَّه لا يُغني اجتماعهم (١)، وإلَّا فالظَّاهر أنْ يُؤتَى بصيغة الإفراد؛ لأنَّ الفلاحَ منتفٍ عن جنسهم.

وزاوَجَ (٥) بين فاتحة السُّورة وخاتمتها بقوله: ﴿قَدْأَقَلَحَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ في الفاتحة، و﴿إِنَّـهُ، لَا يُفْلِحُ ٱلْكَنْفِرُونَ ﴾ في الخاتمة.

⁽١) في (ع) و(ف) و(ك) و(م): «واعتراض»، والمثبت من (ي) و «تفسير البيضاوي» (٤/ ٩٧).

⁽٢) في (ك): «مثبته».

⁽٣) نسبت لقتادة وعيسى والحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ٩٨).

⁽٤) في (ع): «لا يفضي اجتماعهم»، وفي (ف) و(ك): «لا يغني لاجتماعهم».

⁽٥) في (ف): «وقد جمع»، وسقط من (ك).

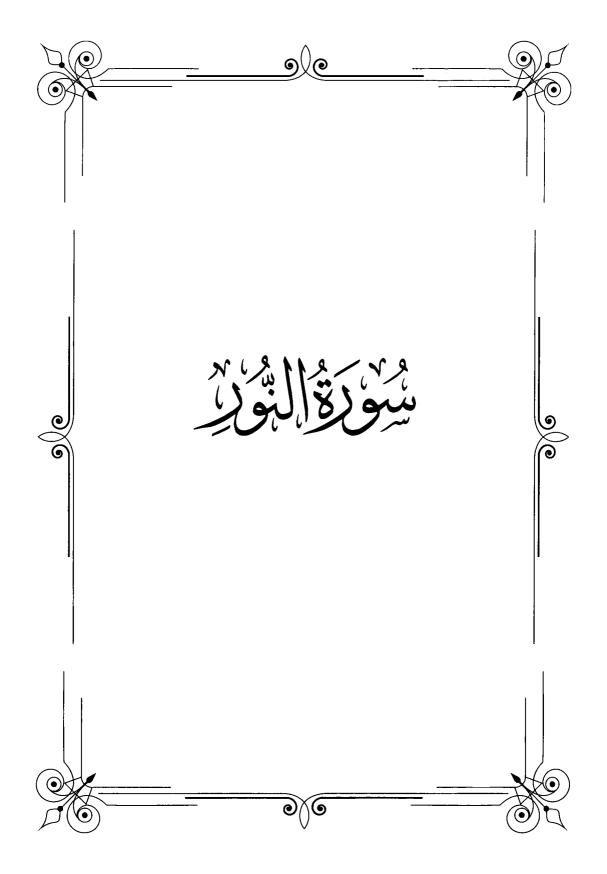
ثمَّ علَّمنا سؤال المغفرة والرَّحمة بقوله:

(١١٨) ـ ﴿ وَقُل رَّبِّ أَغْفِر وَأَنْحَمْ وَأَنْتَخَيْرُ ٱلزَّمِينَ ﴾.

﴿ وَقُل رَّبِ اَغْفِر وَالْحَرْوَالْتَخَرُ الرَّحِينَ ﴾؛ لأنَّ رحمته إذا أدركت أحداً أغنته عن رحمة غيره، ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته (۱).

* * *

في (م) زيادة: "والله أعلم".





(١) - ﴿ سُورَةُ أَنزَلْنَهَا وَفَرَضْنَهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ اَيَاتِ بَيْنَاتِ لَعَلَّكُمْ لَذَكُّرُونَ ﴾.

﴿ مُورَةً ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أو مبتدأٌ لأنها مخصَّصةٌ بالتنكير الدالِّ على التعظيم كقولهم: شرُّ أهرَّ ذا نابِ(١).

﴿أَنْزَلْنَهَا﴾ صفة أو خبرٌ، ومَن نصبَها(٢) جعلها مفسّرة لناصبها، فلا يكون لها محلّ إلّا إذا قدّر: اتل، ونحوه، ولا يجوز تقدير ذلك؛ لأن أداة الإغراء لا تُحذَف.

﴿ وَفَرَضْنَا ﴾؛ أي: فرضنا ما فيها من الأحكام. وقرئ بالتشديد (٣) للتكثير أو للمبالغة.

﴿ وَأَنْزَلْنَا فِيهَآ ءَايَنتِ بَهِ بَيِّنَتِ ﴾؛ أي: دلائل واضحاتٍ ﴿ لَعَلَكُمْ لَذَكُّرُونَ ﴾ لكي تتَّعظوا.

⁽۱) انظر: «المستقصى» للزمخشري (۲/ ۱۳۰)، و«مجمع الأمثال» للميداني (۱/ ۳۷۰). وتقدم مع شرحه عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا آصَّبَرَهُمْ عَلَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ۱۷٥].

⁽٢) أي: قرأ: (سورةً) بالنصب، نسبت لعمر بن عبد العزيز ومجاهد وجمع. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٠)، و «المحتسب» (٢/ ٩٩).

⁽٣) أي: ﴿وَفَرَّضناها﴾، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. انظر: «التيسير» (ص: ١٦١).

(٢) _ ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَأَجْلِدُوا كُلَّ وَحِدِمِّنَهُمَا مِانَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذَكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِ دِينِ اللّهِ إِن كُنتُمْ تُوْمِنُونَ وَاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِيشَهَدْ عَذَابَهُمَا طَآيِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ الزَّانِيَةُ ﴾؛ أي: المرأةُ التي مَكّنت في الزنى - فالمُكرَهة خارجةٌ عن حدّها - قدّمت هنا لأصالتها في الزنى، أي: حرمة الوطء التي بها يتحقّق الزنى منشؤها خلوُ المحلِّ عن الملكية وشبهتها (١١)، كما قدّم الزاني في الحكم الآتي ذكرُه لأصالته فيه.

﴿ وَٱلزَّانِي ﴾ رُفعا بالابتداء، والخبر: ﴿ فَأَجْلِدُوا كُلَّ وَنِعِدِ مِّنْهُمَا مِأْنَةَ جَلْدُو ﴾ والفاء لتضمُّنها معنى الشرط؛ لأن اللام بمعنى (الذي).

وقرئ بالنصب(٢) على إضمار فعلٍ يفسِّره الظاهر.

والجَلْد: ضَرْب الجِلْد، وفيه إشارة إلى أنه لا يبالغ ليصل الأثر(٣) إلى اللَّحم.

والخطابُ لجماعة المسلمين، إلَّا أنه لمَّا لم يُمْكِنهم الاجتماع، فينوب الإمامُ منابهم، وعموم الآية يتناول المُحصَن وغيرَ المُحصَن، ثم خُصَّ منه المُحصَن بحديث الرَّجْم.

وشرائط إحصانِ الرجم: العقل، والبلوغ، والإسلام، والحرية، والدخول بنكاح صحيح وهما على صفة الإحصان.

⁽١) في (ف) و(ك) و(م): «الملكين وشبهتهما»، وفي (ي): «الملكين وشبههما»، والمثبت من (ع).

⁽٢) أي: (الزانية والزاني) بالنصب، نسبت لعمرو بن فائد وعيسى الثقفي ويحيى بن يعمر وجمع. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٠)، و «المحتسب» (٢/ ١٠٠).

⁽٣) في (ك): «الألم».

ورَجْمه عليه الصلاة والسلام يهوديَّين قد زَنَيا(١)، كان بحكم التوراة ثم نُسخَ، يؤيِّده قوله عليه الصلاة والسلام: «مَن أشرك بالله فليس بمُحصَن»(٢).

والتغريبُ المرويُّ منسوخٌ بهذه الآية كالحبس والأذى في قوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُ بَ وَاللَّهُ عَلَى وَاللَّهُ عَلَى وَالنَّاءِ: ١٦] لأن الفاء إنما تَدخل على الجزاء وهو اسمٌ للمكافئ (٣).

﴿ وَلَا تَأْخُذُكُم بِهِمَا رَأْفَةً ﴾ الرأفة: رقَّة الرحمة، وأخذُها كناية عن تأثيرها في النفس بحيث يظهر أثرُها في العمل، فمرجع النهي إلى المسامحة في إقامة الحدِّكما ينبغي.

﴿ فِدِينِ اللهِ ﴾: في طاعته، أو: في حكمه، وإنما قال: ﴿ بِهِما ﴾ ليُعلم حُكم الرأفة بأحدهما بطريق الدلالة.

﴿إِنكُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَٱلْمَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ فإن الإيمان يوجب الائتمارَ بأمر الله تعالى، وهذا من باب التهييج وإلهابِ الغضب لله ولدينه، وجواب الشرط مُضمَر؛ أي: فأقيموا الحدَّ ولا تساهلوا(٤) فيه.

﴿ وَلِيَشْهَدْ عَذَا بَهُمَا ﴾: ولْيَحضُر موضعَ حدِّهما، وتسميتُه عذاباً دليلٌ على أنه عقو بةٌ.

⁽١) رواه البخاري (٣٦٣٥)، ومسلم (١٦٩٩)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

⁽٢) رواه ابن راهويه كما في «نصب الراية» للزيلعي (٣/ ٣٢٧)، والدارقطني في «السنن» (٣٢٩٥)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال الدارقطني: لم يرفعه غير ابن راهويه، ويقال: إنه رجع عن ذلك، والصواب أنه موقوف.

⁽٣) في (ف) و(ك) و(م) و(ي): «للكافي»، والمثبت من (ع).

⁽٤) في (ف): «تتساهلوا».

﴿ طَآبِهَةً ﴾: فِرقة يمكن أن تكون حلقة (١)، وهي صفةٌ غالبة، كأنها الجماعة الحاقّة (٢) حول الشيء.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ليعتبروا وينزجروا فإن التفضيح قد يُنكِّل أكثر ممَّا يُنكِّل التعذيب.

* * *

(٣) - ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنجِحُ إِلَّا زَانِيةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنجِحُهَ ٓ إِلَّا زَانِ أَوْ مُشْرِكُ ۚ وَالْزَانِيةَ لَا يَنجِحُهَ ٓ إِلَّا زَانِيةً وَمُشْرِكُ ۚ وَالْآلِنِيةَ لَا يَنجَمُهَ ٓ إِلَّا زَانِ أَوْ مُشْرِكُ ۚ وَحُرِّمَ ذَالِكَ عَلَى الْمُوْمِنِينَ ﴾.

﴿ الزَّانِ لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْمُشْرِكَةً ﴾؛ أي: لا يَميل إلَّا إلى نكاح واحدةٍ منهما.

﴿ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِمُهُمَا إِلَّا زَانٍ أَوْمُشْرِكُ ﴾؛ أي: لا تُمكَّن إلَّا إلى نكاح واحدٍ منهما، ومرجعُه إلى نفي ميلها عن نكاحِ غيرهما، فالقرينتان على سَنَن واحد، وإنَّما عدل في الثانية عن الصريح إلى الكناية؛ كراهة إسنادِ النكاح إليها.

ووجهُ ما ذكر: أن المشاكلة (٣) علَّهُ الأُلفة والتضامِّ، والمخالفة سببُّ للنُّفرة والافتراق، وهو نظيرُ قوله: ﴿ لَلْمَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ الآية [النور: ٢٦]، فالآية تزهيدٌ في نكاح البغايا، إذ جعل الزنى فيها عديلَ الشرك في القُبْح.

⁽۱) في (ك): «صفة»، وفي (ف) و(م): «خلفه»، وفي (ع): «حلفه»، والمثبت من (ي)، وهو الصواب. انظر: «الكشاف» (۳/ ۲۱۰)، و «تفسير النسفي» (۲/ ٤٨٧).

⁽٢) في (ك): «الحالقة»، وفي (ف): «الخالفة»، وفي (ع): «الحاقة»، والمثبت من باقي النسخ والمصدرين السابقين.

⁽٣) في (ف) و (م): «المشاكل».

﴿ وَحُرِّمَ ذَالِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لِمَا فيه من التشبُّه (۱) بالفُسَّاق، وحضورِ مواضع التُّهَمة، والتسبُّبِ بسوءِ (۱) المقالة، والغيبة، والطعن في النَّسَب، ومجالسة الزواني كم فيها من التعرُّض لاقتراف المفاسد والآثام، فكيف بمزاوجتهنَّ، ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة.

وقيل: النفي بمعنى النهي، وقد قُرئ به (٣)، والحرمة على ظاهرها، والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه، أو منسوخٌ بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِمُوا ٱلْأَيْنَى مِنكُرُ ﴾ [النور: ٣٦] فإنه يتناول المسافحات، ويؤيِّده أنه عليه الصلاة والسلام سُئلَ عن ذلك فقال: «أوَّله سفاحٌ، وآخره نكاحٌ، والحرامُ لا يُحرِّم الحلالَ»(١٠).

* * *

(٤) _ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَرَيَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَلَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَنِينَ جَلْدَةَ وَلَا نَقْبَلُواْ لَمُمَّ شَهَدَةً أَبَدًا وَأُولَئِيكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرَّمُونَ ٱلْمُحْصَنَتِ ﴾؛ أي: يقذفون الحرائر العفائف المسلمات المكلَّفات بالزنى؛ لوصف المقذوفات بالإحصان، وإنَّما عدل عن القذف إلى الرمي؛ لأنَّ القذف: الرميُ البعيد المستلزِمُ لصلابة المَرْميِّ، والقيدان المذكوران اعتبارُهما لا يناسب المقام.

⁽۱) في (ف) و(ك) و(م): «بسوء».

⁽۲) في (ع) و (ف) و (ك) و (م): «التشبيه».

⁽٣) أي: (لا يَنكعُ) بجزم الحاء، نسبت لعمرو بن عبيد. انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٠١).

⁽٤) انظر: «الكشاف» (٣/ ٢١٢). ورواه عبد الرزاق في «المصنف» (١٢٧٨٧)، وسعيد بن منصور في «السنن» (٨٨٨) و (٨٨٩) و (٨٩٠)، والدارقطني في «السنن» (٣٦٨١) عن ابن عباس موقوفاً.

وذكرُهنَّ عقيب الزواني، واشتراطُ أربعة شهداء بقوله: ﴿ ثُمُ ﴾ كلمةِ التراخي، دلَّ على أنه لا يجب عليه الإتيانُ بالشهود على الفور.

﴿ ثُمُّ لَرْيَأْتُواْ بِالْرَبِعَةِ شُهَلَا ﴾ يشهدون على زنى المقذوفة؛ لأن القذف بغير الزنى يكفى فيه الشاهدان، ولإيجاب الحدِّ بقوله:

﴿ فَأَجْلِدُوهُ رَبُكُنِينَ جَلْدَةً ﴾ لأن القذف بغير الزنى لا يوجب الحدَّ، بل يوجب التعزير كقذف غير المحصن بالزني.

ونُصب ﴿ ثَمَنيِنَ ﴾ نَصبَ المصادر، كنَصبِ ﴿ مَتَهَ ﴾، ونصب ﴿ جَلْدَةً ﴾ على التمييز.

ولا فرقَ فيه بين المذكَّر والمؤنَّث، وتخصيصُ المحصنات لخصوص الواقعة، أو لأن قذفهنَّ كان أغلبَ(١)، هذا ما قالوا.

وأنا أقول: أُريدَ الأنفسُ المحصنات، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَتُ مِنَ ٱلنِّسَآهِ ﴾ فلا تخصيص.

ولا يشترط اجتماعُ الشهود عند الأداء، ولا شهادةُ زوج المقذوفة، ولكن يُشترط طلب المقذوف؛ لأن فيه حقَّه من حيث دفعُ العارِ، ولا خلاف فيه لأبي حنيفة.

وضربُه أخفُّ من ضرب الزنى، قيل: لضعف سببه واحتماله الصدقَ، ولذلك نقص عددُه، ويَرِدُ عليه النقض بضَرْب التعزير، كما إذا كان المقذوف غيرَ محصَن، فإنه أشدُّ من ضرب الزنى مع قيام العلَّة المذكورة فيه.

⁽١) في هامش (ف) و(م): «لم يقل: وأشنع، لأن فيه إخلالًا لثبوت الحكم في المحصن بدلالة النص». وفيه إشارة لقول البيضاوي: (كان أغلب وأشنع).

﴿ وَلَا نَقْبَلُواْ لَمُ مُ مَهَدَةً ﴾ نكّر ﴿ شَهَدَةً ﴾ في موضع النفي فتعمُّ كلَّ شهادةٍ، وردُّ شهادته ليس لأنه مفترِ (١)، وإلَّا لَـمَا تخلَّف عنه في قذف غيرِ المحصَن، بل لأنه من تمام الحدِّ فيتعلَّق باستيفاء الحدِّ أو بعضه، خلافاً للشافعي فيهما (١).

لا يقال: حاله قبل الحدِّ أسوءُ ممَّا بعده؛ لأنه إن أريد أنه كذلك عند الناس فممنوع، وإن أريد أنه كذلك عند الله تعالى فلا يُجدي؛ لأن المعتبرَ في هذا الباب ما عند الناس، حتى قيل: تعتبر شهادة الفاسق الوجيه.

وأصل الكلام: ولا تقبلوا شهادتهم، وإنّما غير النظم بزيادة اللام لا لفائدة التنكير؛ لأنّها تحصل بالتعريف الاستغراقي على وجه أقوى، بل لإظهار وجه كون الرّد المذكور من الحدّ بإشعار أن في قبول الشهادة نفعاً للشاهد؛ لأنه يتضمّن الإهانة.

﴿أَبَدًا﴾؛ أي: إلى آخرِ أوقاتِ أهليَّتهم للشهادة لا إلى آخرِ عمره، ولذلك تُقبَل شهادة الكافر المحدود في قذفٍ بعد إسلامه؛ لحدوث أهليةٍ أخرى للشهادة بالإسلام، ولا خلاف للشافعي هنا، وإنَّما خلافه في انصراف الاستثناء الآتي ذكرُه.

﴿ وَأُولَكِ كُمُ مُ الْفَاسِقُونَ ﴾ كلامٌ مستأنف غيرُ داخلٍ في حيِّز جزاء الشرط؛ لأنه حكاية حالِ الرامين عند الشرع الحاكم بالظاهر، لا عند اللهِ العالِم بالسرائر بعد انقضاء الجملة الشرطية (٣)، وقولُه:

⁽١) في (ف) و(ك) و(م): «لأنه ليس مفتر».

⁽٢) قوله: «فيتعلَّق باستيفاء الحدِّ أو بعضه، خلافاً للشافعي فيهما». وقع في (ع) بعد قوله: «فتعم كل شهادة». وانظر: «تفسير النسفي» (٢/ ٤٨٩).

⁽٣) في هامش (ع) و(ف) و(م) و(ي): «ردّ لصاحب الكشاف، والعجب أنه بعد ما قال: سبب عقوبته محتمل للصدق إلا أنه عوقب صيانة للأعراض، كيف قال: إن حكاية حال الرامين عند الله. منه».

(٥) - ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُواْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّا اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيدٌ ﴾.

﴿ إِلَّا ٱلذِّينَ تَابُواْمِنَ بَعْدِ ذَالِكَ ﴾؛ أي: القذفِ ﴿ وَأَصْلَحُواْ ﴾ أحوالهم بالاستسلام للحدّ أو الاستحلال عند (١) المقذوف، استثناءٌ من الفاسقين، ويدلُّ عليه تعليل الاستثناء بقوله:

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾؛ أي: يغفر ذنوبهم ويرحمهم، والشافعيُّ جعل جزاء الشرط الجملتين أيضاً، وجعل الاستثناء متعلِّقاً بالجملة الثانية، وحقُّ المستثنى عنده أن يكون مجروراً بدلاً من (هم) في (لهم)، وحقُّه عندنا أن يكون منصوباً لأنه عن مُوجَبِ تامٍّ.

* * *

(٦) _ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرَمُونَ أَزُواجَهُمْ وَلَرْ يَكُن لَحُمْ شُهَدَآءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَتِ بِاللَّهِ إِنَّهُ. لَمِنَ ٱلصَّمَادِقِينَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَرْوَجَهُم ﴾ هذا بيان حكم قذف الزوجات بالزنى ﴿ وَلَرْ يَكُن لَمُمُ مُهُ مَا اللهُ على أَن (إلَّا) شُهَدَاتُ ﴾ يَشهدون لهم على أن (إلَّا) بمعنى (غير).

﴿ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ آرَبَعُ ﴾ قرئ بالرفع على أنه خبر، والمبتدأ ﴿ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ ﴾ وبالنصب (٢٠)؛ لأنه في حكم المصدر بالإضافة إلى المصدر، وهو: ﴿ شَهَادَتِهِ ﴾ والعامل فيه المصدر الذي هو ﴿ فَشَهَادَةُ ﴾، وعلى هذا خبرُه محذوفٌ تقديره: فواجبٌ شهادة أحدِهم أربعُ شهادات.

⁽١) في (ع) و(ف) و(ك) و(م): «عن»، والمثبت من (ي).

⁽٢) قرأ بالرفع حفص وحمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالفتح. انظر: «التيسير» (ص: ١٦١).

﴿ إِللَّهِ ﴾ متعلِّق بـ ﴿ شَهَدَتِ ﴾ لقُربها، وقيل: بـ (شهادةُ) لتقدُّمها.

﴿إِنَّهُ لِمِنَ ٱلصَّدِيقِينَ ﴾؛ أي: فيما رماها به من الزنى، وأصله: على أنه، فحذف الجارُّ وكُسرت (إنَّ)، وعلِّق العامل عنه باللام تأكيداً.

* * *

(٧) - ﴿ وَٱلْخَنْمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَنْدِينَ ﴾.

﴿وَٱلْخَيْمِسَةُ ﴾: والشهادة الخامسة ﴿أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنَّ الْكَلِّدِينَ ﴾ في الرمي.

* * *

(٨) - ﴿ وَيَدْرَقُ عَنَّهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَثْهَدَ أَرْبَعَ شَهُدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ وَلَمِنَ ٱلْكَندِبِينَ ﴾.

﴿ وَيَدْرَؤُا عَنَهَا الْعَذَابَ ﴾: ويدفع عنها الحبسَ والحد(١) ﴿ أَن تَشْهَدَأَرْبَعَ شَهَادَتِ بِأَللَّهِ لِ إِنَّهُ ، ﴾؛ أي: الرامي ﴿ لَمِنَ ٱلْكَذِبِينَ ﴾ في الرمي.

* * *

(٩) - ﴿ وَٱلْخَلِيسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ ﴾.

﴿ وَٱلْخَيِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيَهَ آ إِن كَانَمِنَ الصَّلِيقِينَ ﴾ فيه، قرئ: ﴿ وَٱلْخَيِسَةَ ﴾ بالنصب عطفاً على أربع، وبالرفع على الابتداء، وما بعدها الخبر(٢).

وخص الغضب في جانبها لأن النساء يَستعملنَ اللعنَ كثيراً، كما ورد به الحديث (٣)، فربَّما يجترئن على الإقدام لكثرة جري اللعنِ على ألسنتهنَّ

⁽١) في (ك): «والحبر»، وفي (ي): «والجر»، وفي باقي النسخ: «والجبر»، والمثبت من هامش (ي)، وعليه علامة التصحيح.

⁽٢) قرأ حفص بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. انظر: «التيسير» (ص: ١٦١).

⁽٣) رواه البخاري (٣٠٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، ومسلم (٧٩) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

وسقوطِ دفعه عن قلوبهنَّ، فذُكر الغضب في جانبهنَّ ليكون رادعاً لهنَّ.

وإذا الْتَعَنَا كما بُيِّن في النصوص لا تقع الفُرقة حتى يفرَّق بينهما.

وعند زُفَرَ والشافعيِّ يقع بتلاعنهما الفُرقة، وتكون الفُرقة تطليقة بائنة عند أبي حنيفة ومحمد، وعند أبي يوسف وزُفر والشافعي تحريم مؤبَّد.

وأمَّا أنَّ حُكمَ لعانِ الزوج سقوطُ (١) حدِّ القذف عنه وثبوتُ حدِّ الزني عليها، فالنَّصُّ ساكتٌ عنه.

* * *

(١٠) _ ﴿ وَلَوْلَا فَضَلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابُ حَكِيمٌ ﴾.

﴿ وَلَوَلَا فَضَلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَ اللَّهَ تَوَابُ حَكِيمٌ ﴾ تُرك جواب (لولا)، وهو أبلغ لأن النفس تَذهَب في تقدير جوابِه كلَّ مذهب (٢)، ولقد أحسن مَن قال: رُبَّ سكوتٍ أبلغُ من النُّطق.

* * *

(١١) _ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُ و بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةً مِنكُو ۚ لاَ تَعْسَبُوهُ شَرَّا لَكُمْ بَلْ هُو خَيْرٌ لَكُو ۚ لِكُلِّ ٱمْرِي مِنْهُمْ مَا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِفْدِ وَلَلَذِى تَوَلَّ كِبَرَهُ مُنهُمْ لَهُ مَا اَكْتَسَبُ مِنَ ٱلْإِفْدِ وَلَلَذِى تَوَلِّى كِبَرَهُ مُنهُمْ لَهُ مَا اَكْتَسَبُ مِنَ ٱلْإِفْدِ مِنْ اللَّهِ مِنْهُمْ لَهُ مَا اللَّهُ عَظِيمٌ ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُ وبِٱلْإِذْكِ ﴾ هـ و أبلغُ ما يكون من الكذب والافتراء، وأصله من الأفك وهو الصَّرْف؛ لأنه قـولٌ منصرِفٌ (٣).........

⁽۱) في (م): «وأما حكم لعان الزوج وسقوط»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الصواب. انظر: «تفسير البيضاوي» (۶/ ۱۰۰).

⁽٢) في هامش (ع): (ومن قدر الجواب فقد أخل بنكتة الترك. منه).

⁽٣) في (ي): «وهو القلب لأنه قول منقلب». والمثبت من باقي النسخ، وكلاهما صواب، فمعنى الإفك =

عن وجهه، والمراد: ما أُفكَ به على أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقصَّتُه معروفة (١٠).

﴿عُصْبَةً ﴾: جماعةٌ، قيل: من العشَرة إلى الأربعين، ويردُّه ما في مصحف حفصة رضى الله عنها: (عُصْبةٌ أربعةٌ)(٢).

يقال: تعصّب القوم، إذا اجتمعوا على هيئة فشدّ بعضهم بعضاً، ومنه: العُصْبة؛ لأنه يَجمعهم التعصُّب، ففي عبارة العُصْبة هنا حُسْنُ موقع، ورجحانُها على عبارة الجماعة من جهة الدلالة على الكَمِّ والكيف، فهم: عبد الله بن أُبيِّ رأسُ المنافقين ورأس المتعصِّبين، وحسان بنُ ثابت، ومِسْطَح بن أثاثة، وحَمْنَة بنت جَحْش، ومَن ساعدهم (٣).

﴿ مِنكُرَ ﴾: من المعدودين من أهل ملَّتكم، وهم ظنُّوا أنَّ الإفك وقع من الكفار، وفيه إظهارٌ لوجهِ غرابة ذلك الإفك، وخبر ﴿ إِنَّ ﴾: ﴿ عُصْبَةٌ ﴾، وقوله:

﴿لَا تَعْسَبُوهُ ﴾ مستأنف، والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام وأبي بكر وعائشة وصفوان ومَن ساءه ذلك(١)....

⁼ كما قال الآلوسي: القلب والصرف. انظر: «روح المعاني» (١٨/ ٢٤٨).

⁽١) انظر تفصيل القصَّة عند البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

⁽۲) انظر: «تفسير القرطبي» (۱۵/ ۱۹۳)، و «روح المعاني» (۱۸/ ۲۵۲).

⁽٣) في هامش (ف) و(م): «قال القرطبي: لم يسمَّ من أهل الإفك إلاَّ حسان ومسطح وحمنة وعبد الله، وجُهل الغير، قال عروة بن الزبير وقد سأله عن ذلك عبد الملك بن مروان، وقال: إلا أنهم كانوا عصبة، كما قال الله تعالى. انتهى، ولا وجه لذكر زيد بن رفاعة هنا. منه».

⁽٤) في (م) و(ي): «ومن أساءه ذلك»، وفي (ع): «ومن ساء ذلك»، وسقطت من (ف) و (ك)، والصواب المثبت.

رضي الله عنهم من المؤمنين والمؤمنات، والهاءُ لـ (الإفك).

﴿ شَرًّا لَكُم ﴾ الشَّرُّ: ما زاد ضرُّه على نفعه، والخير ضدُّه.

﴿ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ لاكتسابكم به الثوابَ العظيم، وظهورِ كرامتكم على الله تعالى بإنزال ثماني عشرة آيةً في براءتكم، وتعظيمِ شأنكم، وتهويلِ الوعيد لمن تكلّم فيكم، والثناءِ على مَن ظنَّ بكم خيراً.

﴿لِكُلِّ ٱمْرِي مِنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ﴾؛ أي: لكلِّ امرئ من العُصْبة جزاء إثمه على مقدار خوضه فيه مختصًا به، وكان بعضهم ضَحِكَ، وبعضهم تكلَّم فيه، وبعضهم سَكَتَ، وليس في عبارة ﴿آمْرِي ﴾ إخراج حَمنَة بنتِ جَحْش عن هذا الحكم، بل ترك ذكرها إحالةً بمعرفة حالها على الدلالة؛ تنزيلاً لشأنها وتحقيراً لها.

﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّى بِكِبْرَهُ ﴾: مُعظَمَه (١)، وقرئ بالضَّمِ (١)، وهو لغةٌ فيه، أي: قَرُبَ من آخرِ عمره ولم يَبعد عن المعاصي خصوصاً عن مثل هذه المعصية.

﴿ مِنْهُمْ ﴾: من الخائضين في الإفك، وهو (٣) ابنُ أُبِيِّ فإنه بَدَأً به وأذاعه؛ عداوةً لرسول الله ﷺ.

﴿ لَهُ مَا ذَاكُ عَظِيمٌ ﴾ في الآخرة.

روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: لمَّا نزل عُذري قام النبيُّ عليه الصلاة والسلام فذكر ذلك وتلا القرآن، فلمَّا نزل من المنبر أَمَر بالرجلين والمرأة فضُربوا حدَّهم (١).

⁽١) في (ع): «تعظمه».

⁽٢) أي: ﴿كُبُرُهُ﴾، وقرأ بها من العشرة يعقوب. انظر: «العشرة» (٢/ ٣٣١).

⁽٣) في (ك): (فإنه).

⁽٤) رواه أبو داود (٤٤٧٤)، ورواه أيضاً الترمذي (٣١٨١) وحسنه، وابن ماجه (٢٥٦٧).

وهم: حسان بن ثابت ومِسْطَح بن أثاثة وحَمْنَة بنت جَحْش.

قال علماؤنا: وإنّما لم يُحدَّ عبدُ الله بنُ أُبيِّ لأن الله تعالى قد أعدَّ له في الآخرة عذاباً عظيماً، فلو حُدَّ في الدنيا لكان ذلك كفارةً له فيتخلَّص من عذابه الأخروي، وإنما حُدَّ هؤلاء المسلمون ليكفَّر عنهم إثمُ ما صدر عنهم من القذف، حتى لا يبقى عليهم تَبِعةٌ ذلك في الآخرة، وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحدود: "إنَّها كفَّارة لمن أُقيمت عليه"(١).

ففي قوله تعالى: ﴿لَهُ عَذَابُ عَظِيمٌ ﴾ إشارة إلى عدم وجوب الحدِّ على ابن أُبيِّ، ولذلك لم يحدَّه النبيُّ عليه الصلاة والسلام(٢).

* * *

(١٢) - ﴿ لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُزْمِنُونَ وَٱلْمُزْمِنَاتُ بِأَنفُسِمِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَلَذَا إِفْكُ مُبِينٌ ﴾.

ثم وبَّخ الخائضين فيه فقال: ﴿ لَوْلاَ ﴾: هلا ﴿ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴾؛ أي: الإفك ﴿ ظُنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَا اللَّهُ اللّهُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللَّالِي اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ الل

﴿خَيْرًا ﴾: عفافاً وصلاحاً، وإنَّما عدل عن الخطاب إلى الغَيبة وعن الضمير إلى الظاهر، ولم يقل: ظننتم بأنفسِكم؛ ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وليدلّ التصريح بلفظ الإيمان على أن الاشتراك فيه يقتضي أن لا يُصدِّق مؤمنٌ

⁽۱) انظر: «طرح التثريب» للعراقي (۸/ ۷۲ ـ ۷۳). وحديث أن الحدود كفارة رواه البخاري (۱۸)، ومسلم (۱۷۰۹)، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

⁽٢) في هامش (ع) و(ف) و(ي): «هذا من دقائق الإشارات التي لم يتنبّه لها الناظرون في هذا المقام فقالوا ما قالوا. منه».

على أخيه، ولا مؤمنةٌ على أختها، قولَ عائبٍ (١) ولا طاعنٍ، و[هذا] (٢) من الأدب الحَسَن قَلَ القائمُ به.

وإنما جاز الفَصْل بين (لولا) وفعلِه بالظرف؛ لأنه منزَّل منزلته من حيث إنَّه لا ينفكُّ عنه، ولذلك يُتَّسع فيه ما لا يُتَّسع في غيره، وذلك للاهتمام بالظرف والإيذانِ بأن لا يخلو في أوَّل وقتِ السماع بالإتيانِ بالمحضَّض (٣) عليه.

﴿وَقَالُواْ ﴾ كما يقول المستيقنُ المُطَّلع على حقيقة الحال، قُرن بالظنِّ التصريحُ بالقول؛ ليفيد أنَّ اللائقَ بالمؤمن أن يَبنيَ قولَه على ظنِّ الخيرِ في أوَّل وقت السماع.

﴿ هَنَا إِفْكُ مُبِينٌ ﴾: كذبٌ ظاهرٌ.

* * *

(١٣) - ﴿ لَوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءً فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُولَتِهِكَ عِندَ ٱللّهِ هُمُ ٱلْكَدِبُونَ ﴾.

﴿ لَوْلَاجَآءُوعَلَيْهِ بِأَرْبِعَةِ شُهَدَآءً ﴾ هلا جاؤوا على القذف لو كانوا صادقين بأربعة شهداء.

﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشَّهَدَآءِ ﴾ الأربعة ﴿ فَأُولَنِ كَ عِندَاللَّهِ ﴾؛ أي: في حكمه وشريعته، وفي عبارة ﴿ عِندَ ﴾ تعظيمٌ لِمَا في أحكام الشرع من العمل بالظاهر.

⁽١) في (ف): «فعل غائبة»، وفي (ك): «فعل عائبة».

⁽٢) ما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق. انظر: «الكشاف» (٣/ ٥٣)، و«البحر المحيط» (٢/ ٣٩).

⁽٣) في (ع): «بالمخصص»، وفي (ك): «بالمحضوض».

﴿ هُمُ ٱلْكَدِبُونَ ﴾ من جملة المقول، تقريرٌ لكونه كذباً، فإنَّ ما لا حجَّة عليه مكذَّب (١) في حُكم الشرع، ولذلك رتب الحدّ عليه.

* * *

(١٤) - ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ. فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابُ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ وَلَوَلَافَضَلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنيا وَالْآخِرَةِ ﴾ (لولا) هذه لامتناع وجود الشيء لوجود غيره؛ أي: ولولا أنِّي قضيتُ أن أتفضَّل عليكم في الدنيا بضروب النِّعم التي من جملتها الإمهال للعقوبة، وأن أترحَم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة بسبب توبتكم واستسلامكم للحدَّ ﴿ لَمَسَكُمْ * عاجلاً ﴿ فِ مَاۤ أَفَضْتُمْ فِيهِ ﴾: بسبب ما خضتم فيه، يقال: أفاضَ في الحديثِ وخاضَ واندَفَعَ.

﴿عَنَابٌ عَظِيمٌ ﴾ يُستَحْقَر دونه اللومُ والحدُّ.

* * *

(١٥) _ ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْواَهِكُمْ مَّا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمُ ۗ وَتَحْسَبُونَهُ هَيْنَا وَهُوَ عِندَاللَّهِ عَظِيمٌ ﴾.

﴿إِذْ ﴾ ظرف لـ (مسكم) أو لـ ﴿أَفَضْتُمْ ﴾.

﴿ تَلَقَّوْنَهُ ﴾ التَّلَقِّي كالتلقُّن والتلقُّف و إلَّا أن في التلقِّي معنى الاستقبال، وفي التلقُّن الحَدْق في التناول، وفي التلقُّف الاحتيال في التناول، ذكره الراغب(٢)، ولا اختصاص له بالكلام فلذلك قال:

⁽۱) في (ك): «كذب».

⁽٢) انظر: «تفسير الراغب» (١/ ١٦٠). وجاء في هامش (ف) و(ي): «التلقي يبش الشن وجزي را ازكسي فراء كرفن تاج المصادر، فمن فسَّر التلقِّي بمطلق الأخذ، فقد أضرَّ بحسن موقع الكلمة في هذا المقام. منه». وهو في هامش (م) دون الألفاظ غير العربية.

﴿ إِلَّسِنَتِكُرُ ﴾؛ أي: أنَّ بعضَكم كان يقول لبعضٍ: هل بَلَغك حديثُ عائشة! حتى شاعَ فيما بينهم وانتشر، فلم يبقَ بيتٌ ولا نادٍ إلا طارَ فيه.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفُواَهِكُم ﴾ إنَّما قيَّد بالأفواه مع أنَّ القولَ لا يكون إلا بالفم؛ لأن المراد بيان أنَّهم يقولون كلاماً لا يساعده القلبُ بأدنى درجات العلم، فالتنكير في قوله: ﴿مَالَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ للتقليل.

﴿ وَتَحْسَبُونَهُ مُيِّنَا ﴾ سهلاً لا تَبعة له، فهذه ثلاثةُ آثام مترتّبة علّق بها مس العذاب العظيم: تلقّي الإفك بألسنتهم، والتحدُّث به من غير علم، واستصغارهم بذلك.

﴿وَهُوَ عِندَٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ في الوِزْر.

ثم أخذ في توبيخهم على التكلُّم به، وكان الواجب عليهم إذ سمعوه أن لا يتفوَّهوا به فقال:

(١٦) _ ﴿ وَلَوْكَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن تَتَكُلُّمَ بِهِذَا سُبْحَنكَ هَنَدَا بُهْتَن عَظِيمٌ ﴾.

﴿ وَلَوْلَا ﴾: وهلَّا ﴿ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا ﴾ ما ينبغي وما يصحُّ لنا ﴿ أَن نَتَكُلُّمَ عَهُمُوهُ قُلْتُم مَا ينبغي وما يصحُّ لنا ﴿ أَن نَتَكُلُّمَ عَهُمُوهُ وَقُلْتُم ﴾.

﴿ مُنْحَنَكَ ﴾ للتعجُّب من عِظَم الأمر، ومعنى التعجُّب في كلمة التسبيح: أنَّ الأصل أنَّ يُسبَّح اللهُ عند رؤية العَجَب من صنائعه (١)، ثم كثر حتى استُعمل في كلِّ مُتعجَّب منه، أو لتنزيه الله تعالى من أن تكون حرمةُ نبيّه عليه السلام فاجرةً، فإن فجورها ينفِّر عنه ويخلُّ بمقصود الزواج، بخلاف كفرها، فيكون تقريراً لِمَا تقدَّم وتمهيداً لِمَا تأخَّر.

⁽١) في (ك): «صانعه».

﴿ هَذَا ﴾ الإشارة إلى القول المخصوص، ويجوز أن يكون إلى نوعِه؛ فإن قدفَ آحاد الناس مُحرَّم شرعاً، فضلاً عن تعرُّض الصِّدِّيقة بنتِ الصِّدِّيق حرمةِ رسول الله ﷺ.

﴿ بُهْ تَكُنُّ ﴾ زُورٌ يَبهتُ (١) مَن يَسمع ﴿ عَظِيمٌ ﴾.

وفي بعض الأخبار: أنَّ أمَّ أبي أيوبَ قالت لأبي أيوبَ الأنصاريِّ رضي الله عنه: أمَا بَلَغك ما تقول الناسُ في عائشة رضي الله عنها؟! فقال أبو أيوبَ: سبحانك، هذا بهتان عظيم (٢٠). فنزلت الآية على وفق قوله.

* * *

(١٧) - ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِمِ أَبِدًا إِن كُنْمُ مُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ ﴾؛ أي: يُحذِّركم اللهُ ﴿ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ ؟ ﴿ فِي أَن تعودوا إلى مِثْلِ ما فعلتُم من القولِ به وسماعِه وتلقِّيهِ (٣).

﴿أَبِدًا ﴾ ما دمتم أحياءً مكلَّفين.

﴿إِنكُنْهُمُ مُّؤْمِنِينَ ﴾ فيه تهييجٌ لهم ليتّعظوا، وتذكيرٌ بما يوجب تركَ العَود، وهو الإيمانُ الصادُّ عن كلّ قبيح.

* * *

(١٨) - ﴿ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَلْآيَاتٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَكِ ﴾ الدالَّةَ على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتَّعظوا وتتأدَّبوا.

(١) في (ك) و (م): «بهت».

⁽٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٧٦/ ٧٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

⁽٣) في (م): «وتلقنه».

﴿وَٱللَّهُ عَلِيدُ ﴾ بما يَأْمر ويَنهي ﴿حَكِيدُ ﴾ فيه.

* * *

(١٩) - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَمُمْ عَذَابٌ ٱلِيمُ فِي ٱلدُّنَيَا وَٱلْاَحِرَةَ وَاللَّهُ يَعَلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ ﴾: يُؤثِرون ﴿أَن تَشِيعَ ٱلْفَنْحِشَةُ ﴾: أن تنتشرَ الفاحشة؛ أي: ما قَبُحَ جدًّا، والمعنى: يحبُّون شيوعها ويُشيعونها، لأنَّ عذاب الدنيا لا يكون إلَّا بعد إشاعتها، وليس هذا من قبيل الكناية ولا من قبيل المجاز المرسل؛ لأن كلَّا من معنى المحبَّة والإشاعة مقصودٌ، بل من قبيل الاكتفاء عن ذِكْر الشيء بذكر ما يقتضيه (۱)؛ تنبيهاً على القوَّة في المقتضي.

ويجوز أن يكون المعنى: أتُشيعون الفاحشةَ محبِّين شيوعها، على التضمين.

﴿ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾: في حقِّ المؤمنين (٢)، وهم المقذوفون منهم، أو فيما بين المؤمنين.

﴿ لَمُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنيَا ﴾ بالحدِّ ﴿ وَٱلْآخِرَةِ ﴾ بالنار.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ ﴾ بواطنَ الأمور وسرائرَ الصدور ﴿وَأَنتُمْ لَانَعْلَمُونَ ﴾ فعاقِبوا في الدنيا على ما دلَّ عليه الظاهر، واللهُ يعاقِبُ على السرائر من حبِّ الإشاعةُ وغيرِه إن لم يتوبوا عنها.

* * *

(٢٠) - ﴿ وَلُولًا فَضَلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَنُهُ، وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُ وَثُ رَّحِيدٌ ﴾.

⁽۱) في (ف) و(ك): «بذكر نقيضه».

⁽٢) في (ف): «المبين».

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ لعجَّل لكم بالعذاب(١)، كرَّر المنَّة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغةً في تعظيم الجريمة والتوبيخ لهم.

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ ﴾ حيث أظهر براءة المقذوف وأثابَ ﴿ تَحِيدٌ ﴾ بغفرانه جناية القاذف إذا تاب، وهذا لأن الرأفة رقَّةُ الرحمة، وهي تناسب حالَ المقذوف.

* * *

(٢١) _ ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَنَّبِعُواْ خُطُورَتِ الشَّيَطَانِ وَمَن يَتَّغِ خُطُورَتِ الشَّيَطَانِ فَإِنَّهُ مِأْمُ إِلْفَحْشَاءَ وَالْمُنكِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبْدًا وَلَلْكِنَّ اللَّهَ يُرَكِّي مَن يَشَآةً وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيدُ ﴾ .

﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَنَيِعُوا ﴾ الاتباعُ: الاقتداءُ بالدَّاعي الذاهبِ في جهةِ باقتفاء أثره في الذهاب في تلك الجهة، فالمتبَع في الحقيقة نفسُ الداعي لا أثرُه، وإنَّما أضيف الاتِّباع هنا إلى الأثر تنزيلاً له منزلة الداعي مبالغةً.

﴿خُطُوَتِ ٱلشَّيْطَنِ ﴾ أريد بخُطُوات الشيطان تعدِّيه حدودَ الله تعالى بالوسوسة وتجاوزُه عنها.

﴿ وَمَن يَتِّعِ خُطُونِ الشَّيْطَانِ ﴾ حذف جزاؤه لظهوره، وأُقيم علَّته مقامَه.

﴿ فَإِنَّهُ مُأْمُ ﴾ تعليل للجزاء المحذوف، والجملة الشرطية قائمةٌ مقام تعليل النهى.

﴿ إِلَهُ مَشَاءِ ﴾: ما أفرط قُبْحُه ﴿ وَالْمُنكَرِ ﴾: ما أنكره الشرعُ في الجملة، فهو تعميمٌ بعد التخصيص، وفائدته التنبيه بتقديم الخاصّ على اختصاصه بزيادة الاعتناء في شأنه من جهة الأمر.

⁽١) في (ف) و(ك): «لعجل العذاب».

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ، بتوفيقِ التوبة الماحية للذنوب، وشَرْعِ الحدود المكفِّرة لها ﴿ مَازَكَى ﴾ ما طهر من دَنسها ﴿ مِنكُر مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ ما دام حيًّا مكلفاً.

﴿ وَلَكِكَنَّ اللَّهَ يُنكِّ مَن يَشَآءُ ﴾ بحمله (١) على التوبة وقَبولها ﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ بمقالاتهم ﴿ عَلِيدُ ﴾ بنيَّاتهم.

* * *

(٢٢) _ ﴿ وَلِا يَأْتَلِ أُولُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُرْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُواْ أُولِي ٱلْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُسَاكِينَ فَاللهُ عَلَى اللهِ وَلَيْعَلَمُ وَأَلْمُهُمَ وَاللهُ عَلَى اللهِ وَلَيْعَلَمُ وَاللهُ عَلَى اللهِ وَلَيْعَلَمُ وَاللهُ عَلَى اللهِ وَلَيْعَلَمُ وَاللهُ عَلَى اللهِ وَلَيْعَلَمُ وَاللهُ عَلَى اللهِ وَلَيْعَلَمُ وَاللهُ عَلَى اللهِ وَلَيْعَلَمُ وَاللهُ عَلَى اللهِ وَلَيْعَلَمُ وَاللهُ عَلَى اللهِ وَلَيْعَلَمُ وَاللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَيْعَلَمُ وَاللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ اللهُ وَلَا يَعْلَمُ وَاللهُ عَلَى اللهُ الله

﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾: ولا يَحلِفْ، افتعالُ من الأَليَّة، يُرشد إليه أنه قرئ: ﴿ ولا يَتألَّ ﴾ (٢)، وأنه نزل في أبي بكرٍ رضي الله عنه وقد حَلَف أن لا يُنفِق على مِسْطَح بَعْدُ، وكان ابنَ خالته وكان من فقراء المهاجرين (٣).

﴿ أُولُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُرٌ ﴾ في الدِّين، وفيه دليلٌ على فَضْل أبي بكر رضي الله عنه. ﴿ وَٱلسَّعَةِ ﴾ في المالِ.

﴿ أَن يُؤَوُّوا ﴾ كراهة أن يؤتوا، وقرئ بالتاء على الالتفات(١٠).

﴿ أُولِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَكِكِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ﴾ صفاتٌ لموصوفٍ واحد؛ أي: ناساً جامعين لها؛ لأن الكلام فيمن كان كذلك، أو لموصوفاتٍ أُقيمت مقامها، فيكون أبلغ في تعليل المقصود.

⁽١) في (ك): «يحمله».

⁽۲) قرأ بها أبو جعفر من العشرة. انظر: «النشر» (۲/ ۳۳۱). وهذا مضارع تألَّى بمعنى: حَلَف.

⁽٣) قطعة من حديث الإفك الطويل رواه البخاري (٢٥٠٠)، ومسلم (٢٧٧٠)، عن عائشة رضي الله عنها .

⁽٤) قرأ بها أبو حيوة وابن قطب وأبو البرهسم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠١).

﴿ وَلَيْعَنْهُوا ﴾ ما فرَط منهم ﴿ وَلَيْصَفَحُوٓا ﴾ الصَّفْح: الإعراض، ولْيتجاوزوا عن الجفاء، ولْيُعرِضوا عن العقوبة.

﴿ أَلَا يَحْبُونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ هـ ذا غايـةُ تلطُّ فِ في الخطاب؛ أي: فـإذا أحببتم مغفرة الله لكـم فاغفروا لغيركم.

﴿ وَٱللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾؛ أي: فتأدَّبوا بأدب الله واعفوا وارحموا.

ولمَّا نزل ﴿أَلَا يَحِبُونَ ﴾ قال أبو بكر رضي الله عنه: بلى يا ربِّ، ثم عاد بمِسْطَح (١) إلى ما كان وكفَّر يمينه (٢).

* * *

(٢٣) _ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْعَنْفِلَتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُواْ فِ ٱلدُّنْيَ اَوَالْأَخِرَةِ وَلَهُمُّ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَتِ ﴾: العفائف ﴿ٱلْعَلِيْتِ ﴾ ممَّا قُذُفنَ به، كناية عن براءتهنَّ منه ﴿ٱلْمُؤْمِنَاتِ ﴾ بما يجب الإيمان به، استباحةً لعرضهنَّ وطعناً في الرسول والمؤمنين كابن أُبيِّ.

أُريدت عائشةُ رضي الله عنها وحدها، وإنَّما جمع لأن مَن قَذَفَ واحدةً من نساء النبيِّ عليه الصلاة والسلام، فكأنَّه قد قذفهنَّ.

وأعاد الكلام دفعاً لِمَا عسى أن يَسبق إلى الأوهام من قضية مِسْطَحٍ أنَّ سائر (٣) قذفَةِ عائشة مغفورون بالجَلْد والتوبة.

⁽١) في (ع) و(ف) و(ك) و(م): «لمسطح»، والمثبت من (ي).

⁽٢) قطعة من حديث الإفك الطويل عن عائشة رضي الله عنها، وقد تقدم تخريجه قريباً.

⁽٣) «سائر» من (م).

﴿ لَمِنُواْ فِ ٱلدُّنْيَ اَوَٱلْآخِرَةِ ﴾ يتكلَّم المؤمنون في الدنيا بلعنهم والملائكةُ في الآخرة. ﴿ وَلَمُمُ عَذَابُ عَظِيمٌ ﴾ لعِظَم ذنوبهم، ودلَّ ذلك على معنى: يعذَّبون، وهو العامل في: ﴿ يَوْمَ ﴾ لا العذاب؛ لأنه موصوفٌ.

* * *

(٢٤) - ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ وَمَ مَنْهُ مُ كَلَّهُم ﴾ وقرئ بالياء (١)، للتقدُّم والفَصْل.

﴿ أَلْسِنَتُهُم ﴾ هذا في حقِّ القَذَفة، وقوله تعالى: ﴿ ٱلْيُومَ نَخْتِمُ عَلَىٓ أَفْوَهِهِم ﴾ الآية [يس: ٦٥] في حقِّ المشركين، فلا منافاة.

﴿ وَٱلدِيهِمْ وَٱرْبَعُنَهُم بِمَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ يعترفونَ بها بإنطاق الله تعالى، على ما نطق به قوله تعالى: ﴿ قَالُوۤ ا أَنطَقَنَا اللهُ اللَّهُ اللَّهِ مَا اللَّهُ اللَّاللَّا اللّهُ اللّهُ اللّهُولَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

* * *

(٢٥) - ﴿ يَوْمَ يِذِيُوفِيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلمُّدِينَ ﴾.

﴿ يَوْمَ بِذِيُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ ﴾: جزاءَهم ﴿ الْمَقَ ﴾ بالنصب، وصفاً لـ ﴿ اللَّهُ ﴾ على المدح، لقراءة مجاهد بالرفع (٢) وقراءة أَبَيِّ: (يوفِّيهم اللهُ الحقُّ دينَهُم) (٣)، والأصل في القراءات التوافق.

⁽١) قرأ بها حمزةُ والكسائيُّ. انظر: «التيسير» (ص: ١٦١).

⁽٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠١)، و «المحتسب» (٢/ ١٠٧).

 ⁽٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠١)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ١٧٤)، و«تفسير القرطبي» (١٨٤/٥).

﴿ وَيَعْلَمُونَ ﴾ عند ذلك ﴿ أَنَّ أَللَهَ هُو ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ الثابتُ بذاته، الظاهرُ ألوهيتُه، لا يُشاركه في ذلك غيره؛ لارتفاع الشكوك وحصولِ العلم الضروريِّ.

ولم يغلّظ اللهُ تعالى في القرآن في شيء من المعاصي تغليظه في إفكِ عائشة رضي الله عنها، فأوجز في ذلك وأشبع، وفصّل وأجمل، وأكّد وكرَّر، وما ذلك إلّا الإِصْر(۱).

* * *

(٢٦) - ﴿ ٱلْخَيِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتُ لِلْطَيِّبِينَ وَٱلْطَيِّبُونَ لِلْطَيِّبِينَ وَٱلْطَيِّبُونَ لِلْطَيِّبِينَ لَالْطَيِّبُونَ لِلْطَيِّبِينَ أَوْلَالِيَّ لَكُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيدٌ ﴾.

﴿ ٱلْخَبِيثَتُ ﴾ من القول والعمل ﴿ لِلَّخَبِيثِينَ ﴾ من الرجال، وعلى هذا بقيَّته. وقيل: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، وكذا بقيَّته.

﴿ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْحَبِيثَاتِ وَٱلطَّيِبَاتُ لِلطَّيِبِينَ وَٱلطَّيِبَاتِ ﴾ وفيه تنزيهُ عائشة رضي الله عنها لِمَا أنها زوجةُ الرسول ﷺ، فهي طيِّبةٌ لزوجٍ طيِّبٍ، وامرأةُ المنافق القاذفِ خبيثٌ لزوج خبيثٍ.

﴿ أُولَتِهِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَا يَقُولُونَ ﴾؛ أي: فيهم، و﴿ أُولَتِهِكَ ﴾ إشارةٌ إلى الطيبين وأنَّهم مبرَّؤون ممَّا يقول الخبيثون مِن خبيثات الكلِم، وهو كلامٌ جارٍ مجرى المَثَل لعائشة رضي الله عنها وما رُميَت من قولٍ لا يُطابِق حالها في النزاهة والطِّيب.

ويجوز أن يكون ﴿أُولَكِمِكَ ﴾ إشارةً إلى أهل البيت، وأنَّهم مبرَّؤون ممَّا يقول أهلُ الإفك.

 ⁽١) في (ع): «إلا الأمر»، وفي (ي): «إلا لأمر»

﴿لَهُم مَّغَفِرَةً ﴾ في المحشر، مستأنف، أو خبرٌ بعد خبرٍ ﴿ورَزْقُ كَرِيدُ ﴾ في الجنة.

* * *

(٢٧) _ ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَـدْخُلُواْ بِيُوتِّا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَقَّى تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَاتَدْخُلُواْ بِيُوتَاعَيْرَ بِيُوتِكُمْ ﴾ التي اختص بكم سُكناها، سواءٌ سكنتُم فيها أو لم تسكنوا؛ أي: لا تدخلوا بيوتاً يَسكنها غيرُكم.

وهذا يعمم مسكنَ الأمِّ فإنه لا يجوز أن يدخل عليها مغافصة (١٠)، روي أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: أستأذِنُ على أمِّي؟ قال: «نعم»، قال: لا خادم لها غيري، أستأذِنُ عليها كلَّما دخلت؟ قال: «أتحبُّ أن تراها عريانةً»؟ قال: لا، قال: «فاستأذِن» (١٠)، وهو تأديبٌ بما يرجع إلى التحرُّز عن الاطِّلاع على عورةِ الغير.

﴿ حَقَى تَسْتَأْفِسُواْ ﴾ (٣) وأي: تَستَعْلِموا مَن في البيت بأيِّ وجهٍ أَمْكن (١) وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَا فَسَتُمُ مِّنَهُمُ رُشُدًا ﴾ [النساء: ٦] وأي: عَلِمتم، وفي «سنن ابن ماجه» عن أبي أيوبَ الأنصاريِّ قال: قلنا: يا رسول الله، هذا السلام فما الاستئناس؟ قال:

⁽١) أي: على حين غرة. ووقع في (م): «مناقصة»، وفي (ع): «مقافضة»، وفي (ي): «مفاضة».

⁽٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٦٣)، وأبو داود في «المراسيل» (٤٨٨)، عن عطاء بن يسار مرسلاً، قال ابن عبد البرّ في «التمهيد» (١٦/ ٢٢٩): هذا الحديث لا أعلم يستند من وجه صحيح بهذا اللفظ، وهو مرسل صحيح مجتمع على صحة معناه.

⁽٣) في (ف): «تستأذنوا».

⁽٤) في هامش (ف) و(م): «فإن المانع عن الدخول قبل الاستئناس سكون الغير، وانتفاؤه لا يَستلزم ثبوت سكونهم. منه».

«يتكلُّم الرجلُ بتسبيحةٍ وتكبيرةٍ وتحميدةٍ، وتَنحْنُحِ، ويُؤذِن أهلَ البيتِ»(١).

﴿ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ اَهْلِهَا ﴾ بأن تقولوا: السلامُ عليكم، أَأَدخُل، وعنه عليه الصلاة والسلام: «التسليم أن يقول: السلامُ عليكم، أَأَدخُل»، ثلاث مرات، فإن أُذنَ له دَخَلَ، وإلَّا رجع (٢٠).

وقيل: إنْ تلاقَيَا يُقدِّم التسليم، وإلَّا فالاستئذان.

﴿ ذَالِكُمْ ﴾ أي: الاستعلامُ والتسليم ﴿ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ من تحيّة الجاهلية والدُّمُور ـ وهو الدخول بغير إذنٍ ـ وكان الرجل من أهل الجاهلية إذا دخل بيتَ غيرِه يقول: حُيِّتُم صباحاً، و: حُيِّتُم مساءً، ثم يدخل، فربَّما أصاب الرجل مع امرأته في لحافٍ واحد.

﴿لَمَلَّكُمُ تَذَكُرُونَ ﴾ متعلِّق بمحذوف؛ أي: أُنزل إليكم _ أو: قيل لكم هذا _ إرادةَ أن تَذكروا وتَعملوا بما هو أصلحُ لكم.

* * *

(٢٨) _ ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِـدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا نَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُرٌّ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَارْجِعُواً هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيدٌ ﴾.

⁽١) رواه ابن ماجه (٣٧٠٧)، وفي إسناده: أبو سَوْرة ـ وهو ابن أخي أبي أيوب ـ وهو ضعيف.

⁽۲) انظر في الأمر بالرجوع بعد الاستئذان ثلاثاً حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري (٦٢٤٥) ومسلم (٢١٥٣). وروى أبو داود في «سننه» (١٠٧٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٧٥)، من طريق ربْعِيِّ بنِ حِراش أنه قال: حدَّننا رجلٌ مِن بني عامر استأذن على النبيِّ عَلَيْهِ وهو في بيتٍ، فقال: آلِجُ؟ فقال النبيُّ عَلَيْهِ لخادِمه: «اخرُج إلى هذا، فَعَلَّمُهُ الاستئذان، فقل له: قُل السَّلامُ عليكم، آذخُلُ؟»، فَسَمِعُه الرجلُ، فقال: السلامُ عليكم، آذخُلُ؟ فأذِنَ النبيُّ عَلَيْهُ، فذخَلَ. ورجال إسناده ثقات إلا أنَّ فيه انقطاعا. انظر حديث أبي سعيد عند البخاري (٦٢٤٥) ومسلم (٢١٥٣).

﴿ فَإِن لَّرْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا ﴾ يَأْذُنُ لكم، وإنما قال: ﴿ فَإِن لَرْ تَجِدُواْ فِيهَآ ﴾ دون: لم يكن؛ لمكان التفقُّد المأمور به في ضمن الأمر بالاستئناس.

﴿ فَلَانَدَخُلُوهَا ﴾ يعني: إن كان لكم فيها حاجة.

﴿ حَقَىٰ يُؤْذَكَ لَكُرٌ ﴾ لا لأن التصرُّف في ملك الغير بغير إذنه محظور؛ لأنه لا ينتظِم ما إذا كان الداخل مُعِيراً (١)، بل لأن المانع عن الدُّمور ليس الاطِّلاعَ على العورات فقط، بل وعلى ما تُخفيه الناس عادةً.

والمراد من الإذن: ما يعمُّ الإذن دلالةً كما إذا عَرَض حرقٌ أو غرقٌ أو نحوُ ذلك، وأمَّا الذي فيه مُنكرٌ فلا يكون خالياً، فلا يكون في معرض الاستثناء.

﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ أَرْجِعُواْ فَأَرْجِعُواْ ﴾ ولا تُلحُّوا ﴿ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمُ ﴾: الرجوع أطهرُ لكم عمَّا لا يخلو عنه الإلحاح من الكراهة.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ يَعلم ما تَأْتُـون وما تَـذرون ممَّـا خوطبتم بـه، فيجازيكـم عليـه.

* * *

(٢٩) _ ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَن تَدْخُلُواْ بِيُوتًا عَيْرَ مَسْكُونَةِ فِيهَا مَتَنَعُ لَكُمْ وَاللّهُ يَعَلَمُ مَا ثَبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾.

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُرُ جُنَاحُ أَن تَدَخُلُوا ﴾: في أن تدخلوا ﴿ يُبُونَا غَيْرَ مَسْكُونَةِ ﴾ كالخانات والرّباطات والحوانيت ﴿ فِيهَا مَتَنعُ ﴾: استمتاعٌ ﴿ لَكُونً ﴾ كالاستِكْنان من الحرّ والبرد، وإيواءِ الرحال والسّلع، والجلوسِ للشّرى والبيع، وذلك استثناء (١) من الحكم السابق؛ لشموله البيوتَ المسكونة وغيرَها.

⁽١) في (ي) لعلها: «فقيرا».

⁽٢) في (م): «الاستثناء».

﴿ وَأَلِلَهُ يَعْلَمُ مَا تُبَدُّونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ وعيدٌ لمن دخل مَدخلاً لفسادٍ، أو يطَّلعَ على عورات.

* * *

(٣٠) و ﴿ قُل لِلْمُوْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَكَرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزَكَى هُمُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرًا بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾.

﴿ قُل لِلْمُؤْمِنِينَ يَخُفُّ وَامِنَ أَبْصَرِهِمْ وَيَحَفَظُواْ فَرُوجَهُمْ ﴾ لم يذكر ما يُغَضُّ البصرُ عنه ويُحفظ الفرج؛ لأن ذلك معلوم بالعادة، فإن مَن سمعه يَعلم أن المراد منه المحرَّمُ دون المحلَّلِ، فلا حاجة إلى الاستثناء، وليس كلُّ المحرَّم ممَّا يَجب غضُّ البصر عنه، بخلاف حفظ الفرج، فإن كلَّ ما يَحرُم يجب حفظه عنه، فلذلك أدخل (١) حرفُ التبعيض في الأول، وأطلق الثاني.

﴿ ذَالِكَ أَزَّكُ لَمُمْ ﴾ لما فيه من البُعد عن دَنس الإثم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرًا بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ من إجالة النظر واستعمالِ سائر الآلات وما يقصدون بها، فليكونوا على حَذرِ منه في كلِّ حركة وسكون.

* * *

(٣١) - ﴿ وَقُل لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَ وَيَحْفَظْنَ فَرُوجَهُنَّ وَلَا يَبُدِينَ نِينَتَهُنَّ إِلَّا مَاظَهَرَ مِنْ هَا أُولِيَضَرِيْنَ عِنْمُرِهِنَ عَلَى جُنُوبِينَّ وَلَا يَبْدِينَ نِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولِتِهِنَ أَوْ مَانَابِهِنَ عَلَى جُنُوبِينَّ وَلَا يُبَدِينَ نِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولِتِهِنَ أَوْ مَا مَلَكُنَ أَيْمَنَنُهُنَّ أَوْ التَّبِعِينَ غَيْرِ أُولِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَو ٱلطَّفْلِ الْخُوبِهِنَّ أَوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَو ٱلطِّفْلِ النَّهِينَ لَوْ يَسْتَهِنَّ أَوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَو ٱلطِّفْلِ النَّهِينَ لَوْ مَا مَلَكُنَ أَيْمَنْهُنَ أَو التَّبِعِينَ غَيْرِ أُولِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَو ٱلطِّفْلِ النَّهُوبَةِ فَلَا يَضْرِينَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمُ مَا يُغْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيكًا أَيْهُ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَى مُورَتِ ٱلنِسْكَةِ وَلَا يَضْرِينَ بِأَرْجُلِهِنَ لِيُعْلَمُ مَا يُغْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيكًا أَيْهُ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِللَّهُ مِنْ أَلْهُ مِنُ مِن لِينَتِهِنَّ أَوْلِي اللَّهُ مِنْ وَرَاتِ ٱلنِسْكَةِ وَلَا يَضْرِينَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيعْمَامُ مَا يُغْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهُ مِنْ وَلِي اللْهُ مِنْ وَلَا لَاللَّهُ مِنْ وَلَا يَصْرُقِنَ بِأَنْ مُؤْمِنُونَ وَلَا يَعْمَلُونَ ﴾ .

⁽١) في (ف): «دخل».

﴿ وَقُل لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضَنَ مِنْ أَبْصَلِهِنَ وَيَحْفَظْنَ فَرُوجَهُنَ ﴾ إنَّما قدّم غض الأبصار على حفظ الفروج؛ لأن النظر بريدُ الزنى ورائدُ الفجور، وبذرُ الهوى طموحُ العين.

﴿وَلَا يُبُدِينَ زِينَتَهُنَ ﴾ الزِّيْنة: ما تزيَّنت به المرأةُ من حُلِيٍّ أو كُحْلٍ أو خضابٍ، والمنهيُّ (١) إظهارُ مواضعِ الزينة، إذ إظهارُ عينِها (١) مباحٌ، فالمراد بها مواضعها مجازاً، أو إظهارها وهي في مواضعها لا إظهار أعيانها.

﴿ إِلَّا مَاظَهَ رَمِنَهَا ﴾؛ أي: بلا إظهار منهنَّ، كما إذا هبَّت الريحُ وكشفت عنها الستر، والاستثناء عن الحكم الثابت بطريق الإشارة، وهو الاستحقاق بالمؤاخَذة في دار الجزاء بسبب ظهورها، وقد مرَّ وجه هذا النوع من الاستثناء في تفسير قوله: ﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَكَفَ ﴾ من سورة النساء [الآية: ٢٢].

وما ظهر بإظهارٍ منهنَّ ضرورةً _ كالمعالجة وتحمُّل الشهادة ونحوِ ذلك _ في حُكم ما ظهر بلا إظهارٍ منهنَّ، وأمَّا جريان العادة والجِبِلَّةِ على ظهوره، فلا يَصلح وجهاً للاستثناء المذكور.

﴿ وَلِيَضَرِينَ ﴾: ولْيَضعنَ، من قولك: ضَربتُ بيدي على الحائط، إذا وضعتَها عليه .

﴿ بِحُمْرِهِنَ ﴾: جمع خِمارٍ ﴿ عَلَى جُيُوبِهِنَ ﴾ كانت جيوبهنَ واسعةً تَبدو منها صدورهنَ وما حواليها، وكنَّ يَسدُلنَ الخُمُرَ من ورائهنَّ فتبقى مكشوفةً، فأُمِرن أن يَسدُلنها من قُدَّامهنَّ حتى يغطينها.

⁽١) في (م): «والنهي عن».

⁽٢) في (ك): «غيرها». والمراد بـ «عينها»: عين الزينة، يعني: حين لا تكون على المرأة.

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ كرَّره لبيان مَن يحلُّ له الإبداء ومَن لا يحلُّ له:

﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِرِي ﴾: لأزواجهنَّ.

﴿أَوْ ءَابَآبِهِرَ ﴾ ويدخل فيه الأجدادُ.

﴿أَوْ ءَابِ آءِ بُعُولَتِهِ ﴾ فقد صاروا محارمَ أيضاً.

﴿أَوْ أَبْنَآبِهِنَ ﴾ ويدخل فيه النوافل.

﴿ أَوْ أَبْنَ آءِ بُعُولَتِهِ ﴾ فقد صاروا محارم أيضاً.

﴿ أَوْ إِخْوَيْنِهِنَّ أَوْبَنِي إِخْوَيْنِهِ كَ أَوْبَنِي ٓ أَخَوَيْهِنَ ﴾ ويدخل فيهم النوافل وسائر المحارم كالأعمام والأخوال وغيرهم دلالةً.

﴿ أَوْ نِسَآبِهِنَ ﴾؛ أي: الحرائر المؤمنات، فإن مُطلَق هذا اللفظ للحرائر، والإضافة الإخراج الكافرات فإنهنَّ لا يتحرَّجن عن وصفهنَّ للرجال.

﴿أَوْمَامَلَكُتُ أَيْمَنُهُنَ ﴾ يعمُّ الإماء والعبيد؛ لما روي عن النبيِّ عَلَيْ أنه (١) أتى فاطمة رضي الله عنها بعبدٍ وَهَبهُ لها وعليها ثوبٌ إذا قنَّعت به رأسَها لم يَبلغ رجليها، وإذا غطَّت رجليها لم يَبلغ رأسَها، فقال عليه الصلاة والسلام: «إنه ليس عليك بأسٌ، إنما هو أبوك وغلامك»(١).

وقال سعيد بن المسيب: لا تغرنَّكم سورةُ النور، فإنَّها في الإماء دون الذكور(٣).

⁽١) «أنه» من (ف) و (ك).

⁽۲) رواه أبو داود (۲۱۰۶).

⁽٣) انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٣٢)، ورواه بنحوه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٦٩١٠). قال الزمخشري: وهذا هو الصحيح، لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها، خصيًّا كان أو فحلاً.

ويَرِدُ عليه أنه حينئذٍ يَلزم أن يكون في المذكور إطنابٌ مخلٌّ، واللازم مُنتُفٍ بلا شبهة.

﴿ أُوِ ٱلتَّنِيعِينَ ﴾: الذين يَتْبَعون القومَ فيأكلون معهم ويرتفقون بهم.

﴿غَيْرَ﴾ بالنصب على الاستثناء أو الحال، وبالجرِّ على البدل أو على الوصفية (١).

﴿ أُولِي ٱلْإِرْبَةِ ﴾: الحاجةِ إلى النساء، وهم الذين لا يَشتهون النساء، فلا يحتاجون اليهن من هذه الجهة، وهذا ليس بواقع على الخصي والمجبوب والمخنَّث؛ لأنهم يُشتهَون ويَشتهُون النساء.

﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ ﴾ هو جنسٌ، فصلح أن يُراد به الجمع بدلالة الوصف.

﴿ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَاتِ ٱلنِّسَاءِ ﴾ لعدم تمييزهم؛ من الظهور بمعنى الاطِّلاع، أو: لعدم بلوغهم إلى حدِّ الشهوة؛ من الظهور بمعنى الغلبة.

﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَ ﴾؛ أي: الأرضَ عند المشي ﴿ لِيُعَلَمُ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَ ﴾ ليتَقعقَع خَلْخالها فيُعلم أنها ذاتُ خَلْخال، وإنما نهى عنه لأن سماع هذه الزينة أشدُّ تحريكاً للشهوة من إبدائها، فلا دلالة فيه على أن إبداءَ الزينة نفسه مقصودٌ بالنهي فيما تقدَّم.

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا آتُهُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إذ لا يكاد يخلو أحدٌ منكم من تفريط سيَّما في الكَفِّ عن الشهوات، وقوله:

﴿لَعَلَّكُمْ تُقْلِحُونَ ﴾ بيانُ أنه أَمَرهم بالتوبة لينتفعوا بذلك، لا أن يكون للحقِّ سبحانه بها تجمُّل.

⁽١) قرأ بالنصب ابن عامر وشعبة، وباقي السبعة بالجر. انظر: «التيسير» (ص: ١٦١).

﴿ وَأَنكِمُوا ٱلْأَينَمَىٰ مِنكُونَ ﴾ الأيامى: جمع أيّم، وهو مَن لا زوجَ له، رجلاً كان أو المرأة، بكراً كان أو ثيبًا، وأصله: أيايم فقُلب.

والخطاب للأولياء والسادة، والأمرُ للندب، لا يقال: في الآية دليلٌ على أن تزويج النساء الأيامى إلى الأولياء، كما أن تزويج العبيد والإماء إلى الموالي، لأنّا نقول: الرجلُ لا يَلي الرجلَ الأيّمَ إلّا بإذنه، فكذا لا يلي على المرأة إلّا بإذنها؛ لأن الأيّم ينتظِمُهما، ولا فارق من جهة النظم.

﴿وَٱلصَّلِحِينَ ﴾ تخصيصُهم لأنَّ إحصانَ دينهم والاهتمامَ بشأنهم أهمُّ.

﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَلِمَآمِكُمْ ﴾؛ أي: من غلمانِكم وجواريكم.

﴿إِن يَكُونُواْ فَقَرَآء يُغَنِهِمُ اللّه مِن فَضَلِهِ ﴾ وعد من الله تعالى بالإغناء؛ لقوله عليه السلام: «اطلبوا الغنى في هذه الآية»(١)، ولقوله عليه السلام: «التمسوا الرزق بالنكاح»(٢).

﴿ وَٱللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ الرَّاقِ ويقدره على ما تقتضيه حكمته.

⁽۱) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٠٥)، وقال المناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٨٧١): لم أجده. قلت: رواه عبد العزيز بن أبي رواد عن النبي على مرسلاً، كما في «تفسير ابن أبي زمنين» (٣/ ٢٣٣)، و«النكت والعيون» (٤/ ٩٨).

⁽٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢٨٢)، وعزاه العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٢٠٢) للثعلبي في «تفسيره» وضعفه.

(٣٣) - ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلنَّينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَى يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضَّلِهِ وَٱلنَّينَ يَبْنَعُونَ ٱلْكِئْبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَنْكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي الْكِئْبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَنْكُمْ عَلَى ٱلْبِغَلَهِ إِنْ أَرَدْنَ تَعَصُّنَا لِنَبْنَعُواْ عَرَضَ ٱلْحَيْوَ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِ لَهُنَّ ءَاتَ مَكُمْ وَلَا تُكْرِهُ وَا فَنَيَنَتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَلَهِ إِنْ أَرَدْنَ تَعَصُّنَا لِنَبْنَعُواْ عَرَضَ ٱلْحَيْوَ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِ لَهُنَّ فَإِنَّ ٱلللَّهُ مِنْ بَعْدِ إِكْرَهِ هِنَ عَفُورٌ تَحِيمُ ﴾.

﴿ وَلِيَسَتَعَفِفِ ﴾ ولْيَجتهد في العفَّة وقَمْع الشهوة، كأنَّ المستعفِف طالبٌ من نفسه العَفَاف.

﴿ اَلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا ﴾ استطاعة تروُّجِ من المهر والنفقة ﴿ حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِيْدٍ ﴾.

انظر كيف رتّب هذه الأوامر؛ فأمر أولاً بما يعصم من الفتنة ويُبعد من موافقة (۱) المعصية وهو غضٌ البصر، ثم بالنكاح الذي يُحصَّن به الدِّين، المغني عن الحرام، ثم بعزف (۲) النفس الأمَّارة بالسوء عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يقدر عليه.

﴿ وَالَّذِينَ يَبْغُونَ ٱلْكِئْبَ مِمَّا مَلَكَتَ أَيْمَنْكُمْ ﴾؛ أي: والمماليك الذين يطلبون الكتابة ف (الذين) مرفوع بالابتداء، أو منصوبٌ بفعل يفسِّره:

﴿ فَكَاتِبُوهُمْ ﴾ وهو للندب، ودخلت الفاء لتضمُّن معنى الشرط، والكِتاب والمكاتبة كالعِتاب والمعاتبة، وإنَّما سمِّي ذلك العقدُ به؛ لأن السَّيِّد كَتبَ على نفسه عتقه إذا أدَّى المال، ويجوز حالًا ومؤجَّلًا، منجَّماً وغيرَ منجَّم؛ لإطلاق الأمر،

⁽١) كذا في النسخ، والذي في «الكشاف» (٣/ ٢٣٨): (مواقعة)، وهو الأنسب بالسياق.

⁽٢) في (ف) و(ك): «بعرف»، وفي (ع): «بصرف»، والمثبت من (م) و(ي). وهو الأقرب إلى ما في المصدر السابق، ولفظه: (ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء وعزفها عن الطموح...).

وعدمُ المال لا يَستلزم العجز عن الأداء في الحال؛ لأنه قادرٌ على الاستقراض.

﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾: قدرةً على الكسب، أو أمانةً، أو ديانةً، والنَّذبيَّة متعلِّقة بهذا الشرط كما أن النَّذبية في إنكاح الأيامي متعلِّقة بشرط الصلاح.

﴿وَهَاتُوهُم مِن مَّالِ اللَّهِ اللَّذِي َ التَكُمُ ﴾ أمرٌ للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم من الزكاة؛ لقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ [التوبة: ٦٠]، وعند الشافعيِّ معناه: حُطُّوا من بدل الكتابة شيئاً قلَّ أو كثر، ويأباه عبارة الإيتاء؛ لأنها تقع على التمليك لا على الحطِّ.

﴿ وَلَا تُكْرِهُواْ فَنَيَنَتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَاءِ ﴾ كنَّى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة، والبِغاء: الزنى للنساء خاصَّة، وهو مصدر البغي.

﴿إِنْ أَرَدُنَ مَصَّنا ﴾ تعفُّفاً عن الزنى، وإنما قيّد بهذا الشرط لا لأنّ الإكراه لا يتحقّق بدونه؛ لأنه على تقدير التسليم يكون سبباً للترك لا للذكر، بل لأنها نزلت في ابن أُبيّ وكانت له جَوارٍ يُكرههنّ على البغاء، وفيه توبيخٌ بالموالي؛ أي: إذا رغبنَ في التحصُّن، فأنتم أحقُّ بذلك، وإيثار (إنْ) على (إذا)؛ لأن إرادة التحصُّن من الإماء كالشاذّ النادر.

﴿ لِلْبَنَغُولُ ﴾: لابتغائكم، فإن الفعل هنا منزَّل منزلة المصدر، كما في قوله: تَسمعُ بالمُعيدِيِّ خيرٌ من أن تراه، وذلك لأنَّ الابتغاء المذكور يكون سبباً مقدَّماً، ولا يكون غاية متأخِّرة.

﴿عَرَضَا لَحْيَوْوَالدُّنْيَا ﴾ من أجورهنَّ وأولادهنَّ.

﴿ وَمَن يُكْرِهِ لَهُنَّ ﴾ حذف جوابه؛ أي: فعليه وبال إكراهه لا يتعدَّى إليهنَّ، وأُقيم تعليل هذا مقامه وهو قوله:

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهُ مِنْ بَعْدِ إِكْرَهِ هِنَّ غَفُورٌ تَحِيمٌ ﴾؛ أي: لهنَّ، وفي مصحف ابنِ مسعود رضي الله عنه كذلك (١٠).

وإنما قال: ﴿مِنْ بَعِدْ إِكْرَهِ هِنَ ﴾ لشدَّة المعاتبة على المُكرِه؛ فإن المُكرَهة مع قيام العِذر إذا كانت بصدد المعاتبة حتى احتاجت إلى المغفرة، فما حال المُكرِه؟! وللدلالة على أنَّ حدَّ الإكراه الشرعيِّ والمصابرةِ إلى أن يُنتَهى إليه فيرتكبَ ضَيَّقُ (٢)، والله يغفرُ ذلك بلطفه.

* * *

(٣٤) - ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنا ٓ إِلَيْكُمْ ءَاينتٍ مُبيِّننتٍ وَمَثكًا مِنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْ أَمِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيَّنَاتٍ ﴾ المراد: الآياتُ التي بُنيِّت في هذه السورة وأُوضحت في معاني الأحكام والحدود، وجاز أن يكون الأصل: مبيَّناً فيها، فاتُسع في الظرف، وقرئ بالكسر (٣)؛ أي: بيَّنت من الأحكام والحدود، وجُعل الفعل لها مَجازاً، أو من بَيَّن بمعنى: تبيَّن، ومنه المَثَل: قد بَيَّن الصُّبحُ لذي عينين (١٠).

﴿ وَمَثَلًا مِنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْ أَمِن قَبْلِكُمْ ﴾؛ أي: ومَثَلاً من أمثالِ مَن قبلكم؛ أي: وقصَّة عجيبةً مثلَ قصصهم، وهي قصَّة عائشة فإنَّها كقصَّة (٥) يوسف ومريمَ عليهما السلام. ﴿ وَمَوْعِظَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾؛ أي: هم المنتفعون بها وإن كانت الموعظة للكلِّ.

⁽١) أي: (من بعد إكراههنَّ لهنَّ غفور رحيم)، والقراءة رواها عبد بن حميد في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٧).

⁽٢) في (م): «فسق».

⁽٣) قرأ بالكسر ابن كثير ونافع وأبو عمرو وشعبة. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٢).

⁽٤) انظر: «جمهرة الأمثال» (٢/ ١٢٦)، و «المستقصى في الأمثال» (٢/ ١٩٠).

⁽٥) في (م): «قصة».

﴿اللّهُ نُورُ السّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾: بيّن وضوح الدلالات وجلاء البينات، وأنَّ مَن ضلَّ عن الحقِّ فليس لخفاءِ الدليل واشتباهِ السبيل، فقال: اللهُ هادي أهل السماوات والأرض؛ أي: إلى ما بهم الحاجةُ إليه في مصالحِ دينهم ودنياهم، وهي كلمة مُطلَقة في هذا المعنى، يقال: فلانٌ نورُ بلدِه، أي: به يَهتدون إلى أمورهم، وعن رأيه يصدرون إلى مصالحهم.

﴿ مَثَلُنُورِهِ ﴾؛ أي: صفةُ نورِه العجيبة الشأن في الإضاءة، والمراد به: دلائله التي يَهتدي بها عباده.

﴿كِيشْكُوْوِ ﴾: كصفةِ مشكاة، وهي الكُوَّة في الجدار غير النافذة.

﴿ فِيهَا مِصْبَاحُ ﴾: سراجٌ ضخمٌ ثاقبٌ.

﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِي نُجَاجَةٍ ﴾ في قنديلٍ من زجاجٍ شاميٍّ أَزْهَرَ.

﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبُّ دُرِّيُ ﴾: مُضِيء، بضمِّ الدال وتشديد الياء، منسوبٌ إلى الدُّرِّ لفَرْط ضيائه وصفائه.

وقرئ بالكسر والهمز (١)؛ كأنَّه يَدْرأ (١) الظلامَ بضوئه.

⁽١) أي: ﴿ دِرِّيْءٌ ﴾، وقرأ بها أبو عمرو والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٢).

⁽٢) كتب تحتها في (ي): «يدفع».

وقرئ بالضَّمِّ والهمز (١٠)؛ شبَّهه في زهرتِه بأحدِ (٢) الكواكبِ الدراري، كالمشتري والزُّهَرة ونحوهما.

﴿ يُوقَدُ ﴾ بالياء والبناء للمفعول من أَوْقَد، وقرئ بالفوقانية كذلك (٣) على إسناده إلى ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ ﴾ بحذف المضاف

وقرئ: ﴿ تَوقَّدُ ﴾ (١) بمعنى: تتوقَّد؛ بحذف التاء الاجتماع الزيادتين.

﴿مِن شَجَرَةٍ ﴾؛ أي: ابتداءُ ثُقوبه (٥) من شجرة الزيتون، يعني: رَوِيَت ذُبالتُه إِن اللهُ

﴿مُبْكَرَكَةِ ﴾: كثيرة المنافع، أو لأنَّها تنبت في الأرض التي بارك فيها للعالمين. ﴿ وَيَتُّونَةٍ ﴾ بدل من ﴿ شَجَرَةٍ ﴾ ، نعتُها:

﴿ لَا شَرْقِيَةِ وَلَا غَرْبِيَةِ ﴾؛ أي: لا نابتةٍ في شَرق المعمورة ولا في غربها، بل في وسطها وهو الشام، فإنَّ زيتونَها أجودُ.

أو: لا في مضحًى تُشرق الشمس عليها دائماً فتحرِقُها، أو في مقنأة تغيبُ عنها دائماً فتتركها نيئاً، وفي الحديث: «لا خير في شجرةٍ ولا في نباتٍ في مقنأةٍ، ولا خير فيهما في مضحى»(٧).

⁽١) أي: ﴿ دُرِّيْءٌ ﴾، وقرأ بها حمزة وشعبة. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٢).

⁽٢) في (ف): (أحد). وفي (م): «كأحد».

⁽٣) قرأ بها حمزة والكسائي وشعبة. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٢).

⁽٤) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٢).

⁽٥) في (ف): «توقده».

⁽٦) في (ف): «بدهنها»، وفي (م): «بزهرها».

⁽٧) انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٤١). قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١١٩): لم أجده.

وقيل: أي: ليس بحيث تقع الشمسُ عليها حيناً دون حينٍ، بل بحيث تقع عليها طول النهار، كالتي تكون على قُلَّة أو صحراء واضحة، فإن ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى، ويردُّه ما دلَّ عليه الحديث المذكور^(۱) من أنه لا خيرَ فيها؛ لأن إشراق الشمس عليها دائماً يحرقها.

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيَّ ءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسُهُ نَارٌ ﴾ وصف الزيت بالصفاء (٢) والوميض، وأنَّه لتلألؤه يكاد يُضيء من غير نارٍ.

﴿ وَأُورُ عَلَىٰ فُورٍ ﴾؛ أي: هذا النور الذي شبّه به الحقّ نورٌ مُتضاعف قد تناصَر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق بقيّةٌ ممّا يقوِّي النور، وهذا لأنَّ المصباح إذا (٢) كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أجمع لنوره، بخلاف المكان الواسع فإنَّ الضوء ينتشر فيه، والقنديل أعونُ شيءٍ على زيادة الإنارة، وكذلك الزيتُ وصفاؤه، وضَرْبُ المَثَل يكون بدنيٍّ (١) محسوسٍ معهودٍ لعليٍّ غيرِ معايَنٍ ولا مشهودٍ (٥).

﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِ ﴾؛ أي: لهذا النور الثاقب ﴿ مَن يَشَآءُ ﴾ فإن الأسباب إنَّما تتمَّشي بمشيئته.

⁽١) لو صح، لكنه لا يعرف، ولم نجد له غير «الكشاف» مصدراً.

⁽٢) في (م): «بالضياء» وكلمة: «والوميض» بعدها من (ع) و(ي).

⁽٣) في (م): «إن».

⁽٤) في (ف) و(ك) و(م): «بدل»، ولم تجود في (ع) و(ي). وقوله: (بدني) كأنه مِن الدنوِّ بمعنى القُرب، أي: قريب التناول للأذهان لكونه محسوساً معهوداً، لأنَّ المقصود مِن التمثيل تقريب المعانى البعيدة مِن الأذهان بتشبيهها بالمعانى القريبة منها.

⁽٥) انظر: «تفسير النسفي» (٢/ ٥٠٧)، وفيه: (لا بعلي) بدل: (لعلي).

﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلُ لِلنَّاسِ ﴾ تقريباً إلى أفهامهم وتسهيلاً لسبيل الإدراك. ﴿ وَاللَّهُ يِكُلِّ هَيْءٍ عَلِيدٌ ﴾ فيبيِّن كلَّ شيء بما حقُّه أن يُبيَّن به.

* * *

(٣٦) - ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَلَذَكَرَ فِيهَا السَّمُهُ يُسَيِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْفُدُو وَالْأَصَالِ ﴾. ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ متعلِّق بـ (مشكاة)؛ أي: كمشكاةٍ في بعضِ بيوتِ الله تعالى وهي المساجد.

أو: بـ ﴿توقد﴾؛ أي: توقد في بيوتٍ، فيكون تقييداً للمُمَثَّل (١١) به بما يكون تحبيراً (١٦) ومبالغة، فإن قناديل المساجد تكون أعظمَ، ولا ينافي جمعُ البيوت وحدة المشكاة؛ إذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدةٍ ولا كثرةٍ.

أو: بـ ﴿ يُسَرِّحُ ﴾؛ أي: يُسبِّح له رجالٌ في بيوت، وفيها تكرير فيه توكيد، نحو: زيدٌ في الدار جالسٌ فيها.

⁽۱) في (ك): «للمثل للممثل». وفي (م): «للمثل للمثل»، والمثبت من باقي النسخ، وهو الصواب والموافق لما في «تفسير البيضاوي» (١٠٨/٤) والكلام منه.

⁽٢) كلمة «تحبيرا» من (ي)، وتحرفت في باقي النسخ إلى ألفاظ غير واضحة، وفي هامش (ك): «التحبير التزيين». وقد جاءت مع الكلمة اللاحقة في نسخ البيضاوي على وجوه، أحدها المثبت، والثاني: (لخير أو مبالغة). قال الشهاب: قوله: (بما يكون لخير) باللام والخاء المعجمة والراء المهملة في نسخة صحيحة؛ أي: قيده بما يكون معدًّا للخير وهو الطاعة والعبادة؛ لمناسبته للممثل له وهو الهداية ونحوها، وضبطه بعضهم كما في بعض النسخ: (تحبيراً) بالحاء والراء المهملتين والباء الموحدة، يعني: تزييناً وتحسيناً، ولا مدخل له في التمثيل، وفي أخرى: (تحيرا) و(كحيز) بمعنى محلًّ ومقر بالمعجمة، وزاد الكاف لأنها معلقة فيه فليس حيزاً حقيقياً لها كما قيل، وهو تكلف، قوله: (أو مبالغة فيه) وفي نسخة: (ومبالغة) بالواو، ووجه المبالغة كونها أضوء وأكبر، وعلى هذه النسخة يكون عطفه على ما قبله كالتفسير له ليكون له مدخل في التمثيل.

أو: بمحذوف؛ أي: سبّحوا في بيوت، والمراد بها المساجد؛ لأن الصفة تلائمها.

﴿ أَذِنَ اللهُ ﴾؛ أي: أَمَرَ ﴿ أَن تُرْفَعَ ﴾ بالبناء أو التعظيم ﴿ وَمُذِكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ ﴾ عامٌّ لِمَا يتضمَّن ذِكْرَه، حتى المذاكرة في أفعاله والمباحثة في أحكامه.

﴿ يُسَيِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْفُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴾ قال ابنُ عباس: كلُّ تسبيحٍ في القرآن صلاةٌ (١٠). أي: يُصلِّي له فيها بالغداة صلاة الفجر، وبالآصال سائر الصلوات، ولهذا وحد الغدق، وجمع قرينه.

والأصيلُ في الأصل: الوقتُ الذي بعد العصر إلى المغرب، صرَّح به الجوهريُّ(٢) وصدر الأفاضل، وجمعه: أُصُل وآصَال؛ فمَن قال: والآصال جمع أصيل، وهو العشيُّ، فقد أخطأ مرَّتين.

وقرئ: (والإيصال)(٢)، وهو الدخول في الأصيل.

* * *

(٣٧) _ ﴿ رِجَالُ لَا نُلْهِيهِمْ تِجَدَرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوْةِ وَإِنآ إِ ٱلزَّكُوةِ يَخَافُونَ يَوْمًا نَنَقَلَّ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَرُ ﴾.

وقرئ: ﴿ يُسبَّح ﴾ بالفتح (١)، على إسناده إلى أحد الظروف الثلاثة، ورفع ﴿ رِجَالُ ﴾ بما يدلُّ عليه ﴿ يسبَّح ﴾ .

⁽١) رواه الطبري في «التفسير» (١٧/ ٣٢٠)، والضياء المقدسي في «المختارة» (٣٣٥).

⁽٢) انظر: «الصحاح» (مادة: أصل).

⁽٣) قرأ بها أبو مجلز. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٢)، و «المحتسب» (٦/٣١).

⁽٤) قرأ بها ابن عامر وشعبة. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٢).

وقرئ بالتاء مكسوراً (١٠)؛ لتأنيث الجمع، ومفتوحاً (٢)؛ على إسناده إلى أوقات الغدوِّ.

وإنَّما خصَّ الرجالُ بالذِّكر؛ إذ ليس على النساء والصبيان الحضورُ في المساجد.

﴿ لَا نُلْهِيهِمْ ﴾ لا تشغلهم ﴿ يَجِنَرُهُ ﴾؛ أي: بالسفر ﴿ وَلَا بَيْعُ ﴾؛ أي: في الحَضَر، وحملناهما على هذين ليكون لزيادةِ إفادةٍ لا لمجرَّد إعادةٍ.

﴿ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: خارجَ الصلاة ﴿ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوْ ﴾؛ أي: وعن إقامة الصلاة، التاء في (إقامة) عوضٌ من العين الساقط للإعلال، إذ الأصل: إقوام، فلمَّا قُلبت الواوُ ألفاً اجتمع ألفان، فحُذفت إحداهما لالتقاء الساكنين، فبقي (٣): إقاماً، فأدخلت التاء عوضاً عن المحذوف، فلمَّا أضيفت أقيمت الإضافةُ مقام التاء فأسقطت.

﴿ وَإِينَآ وَالزَّكَوْةِ ﴾ يعني: أنَّهم يَسلكون سبلَ الكسبِ ولكن (١٠) إذا حضر حقُّ اللهِ تعالى أو حقُّ عبادِه بدؤوا به.

﴿يَخَافُونَ ﴾ حال من الضمير في ﴿ نُلِّهِيمٌ ﴾، أو صفة أخرى لـ ﴿ رِجَالُ ﴾.

﴿ يَوْمًا ﴾: يوم القيامة؛ أي: الحامل لهم على إقامة هذه الأشياء خوفُ القيامة.

﴿نَنَقَلُّ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ ﴾ لبلوغها إلى الحناجر ﴿وَٱلْأَبْصَكُرُ ﴾ بالشُّخوص والزُّرْقة(٥).

⁽١) أي: (تُسبِّح)، نسبت لأبي حيوة وابن وثاب. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٢).

⁽٢) نسبت لأبي جعفر في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٢).

⁽٣) في (م): «فيبقي».

⁽٤) في (م): «لكن».

⁽٥) في (ك) لعلها: (والدرمة)، وفي (ع): «للذرفة».

أو: تتقلَّب القلوبُ إلى الإيمان بعد الكفران، والأبصارُ إلى العيان بعد إنكاره للطغيان، كقوله: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَرَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدُ ﴾ [ق: ٢٢].

* * *

(٣٨) - ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ وَٱللَّهُ يَزُرُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴾.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ متعلِّق بـ ﴿يُسَيِّحُ ﴾ أو: ﴿لَّا نُلْهِيمِمْ ﴾ أو: بـ ﴿يَعَافُونَ ﴾.

﴿ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ﴾ وأدناه المندوب، واحترز بالأحسن عن الحسن وهو المباح؛ إذ لا جزاء له.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾؛ أي: يزيدهم على الثواب الموعود على العمل تفضَّلاً. ﴿وَاللّهُ يَرُزُقُ ﴾: يُثيب ﴿مَن يَشَآهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ثواباً لا يَدخل في حسابِ الخلق، تقريرٌ للزيادة، وتنبيهٌ على كمال القدرة، ونفاذ المشيئة، وَسَعة الإحسان.

* * *

(٣٩) - ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَكِ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْنَانُ مَآءً حَتَى إِذَا جَآءَهُ، لَوْ يَجَدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ ٱللَّهُ عِندَهُ، فَوَقَى لَهُ حِسَابَهُ، وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَمَالِمٍ ﴿ اللهِ اللهِ على ضدِّ ذلك، فإن أعمالهم التي يظنُّونها صالحةً نافعة عند الله، يَجدونها لاغيةً مخيِّبةً في العاقبة كالسراب، وهو ما(١) يُرى في الفَلَاة من لمعانِ الشمس عليها وقتَ الظهيرة يَسرب على وجه الأرض كأنَّه ماءٌ يجري.

⁽۱) في (ك): «ماء».

﴿ بِقِيعَةِ ﴾ بمعنى القاع، أو جمعُ قاعٍ، وهو المنبسِطُ المستوي من الأرضِ كجيرةٍ في جارٍ.

﴿ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْ عَانُ ﴾ الظمأ: شدَّة العطش ﴿ مَآءً ﴾ التشبيهُ في شدَّة الخيبة عند مسيسِ الحاجة.

﴿ حَتَى إِذَا جَاءَهُ ﴾: إذا جاء إلى ما توهّم أنه ماء ﴿ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ نافعاً، يقال: هذا ليس بشيءٍ، يُراد به نفي نفعِه، هذا إذا كان المعنى: إذا جاء السراب.

وأمَّا إذا كان المعنى: إذا جاء موضعَه، فمعنى ﴿ لَرْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾: لم يجد في ذلك الموضع شيئاً كان يَتراءى له؛ لأنه لا يرى ذلك إذا حضر (١١)، وكذلك الكافر إذا قدِم يوم القيامة على أعماله التي هي خيراتٌ عنده، لم يجدها نافعةً، أو لا يراها؛ لأنها صارت هباءً منبثًا.

﴿وَوَجَدَاللَّهَ ﴾؛ أي: وجد عقابَ الله ﴿عِندَهُ ﴾؛ أي: تبطُل حسناته ويبقَى عقابُ سيئاته معدًّا له عند قدو مه.

﴿ فَوَقَّ لَهُ حِسَابَهُ ، ﴾؛ أي: أعطاه جزاءَ عمله وافياً كاملاً.

وحَّد بعد تقدم [الجمع] حملاً على كلِّ واحد من الكفار (٢).

﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ لأنه لا يحتاج إلى عدِّ (٣) وعقد، ولا يشغله حسابٌ عن حسابٍ.

⁽١) في (ك) و(م): «حضروا».

⁽۲) انظر: «تفسير النسفي» (۲/ ٥٠٩)، و «البحر» (۱۲/ ۱۰۰)، وما بين معكوفتين منهما. وعبارة «البحر»: (وأَفَرَد الضَّميرَ في ﴿وَوَجَدَ ﴾ بعد تقدُّم الجمع حملاً..)، وعبارة النسفي: (وحد بعد الجمع حملاً..). (٣) في (ف) و (ك): «عدد».

قوله: ﴿وَوَجَدَاًلَهَ ﴾ عطف على ما تقدَّم من التمثيل على سبيل العطف على المعنى، ومَن غفل عن هذا زعم أنه من تتمَّة التمثيل، فتعسَّف في توجيهه.

* * *

(٤٠) _ ﴿ أَوْكُظُلُمَنْتِ فِي بَعْرِ لَّجِي يَغْشَنْهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ ، مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ ، سَحَابٌ ظُلُمَنَ أَ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكُوهُ لَمْ يَكُدُ يَرَعُهُ أَوْمَن لَرَّ يَعْفَلُ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن فُورٍ ﴾ .

﴿ أَوْكُظُلُمُ مَنِ فِي بَعْرٍ ﴾ ﴿ أَوْ ﴾ هنا كـ (أو) في ﴿ أَوْكُصَيِّبٍ ﴾ [البقرة: ١٩].

وما قيل: ﴿أَوْ ﴾ للتنويع؛ فإنَّ أعمالهم إن كانت صالحةً فكالسراب، وإن كانت قبيحةً فكالظلمات = يردُّه قوله: ﴿وَوَجَدَاللَّهَ عِندَهُ ﴾ لأن الأعمال الصالحة وإن لم تكن نافعة مع الكفر، لا يكون في عاقبتها وخامةٌ.

﴿ لَيِّي ﴾: عميقٍ كثيرِ الماء، منسوبٌ إلى اللُّجِّ وهو معظم الماء.

﴿يَغْشَنُّهُ ﴾: يغشى البحرَ، أو من فيه؛ أي: يعلوه ويغطِّيه.

﴿مَوْجٌ ﴾ هو ما ارتفع من الماء.

﴿ مِّن فَوْقِهِ ، مَوْجٌ ﴾؛ أي: من فوق الموج موجٌ آخرُ.

﴿ مِن فَوْقِهِ عَهِ اللهِ عَلَى النجوم وحَجَب أي: من فوق الموجِ الأعلى ﴿ سَحَابُ ﴾ غطَّى النجوم وحَجَب أنوارها. والجملة صفة أخرى لـ ﴿ بَعْرٍ ﴾ (١).

﴿ ظُلُمَنَ ﴾؛ أي: هذه ظلماتٌ (١) ﴿ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾: ظلمةُ الموج على ظلمةِ البحر، وظلمةُ الموج على الموج، وظلمةُ السحاب على الموج.

⁽١) في (م): «صفة آخر للبحر».

⁽٢) في (م): «الظلمات».

﴿إِذَا آلَغْرَجَ يَكُدُهُ ﴾ أقربَ ما تُرى إليه ﴿لَرَيكَدُونَهَا ﴾ لم يقرُب أن يراها، فضلاً عن أن يراها، والضمائر للواقع في البحر وإن لم يَجْرِ ذِكْره (١٠)؛ لدلالة المعنى عليه.

﴿ وَمَن لَرَ يَجْعَلِ اللهُ الدُّمُورُ افَمَا لَهُ مِن نُورٍ ﴾؛ أي: مَن لم يَهدهِ اللهُ لم يَهتدِ، عن الزجَّاج (٢)، في الحديث: ﴿ خَلقَ اللهُ الخلقَ في ظلمةٍ، ثم رَشَّ عليه من نورِه؛ فمَن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضَلَّ »(٣).

* * *

(٤١) - ﴿ ٱلْمُرْسَرُ أَنَّاللَّهَ يُسَيِّحُ لَهُ مَن فِي ٱلشَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَنَفَّتُ ثُوَ كُلُّ قَدْعَلِمَ صَلَائَهُ, وَتَسْبِيحَةٌ, وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾.

﴿ أَلَمْ تَعَلَم عَلَمَ عَلَمَ عَلَمَ عَلَمَ عَلَمَ عَلَمَ عَلَمَ عَلَمَ عَلَمَ العَيَانَ في الإيقان (٤) ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ ﴾ ينزّه ذاته عن كلّ نقص و آفَةٍ ﴿ مَن فِي السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ و ﴿ مَن ﴾ لإسناد التسبيح، فلا حاجة إلى التغليب هنا وفي ﴿ يَفْعَلُونَ ﴾ ، أو أُريد به الملائكة والثقلان.

﴿ وَٱلطَّلَيْرُ ﴾ على الأول تخصيصٌ ؛ لِمَا فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر، ولذلك قيَّدها بقوله:

﴿ صَنَفَّنتُ ﴾ فإنَّ إعطاءَ الأجرام الثقيلة ما به تَقْوَى على الوقوف في الجوِّ صافَّةً

⁽١) في (ك): «يجر له ذكر».

⁽٢) في «معاني القرآن» له (٤٨/٤).

⁽٣) رواه الترمذي (٢٦٤٢)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسَّنه.

⁽٤) في (ك): «الإتقان».

باسطةً أجنحتها لِمَا فيها من القبض والبسط حجَّةٌ قاطعة (١) على كمال قدرة الصانع ولُطفِ تدبيره (٢).

﴿ كُلُّ ﴾: كلُّ واحد ممَّا ذكر أو من الطير ﴿ قَدْعَلِمَ ﴾ الضميرُ لـ ﴿ كُلُّ ﴾، وكذا في: ﴿ صَلَانَهُ وَيَسْبِيحَهُ . ﴾.

ولا يَبعد أن يُلهم اللهُ الطيرَ دعاءَه وتسبيحه كما أَلهمه سائر (٢) العلوم الدقيقة التي لا يَكاد العقلاءُ يهتدون إليه.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ من الصلاة والتسبيح وغيرِ هما.

* * *

(٤٢) - ﴿ وَلِلَّهِ مُلُّكُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

﴿ وَلِلَّهِ مُلَكُ السَّمَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾ لا شريك له فيه ﴿ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ مرجِعُ الكلِّ، وإنَّما عدل عن الضمير تفخيماً.

* * *

(٤٣) - ﴿ أَلَمْ تَرَأَنَّ ٱللَّهَ يُخْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ وُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْفَ يَغْرُجُ مِنْ خِلَلِهِ، وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ، مَن يَشَآهُ وَيَصَّرِفُهُ، عَن مَّن يَشَآهُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ، يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَدِرِ ﴾.

﴿ ٱلْزَمْرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُدَرِّجِي سَحَابًا ﴾ معنى ﴿ يُرْجِي ﴾: يَسوق (١) قليلاً قليلاً، ويُستعمل في

⁽١) في (ك): «ناطقة».

⁽۲) في (م): «تدابيره».

⁽٣) في (ف) و(ك): «ألهم سائر»، وفي (م): «ألهمها بسائر».

⁽٤) في (ف): «ينشئ»، ولم ترد الكلمة في (ك).

سوق الثقيل برفقٍ، كالسحاب والإبل، والسحاب: اسمُ جنسٍ، واحده: سحابة، والمعنى: يَسوق سحابةً إلى سحابةٍ.

﴿ مُمَّ يُوْلِفُ بَيِّنَهُ ﴾ تذكيره للَّفظ؛ أي: يضمُّ بعضه إلى بعض.

﴿ثُمَّ يَجْعُلُهُ رُكَّامًا ﴾: متراكِماً بعضُه فوقَ بعض.

﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْفَ ﴾: المطر ﴿ يَغْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، ﴾: من فُتُوحه، جمع خَلَلٍ، كجبال في جبل.

﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ﴾ ماءً من الغمام، وكلُّ ما علاكَ فهو سماء.

﴿ مِن جِبَالِ فِهَا ﴾: من قِطَعِ عظامٍ تشبه الجبال مِن عِظَمها.

﴿ مِنْ بَرَدٍ ﴾ بيانٌ للجبال، والمفعول محذوف؛ أي: يُنزِّل مبتدئاً من السماء من الجبال فيها من بَرَدٍ بَرَداً.

ويجوز أن تكون (مِن) الثانيةُ أو الثالثةُ للتبعيض واقعةً موقعَ المفعول.

﴿فَيُصِيبُهِمِ﴾ بالبَرَد ﴿مَنَيْشَآهُ﴾ فيضرُّه في نفسه أو في زرعه، ﴿وَيَصَّرِفُهُ،عَنَّمَنَ يَشَآءُ ﴾ فلا يُصيبه.

﴿ يَكَادُ سَنَا بَرُقِهِ . ﴿ : ضوؤُه (١) ﴿ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَنِ ﴾ بأبصار الناظرينَ إليه من فَرْطِ الإضاءة، وذلك أقوى دليلٍ على كمال القدرة من حيث إنه توليد الضِّدِّ من الضَّدَّ.

وقرئ: ﴿ يُذْهِبُ ﴾ على زيادة الباء (٢).

* * *

⁽١) أي: ضوء برقه.

⁽٢) قرأ أبو جعفر. انظر: «النشر» (٢/ ٣٣٢).

(\$ \$) _ ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ الَّذِلَ وَالنَّهَارُّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأَوْلِي ٱلْأَبْصَرْ ﴾ .

﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّهَ اللَّهُ ا

* * *

(٤٥) _ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَةِ مِن مَلَّةٍ فَعِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ - وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَى رِجَلَيْنِ وَمِنْهُم مَن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعْ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَ أَمُّ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كَثْلِ شَيْءِ قَدِيرٌ ﴾ .

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمُّ دَاَّبَةٍ ﴾: حيوانٍ يدبُّ على وجه الأرض، وقرئ: ﴿ خالقُ كلِّ دابَّةٍ ﴾ بالإضافة (١).

قال الراغب: والدبيبُ (٢) أصلُه: حكاية صوتِ حركة المشي، ثم قيل: دبَّ، إذا مشي، ويقال لكل ما يمشي: دابَّة، ثم خُصَّ الفرس (٣).

﴿ مِن مَّآءِ ﴾ هـ و جـ زء مادَّته وسببُ حياته، على ما أشـير إليه في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَامِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيِّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وقيل: من ماء مخصوصٍ وهو النطفة، ولا يلزم حينئذٍ أن يُرتكب إلى ادِّعاء الغَلَبة في المخلوق من النطفة، وتنزيلِ الغالبِ منزلةَ الكُلِّ؛ لجواز أن يُراد بالدابَّة ما

⁽١) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٣٤).

⁽٢) في (ف) و(ك): «في الدبيب»، وسقطت من (ي). والمثبت موافق للمصدر.

⁽٣) انظر: «تفسير الراغب» (١/ ٣٦٠).

يُخلَق بالتوالله بقرينة ﴿مِن مَّآءِ﴾؛ أي: من نطفة، كما أريد من الشيء في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيِّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠] ما به الحياة بقرينة ﴿ حَيٍّ ﴾ (١).

﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ٤ كالحيَّة والحوت، يُسمَّى الزحفُ مشياً؛ استعارة، لقيامه مقام الشيء، وليس هذا من قبيل ذكر المقيَّد وإرادة المطلق، كما إذا ذكر المِشْفَر وأُريد به الشَّفَة مطلقاً؛ لأن خصوصية الزحف مقصودة (٢)، والمشاكلة البديعية طريقةٌ أخرى لا يُصار إليها عند صحَّة الاستعارة البيانيَّة (٢).

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ ﴾ كالإنس والطير.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ آرَيَعِ ﴾ كالنَّعم والوَحْش. قيل: ويندرج فيه ما له أكثرُ من أربعِ كالعناكب؛ فإن اعتمادها إذا مشت على أربع. ولا يخفى ما فيه من التعشف.

وتذكير الضمير لتغليب العقلاء، والتعبيرُ ب(مَن) عن الأوصاف ليوافق التفصيلُ الجملة.

قيل: قدّم ما هو أعرفُ (٤)......

⁽١) في هامش (ف) و(م): «ولا من قبيل قولهم: شقَّ هذا الأمر. منه».

⁽٢) في (م): «مقصور».

⁽٣) في هامش (ع) و(ف) و(م): «المشي هو النقلة بالخطوة لا مطلق النقلة كما هو الظاهر من قول الجوهري: زحف إليه زحفاً مشي، وقد يستعار الزحف للمشي على عكس ما ذكر، وعليه نبَّه النمخشريُّ، قال في «الأساس»: زحف العسكر إلى القوم، إذا مشوا إليهم للنقل في شركتهم. منه».

⁽٤) في (ع) و(ك): «أعرق»، والمثبت من باقي النسخ، وكلاهما في نسخ «البيضاوي» و «الكشاف»، وزيد في «البيضاوي» ثالث وهو: (أغرب). قال الشهاب: (أعرف في القدرة)؛ أي: أعظم ما تعرف به القدرة الإلهية، وفي نسخة: (أغرب) من الغرابة، وفي أخرى: (أعرق) من العراقة، وهي الأصالة =

بالقدرة، وهو الماشي بغير آلةِ مشي، ثم الماشي على رجلين، ثم الماشي على أربعٍ. وفيه نظرٌ؛ لأن مبناهُ الغفولُ عن أنَّ المشي في الأول مستعارٌ للزحف.

﴿ يَغُلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ كيف يشاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَلِيرٌ ﴾ فيفعل ما يشاء.

* * *

(٤٦) = ﴿ لَقَدَ أَنَزَلْنَا ءَاينتِ مُبَيِّنتِ وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَطِ مُسْتَقِيدٍ ﴾.

﴿ لَقَدَّأَنزَلْنَآءَايَنتِ مُّبَيِّنَتِ ﴾ للحقائق بأنواع الدلائل ﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ بالتوفيق للنظر فيها والتدبُّر لمعانيها ﴿ إِلَى صِرَطِ مُّسْتَقِيمِ ﴾ هو دينُ الإسلام الذي يُوصِل إلى جنته، والآياتُ لإلزام حجته.

لمًّا ذكر إنزال الآيات ذكر بعدها افتراقَ الناس إلى ثلاث فرق:

فرقة صدَّقت ظاهراً وكذَّبت باطناً وهم المنافقون.

وفرقة صدَّقت ظاهراً وباطناً وهم المخلصون.

وفرقة كذَّبت ظاهراً وباطناً وهم الكافرون، على هذا الترتيب، فبدأ بالمنافقين فقال:

(٤٧) - ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتُوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أَوْلَئِهِ كَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾.

المشيه بغير آلة.

أما «الكشاف» ففي مطبوعه: (أعرق) بالقاف، ومثله عند النسفي، وعند الطيبي: (أعرف) بالفاء. انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٤٧)، و«فتوح الغيب» (١١/ ١٢٠)، و«تفسير النسفي» (٢/ ٥١٢)، و«حاشية الشهاب» (٦/ ٣٩٣).

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ ﴾ بألسنتهم ﴿ وَأَطَعْنَا ﴾ الله والرسول ﴿ ثُمَّ يَتُولَى ﴾ ؛ أي: يُعرِض عنهما، فإن الإعراض عن الرسول عليه الصلاة والسلام بعدم إطاعته في أوامره إعراضٌ عنه تعالى ﴿ وَرِيقٌ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ : بعد قولهم هذا.

وفائدةُ (ثم) الاستبعاد؛ إظهاراً لقُبح صنيعهم.

﴿ وَمَا أَوْلَكِيكَ بِاللَّمُ وَمِنِينَ ﴾ الإشارة إلى القائلين بأسرهم، فيكون إعلاماً من الله تعالى بأن جميعهم وإن آمنوا بلسانهم لم يؤمنوا بقلوبهم؛ لاشتراكهم في فساد الاعتقاد وظهور الإعراض، وإن كان من بعضهم فالرضا به من كلّهم.

أو إلى الفريق المذكور خاصةً، وإنما أتى بالواو دون الفاء؛ لأن عدم إيمانهم ليس لتولِّيهم، بل الأمر بالعكس، والتعريف للدلالة على أنَّهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرَفْتَهم (١)، وهم المخلصون في الإيمان أو الثابتون(٢) عليه.

ومرجعُ العهد إلى وصف الإيمان الخالص، ولِمَا فيه من التنصيص على نفي ذلك الوصفِ عنهم لم يقل: وما أولئك من المؤمنين؛ لِمَا فيه من احتمالِ أن يرجع العهد إلى الموصوفين به؛ إذ لا يلزم من عدم كونهم من المعروفين بذلك الوصفِ أن لا يكون موصوفاً به أصلاً.

* * *

(٤٨) - ﴿ وَإِذَا دُعُوٓ اللَّهُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾.

﴿ وَإِذَا دُعُوٓ أَإِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ عَ الدعوة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، وذِكْرُ الله

⁽١) في هامش (ف): «يعني أن التعريف للعهد لا للجنس لأنهم من جنس المؤمنين. منه».

⁽٢) في (ف) و(ك): «والثابتون».

تمهيدٌ لتعظيم دعوته وإظهار مكانته، وليس هذا طريقةَ الإبدال(١).

﴿لِيَحَكُمُ بِيَنَهُمْ ﴾؛ أي: ليَحكم الرسولُ عليه الصلاة والسلام؛ لأنه الحاكم ظاهراً، وإنما لم يقل: ليَحكم عليهم، إشعاراً بأن إعراضَهم غيرُ مخصوص بصورة الظّنّ بالحكم عليهم، بل شاملٌ لصورة الشّكّ، فشأنهم الإعراضُ فيما إذا اشتبه الأمر حالاً وإن كان الحكم لهم مآلاً.

ومَن غَفَلَ عن هذا الاعتبار اللطيفِ قال في تفسير (٢) قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقُ مِّنْهُم مُعْرِضُونَ ﴾: فأجأ فريقٌ منهم الإعراضَ إذا كان الحقُّ عليهم؛ لعلمهم بأنك لا تَحكُم لهم، وهو شرح للتولِّي ومبالغةٌ فيه.

ولم يَدْرِ أن شرحَه على وجه أبلغَ فيما ذكرناه لا فيما ذكره.

* * *

(٤٩) - ﴿ وَإِن يَكُن لَمُمُ الْمُقُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾.

﴿ وَإِن يَكُن لَمُ مُ الْمَقُ ﴾؛ أي: الحكم في اعتقادهم ﴿ يَأْتُواۤ إِلَيْهِ مُذَعِنِينَ ﴾ طلباً لحقِّهم لا رضًى بحُكم رسولهم، قال الزجَّاج: الإذعانُ: الإسراعُ مع الطاعة، فباعتبار ما في الإسراع من معنى الإتيان يجوز أن يكون (إلى) صلةً لـ ﴿ مُذَعِنِينَ ﴾، ويكون تقديمه للاختصاص ومحافظة الفواصل.

* * *

⁽۱) نُسب الإبدال للزمخشري لقوله: (معنى ﴿ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، الى رسول الله، كقولك: أعجبني زيد وكرمه، تريد: كرم زيد). فتوهموا من إسقاط المعطوف عليه في التفسير أنّ المعطوف هو المقصود بالنسبة، وهذا شأن البدل، وما نحن فيه طريقة أخرى، فاعترض عليه... انظر بحث المسألة في «حاشية الشهاب» (٦/ ٣٩٤).

⁽٢) في (م): «تفسيره». والمراد من الكلام البيضاوي.

(٥٠) - ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مِّرَضُّ أَمِ الْرَبَائُواْ أَمْ يَخَافُوكَ أَن يَجِيفَ اللَّهُ عَلَيْمٍ مَرَسُولُهُمْ بَلْ أُولَئَمِكَ هُمُّ الظَّلِلِمُونَ ﴾.

﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مِّرَضُّ أَمِ ٱزْنَابُوَا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ ﴾ الحَيْفُ: الجَور بنَقْصِ الحقِّ ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ .

إنما قدَّم صلةَ الحيف على قوله: ﴿وَرَسُولُهُ ﴾؛ إظهاراً بأنه على تقدير وقوعِه يكون من الله _ تعالى شأنه عمَّا يقولُ الظالمون _ ولا يكون فيه دَخْل للرسول؛ لأنه مُظهِر لا مُثبِت.

قسم الأمر في صدودهم عن حكومته إذا(۱) لم يعتقدوا أن الحُكم لهم بأن يكونوا مرضى القلوب منافقين، أو مرتابين بأن رأوا منك تُهَمةً فزالت ثقتُهم ويقينُهم بك، أو خائفينَ الحيفَ في قضائه.

ووجهُ التقسيم: أن امتناعهم إمَّا لخلل فيهم أو في الحاكم، والثاني إما أن يكون محقَّقاً عندهم أو متوقَّعاً، وكلاهما باطل؛ لأن منصب نبوَّته وفَرْطَ أمانته يَمنعه، فتعيَّن الأول، فلذلك أضرب بقوله:

﴿ بَلْ أُوْلَتِهِكَ هُمُ ٱلظَّلِمُونَ ﴾ عن القسمين الآخرين لتحقيق (٢) القسم الأول.

وظلمُهم يعمُّ خَلَلَ عقيدتهم، وميلَ نفوسهم إلى الحيف، يريدون أن يَظلموا مَن له الحقُّ عليهم، وذلك شيءٌ لا يستطيعونه في مجلس رسولِ الله ﷺ، فمِن ثَمَّ يَأْبُون المحاكمة إليه، هذا ما أدَّى إليه النظرُ الجليل.

⁽١) في (ف): «إن».

⁽۲) في (ع) و(م): «لتحقق».

والذي أدَّى إليه النظرُ الدقيقُ: هو أنه إضرابٌ عن نفس التقسيم، يعني: دَعِ التقسيمَ فإنَّهم هم الكاملون في الظُّلم الجامعون لتلك الأوصاف^(۱) على الكمال، فلذلك صدُّوا عن حكومتك، يدلُّ على ذلك اسمُ الإشارة، والتعريفُ بلام الجنس، وتوسيطُ ضميرِ الفصل، والفصلُ لنفي ذلك عن غيرهم، سيَّما المدعوُّ إلى حكمه.

نزلت في بشر المنافق وخصمِه اليهوديِّ حين اختصما في الأرض، فجعل اليهوديُّ يجرُّه إلى رسولِ الله ﷺ والمنافقُ إلى كعبِ بنِ الأَشرف، ويقول: إنَّ محمداً يَحيفُ علينا(٢).

* * *

(٥١) _ ﴿ إِنَّمَاكَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓ أَلِلَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ـ لِيَحْكُرُ بَيْنَكُمُ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَوْلَـٰتِهِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

﴿إِنَّمَاكَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ على عادته تعالى في اتّباع ذكر المحقّ المُبطِل والتنبيه على ما ينبغى بعد إنكاره لِما لا ينبغى.

قرئ ﴿قول﴾ بالرفع والنصب (٣)، والنصب أقوى؛ لأنَّ أُولى الاسمين بكونه اسماً لـ ﴿كَانَ ﴾ أُوغُلُهما في التعريف.

(١) في (ف): «الصفات».

⁽۲) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ۳۲۷)، و«الكشاف» (۳/ ۲٤۸). ورواه الطبري في «التفسير» (۷/ ۱۹۳) عن مجاهد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمُ «التفسير» (۷/ ۱۹۳) عن مجاهد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمُ عَالَمَ وَكُذَا رَوَاهُ الواحديُّ في أسباب النزول (ص: ۱۲۱)، عن قتادة والشعبي، وعن ابن عباس من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه.

⁽٣) قرأ الجمهور بالنصب، ونسب الرفع لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٣)، و «المحتسب» (٢/ ١١٥).

﴿إِذَا دُعُو اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحُكُمُ ﴾ الرسول، وقرئ على البناء للمفعول(١)، وإسناده إلى ضمير مصدرِه على معنى: ليُفعَل الحكمُ.

﴿ بَيْنَاهُمُ ﴾ بحُكم الله الذي أُنزل عليه.

﴿ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا ﴾ قولَه ﴿ وَأَطَعْنَا ﴾ أمرَه ﴿ وَأُولَتِهِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾: الفائزون.

* * *

(٥٢) - ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولُهُ وَيَغْشَ ٱللَّهُ وَيَتَّقْدِ فَأُولَكِ إِلَّهُ مُ ٱلْفَآيِرُونَ ﴾.

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في الأوامر والنواهي ﴿ وَيَغْشَ اللَّهَ ﴾ على ما مضى من ذنوبِه ﴿ وَيَتَقْدِ ﴾ فيما يستقبل ﴿ فَأُولَتِكَ هُمُ ٱلْفَآبِرُونَ ﴾ بالنعيم المقيم.

* * *

(٥٣) - ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنْ بِمْ لَهِنْ أَمَرْتُهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلُ لَانْقُسِمُواْ طَاعَةُ مَّعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ وَهِو جَهَدَ أَيْمَنِهِم ﴾؛ أي: حَلَفَ المنافقون بالله، وهو جهدُ اليمين لأنهم بذلوا فيها مجهودَهم، وجَهَدَ يمينَه مستعارٌ من: جَهدَ نفسَه، إذا بلغ أقصى وُسْعها، وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدَّتها ووكادتها، وأصل: أقْسَم جهدَ اليمين، أقسم يَجْهدُ (٢) اليمين جَهْداً، فحذف الفعل، وقدِّم المصدر فوضع موضعَه مضافاً إلى المفعول، كقوله: ﴿فَضَرَّبُ الزِّقَابِ ﴾ [محمد: ٤]، وحُكم هذا المنصوب حُكم الحال، كأنَّه قال: جاهدين أيمانَهم.

⁽١) أي: ﴿لِيُحْكَمَ﴾، وقرأ بها أبو جعفر من العشرة. انظر: «النشر» (٢/ ٢٢٧).

⁽٢) في (م): «جهد»، وفي (ع) و(ك) و(ي): «بجهد»، والمثبت من (ف)، وهو الموافق لما في «الكشاف» (٣/ ٢٥٠).

﴿لَإِنْ أَمَرْتَهُمْ ﴾ بالخروج عن ديارِهم وأموالهم ﴿لَيَخْرُجُنُّ ﴾ جوابُ لـ ﴿وَأَقْسَمُوا ﴾ على الحكاية.

﴿ قُل لَّا نُقُسِمُوا ﴾ على الكذب.

﴿ طَاعَةُ مُعَرُوفَةُ ﴾ للنبيّ عليه الصلاة والسلام خيرٌ مِن قَسَمِكم الذي لا تَصدُقون فيه ولا تُصدَّقون، أو: الذي يُطلَب منكم طاعةٌ معروفة لا اليمينُ للطاعة النفاقيَّة المُنكَرة، أو: ليكن طاعةٌ، وقرئت بالنصب(١)، على أطيعوا طاعةً.

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَاتَعُ مَلُونَ ﴾: يَعلم ما في ضمائرِكم، ولا يخفي عليه شيءٌ من سرائركم.

* * *

(٥٤) _ ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّواْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمُ مَّا حُمِّلَتُكُم مَّا حُمِّلَتُ مُّ الْمُدِيثُ ﴾.

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهُ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ أمرٌ بتبليغ ما خاطبَهم الله تعالى به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ ﴾: على الرسول ﴿ مَا حُمِّلَ ﴾ من التبليغ ﴿ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلُتُهُ مَّا مُعِنْدُهُ مِن الامتثال.

﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ ﴾ في أمره ونهيه ﴿ تَهْ نَدُواً ﴾ إلى الحقِّ.

﴿ وَمَاعَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَكَعُ ٱلْمُبِينُ ﴾ وقد أدَّى، وإنما بقي ما حُمِّلتُم؛ فإن أدَّيتم فلكم، وإلَّا فعليكم.

⁽١) نسبت لليزيدي. انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٣).

البلاغ بمعنى التبليغ، كالأداء بمعنى التأدية، و﴿ٱلْمُبِيثُ ﴾: الظاهر؛ لكونه مقروناً بالآيات والمعجزات، ثم ذكر المُخلصين، فقال:

(٥٥) _ ﴿ وَعَدَاللَّهُ الَّذِينَ مَامَنُواْمِنكُمْ وَعَكِمُلُواْ الصَّلِحَتِ لِيَسْتَخْلِفَنَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا السَّتَخْلَفَ الَّذِيكَ اللَّهُ اللَّذِيكَ النَّصَىٰ لَهُمْ وَلِيُسَدِّنَ فِي الْأَرْضِ كَمَا اللَّهِ اللَّهُ اللَّذِيكَ النَّصَىٰ لَهُمْ وَلِيُسَدِّلَ اللَّهُمُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَناً عَمْدُونَ فِي لَا يُشْرِكُونَ فِي اللَّهُ مَا أَفْكَ اللَّهُ الْمَا الْفَاسِقُونَ ﴾.

﴿ وَعَدَاللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُرْ وَعَكِمِلُواْ الصَّدَلِحَدَتِ ﴾ الخطاب للنبيّ عليه الصلاة والسلام والأمَّة، أو له ولمن معه، و (مِن) للبيان.

﴿لَسَتَخَلِفَنَهُم فِ ٱلْأَرْضِ ﴾: ليجعلنَّهم خَلَفاً متصرِّ فين في الأرض تصرُّف الملوك في ممالكهم، وهو جواب قَسَمٍ مُضمَر، تقديره: وَعَدهم اللهُ وأقسم ليستخلفنهم (١١)، أو الوعدُ في تحقُّقه منزَّلٌ منزلة القسَم.

﴿كَمَاٱسْتَخْلَفَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يعني: بني إسرائيل في مصر والشام بعد الجبابرة.

﴿ وَلَيْمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي الْرَبْضَىٰ لَهُمْ ﴾ وهو الإسلام بالتقوية والتثبيت.

﴿ وَلَيُ بَدِّلَةُ مُ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ ﴾ من الأعداء ﴿ أَمْنَا ﴾ منهم، لغَلَبتهم عليهم، كان رسولُ الله عليه السلام وأصحابُه رضي الله عنهم مَكَثوا بمكَّة عَشْرَ سنينَ خائفينَ، ثم هاجروا إلى المدينة، فكانوا يُصبحون في السلاح ويُمسون فيه، حتى أنجز اللهُ تعالى وعدَه، فأظهرهم اللهُ على العرب كلِّهم وفتح عليهم بلادَ الشرق والغرب "

⁽١) في (ف) و(ك): «وعدهم وأقسم».

⁽٢) رواه الطبري في «التفسير» (١٧/ ٣٤٨) عن أبي العالية، وانظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ٣٢١).

﴿يَمْبُدُونَنِي﴾ حالٌ من ﴿الَّذِينَ﴾ لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد، أو استئنافٌ ببيان المقتضى للاستخلاف والأمن.

﴿لَايُشَرِكُونَ بِيشَيْتًا ﴾ حالٌ من (الواو)؛ أي: يعبدونني غيرَ مشركين، ويجوز أن يكون حالاً بدلاً من الحالِ الأولى.

﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾: ومَن ارتدَّ أو كفر هذه النعمةَ ﴿ بَعَدُ ذَالِك ﴾: بعد الوعد، أو بعد حصول الخلافة.

﴿ فَأُولَٰكِهَ كُمُ الْفَسِقُونَ ﴾: الكاملون في فسقهم، حيث كفروا بعد وضوح مثل هذه الآيات، أو كفروا بتلك النعمة العظيمة.

* * *

(٥٦) - ﴿ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكُوةَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ مُرْحَمُونَ ﴾.

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكُوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ في سائر التكاليف الشرعيَّة بالأوامر والنواهي.

ولا يَبعد عطف ذلك على ﴿أَطِيعُوا أَللَّهَ ﴾ فإنَّ الفاصلَ وعدٌ على المأمورِ به، فيكون تكريرُ الأمر بطاعة الرسول للتأكيد وتعليق الرحمة به أو بالمندرجة هي فيه بقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ مُرْحَمُونَ ﴾ كما علِّق به الهدى.

* * *

(٥٧) - ﴿ لَا تَعْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفُرُوا مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَنِهُمُ ٱلنَّارُ وَلَيِنْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

﴿ لَا تَعْسَبَنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: فائتينَ الله تعالى، بأنْ لا يَقدر عليه م فيها، فالتاء خطابٌ للنبيِّ عليه الصلاة والسلام وهو الفاعل، والمفعولان ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ ﴾.

وقرئ بالياء (١)، والفاعل النبيُّ عليه الصلاة والسلام؛ لتقدُّم ذِكْره، والمفعولان ما ذكر آنفاً.

﴿ وَمَأْوَىٰهُمُ النَّارُ ﴾ عطف عليه من حيث المعنى، كأنه قيل: الذين كفروا ليسوا بمعجزين ومأواهم النارُ ؛ لأن المقصود من النهي عن الحُسْبان تحقيقُ نفي الإعجاز. ﴿ وَلَيَ أَسَ الْمُصِيرُ ﴾: المأوى الذي تصيرون إليه.

* * *

(٥٨) _ ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِي ءَامَنُو أَلِيسَتَغَذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتَ أَيْمَنْكُمْ وَٱلَّذِينَ لَرَيَبَلُغُوا ٱلحْلُمُ مِنكُرْ ثَلَثَ مَرَّتٍ مِن مَّلِ صَلَوْةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَا بَكُمْ مِن ٱلظّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوْقِ ٱلْعِشَآءُ ثَلَثُ عَوْرَتِ لَكُمُ ٱلْأَيْنَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّفُوكَ عَلَيْكُمْ بَعْضُ كُمْ عَلَى بَعْضِ كَذَاكِ يُبَيْنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآئِينَ قِ وَاللَّهُ عَلِيمُ حَكِيمٌ ﴾.

﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَوُ إِلِيَسَتَغَذِنكُمُ ٱلدِّينَ مَلَكَتَ أَيْمَانُكُو ﴾ رجوعٌ إلى تتمَّة الأحكام السالفة بعد الفراغ عن الآيات الدالَّة على وجوب الطاعة فيما سلف من الأحكام وغيره، والوعدِ عليها، والوعيدِ على الإعراض عنها، والمراد به خطابُ الرجال والنساء، غلِّب فيه الرجال؛ لما روي: أنَّ غلامَ أسماء بنتِ أبي مَرْثَد دخل عليها في وقت كَرِهَتُهُ، فنزلت (٢).

﴿ وَٱلَّذِينَ لَرَيَبُلُغُوا ٱلْحَلْمُ ﴾: والصبيانُ الذين لم يَبلغوا، فكنَّى عن البلوغ إلى حدِّ الرجوليَّة ببلوغ الحُلُم؛ أي: الاحتلام؛ لأنه أقوى دلائله.

﴿مِنكُرْ ﴾: من الأحرار ﴿ لَلنَّ مَرَّبَ اللهِ م والليلة:

⁽۱) قرأ بها ابن عامر وحمزة. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٣).

⁽٢) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٢٩) عن مقاتل.

﴿ مِن مَّلُوهِ ٱلْفَجْرِ ﴾ لأنه وقتُ القيام من المضاجع وطَرْحِ ما يُنام فيه من الثياب ولُبْسِ ثياب اليقظة، ومحلُّه النصبُ بدلاً من ﴿ لَلنَكَ مَرَّتِ ﴾، أو الرفعُ خبراً لمحذوف؛ أي: هي من قبل صلاة الفجر.

﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِنَ الطَّهِيرَةِ ﴾ بيانٌ للحينِ، وهي نصفُ النهار في القَيْظ؛ فإنها وضعُ الثياب للقيلولة.

﴿ وَمِنْ بَعَدِ صَلَوْةِ ٱلْعِشَاءِ ﴾ لأنه وقت التجرُّد من ثياب اليقظة، والالتحافِ بثياب النوم.

﴿ ثَلَاثُ عَوْرَاتِ لَكُمْ ﴾؛ أي: هذه الثلاثُ أوقاتُ يختلُّ فيها تستُّركم (١)، ويجوز أن يكون مبتدأً وما بعده خبره، وقرئ بالنصب (٢) بدلاً عن ﴿ ثَلَثَ مَرَّتِ ﴾.

وأصلُ العورةِ: الخللُ، ومنها الأعور: المختلُ العين، دخل غلامٌ من الأنصار على عمرَ رضي الله عنه وقتَ الظهيرة وهو نائم وقد انكشفَ عنه ثوبُه، فقال عمرُ رضي الله عنه: وَدِدتُ أَنَّ اللهَ تعالى نَهَى عن الدُّخول في هذه الساعات إلَّا بإذنِ، فانطلق إلى النبيِّ عليه الصلاة والسلام وقد نزلت عليه الآية (٣).

ثم عَذَرهم في ترك الاستئذان وراءَ هذه المرَّات بقوله:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ ﴾ وإنما نفي الحرجَ عن الطرفين؛ لأنَّ الحرمةَ في

⁽۱) في (م): «ستركم».

⁽٢) قرأ بها حمزة والكسائي وشعبة. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٣).

⁽٣) ذكره التعلبي في «تفسيره» (٧/ ١١٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن منده كما في «الإصابة» لابن حجر (٦/ ٥٠)، من طريق السديّ الصغير، عن الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

وقت الحرمة مِن الطرفين، ومن هنا تبيَّن أنَّ الأمر (١) بالاستئذان في حقِّ المماليك والصبيان تضمَّن الأمرَ بالاحتياط في حقِّ المخاطَبين.

﴿بَعْدَهُنَ ﴾ بعدَ هذه الأوقاتِ في تَرْكِ الاستئذان، وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان فينسَخَها؛ لأنه في الصبيان والمماليك المدخول عليه، وتلك في الأحرار البالغين ومماليك الغير.

وأمَّا ما قيل: هذا ممَّا الناسُ منه في غفلةٍ، وهو عندهم كالشريعة المنسوخة، فمنشؤه الغفلةُ عمَّا حكاه المهدويُّ عن ابنِ عباس رضي الله عنهما من أنَّ ذلك كان واجباً، إذ كانوا لا غَلَقَ لهم ولا أبواب(٢)، ولو عاد الحال لعاد الوجوب(٣).

﴿ طُوَّافُونَ عَلَيْكُم ﴾: هم طوَّافون، استئنافٌ ببيان العذر المرخِّص في ترك الاستئذان، وهو شدَّة المخالطة وكثرةُ المداخلة، وفيه وفي الفرق بين الأوقاتِ الثلاثة وغيرها بأنَّها عوراتُ دليلٌ على تعليل الأحكام.

﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضِ ﴾ بعضكم طائفٌ على بعضٍ، أو: يطوف بعضُكم على بعض، والجملة مؤكِّدة لِمَا قبلها، ويجوز أن يكون بدلاً منه، يعني: لا بدَّلهم من ذلك للخدمة، فلو جزم بالاستئذان في كلِّ وقت لأفضى إلى الحرج.

﴿ كَذَالِكَ ﴾: مثلَ ذلك التبيين ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَكِ ﴾ أراد بالآياتِ عللَ الأحكام،

⁽١) في (ف) و(ك): «المراد».

⁽۲) رواه أبو داود (۱۹۲۵).

⁽٣) في هامش (ف) و(م): «قال القرطبي: بل حكمها اليوم ثابت في كثير من مساكن المسلمين في البوادي والصحارى. منه». وانظر: «المحرر الوجيز» (١٩٤/٤)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٣٢٩).

يعني (١): كما يبيِّنُ لكم علَّة الاستئذان يبيِّنُ العللَ في غيره من الأحكام التعليلية عند الحاجة إليه.

﴿ وَأَلَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بمصالح عبادِه ﴿ كَيِمْ اللهُ في بيان مرادِه.

* * *

(٥٩) - ﴿ وَإِذَا كِلَغَ ٱلْأَطْفَ لُ مِنكُمُ ٱلْحُلَّمَ فَلْيَسْتَنْذِنُواْ كَمَا ٱسْتَنْذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَنَالِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ اَلْسَتِهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿ وَإِذَا بَكَغَ ٱلْأَطْفَالُ مِنكُمُ ﴾ من الأحرار دون المماليك ﴿ ٱلْمُلْرَ ﴾: الاحتلام، كناية عن بلوغهم حدَّ الرجوليَّة؛ أي: إذا بلغوا وأرادوا الدخولَ عليكم.

﴿ فَلْيَسْتَنْذِنُوا ﴾ في جميع الأوقات ﴿ كَمَا اَسْتَغَذَنَ الَّذِينَ مِن فَبِلِهِمْ ﴾؛ أي: الذين بلغوا الحُلُم مِن قبلهم، وهم الكبار من الأحرار، والذين ذُكروا مِن قبلهم في قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَقَى تَسْتَأْنِسُوا ﴾ الآية، والمعنى: أن الأطفال مأذونٌ لهم في الدخول بغير إذنٍ إلَّا في العورات الثلاث، فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم بلغوا بالاحتلام أو بالسِّنِّ، وجب أن يُفطموا عن تلك العادة، ويُحمَلوا على أن يَستَأذنوا في جميع الأوقات كالكبار من الأحرار الذين لم يعتادوا الدخولَ عليكم إلا بالإذن.

﴿كَذَالِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ اَيَنتِهِ ءُوَاللَّهُ عَلِيثُ حَكِيثٌ ﴾ كرَّره تأكيداً ومبالغةً في الأمر بالاستئذان.

* * *

⁽١) «يعني» سقط من (م).

(٦٠) - ﴿ وَٱلْقَوَاعِدُمِنَ ٱلنِّسَاءَ ٱلَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَامًا فَلَيْسَ عَلَيْهِ بَ جُنَاحُ أَن يَضَعْب ثِيَا بَهُ بَ عَيْرَ مُتَ بَرِّ حَنْتِ بِزِينَ قُرِّ وَأَن يَسْتَعْفِفْ خَيْرٌ لَهُ بَ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيثُ

﴿ وَٱلْقَوَاعِدُمِنَ ٱلنِّسَكَآءِ ﴾: العجائزُ اللاتي قعدنَ عن الحيض والحمل لكِبَرهنَّ؛ فقعودُهنَّ (١) كنايةٌ عن اليَأْس عن التماسِ الناس (٢)، فالتوصيف بقوله: ﴿ ٱلَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكُامًا ﴾: لا يَطمعن فيه، لتقرير هذا المعنى وتأكيده.

﴿ فَلَيْسَ عَلَيْهِ سَ جُنَاحٌ ﴾: إِثْمٌ، ودخلت الفاء لما في المبتدأ مِن معنى الشرط بسبب اللام (٣).

﴿ أَن يَضَعْ ﴾: في أن يضعن ﴿ ثِيابَهُ ﴾؛ أي: الظاهرةَ كالمِلْحَفة والجلباب الذي فوق الخمار.

﴿ عَيْرَ مُتَ بَرِحَىٰ تَبِينِ يَدِ اللهِ أَي: غيرَ مُظهِراتٍ زينةً، يريد الزينة التي أَمَر بإخفائها في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ الآية، أي: لا يقصدن بوضعها التبرُّج ولكن التخفُّف، وحقيقة التبرُّج: التكلُّف في إظهار ما يَخفَى، من قولهم: سفينة (١) بارِجَة: لا غطاءَ عليها، إلَّا أنَّ الذي خُصَّ بتكشيف المرأة زينتُها ومحاسنُها للرجال.

﴿ وَأَن يَسْتَغْفِفْ ﴾؛ أي: يَطلبنَ العفَّة عن وضع الثياب فيسترن ﴿ خَيْرٌ لَهُ كَ ﴾ من وضعها؛ لأنه أبعدُ من التُّهَمة.

﴿ وَاللَّهُ سَكِيعٌ ﴾ لمقالتهنَّ للرجال ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بمقاصدهنَّ.

⁽١) في (ف) و(ي): «قعودهن».

⁽٢) في (ف) و(ك): «عن اليأس عن الناس»، وفي (ي): «عن التماس الناس»، والمثبت من (م) و(ع).

⁽٣) يعني: «ال» التي في «القواعد»؛ أي: الفاء إما لأن (ال) موصولة بمعنى اللاتي، وإما لأنها موصوفة بالموصول. انظر: «روح المعانى» (١٨/ ٤٧٤).

⁽٤) في (ف): «سقيفة».

(٦١) - ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْمِنِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ مَنْ وَ بُيُوتِ الْفَيْدِ عَلَيْ اللّهُ الللّهُ للّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ قال سعيد بنُ المسيّب: كان المسلمون إذا خرجوا إلى الغزو مع النبيِّ عَيَي وَضَعوا مفاتيح بيوتِهم عند الأعمى والأعرج والمريض، وعند أقاربهم، ويأذنونهم أن يأكلوا من بيوتهم، وكانوا يتحرَّجون عن ذلك، ويقولون: نخشى أن لا تكون أنفسُهم بذلك طيبةً، فنزلت الآيةُ رخصةً له (۱).

﴿ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن أَبُوتِكُمْ ﴾ هذا على ظاهره، ولم يُرَدْ به بيانُ الحكم فيه، بل إظهارُ التسويةِ بينه وبين قرنائه، كقوله تعالى: ﴿ وَيُكِلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهَدِ وَكَهُ لَا ﴾ [آل عمران: ٤٦].

﴿أَوْ بُيُوتِ اَلْوَلَاد؛ إحالةً لحالها على الدلالة.

﴿ أَوْ بُيُوتِ وَالمَايِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمُّهَا مِن كُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخُوَاتِكُمْ

⁽۱) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٠)، وروى نحوه البزار (٢٢٤١ _ كشف) من حديث عائشة رضى الله عنها، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيشمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٤).

أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَلَاتِكُمْ ﴾ لأنّ الإذنَ مِن هؤلاء ثابتٌ دلالةً.

﴿أَوْمَا مَلَكَ تُم مَّفَا تِحَمُّهُ جمع: مِفْتَحٍ، وهو ما يُفتَح به الغلق، وأُريد بملكه: كونه في يده وحفظِه، قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: هو وكيلُ الرجل وقيِّمه في ضيعته وماشيته (۱)، له أن يَأكل من ثمر ضيعته، ويشرب من لبنِ ماشيته (۱).

﴿أَوْصَدِيقِكُمْ ﴾: أو بيوتِ صديقكم، وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط، وكان الرجل من السَّلَف يَدخل دارَ صديقه وهو غائب، ويسأل جاريته كيسَهُ، فيأخذ ما شاء، فإذا حَضَرَ مولاها أعتقها سروراً بذلك، فأمَّا الآن فقد غَلب الشُّحُ على الناس فلا يوجد صديق حكمُه هذا، لا أنه يوجد ويتخلَّف عنه الحُكم بغَلَبة الشُّحِ "، وكأنْ لنُّدرة وجودِه عَدَل فيه عن صيغة الجمع.

﴿لَتَسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَن تَأْكُلُوا جَهِيعًا ﴾: مجتمعينَ، وَرَدَ فيمن تحرَّجوا من الاجتماعِ على الطِعام؛ لاختلافِ الناس في الأكل، وزيادةِ بعضهم على بعض.

﴿ أَوْ أَشْ تَاتًا ﴾: متفرِّ قين، جمع: شَتِّ، ورد فيمَن تحرُّ جوا عن الأكل وحده.

﴿ فَإِذَا دَخَلْتُ مُبُوتًا ﴾ من هذه البيوت ﴿ فَسَلِمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمُ ﴾ على أهلِها الذين هم منكم ديناً وقرابةً، وهذا كقوله: ﴿ وَلَا نَقْتُكُوٓ أَ أَنفُسَكُمُ ۚ [النساء: ٢٩]؛ أي: مَن هو مِن جنسكم.

⁽١) في (م): «ومشيئته».

⁽٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٤/ ١٢٤). ورواه بنحوه ابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٤٨).

⁽٣) في هامش (ف) و(ك): «ردُّ لصاحب المدارك في قوله: فأما الآن فقد غلب الشُّحُّ على الناس، فلا يؤكل إلا بإذن».

﴿ تَحِيَّةً ﴾ نصبٌ بـ (سلِّموا)؛ لأنه في معنى: تسليماً، نحو: قعدتُ جلوساً.

﴿ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾: ثابتةً بأمره، مشروعةً من لدنه، ويجوز أن يكون صلةً للتحية، فإنَّها طلبُ الحياة وهي مِن عنده.

﴿مُبَكَرَكَةَ ﴾ لأنها دعوةُ مؤمنٍ لمؤمنٍ بأمر الله تعالى يُرجى بها زيادة الخير والثواب.

﴿ طَيِّبَةَ ﴾ تَطيبُ بها نفسُ المستمِع، وفي حديث أنس رضي الله عنه: قال عليه الصلاة والسلام: «مَتى (١) لقيتَ مِن أُمَّتي أحداً فسلِّم عليه يَطُلُ عمرُك، وإذا دخلتَ بيتَك فسلِّم عليهم يَكثرُ خيرُ بيتك، وصَلِّ صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرارِ الأوَّابينَ (٢).

﴿ كَذَالِكَ يُبَيِّبُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيْتِ ﴾ كرَّره ثالثاً لمزيد التأكيد، وتتميم الأحكام المختتَمة به، وفصلَ الأولَينِ بما هو المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي: الحقُّ والخيرَ في الأمور.

* * *

(٦٢) - ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلِذَا كَانُواْ مَعَهُ عَلَىٓ أَمْرِ جَامِعِ لَمْ يَذْهَبُواْ مَعَهُ عَلَىٰ آمْرِ جَامِعِ لَمْ يَذْهَبُواْ مَعَهُ وَيَسُولِهِ وَإِذَا وَاسْتَعْذَنُوكَ لِبَعْضِ حَتَىٰ يَسْتَغْذِنُوهُ إِنَّ اللَّهِ عَلَىٰ وَرَسُولِهِ وَ فَإِذَا ٱسْتَعْذَنُوكَ لِبَعْضِ حَتَىٰ يَسْتَغْذِنُوكَ لِبَعْضِ مَنْ يَوْمِنُونَ وَإِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ إِن اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللَّهُ عَلَىٰ اللّهُ عَلَىٰ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَىٰ اللّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّ

⁽١) في (ف) و (م): «من».

⁽٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٣٨٣)، وإسناده ضعيف، وأصل الحديث في الصحيح كما ذكر ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٢٠).

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾؛ أي: الكاملون في الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ مَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ مِن صميم قلوبهم.

﴿ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرِ جَامِع ﴾ كالجمعة والأعياد والحروب والمشاورة في الأمور، ووُصِف الأمرُ بالجمع على سبيل المجاز للمبالغة.

﴿ لَمْ يَذْهَبُواْ حَتَىٰ يَسْتَغَذِنُوهُ ﴾؛ أي: ويأذن لهم، ولمَّا أراد أن يُريَهم عِظَم الجناية في الذهاب عن مجلسه عليه الصلاة والسلام إذا كانوا معه على أمر جامع، جعل ترك الذهاب بلا إذن ثالث الإيمان (١) بالله تعالى، والإيمان برسوله عليه الصلاة والسلام، وجعلهما كالتمهيد لذكره، ثم عقّبه بما يزيده توكيداً وتشديداً حيث أعاده على أسلوب آخر أبلغ فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَغْذِنُونَكَ أُوْلَتِهِكَ الَّذِينَ يُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ وضمَّنه شيئاً آخر، وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحَّة الإيمانين، وعرَّض بحال المنافقين وتسلُّلهم لواذاً.

﴿ فَإِذَا أَسْتَتَذَنُوكَ ﴾ في الانصراف ﴿ لِبَغْضِ شَأْنِهِمْ ﴾ ما يَعرِض لهم من الهامِّ (٢٠)، وفيه أيضاً مبالغةٌ وتضييق للأمر.

﴿ فَأَذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ فيه رفعُ شأنه عليه الصلاة والسلام بتفويض الأمر إلى رأيه، ففيه دلالةٌ على أن بعض الأحكام مفوَّض إلى رأيه.

وتقييدُ المشيئة بأن تكون تابعةً لعلمهِ بصدقهِ حتى يكون المعنى: فَأْذَن لمن عَلمت أن له عذراً = تعشُف ظاهر.

⁽١) «الإيمان»: مكررة في (ف).

⁽٢) في (ف): «من الإلهام»، وفي (م): «من المهام».

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَمُنَّمُ ٱللَّهَ ﴾ بعد الإذن، فإن الاستئذان ولو لعذرٍ قصورٌ؛ لأنه تقديمٌ لأمرِ الدنيا على أمرِ الدين.

﴿إِنَ ٱللَّهُ عَنْ فُورٌ ﴾ لفَرَطات العباد ﴿تَحِيثُ ﴾ بالتيسير عليهم.

* * *

(٦٣) _ ﴿ لَا تَجْعَلُواْ دُعَاآءَ ٱلرَّسُولِ يَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ عَنْ اَمْرُوهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَق اللَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرُوهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةً أَق يُصِيبَهُمْ عَذَاكُ ٱلِيدً ﴾.

﴿ لَا تَجَعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمُ كَدُعَاء بَعَضِكُم بَعْضاً ﴾ نهيٌ عن التسوية بين الدعاءين، والمقصود النهيُ عن لوازمها كجواز (١) الإعراض، والمساهلةِ في الإجابة، والرجوع بغير إذن، وذلك لأنَّ المبادرة إلى إجابته واجبةٌ، والمراجعة بغير إذنه محرَّمة.

وحملُ الدعاء على النداء والتسمية، أو على الدعاء عليه (٢)، لا يناسب السباق واللحاق، والفصل بين أجزاء الكلام بالأجنبيِّ من المساق يُخِلُّ بمقتضى البلاغة وحُسْن الاتِّساق.

﴿يَمْلُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ ﴾: يخرجون قليلاً قليلاً من الجماعة، ونظير تسلَّل: تدرَّج وتَدخَّل.

⁽١) في (ع): «بجواز».

⁽۲) أي: لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضاً باسمه، ورفع الصوت به، والنداء من وراء الحجرات، ولكن بلقبه المعظم مثل: يا نبي الله، و: يا رسول الله، مع التوقير والتواضع وخفض الصوت، أو: لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه، فإن دعاءه مستجاب. انظر: «تفسير البيضاوي» (١١٦/٤).

﴿لِوَاذَا ﴾: ملاوذةً، بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج، أو يلوذ بمَن يُؤذَن له فينطلق معه كأنه تابِعُه، وانتصابه على الحال؛ أي: ملاوِذِين.

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنَ آمَرِهِ ﴾ يخالفون أمرَه بترك مقتضاه، و (عن) لتضمَّنه معنى الإعراض، أو: يصدُّون عن أمره دون المؤمنين، والضميرُ لله؛ لأن الأمرَ في الحقيقة له، أو للرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأنه المقصود بالذِّكر.

ومفعول (يحذر): ﴿ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْـنَةً ﴾: محنةٌ في الدنيا.

﴿ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابُ أَلِيمُ ﴾ في الآخرة، و(أو) لمنع الخلوِّ، فلا ينافي الجمع، والآية تدلُّ على أن الأمر للإيجاب.

* * *

(7٤) _ ﴿ أَلَا إِنَ لِلْهِمَا فِي السَّكَوَتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُدْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْ فَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُدْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْ يَعْلَمُ اللهِ عَلَيْمُ اللهِ عَلَيْمُ اللهُ بِكُلِ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

﴿ أَلآ إِنَ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوْتِ وَ الْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ أدخـــل ﴿ قَدْ ﴾ عليه؛ ليؤكّد علمه بما هو عليه من المخالفة عن الدِّين والنَّفاق، ومرجع توكيد العِلم إلى توكيد الوعيد، والمعنى: إن جميع ما في السماوات والأرض مختصَّةٌ به خَلْقاً ومُلْكاً وعِلْماً، فكيف يخفى عليه أحوالُ المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سَترها؟!

﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ﴾: يوم يرجع المنافقون إليه للجزاء؛ أي: ويَعلم يوم يُردُّون إلى جزائه، وهو يوم القيامة.

والخطاب في الكلامين المذكورين يجوز أن يكون جميعاً للمنافقين على

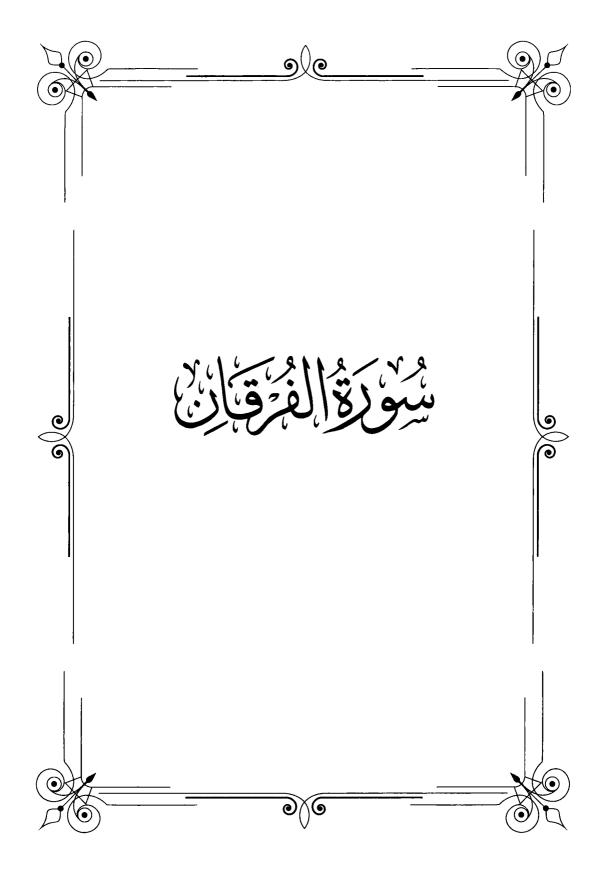
طريقة الالتفات(١)، ويجوز أن يكون الأوَّل عاماً، والثاني خاصاً بهم.

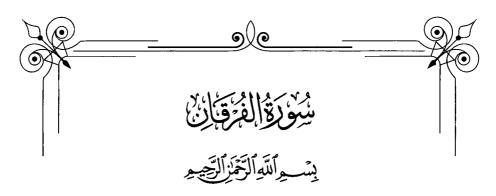
﴿ فَيُلْزِنَّهُم ﴾ يوم القيامة ﴿ بِمَاعَمِلُوا ﴾: بما أبطنوا من سُوء أعمالهم، ويجازيهم حقَّ جزائهم.

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فلا تَخفي عليه خافيةٌ.

* * *

⁽۱) في (م): «الاكتفاء». والمثبت من باقي النسخ، وهو الصواب، قال الآلوسي: فيتحقق التفاتان: التفات من الغيبة في ﴿ يُرْبَحَعُون ﴾. التفات من الغيبة في ﴿ يُرْبَحَعُون ﴾. انظر: «روح المعاني» (۱۸/ ٥٠٠).





(١) _ ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلُ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيرًا ﴾.

﴿ تَبَارَكَ ﴾: تزايد خيرُه وتكاثرَ، أو: تزايدَ عن كلِّ شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله، وهي كلمة تعظيم لم تُستعمل إلَّا لله وحده، والمستعمل منه الماضي فحسب، وترتيبه على إنزال الفرقان لِمَا فيه من كثرة الخير.

﴿ ٱلَّذِي نَزَّلُ ٱلْفُرِّقَانَ ﴾ مرَّ تفسيره في سورة آل عمران.

﴿ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ وقرئ: (على عباده)(١)، وهم رسولُ الله ﷺ وأمَّتُه، أو المرسلون بالكتب السماوية؛ على أن الفرقانَ اسمُ جنسِ.

﴿ لِيَكُونَ ﴾ العبدُ أو الفرقانُ ﴿ لِلْعَلَمِينَ ﴾: للثَّقَلين ﴿ نَذِيرًا ﴾: مُنذِراً، أو: إنذاراً؛ كالنَّكير بمعنى الإنكار.

وهذه الجملة معلومةٌ للرسول عليه الصلاة والسلام، ولا يَلزم أن تكون الصلةُ معلومةً لكلِّ أحدٍ(٢).

⁽۱) نسبت لعبد الله بن الزبير. انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ۱۰۳)، و «المحتسب» (۲/۷۱).

⁽٢) رد على البيضاوي في قوله: (هذه الجملة وإن لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها أجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة). قال الشهاب: هذا بناء على أنّ جملة الصلة لا بد أن تكون معلومة قبل =

(٢) _ ﴿ ٱلَّذِى لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَنَّخِذْ وَلَـدُا وَلَمْ يَكُن لَهُ مَشْرِيكُ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءِ فَقَدَّرَهُ الْقَدِيرَ ﴾ .

﴿ ٱلَّذِي ﴾ رفعٌ على أنه خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أو على الإبدال من ﴿ ٱلَّذِي نَزَّلَ ﴾ أو على المدح، أو نصب عليه.

﴿لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَنَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ على الخلوص(١).

﴿ وَلَوْ يَنَّخِذُ وَلَـ دُا﴾ كما زعم اليهودُ والنصارى ومشركو العرب في العُزَيْر والمسيح ـ عليه السلام ـ والملائكةِ.

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ مُسْرِيكُ فِي ٱلْمُلْكِ ﴾ كما زَعَمت الثَّنُويَّة.

﴿وَخَلَقَكُلَ شَيْءٍ لا كما قالت المجوس: إنَّه تعالى لم يَخلُق الظُّلمة، ولا كما قالت المعتزلة: إنَّه تعالى غيرُ خالقِ لأفعال العباد.

﴿ فَقَدَّرُهُ لَقَدِيرًا ﴾؛ أي: قدَّر كلَّ شيءٍ تقديراً يُوافق الحكمةَ فخلقه، والقلبُ لمحافظة الفاصلة.

* * *

التكلم بها؛ لأنّ تعريف الموصول بما في الصلة من العهد، وفي شرح التسهيل أنه غير لازم وأنّ تعريف الموصول كتعريف الألف واللام يكون للعهد والجنس وأنه قد تكون صلتة مبهمة للتعظيم... وعلى تقدير تسليمه فهذه الجملة معلومة للرسول على وهو المخاطب بها كقوله: ﴿ شُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ ولا يلزم أن تكون معلومة لكل أحد، وما اختاره المصنف رحمه الله من تنزيلها منزلة المعلوم أبلغ لكونه كناية عما ذكر مناسِبةً للرد على مَن أنكر التوحيد والنبوّة). انظر: «حاشية الشهاب» (7/1).

⁽١) في (ف): «الخصوص».

(٣) _ ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ عَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْنًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرَّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوْةً وَلَانْشُورًا ﴾.

﴿ وَأَتَّكَذُوا ﴾ الضمير للكافرين؛ لدلالة ﴿ نَذِيرًا ﴾ عليهم.

﴿ مِن دُونِهِ ٓ ءَالِهَ لَهُ ﴾ لمَّا تضَّمن الكلامُ إثباتَ التوحيد والنبوَّة، أَخذَ في الرَّدِّ على المخالفين فيها:

﴿ لَا يَخَلُقُونَ شَيْتًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ وصف آلهتهم بما يدلُّ على أنَّها لا تَستحقُّ العبادة؛ أي: لا يَقدرون على الخَلْق ومع ذلك هم مخلوقون، وإنَّما قال: ﴿ يُخْلَقُونَ ﴾ إظهاراً لتجدُّد حدوثها، وفيه وجهٌ آخرُ لعدم استحقاقها العبادة.

﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرَّا وَلَا نَفْعًا ﴾ مِلْكُهما كنايةٌ عن القُدرة على التصرُّف فيهما بالدَّفْع والجَلْب، فلا حاجة إلى تقدير مضاف، وتقديم الضَّرِّ لأنَّ دفعه أهمُّ من جَلْب النفع، وإنَّما قال: ﴿ لِأَنفُسِهِمْ ﴾ إظهاراً لغاية عجزهم، فإنَّ مَن لا يقدر على ذلك في حقِّ نفسِه لا يَقدر عليه في حقِّ غيره، بدون العكس.

﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتَا ﴾ قدَّمه على الحياة على عكس ترتيب الوجود؛ لتقديم الضَّرِّ على النفع.

﴿ وَلَا حَيَوْةً وَلَانُشُورًا ﴾ أراد به الإحياءَ بعد الموت؛ أي: إنَّهم بمعزلِ عن الألوهية؛ لعرائهم عن لوازمها واتِّصافهم بما ينافيها، وجعلها كالعقلاء لزعم عابديها.

* * *

(٤) _ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَاۤ إِلَّاۤ إِفْكُ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُ, عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾. ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُو أَإِنْ هَنذَا ﴾: ما هذا القرآنُ ﴿ إِلَّا إِفْكُ ﴾: كَذِبٌ مصروفٌ عن وجهه ﴿ آفْتَرَكُ ﴾: اختَلَقه، يعني: محمداً عليه الصلاة والسلام.

﴿ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ اَخَرُونَ ﴾؛ أي: اليهودُ، فإنّهم يُلقون إليه أخبارَ الأمم وأحوالَ الآخرة، وهو يعبِّر عنه بعبارته.

﴿ فَقَدَ جَآءُو ﴾ جاء يُستعمل في معنى فَعَل فيُعدَّى (١) تعديتَه، وأمَّا حذف الجارِّ وإيصالُ الفعل فلا بُدَّ فيه من السماع.

﴿ طُلْمًا ﴾ بِجَعْلِ الكلامِ المعجِزِ إفكاً مُختلَقاً مُتلقَّفاً من اليهود.

﴿ وَزُورًا ﴾ بنسبةِ ما هو بريءٌ منه إليه، والزُّور: القولُ المائلُ عن القصد.

* * *

(٥) - ﴿ وَقَالُوٓ أَاسَطِيرُ ٱلْأَوۡ لِينَ ٱكۡ تَبَّهَافَ هِي تُمُلِّي عَلْتَهِ بُكُرَّةً وَأَصِيلًا ﴾.

﴿ وَقَالُوٓ أَاسَطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: ما سطَّره المتقدِّمون، وقد مَرَّ بيانُ الأساطير.

﴿أَكْتَبُّهَا ﴾؛ أي: كَتبها بنفسه، أو: اسْتَكْتبها.

وقرئ على البناء للمفعول (٢)؛ لأنه أُمِّيٌ، وأصله: اكتتَبها كاتبٌ له، فحُذف اللام وأفضَى الفعل إلى الضمير، فصار: اكتَتَبها إيَّاه كاتبٌ، ثم حُذف الفاعل وبُني الفعل للضمير، فاستَتر فيه.

﴿ فَهِى تُمُلَى عَلَيْهِ ﴾ أي: تُلقَى عليه من كتابه ليَحفَظَها، فإنَّه أُمِّيٌّ لا يَقدر أن يَكرِّر من الكتاب.

⁽١) في (ي): «فيتعدي».

⁽۲) نسبت لطلحة بن مصرف. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ۱۰۳)، و «المحتسب» (۱۱۷/۲).

﴿بُكُرَةً وَأَصِيلًا ﴾ البُكْرةُ: أوَّلُ النهار، والمراد من الأصيل آخرُه؛ بقرينة المقابَلة.

* * *

(٦) - ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلبِّرَّ فِٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَعَفُورًا رَّحِيًّا ﴾.

﴿ قُلْ أَنْزِلَهُ ٱلذِّى يَعْلَمُ ٱلسِّرَ فِي ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ والسِّرُ: إخفاءُ المعنى في القلب، والمراد: ما في السماوات والأرض مِن خفايا الأحوال(١)، يعني أنَّ في القرآن إخباراً عمَّا لا يَعلمه إلَّا اللهُ تعالى من الجنَّة والنار وما فيهما، ولا تعرُّض لهما في التوراة والإنجيل، ولو كان مأخوذاً من اليهود أو النصارى لم يَزد على ما فيها، وأيضاً فيه إخبارٌ عن الحوادث السماويَّة والأرضيَّة قبل حدوثها، وليس فيها احتمال الأخذ من كتب المتقدِّمين.

﴿إِنَّهُ مُكَانَعَفُورًا ﴾ ساتراً للذُّنوب ومؤخِّراً للانتقام ﴿رَحِيًا ﴾ بالإمهالِ وعدمِ الاستعجال وإدرارِ الإنعام؛ ليتوب بعضهم ويرجعَ عن الإصرار، ويَخرج من أصلاب المصِّرين أصحابُ الاعتبار والاختبار، وزيادة ﴿كَانَ ﴾ لإفادة الدلالة على العادة.

* * *

(٧) - ﴿ وَقَالُواْمَالِ هَاذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِٱلْأَمْوَاقِ ٓ لَوَلَآ أَنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكُّ فَيَكُوْكِ مَعَهُ وَنَذِيرًا ﴾ .

﴿ وَقَالُواْمَالِ ﴾ وقعت اللامُ في المصحف مفصولةً عن الهاء، وخَطُّ المصحفِ سُنَّةٌ لا يغيَّر ﴿ هَلذَا ٱلرَّسُولِ ﴾: ما لهذا الذي يَزعم أنَّه رسولٌ، وفيه استهانة وتهكُّم.

⁽١) في (ك): «الأصول». وفي (ف): «الأصل».

﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى فِ الْأَسُواتِ ﴿ حَالٌ، والعامل فيها ﴿ هَلذَا ﴾، والجملة الأولى كنايةٌ عن غاية الأكل، ولا يَخفى ما فيها من تقبيح الحال الذي يقتضيه مساقُ الكلام، والثانية كنايةٌ عن الغرض من المشي في الأسواق، وهو طَلَب أسبابِ المعاش؛ أي: إن صحَّ أنَّه رسول المَلِك المتعال، فما بالله يَفعل هذه الأفعال؟! يعنون أنه كان يجب أن يكون مَلكاً بريئاً عن لوازم البشريَّة.

ثم تنزَّلوا عن ذلك الاقتراح (١) إلى اقتراحِ أن يكون إنساناً معه مَلَكُ حتى يتساندا في الإنذار، بقولهم: ﴿لَوْلَآ أَنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكُ فَيكُونَ مَعَهُ مُنذِيرًا ﴾.

* * *

(A) - ﴿ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنَّ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةُ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَ الْاَلْطَالِمُونَ إِن تَنَيِعُونَ إِلَّارَجُلًا مَسْحُورًا ﴾.

ثم تنزَّلوا إلى أن يكون مرفوداً بكنزٍ يُلقى إليه من السماء يَستظهِر به و لا يَحتاج إلى تحصيل المعاش فقالوا: ﴿ أَوْ يُلْقَهَ إِلَيْهِ كَنْ أَنْ اللهِ عَنْ اللهِ عَنْ اللهِ عَنْ اللهِ عَنْ اللهِ

ثم تنزَّلوا فقالوا: ﴿أَوْتَكُونُلَهُۥ جَنَّةُ يَأْكُونُهُ اللهِ كَنزُّ اللهِ كَنزُّ اللهِ كَنزُّ اللهِ كَنزُّ اللهِ كَنزُ اللهِ كَنزُ اللهِ كَنزُ اللهِ كَنزُ اللهِ كَنزُ اللهِ كَنزُ اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ اللهُ الل

وأراد بالظالمين في قوله: ﴿وَقَالَ الظَّلِلِمُونَ ﴾ إيَّاهم بأعيانهم، غيرَ أنَّه وضع موضعَ المضمَر تسجيلاً عليهم بالظلم.

⁽١) في (ع): «الاقتران» وكذا في الموضع الآتي.

﴿إِن تَتَبِعُونَ إِلَّارَجُلاً مَسْحُورًا ﴾ سُحِرَ فغُلِب على عقله، فيخيَّل إليه الشيطانُ مَلكاً، وكلامُه وحياً.

* * *

(٩) - ﴿ أَنظُرُ كَيْفَ ضَرَيُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَكَلَّا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾.

﴿ انظر كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ ﴾؛ أي: قالوا فيك تلك الأقوال الغريبة واخترعوا لك تلك الأحوال النادرة ﴿ فَضَلُّوا ﴾ عن طريق الحقّ في جميع ذلك.

﴿ فَ لَا يَسَتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ إلى طعنٍ موجّه (١١)، فيتهافتون ويَخبِطون كالمتحيّر في أمره لا يَدري ما يَصنع، فلا يَجدون سبيلَ هداية ولا يُطيقونه؛ لالتباسه عليهم.

* * *

(١٠) - ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِن ذَلِكَ جَنَّنتِ تَجْرِي مِن تَعْتِهَاٱلْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَكَ قُصُورًا ﴾.

﴿ تَبَارَكُ ٱلَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِن ذَلِكَ ﴾: تكاثَرَ خيرُ الذي إن شَاء (٢) وَهَبَ لك في الدنيا خيراً ممَّا قالوا، ولكن أخَّره إلى الآخرة لأنه خيرٌ وأبقى، وقوله:

﴿جَنَّنتِ تَجْرِي مِن تَعْتِهَ ٱلْأَنْهَاثُو ﴾ بدلٌ من ﴿خَيْرًا ﴾.

﴿ وَيَجْعَلَ لَكَ قُصُورًا ﴾ عطفٌ على محلِّ الجزاء، وقرئ بالرفع (٣)؛ لأن الشرط إذا وقع ماضياً جاز في جزائه الجزمُ والرفعُ، ويجوز أن يكون استئنافاً بوعدِ ما

⁽١) في (ك): «بوجه».

⁽٢) في (ف) و (م): «يشأ».

⁽٣) قرأ بها ابن كثير وابن عامر وشعبة، وقرأ الباقون بالجزم. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٣).

يكون له في الآخرة، وقرئ بالنصب(١) على أنه جوابُ الشرط بالواو.

* * *

(١١) ـ ﴿ بَلْكَذَّبُواْ بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾.

﴿ بَلَكَذَبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾ عطف على ما حُكي عنهم، يقول (٢): بل أتوا بأعجبَ من ذلك كلِّه وهو تكذيبُهم بالساعة، أو متَّصل بما يليه؛ كأنه قال: بل كذَّبوا بالساعة، وكيف يُصدَّقون بتعجيلِ مثلِ ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بها؟!.

﴿ وَأَعْتَدُنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾: وهيَّأنا للمكذِّبين بها ناراً شديدةَ الإسعار، والإسعار: تهييج النار بشدَّة الإيقاد.

* * *

(١٢) - ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِن مَّكَانِ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَمَا تَعَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾.

﴿إِذَارَأَتْهُم﴾: إذا قابَلَتْهم وصارت منهم بقَدْرِ ما يرى منهم الرائي، كقولهم: دُورُهُم تَتَراءَى؛ أي: تتناظر وتتقابل بحيث تكون إحداهما بمرأًى من الآخرى، على المجاز، والتأنيث لأنه بمعنى النار أو جهنّم.

﴿ مِن مَّكَانِ بَعِيدِ ﴾ هو أقصى ما يُمكن أن يرى منه.

﴿ سَمِعُوا لَمَا تَعَيُّظُا وَزَفِيرًا ﴾: صوت تغيُّظٍ، شبَّه صوتَ غليانها بصوت المغتاظ (٣) وزفيره، وهو صوتٌ يُسمَع من جوفه، هذا ما يتراءى في بادئ النظر.

⁽١) نسبت لعبيد الله بن موسى وطلحة بن سليمان. انظر: «المحتسب» (٢/ ١١٧).

⁽٢) في (ف) و(ك) (م): «بقول».

⁽٣) في هامش (ي): «المغتاظ؛ أي: الممتلئ غضباً».

والذي يظهر عند التأمُّل: هو أنه تمثيلٌ (١) من قبيل المجاز التمثيلي الشائع في كلام الله تعالى، شبِّهت النار بمَن له تلك الحال، وذلك في غاية البلاغة، فمفردات الكلام على حالها، وإنما قال: ﴿ لَمَا ﴾ دون: منها، أو: فيها؛ تنصيصاً على ما يتمُّ به التمثيل، وهو أن يكون التغيُّظ والزفير لها لا لِمَا فيها.

* * *

(١٣) _ ﴿ وَإِذَا ٱلْقُواْمِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوًّا هُنَالِكَ ثُبُولًا ﴾.

﴿ وَإِذَا ٱلْقُواْمِنَهَا ﴾ بيان تقدَّم فصار حالاً ﴿ مَكَانًا ﴾: في مكان ﴿ ضَيِقًا ﴾ لزيادة العذاب، فإنَّ الكربَ مع الضيق، كما أنَّ الرَّوحَ مع السَّعَة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه يضيق عليهم كما يضيَّق الزُّجُ في الرُّمْح (٢).

﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾: قُرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، أو يُقرَن مع كلِّ كافر شيطانُه في سلسلةٍ، وفي أرجلهم الأصفاد.

﴿ دَعَواْ هُنَالِكَ ﴾: ثَمَّ ﴿ ثُبُولًا ﴾: هلاكاً؛ أي: يتمنَّون الهلاكَ وينادونه، فيقولون: واثْبُوراهُ؛ أي: تعالَ يا ثبور فهذا حينُك، فيقال لهم:

(١٤) - ﴿ لَّا نَدْعُواْ ٱلْمِوْمَ ثُبُورًا وَحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾.

﴿ لَانَدْعُوا الْيَوَمَ ثُبُورًا وَلَحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ إذ هم أحقًاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يكن هناك قولٌ؛ أي: لا تقتصروا على حزنٍ واحد، بل احزنوا حزناً كثيراً، وكثرته إمَّا لدوام العذاب متجدِّداً، وإمَّا لأنه أنواعٌ، وكلُّ نوعٍ منه يكون ثبوراً لشدَّته وفظاعته.

⁽۱) «تمثيل» من (ی).

⁽٢) انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٦٧)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٢٠٢).

(١٥) - ﴿ قُلْ أَذَ لِكَ خَنْدُ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُنَّقُونَ كَانَتْ لَكُمْ جَزَآءَ وَمَصِيرًا ﴾.

﴿ قُلْ أَذَالِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّ تُمَالُخُ لَدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُنَّقُونَ ﴾؛ أي: وُعدها، فالراجع إلى الموصول محذوفٌ، والمراد من المتقينَ بقرينة المقابلة: مَن يتَقي أنواع الكفر من الشرك والتكذيب.

والإشارة إلى مكان العذاب وهو النار، وإنما قال: ﴿ أَذَالِكَ خَيْرٌ ﴾ ولا خيرَ في النار؛ توبيخاً وتهكُّماً للكفار، ويجوز أن تكون الإشارة إلى الكنز والجنَّة، وإضافة الجنَّة إلى الخلد للمدح لا(١) للدلالة على خلودها؛ لأنها(١) حاصلةً بقوله: ﴿ خَلِدِينَ ﴾ .

﴿كَانَتْ لَكُمْ جَزَآءُ ﴾ على أعمالهم بالوعد الأزلي ﴿وَمَصِيرًا ﴾: مرجعاً.

* * *

(١٦) - ﴿ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُ وَ خَلِدِينَّكَا كَعَلَى رَبِّكَ وَعَدًا مَّسْتُولًا ﴾.

﴿ لَمَّمْ فِيهَا مَايَشَا مُونَ ﴾: ما يشاؤونه من أنواع الملاذِ والمشتهيات، والمشيئة تتبع العلم، فالتفاوت في درجات أهلِ الجنة وأنواع تلذُّذهم بحسب عملهم (٣)، وإنَّما ذكر فيها مع عدم الحاجة إليه؛ للتنبيه بتقديمه على أنَّ حصول كلِّ المشتهيات لا يكون إلا في الجنَّة.

﴿خَلِدِينً ﴾ حالٌ من أحد ضمائرهم.

⁽١) «للمدح لا» سقطت من (ف) و(ك)، و «لا» سقطت من (ع).

⁽۲) في (ع) و(ف) و(ك): «ولأنها».

⁽٣) في (ف) و(ك)، و(م) و(ي): «علمهم».

والضمير في ﴿كَانَ لَهُ لَهُ مَايَشَاءُونَ ﴿، و﴿عَلَى ﴿ في قوله: ﴿عَلَى رَبِّكَ ﴾ استعيرَ لِمَا في منزلة الوجوب في التأكُّد(١) بقرينة الوعد والسؤال، ومَن وَهَمَ أنه على حقيقته؛ لامتناع الخُلْف في وعده تعالى، ثم قال: ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز؛ لأن تعلُّق الإرادة بالموعود مقدّم (٢) على الوعد الموجِب للإنجاز (٣)= فقد وَهِمَ؛ طين لم يفرِق بين الوجوبِ على الله والوجوبِ منه، فإن اللازم حينئذٍ هو الأول، والذي صحَّحه ودفع (١) المحذور عنه هو الثاني.

﴿ وَعَدُا مَسْتُولًا ﴾؛ أي: كان ذلك موعوداً حقيقاً بأن يُسأل ويُطلب، أو: مسؤولاً سأله الناسُ في دعائهم.

* * *

(١٧) - ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَايَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُدُ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِى

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ للجزاء ﴿ وَمَايَعْ بُدُونِ مِن دُونِ ٱللّهِ ﴾ يعمُّ كلَّ معبود سواه، و (ما) وضعُه عامٌّ، ولذلك يُطلَق لكلِّ شبح (٥٠) يُرى (٢٠) و لا يُعرَف، أو يُراد به الوصف، أو لتغليب الأصنام لا تحقيراً؛ لأن المغلَّب عليه من الأنبياء والملائكة لا يَليق ذلك بشأنهم، بل اعتباراً لغَلَبة عبَّادهم.

⁽١) في (ع): «التأكد».

⁽٢) في (م): «يتقدم».

⁽٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (١٢٠/٤).

⁽٤) في (ك): «ووقع».

⁽٥) في (ع): «شيء».

⁽٦) في (ف) و(ك) و(م): «رئي».

وإنما قلنا: يعم تُكلَّ معبودٍ، إذ لا قرينة للتخصيص لا بالأصنام، وذلك ظاهر، ولا بالملائكة والأنبياء؛ لأن كلَّ شيء يَنطِق يومئذٍ، فلا يكون السؤال والجواب قرينةً.

﴿ فَيَقُولُ ﴾ للمعبودين: ﴿ وَأَنتُمُ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِى ﴾ الإضافة لتعظيم جريمة الإضلال، لا لتشريفهم؛ لأنهم مشركون (١٠).

﴿ هَنَوُلاَء ﴾ بدلٌ من ﴿ عِبَادِى ﴾ ، ﴿ أَمْ هُمْ ضَكُوا السّبِيلَ ﴾ لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المُرشِد النّصيح، والاستفهام للتقريع والتبكيت للعبدة، فلذلك قدّم الضمير على الفعل إيلاء َحرفِ (١) الاستفهام للمقصود بالسؤال، وهو الفاعل لا الفعل (١) ، وإنّما حذف صلة (ضلّ) للمبالغة.

* * *

(١٨) _ ﴿ قَالُواْ سُبْحَنَكَ مَاكَانَ مِنْكَ إِنَا أَن نَّتَخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآهَ وَلَكِن مَّتَعْتَهُمْ وَوَاكِنَ مَتَعْتَهُمْ وَءَاكَآءَ هُمْ حَتَى نَسُواْ الدِّحْرَ وَكَانُواْ قَوْمًا بُورًا ﴾.

﴿ قَالُواْ سُبْحَننَكَ ﴾ تعجُّباً ممَّا قيل لهم؛ لأنَّهم إمَّا ملائكة، أو أنبياء معصومون، أو جماداتٌ لا تَقدِر على شيء، أو قصدوا به تنزيه تعالى عن الأنداد.

﴿ مَاكَانَيَ لَبُغِي لَنَآ ﴾؛ أي: ما كان يصحُّ لنا ولا يَستقيم ﴿ أَن نَّتَخِذَ مِن دُونِلِكَ مِنْ

(١) في (م): «لأنهم هم المشركون».

⁽٢) في (ك) و(م): «طرف»، وفي باقي النسخ: «ظرف»، والمثبت من «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٢٠)، وفيه: (ليلي حرفَ الاستفهام المقصودُ بالسؤال وهو المتولى للفعل).

⁽٣) في هامش (ع) و(ف) و(م): «فإن تقديم الفعل يفسد المعنى، ومن غفل عن هذا علَّله بقوله: لأنه محقَّق لا شبهة فيه، ولم يدر أن فيه الإشعار بأن في الفاعل الشبهة، ولا يخفى فساده. منه».

أَوْلِيَاهَ ﴾ للعصمة أو عدم القدرة، فكيف يصحُّ لنا أن ندعو غيرَنا أو أن نتولَّى أحداً دونك.

وقرئ: ﴿ نُتَّخَذَ ﴾ (١) على البناء للمفعول من (اتَّخَذَ) الذي له مفعولان، كقوله تعالى: ﴿ وَالتَّخَذَ اللهُ إِبْرَهِيمَ خِلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥] ومفعوله الثاني ﴿ مِنْ أَوْلِيكَ آهَ ﴾ و ﴿ مِنْ ﴾ للتبعيض؛ لأن (مِن) لا تزاد في المفعول الثاني، بل في الأول، وعلى الأول مزيدةٌ لتأكيد النفي.

ولمَّا تضمَّن قولهم: ﴿مَاكَانَيَلْبَغِيلَنَآ﴾ أنَّا لم نضلَّهم ولم نَحملُهم على الامتناع من الإيمان، صلح أن يستدرك بـ ﴿وَلَكِكن ﴾ فقالوا:

﴿ وَلَكِن مَّتَعْتَهُمْ وَءَابَآ اَهُمْ ﴾ بالأموال والأولاد وطُول العمر والسلامة من العذاب.

﴿حَتَّىٰ نَسُوا الدِّكِرَ ﴾ حتى غَفلوا عن ذِكْرك، أو التذكُّرِ لآلائك.

والواو الفصيحة في ﴿وَكَانُوا ﴾ للعطف على محذوف تقديره: فكفروا ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾: هالكينَ، مصدرٌ وصفَ به، ولذلك يَستوي فيه الجمعُ والواحد، قال ابن الزَّبَعرى في الواحد:

يارسولَ الإله إنَّ لساني راتقٌ ما فَتَقتُ إذ أَنا بُورُ (٢)

* * *

(١٩) - ﴿ فَقَدْ كَذَّ بُوكُم بِمَا نَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرَّفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنْ فَاللهِ مَنْ فَا لَهِ مَا نَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرَّفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنْ فَا فَا مَا اللهِ مَا نَوْقَهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾.

⁽١) قرأ بها من العشرة أبو جعفر. انظر: «النشر» (٢/ ٣٣٣).

⁽۲) انظر: «ديوان عبد الله بن الزبعرى» (ص: ٣٦).

﴿ فَقَدْ صَكَذَّ بُوكُم ﴾ المعنى: فقد كذَّبكم المعبودون، وهذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة، وخاصَّة إذا انضمَّ إليها الالتفاتُ وحُذف القول، وقد سبق تحقيقُ هذا في قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ من سورة المائدة [الآية: ١٩](١).

﴿ يِمَا لَقُولُونَ ﴾ بقولكم فيه: إنَّهم آلهة، أو: هؤلاء أضلُّونا، والباء بمعنى (في)، أو مع المجرور بدل من الضمير.

وقرئ بالياء (٢)، ومعناه: فقد كذَّبوكم بقولهم: ﴿سُبَّحَنَّكَ مَاكَانَيَلْبَغِيلَنَّا ﴾.

﴿ فَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ قرئ بالتاء (٣) على خطاب العابدين ﴿ صَرْفًا ﴾: دفعاً للعذاب عنكم ﴿ وَلَانَصْرًا ﴾ فيُعِينكم عليه.

ثم خاطب المكلُّفين على العموم بقوله:

﴿ وَمَن يَظْلِم مِنكُمْ ﴾ الشرط وإن عمَّ كلَّ مَن كفر أو فسَق، لكنه في اقتضاء الجزاء مقيَّدٌ بعدم المُزاحم وهو التوبة إجماعاً، وبالإحباط بالطاعة والعفو عندنا في الأخير.

﴿ نُذِقَهُ عَذَابَ الحَبِيرَ ﴾ وهو عذاب النار، وفي عبارة ﴿ نُذِقَهُ ﴾ إشارةٌ إلى أن العذاب جسمانيٌّ.

* * *

(٢٠) - ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فَبَلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَكِلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَاۚ كُلُونَ ٱلطَّعَكَامَ وَيَمْشُونَ فِ ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضِ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونِ ۖ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾.

⁽١) لم نقف على هذا الموضع من التفسير، وانظر ما جاء في المقدمة من تفصيل لهذا الأمر.

⁽٢) نسبت لأبي حيوة. انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٠٤).

⁽٣) قرأ بها حفص من السبعة، وقرأ الباقون بالياء. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٣).

﴿ وَمَا آرْسَلْنَا قَبْلُكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسُواقِ ﴾ كُسرَت (إنَّ) لا لأجل اللامِ في الخبر؛ لأنَّ دخولها وخروجها هاهنا سواءً، بل لأنه موضع ابتداء تقديره: إلَّا هم يأكلون، والجملة بعد (إلَّا) صفةٌ لموصوف محذوف، والمعنى: وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلَّا آكلين وماشين، وإنَّما حذف لدلالة ﴿ ٱلمُرْسَلِينَ ﴾ عليه (١)، ويجوز أن يكون حالاً اكتفي فيها بالضمير، وهو جواب لقولهم: ﴿ مَالِهَ الرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِ ٱلْأَسُواقِ ﴾.

﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ ﴾ أَيُّها الناس ﴿ لِعَضِ فِتْنَةً ﴾: ابتلاءً، ولا دلالة فيه على القضاء والقَدَر لأن قوله: ﴿ أَتَصَّبِ وُكَ ﴾ علَّةٌ للجعل لا للتقدير، والمعنى: وجعلنا بعضكم لبعضِ فتنة ليَظهر أيُّكم يَصبر (٢).

ومن الفتنة: أن يَحسد المُبتلَى المعافَى، ويَحقِرَ المعافَى المبتلَى، والصبرُ أن يَحسد المُبتلَى، والصبرُ أن يَحبس كلاهما نفسَه؛ هذا عن البَطر^(٣)، وذاك عن الضجر.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ بصَبْر مَن صَبَر، وضَجَر مَن ضَجِر، أو: بالصواب فيما يَبتلى(٤) به وغيره.

* * *

⁽١) في هامش (ع) و(ف) و(م): «قال في التيسير: وهو كما يقال: ما قدم علينا أمير إلا إنه مكرِم لي، بالكسر. منه».

 ⁽۲) في (ف) و (ك): «أنكم تصبرون»، وفي (م): «أيكم تصبروا»، والمثبت من (ع) و (ي) والبيضاوي.
(۳) في (ع) و (ف) و (ي): «النظر»، وفي (م): «البسطة»، والمثبت من (ك).

⁽٤) في النسخ: «فيمن ابتلى»، والمثبت من المصادر. انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٧٢)، و «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٢٨)، و «تفسير النسفي» (٢/ ٥٣١)، و «البحر» (١٢ / ١٧٨)، و «روح المعاني» (١/ / ٥٨).

(٢١) - ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَتَ بِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَادِ ٱسْتَكْمَبُواْ فِيَ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾.

﴿وَقَالَٱلَّذِينَ لَايَرْجُونَ ﴾ الرجاء: ترقُّب الخير الذي يقوَى في النفس وقوعه، وبهذا القيد الأخير يفارق الأمل.

﴿ لِقَآءَنَا ﴾ بالخير؛ لكفرهم بالبعث، أو: لا يخافون عقابنا؛ إما لأنَّ الراجي قلق فيما يرجوه، كالخائف، أو لأنَّ الرجاء في لغة تِهامة الخوفُ.

واللقاءُ: المصيرُ إلى الشيء من غير حائل، ولهذا صحَّ لقاءُ الجزاء؛ لأن العباد يصيرون إليه في الآخرة، وعلى هذا يصحُّ أن يقال: لا بدَّ مِن لقاء الله تعالى.

﴿ لَوْلَا ﴾: هلَّا ﴿ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَتَ مِكَةً ﴾ رسلاً دون البشر، أو شهوداً على نبوَّته عليه السلام ودعوى رسالته.

﴿أَوْنَرَىٰ رَبُّنَا ﴾ جهرةً فيُخبرَنا برسالته ويأمرَنا باتِّباعه.

﴿ لَقَدِ اَسْتَكْبُرُواْ فِي آَنفُسِهِم ﴾؛ أي: في شأنها، حتى أرادوا لها ما يتفق للأفراد من الأنبياء - الذين هم أكملُ خلقِ الله تعالى في أكملِ أوقاتها - وما هو أعظمُ من ذلك (١).

﴿وَعَتَوْ ﴾ العتوُّ: الخروج إلى أفحشِ الظلم ﴿عُتُوَّاكَبِيرًا ﴾ بالغاً أقصى مراتبه؛ حيث عاينوا المعجزاتِ الباهرةَ فأعرضوا عنها، واقترحوا لأنفسِهم الخبيثةِ ما

⁽۱) قوله: «للأفراد من الأنبياء...»، المراد بالأفراد: عظماؤهم، و(أكمل أوقاتها) هو الوحي بالملائكة لا بإلهام ومنام ونحوه، أو المراد به رؤية الملك جهاراً معايناً على صورته؛ لأنه هو الذي اقترحوه، وضمير (أوقاتها) للأفراد، وأنثه لظاهر الجمع، ولو قال: أوقاتهم، كان أظهر، ويمكن أن يقال: الضمير للنبوّة المفهوم منه، و(ما هو أعظم) رؤية الله عياناً. انظر: «حاشية الشهاب» (٦/ ٢١٤).

سُدَّت دونه مطامع النفوس القدسيَّة، واللام جوابُ قَسَم محذوف، وفي الاستئناف بالجملة حُسْنٌ وإشعار بالتعجُّب (١) من استكبارهم وعتوِّهم، فإن في فحوى هذا الفعل دليل على التعجيب من غير لفظه، ألا يُرى أنَّ المعنى: ما أشدَّ استكبارهم وما أكبرَ عتوَّهم!

* * *

(٢٢) - ﴿ يَوْمَيْرُونَ الْمَلَتِيكَةَ لَابْشَرَىٰ يَوْمَ بِذِلِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا تَحْجُورًا ﴾.

﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَتِ كُمَةَ ﴾: ملائكة الموت أو العذاب، و ﴿ يَوْمَ ﴾ نصب بما دلَّ عليه: ﴿ لَا بُشْرَىٰ ﴾؛ أي: يومَ يَرُون الملائكة يُمنعون البشرى أو يعدمونها(٢).

وقوله: ﴿يَوْمَبِنِ﴾ مؤكّد لـ ﴿ يَوْمَيَرُونَ﴾، أو خبرٌ و﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ تبيينٌ، أو خبرٌ ثانٍ، أو ظرفٌ لِمَا تتعلّق به اللام، أو لـ ﴿بُثْمَرَىٰ ﴾ إن قدّرت منوّنةً غيرَ مبنيَّةٍ مع (لا)، فإنّها لا تعمل، أو بإضمار: اذْكُر، ثم أخبر فقال: لا بشرى بالجنة (٣) يومئذٍ.

وقيل: لا ينتصب بـ ﴿ يَرُونَ ﴾؛ لأنَّ المضاف إليه لا يَعمل في المضاف، ولا بـ ﴿ بُثَرَىٰ ﴾؛ لأنها مصدرٌ، والمصدر لا يَعمل فيما قبله، ولأنَّ المنفيَّ بـ (لا)(٤) لا يَعمل فيما قبل (لا).

﴿ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ ظاهرٌ في موضع ضميرهم؛ تسجيلاً على جرمهم، وإشعاراً بما هو المانع للبُشرى والمُوجِبُ لما يقابلها، أو عامٌ يَتناول حكمُه حكمَهم من طريق

⁽١) في (ك): «بالتعجيب».

⁽٢) تحرفت في النسخ إلى: «يعدمونها». انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٧٣)، و «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٢١).

⁽٣) ليست في (ف) و(ك).

⁽٤) في (ك) و (ي): «و لأن المنفى لا»، وفي (ف): «و لأن النفي لا».

البرهان، ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذٍ نفيُ البشرى بالعفوِ والشفاعةِ في وقتٍ آخر.

﴿وَيَقُولُونَ حِجْراً عَجُورًا ﴾ عطف على المدلول؛ أي: يقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة؛ استعاذة وطلباً من الله تعالى أن يَمنع لقاءَهم، وهي ممّا كانوا يقولونه عند لقاءِ عدوٍّ أو هجوم مكروه، أو يقولها الملائكة بمعنى: حراماً محرَّماً عليكم الجنة أو البشرى.

وقرئ: (حُجْراً) بالضَّمِّ (')، وأصله الفتح أو الكسر، فإنَّهما لغتان فيه، غير أنَّه لمَّا اختصَّ بموضعٍ مخصوصٍ غيِّر (۲)؛ ك: قَعْدَكَ وعمرَكَ (۳)، ولذلك لم يتصرَّف فيه (۱)، ولا يظهر ناصبُه، ووصفه ب ﴿ تَحْبُورًا ﴾ للتأكيد، كقولهم: موتٌ مائِتٌ.

* * *

⁽١) نسبت للحسن والضحاك. انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٤).

⁽۲) قوله: «لما اختص بموضع..» يعني: لما خصوا استعماله بالاستعاذة أو الحرمان صار كالمنقول، فلما تغيّر معناه غيّر لفظه عما هو أصله وهو الفتح إلى الكسر أو الضم لإيهام أنه لفظ آخر كالمرتجل. انظر: «حاشية الشهاب» (۲/ ۲۷).

⁽٣) قوله: «كقعدك وعمرك» (قعدك): بفتح القاف، وحكي كسرها عن المازني [وكذا ضبطت في (ي) بكسر القاف] وأنكره الأزهري، والعين ساكنة يقال: قَعْدَكَ الله، وقَعِيدَكَ الله، بنصب الاسم الشريف لا غير، و(قَعْدَك) منصوب على المصدرية، والمراد: رقيبك وحفيظك الله، ثم نقل إلى القسم فقيل: قَعْدَك الله لا تفعل. وأمّا (عَمْرَكَ الله) فبفتح العين وضمها، والراءُ مفتوحة لأنه منصوب على المصدرية ثم اختص بالقسم. انظر: «حاشية الشهاب» (٦/ ١٧).

⁽٤) قوله: «ولذلك لم يُتصرف فيه»؛ أي: يلزم النصبَ على المصدرية بفعل لازم الإضمار. انظر: «حاشية الشهاب» (٢/٤١٧).

(٢٣) - ﴿ وَقَادِمْنَآ إِلَىٰ مَاعَمِلُواْمِنْ عَمَلِ فَجَعَلْنَ لُهُ هَبَاءَ مَّنثُورًا ﴾.

﴿ وَقَدِمْنَآإِلَىٰ مَاعَمِلُواْمِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَكُ هَبِكَآءَ مَنتُورًا ﴾ لا قدومَ ولا ما يُشبه القدومَ، ولكن مُثَّلت حالُ هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم _ من صلةِ رحم وإغاثةِ ملهوفٍ، وقِرَى ضيفٍ، ونحوِ ذلك _ بحالِ مَن خالَفَ سلطانَه وعَصاه، فقدِم إلى أسبابه وما تحت يديه فأفسدها ومزَّقها كلَّ ممزَّقٍ، ولم يترك لها أثراً.

وعلى هذا يكون الكلامُ المذكورُ تمثيلاً على سبيل الاستعارة، لا الاستعارة (١) في مفرداته، بخلافِ ما إذا كان المعنى: وعَمدنا إلى ما عملوا في كفرهم من المكارم فأحبطناه، فإنه حينئذٍ تكون الاستعارة في المفردات لا في الكلام.

والهباء: الشيءُ المنبثُ الذي تراهُ في البيت من ضوء الشمس، والهباء أيضاً دُقاقُ التراب، ويقال له إذا ارتفع، و﴿مَنتُورًا ﴾ صفته، وليس فيه تشبيهٌ على تقدير التمثيل.

وأمَّا على المعنى الثاني فقد شبَّه به عملَهم المُحبَط في حقارته وعدم نفعه ثَمَّ بالمنثور منه في انتشاره؛ بحيث لا يَقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع.

* * *

(٢٤) - ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ بِإِخَيْرٌ مُسْتَقَرَّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾.

﴿ أَصْحَبُ الْجَنَّةِ يَوْمَ لِإِخَيَّرُ مُّسَتَقَرَّا ﴾ تمييزٌ، والمُستَقَرُّ: المكان الذي يُستَقَرُّ فيه في أكثرِ الأوقات للتجالُس والتحادث.

﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ قال الأزهريُّ: القيلولةُ والمَقيلُ: الاستراحةُ في نصف النهار

⁽١) قوله: «لا الاستعارة» سقط من (ع)، وقوله: «لا» سقط من (م).

وإن لم يكن مع ذلك نومٌ (١)، ورُوي أنه يُفرغُ من الحساب في نصف ذلك اليوم، فيقيلُ أهلُ الجنة في الجنة، وأهلُ النار في النار (٢).

وفي لفظَي (٣) الخيرِ والأحسنِ تهكُّمٌ بهم.

* * *

(٢٥) - ﴿ وَبَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَاءُ مِالْفَكَنِمِ وَنُزِلَّالْلَكَتِمِ كَتُتَنزِيلًا ﴾.

﴿ وَيَوْمَ ﴾: واذْكُر يـومَ ﴿ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ ﴾ أصله: تتشقَّق، فحَذف التـاءَ بعضُهم، وأدغمها في الشـين الآخـرون(٤٠٠).

﴿ بِٱلْغَنَيْمِ ﴾: بسبب طلوع الغمام منها، وهو الغمام المذكور في قوله: ﴿ هَلَ يَظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْفَكَامِ وَٱلْمَلَتِيكَةُ ﴾ [البقرة: ٢١٠].

﴿ وَنُزِّلَ ٱلْمَكَتِمِ كُنَّتَنزِيلًا ﴾ في ذلك الغمام بصحائف أعمالِ العباد.

* * *

(٢٦) - ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَهِ فِي ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَنفِرِينَ عَسِيرًا ﴾.

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَهِ ذِٱلْحَقُّ لِلرَّمْمَنِّ ﴾: الثابتُ له؛ لأنَّ كلَّ مُلْكٍ يومئذٍ يَبطُل ولا يَبقى إلَّا

(۱) انظر: «تهذیب اللغة» (۹/ ۲۳۳).

- (٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣١٣)، والطبري في «التفسير» (١٩/٥٥٦) عن ابن مسعود: أنه كان يقول: والذي نفسي بيده، لا ينتصفُ النهار يوم القيامة حتى يقيل أهلُ الجنة في الجنة، وأهلُ النار في النار، ثم قال: ﴿ أَصْحَبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَ بِي خَيْرٌ مُسْتَقَرُّ وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾.
 - (٣) ليست في (ف) و(ك).
- (٤) قرأ بإدغام التاء في الشين ابن كثير ونافع وابن عامر، وباقي السبعة بحذف التاء. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٣ _ ١٦٤).

مُلْكَه تعالى، فهو الخبر، و ﴿لِلرَّمْنَنِ ﴾ صلته أو تبيينٌ، و ﴿يَوْمَهِـذِ ﴾ معمولُ ﴿ ٱلْمُلْكُ ﴾ لا ﴿ٱلْحَقُ ﴾؛ لأنه متأخّر، أو صفةٌ والخبر ﴿يَوْمَهِـذٍ ﴾ أو ﴿لِلرَّمْنَنِ ﴾.

﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَنْفِرِينَ عَسِيرًا ﴾: شديداً؛ لِمَا يَنالهم من الأهوال والتشديد في السؤال، ثم الخزي والنكال، ثم النار والأغلال، ويُفهَم منه يُسْرُه على المؤمنين، وفي الحديث: «يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاةٍ مكتوبةٍ صلَّوها في الدنيا»(١).

* * *

(٢٧) - ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَكَقُولُ يَلَيَّتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾.

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ مِن فرط الحسرة، وعضَّ اليدين كنايةٌ عن الغيظ والحسرة؛ لأنه من روادفهما، ولإفادة الدلالة على استمرار تلك الحال ضمِّن الفعلُ المذكور معنى الاستقرار، فعدًّاه بـ ﴿ عَلَى ﴾، والمراد بالظالم الجنس، وقيل: عُقْبَة بنُ أبي مُعَيْط.

﴿ يَكُولُ ﴾ جملة في محلِّ النصب على الحال: ﴿ يَكَلِنْتَنِي الْخَذَتُ ﴾ في الدنيا ﴿ مَعَ الرَّسُولِ ﴾ تابعاً له ﴿ سَبِيلًا ﴾ هَداهُ الله إليه، وتنكيره للإشعار بكمال الاتّباع.

* * *

(٢٨) - ﴿ يَنُونِلُتَىٰ لِيْتَنِي لَرُأَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾.

﴿ يَنَوَبِلَتَىٰ ﴾ وقرئ بالياء(٢)، وهو الأصل؛ لأنَّ الرجلَ ينادي ويلته، وهي هَلكتُه، يقول لها: تعالى فهذا أوانُك.

⁽١) رواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (١١٧١٧) من حديث أبي سعيدِ الخُدْريِّ، وحسَّن إسناده الحافظ في «الفتح» (١١/٨٤).

⁽٢) نسبت للحسن وابن قطيب. انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٤).

﴿ لَيْتَنِى لَمُ أَتَّخِذُ فُلَانَّا خَلِيلًا ﴾ يعني: مَن أَضلَّه، و(فلان) كنايةٌ عن الأعلام، كما أنَّ الهَنَ كنايةٌ عن الأجناس.

* * *

(٢٩) - ﴿ لَقَدْأَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّحْرِبَعْدَ إِذْ جَآءَ نِي وَكَابَ ٱلشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولًا ﴾.

﴿ لَقَدْ أَضَلَنِي عَنِ ٱلذِّكِرِ ﴾: عن ذِكْر اللهِ، أو كتابه، أو موعظةِ الرسول، أو كلمة الشهادة ﴿ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِ ﴾ من الله، اعترافٌ بالقصور من جانبه.

﴿وَكَانَ ٱلشَّيَطُنُ ﴾ يعني: الخليلَ المضِلَ، أو إبليسَ؛ لأنه حَمَله على مخالفته ومخالفة الرسول، أو كلَّ مَن تشيطَنَ من الجنِّ والإنس ﴿لِلْإِنسَانِ ﴾ المطيع له ﴿خَذُولًا ﴾ مبالغةٌ في الخذلان؛ أي: من عادته ترك مَن يواليه وقت حاجته إليه.

* * *

(٣٠) = ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَكْرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَلَذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُوزًا ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ ﴾؛ أي: في الدنيا بثًا إلى الله، ولو كان في الآخرة لَمَا عدل عن سَنَنِ ما تقدَّم: ﴿ يَنَرَبِ إِنَّ قَوْمِى ﴾ قريشاً (١) ﴿ التَّخَذُواْ هَاذَا ٱلْقُرُواَنَ مَهْجُورًا ﴾: متروكاً؛ أي: تركوه ولم يؤمنوا به، من الهجران، وهو مفعولٌ ثانٍ لـ ﴿ اَتَّخَذُواْ ﴾.

وفي هذا تعظيمٌ للشكاية وتخويفٌ لقومه؛ لأن الأنبياء عليهم السلام إذا شَكُوا إليه تعالى قومَهم، حلَّ عليهم العذابُ ولم يُنظَروا.

ثم أقبل عليه مسلِّياً وواعداً بالنصرة عليهم فقال:

⁽١) في (ف) و(ك): «أقربائي».

(٣١) - ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَالِكُلِّ نَبِي عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينُّ وَكَفَىٰ بِرَيِّكِ هَادِيكَ وَنَصِيرًا ﴾.

﴿ وَكَذَالِكَ ﴾؛ أي: كما جعلناه لك ﴿ جَعَلْنَالِكُلِّ نَبِي عَدُوَّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينُ ﴾ فاصبر كما صبروا، ومعنى الكلِّية الكثرةُ؛ كما في: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: ٣٣] فلا يُشكِل بآدم عليه السلام؛ فإنه لم يكن مبتلًى بعداوة قومه، والعدوُّ يجوز أن يكون واحداً وجمعاً.

﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكِ هَادِيكَ ﴾؛ أي: إلى طريق الصبرِ المؤدِّي إلى النصر، والباء زائدة، و هَادِيكَ ﴾ تمييزٌ، ويجوز أن يكون حالاً؛ أي: كفي ربُّك في حال الهداية.

﴿وَنَصِيرًا ﴾ لك عليهم.

* * *

(٣٢) ـ ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَا ثُنِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمَّلَةً وَبِعِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَيِّتَ بِهِ ـ فَوَادَكَ ۗ وَرَتَلْنَهُ تَرْتِيلًا ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾؛ أي: أحبارُ اليهود(١): ﴿ لَوَلَا ﴾: هلَّا ﴿ نُزِلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾؛ أي: أُنزل عليه كخبَّر بمعنى أخبر، بدلالة قوله:

﴿ جُمُّلَةُ وَحِدَةً ﴾؛ أي: مُجتمِعاً دفعةً واحدةً كالتوراة والزَّبور، وهذا فضولٌ من القول ومماراةٌ بما لا طائل تحته، وغفولٌ عن مقتضى أصولِ البلاغة؛ من وجوب رعاية المطابقة لمقتضى المقام (٢) في كلِّ جملةٍ من الكلام، ولا تتيسَّر تلك الرعاية عند نزولِ مجموعِ القرآن دفعةً واحدةً والشريعةِ من وجوبِ تقديم المُجمَل والعامِّ

⁽١) في هامش (ف) و(م): «في سورة النساء: ﴿ يَسْتَلُكَ أَهْلُ ٱلْكِنْبِ أَنْ تُنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِنْبًا ﴾. منه».

⁽۲) في (ع) و(ي): «الكلام»، وفي (م): «الحال».

والمنسوخ، وتأخيرِ البيان والخاص والناسخ، ولا يتيسَّر ذلك أيضاً على التقدير المذكور والتذكير من (١) وجوب رعايةِ شرط التكرير، وهو أن يكون في أوقاتٍ متعدِّدة، مع أنَّ للتفرقة فوائدَ:

منها: ما أشار إليه بقوله: ﴿كَذَلِكَ ﴾ جوابٌ لهم؛ أي: أنزلناه إنزالاً كذلك (٢٠)، والإشارة إلى مدلولِ قولهم؛ لأن معناه: لِمَ ينزل عليه القرآنُ مفرَّقاً؟ فأَعْلَمَ أن ذلك ﴿لِنَثَبِّتَ بِهِ عَوْادَكَ ﴾ بتفريقه؛ ليَقْوَى فؤادُك حتى تعيّهُ وتحفظَه؛ لأنَّ المتلقِّن وإن لم يكن أميًّا إنَّما يقوى قلبُه على حفظ العلم شيئًا بعد شيء، ولو أُلقيَ عليه جملةً واحدةً لعَجَزَ عن حفظه.

أو: لنثبّت به فؤادَك عن الضَّجَر بتواتر الأصول، وتتابُع الرسول؛ لأن قلبَ المحبِّ يَسكُن بتواصل كُتُبِ المحبوب، ولأنه إذا نزل منجَّماً وهو يتحدى (٣) بكلِّ نجم فيَعجزون عن معارضته، زاد ذلك قوَّة قلبه.

ومنها: أنَّ نزوله بحسب الوقائع يوجب زيادةَ بصيرة وغوصاً في المعنى(١٠).

ومنها: انضمام القرائنِ الحالية إلى الدلالات اللفظية، فإنه يُعِين على البلاغة، وأما أنَّ الناسخ والمنسوخ لا يجتمعان، وكذا أسباب النزول لا يجتمعنَ، فليس من الفوائد وإن كان من جملة البواعث لذلك.

⁽١) في (ع): «عن».

⁽٢) في (ف) و (ك) و (م): «أنزلناه كذلك إنزالًا».

⁽٣) في (ك): «متحد».

⁽٤) في هامش (ف): «رد لمن قال: لأنه يخالف حال موسى عليه السلام، ثم إن ذلك القائل غافل عن نزول التوراة مكتوباً فهو بمعزل عما نحن فيه. منه».

ويحتمل أن يكون ﴿كَذَالِكَ ﴾ من تمام كلام الكفرة، ولذلك وقف عليه، فيكون حالاً، والإشارة إلى الكتب السالفة، واللام على الوجهين متعلِّق بمحذوف. ﴿وَرَتَلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾: وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تُؤدةٍ وتَمهُّلٍ، وأصله الترتيل في الأسنان وهو تفليجها(١).

* * *

(٣٣) _ ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلِ إِلَّا حِثْنَكَ إِلْفَقِ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾.

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلِ ﴾ سؤالِ عجيبٍ من سؤالاتهم الباطلة، كأنه مَثُلُ في البطلان. ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلِ ﴾ الدافع له ﴿ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا ﴾ وبما هو أحسن بياناً، التفسير: التكشيف عمَّا يدلُّ عليه الكلام.

* * *

(٣٤) - ﴿ اَلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِ هِمْ إِلَى جَهَنَمَ أَوْلَتَهِكَ شَكِّرٌ مَّكَانَا وَأَضَلُ سَبِيلًا ﴾. ﴿ اَلَذِينَ يُحْشَرُونِ ﴾؛ أي: يُساقون ويُجرُّون ﴿ عَلَى وُجُوهِ هِمْ إِلَى جَهَنَمَ ﴾، ذمُّ منصوب أو مرفوعٌ، أو مبتدأً خبرُه:

﴿أُولَئِهِكَ شَكَّرُمَّكَانَا﴾ جعل مكانهم شرَّا ليكون أبلغَ في الدلالة على شرارتهم، وقيل: ﴿مَّكَانَا﴾: مُنصَرَفاً.

﴿وَأَضَكُ سَبِيلًا ﴾ وصفُ السبيل بالإضلال من الإسناد المجازيِّ للمبالغة، والمفضَّل عليه هو الرسولُ عليه الصلاة والسلام على طريقةِ قوله: ﴿قُلْ هَلَ أُنْيَتُكُمُم بِثَرِ مِن ذَلِكَ مَثُونَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَعَنهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ الآية [المائدة: ٦٠]، كأنه قيل: إنَّ

⁽۱) في (ف) و(م): «تقليحها».

حاملَهم على هذه الأسولة(١) تحقيرُ مكانه بتضليل سبيله(٢)، ولا يعلمونَ حالَهم ليعلموا أنَّهم شرٌّ مكاناً وأضلُّ سبيلاً.

* * *

(٣٥) - ﴿ وَلَقَدْ مَانَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَنْ بَوَجَعَلْنَا مَعَ ثُو أَخَاهُ هَنْرُونَ وَزِيرًا ﴾.

﴿ وَلَقَدْ مَانَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَبُ ﴿ التوراةَ ﴿ وَجَعَلْنَا مَعَ مُهُ ﴿ فَي عبارة ﴿ مَعَ مُهُ ﴾ الشارة إلى أصالة موسى عليه السلام في أمر الدعوة ﴿ أَخَاهُ هَدُونِ كَ ﴾ بدل أو عطفُ بيان ﴿ وَزِيرًا ﴾ وهو في اللغة: مَن يُرجَع إليه ويُتحصَّن برأيه، مِن الوَزَر وهو الملجأ، والوزارة لا تنافي النبَّوة ؛ فقد كان يُبعَث في الزمن الواحد أنبياء ، ويُؤمَرون بأن يُوازرَ بعضهم بعضاً.

* * *

(٣٦) - ﴿ فَقُلْنَا أَذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِعَايَدَتِنَا فَدَمَّرْنَهُمْ تَدْمِيرًا ﴾.

﴿ فَقُلْنَا أَذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِعَايَنتِنَا ﴾؛ أي: فرعونَ وقومِه.

﴿ فَدَمَرْنَهُمْ مَدَّمِيرًا ﴾ التدميرُ: الإهلاك (٣) بأمرٍ عجيبٍ، أراد الاختصارَ فاقتصر على حاشيتي القصَّة؛ لأنَّها المقصودُ منها، وهو إلزامُ الحجَّة ببعثة الرسل، واستحقاقُ التدمير بتكذيبهم، فالفاء فصيحةٌ، وهي فاءٌ سببيَّةٌ، ولا يلزمها التعقيب.

* * *

(١) في (ك): «الأسئلة».

⁽٢) في (ف): «سببه».

⁽٣) في (م): «الهلاك».

(٣٧) ـ ﴿ وَقَوْمَ نُوجٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ الرُّسُلَ أَغْرَقْنَهُمْ وَجَعَلْنَهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۚ وَأَعْتَدُنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

﴿ وَقَوْمَ نُوجٍ ﴾ منصوب بفعل مقدَّر يفسِّره هذا الظاهر؛ أي: أغرقنا قومَ نوحٍ، والعامل في ﴿ لَمَّا ﴾ ذلك المحذوف.

﴿ كَنَّبُوا أَلرُّسُلَ ﴾: أنكروا البعثة مطلقاً كالبراهمة.

﴿ أَغْرَفْنَهُمْ ﴾ بالطُّوفان ﴿ وَجَعَلْنَهُمْ ﴾: وجعلنا قصَّتهم ﴿ لِلنَّاسِ ءَايَةً ﴾: عبرةً.

﴿وَأَعْتَدُنَا لِلطَّالِمِينَ ﴾ لقوم نوحٍ عليه السلام، وأصله(١): وأعتدنا لهم، إلَّا أنه أراد تظليمَهم فأُظهروا، وهو عامٌّ لكلِّ مَن ظَلَمَ ظُلْمَ شركٍ، ويتناولهم بعمومه.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ في جهنَّم، وأمَّا عذابهم في البرزخ فغيرُ متراخٍ عن إغراقهم.

* * *

(٣٨) - ﴿ وَعَادَاوَتُمُودَاوَأَصْعَبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَالِكَ كَثِيرًا ﴾.

﴿ وَعَاداً وَثَمُوداً ﴾ عطفٌ على (هم) في ﴿ وَجَعَلْنَهُمْ ﴾، أو على ﴿ لِلطَّالِمِينَ ﴾ لأنَّ المعنى: ووعدنا الظالمين.

وإنَّما صُرفَ (ثمود)؛ على تأويل الحيِّ، أو لأنَّه اسمُ الأبِ الأكبرِ، وقرئ: ﴿وَثَمُودًا ﴾ (٢) على تأويل القبيلة.

﴿ وَأَصْعَبَ ٱلرَّسِ ﴾ هم قومُ شعيبٍ عليه السلام كانوا يعبدون الأصنامَ فكذَّبوا

⁽١) «وأصله»: ليست في (م).

⁽٢) قرأ بها حفص وحمزة، وقرأ الباقون بالصَّرف. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٥).

شعيباً، فبينما هم حول ﴿ ٱلرَّسِ ﴾ _ وهو البئرُ غيرُ المطويَّة (١) _ انهارت بهم، فخُسف بهم وبديارهم.

وقيل: الرَّسُّ: قريةٌ نبيِّهم، فهلكوا وهم أصحاب الرَّسِّ والأُخدود.

﴿ وَقُرُونًا ﴾: وأهلَ أعصارٍ، قد مرَّ تفسير القرون في سورة الأنعام.

﴿ بَيْنَ ذَالِكَ ﴾ إشارة إلى ما ذكر ﴿ كَثِيرًا ﴾ لا يَعلمها إلا الله.

* * *

(٣٩) _ ﴿ وَكُلَّا ضَرَيْنَالُهُ ٱلْأَمْثَالُ وَكُلَّا تَرَيَّا تَنْبِيرًا ﴾.

﴿ وَكُلَّا ضَرَبْنَالَهُ ٱلْأَمْثَالِ ﴾ بيّنًا له القصصَ العجيبةَ من الأمم التي كانت قبلهم؛ أي: حذّرنا كلّ أمة أن يَنزل بها ما نزل بمَن قبلها، فلمّا أصرُّوا أُهلكوا، كما قال:

﴿ وَكُلَّ مَرَّنَا تَنْبِيرًا ﴾؛ أي: أهلكنا إهلاكاً، وأصلُ التَّتبيرِ: التفتيتُ، ومنه: التِّبر، لِفُتاتِ الذهبِ والزجاج.

و(كلًّا) الأوَّل منصوب بما دلَّ عليه ﴿ مَنَرَيْنَالُهُ ٱلْأَمَّنَالُ ﴾، وهو: أنذرْنا، أو: حذَّرنا، والثاني بـ ﴿ تَبَرَنَا﴾ لأنه فارغ له.

* * *

(٤٠) _ ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرِيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَكَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلَ كَانُواْ لَا مَرْجُونَ نُشُورًا ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَتَوَا ﴾ يعني: أهلَ مكَّة ﴿ عَلَى لَقَرْيَةِ ﴾ سَدُوم، وهي أعظمُ قرى قومِ لوط عليه السلام.

⁽١) أي: غير المبنية، يقال: طويت البئر، إذا بنيتَها بالحجارة.

﴿ اَلَّتِي ٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾؛ أي: أُهلكت بالحجارة، و ﴿ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾ مفعول ثانٍ، والأصل: أُمطرت القريةُ مطراً، أو مصدر محذوف الزوائد؛ أي: إمطارَ السَّوء.

﴿أَفَكُمْ يَكُونُواْ يَكُونُواْ يَكُونُهُمَا ﴾ في مِرَارِ مرورهم فيتَّعظون بما يَرَون فيها من آثار عذابِ الله تعالى.

﴿بَلْكَانُواْلَايَرْجُونَ نُشُورًا ﴾: بل كانوا كفرةً لا يخافون(١) نشوراً، فلذلك لم يَنظروا ولم يتَّعظوا.

* * *

(٤١) = ﴿ وَإِذَارَأَوْكَ إِن يَنْخِذُونَاكَ إِلَّا هُـزُوًّا أَهَاذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾.

﴿ وَإِذَارَأَوْكَ إِن يَنَّخِذُونَكَ ﴾: ما يتَّخذونك ﴿إِلَّاهُـٰزُوًا ﴾: موضعَ هُـزُوٍ، أو: مَهـزوءاً به.

﴿ أَهَاذَا ﴾ محكيٌّ بعد القول المضمَر، و(هذا) استصغارٌ واستحقار؛ أي: قائلين: ﴿ أَهَاذَا ﴾.

﴿ اللَّذِى بَعَكَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ والعائدُ إلى ﴿ الَّذِى ﴾ محذوف؛ أي: بعثه الله، وإخراجُه في معرض التسليم بجعله صلةً وهم في غاية الإنكارِ تهكُّمٌ واستهزاءٌ.

* * *

(٤٢) - ﴿ إِن كَادَلَيْضِلُنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عِيدَ مَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.

⁽١) في (ف): «لا يرجون».

﴿ إِنكَادَ﴾: إنَّه كاد ﴿لَيُضِلُنَاعَنَ اللهَتِنَا ﴾: ليَصرفُنا عن عبادتها(١) ﴿لَوَلَا اللهِ فِي اللهِ عَلَى فرط مجاهدةِ الرسول عليه الصلاة والسلام في دعوتهم وعَرْضِ المعجزاتِ عليهم، حتى شارفوا ـ بزَعْمهم ـ أن يَتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرطُ لجاجِهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم.

ولمَّا عَدُّوا عبادتهم الأصنام رشاداً واعتقدوا صرفهم عنها ضلالاً، أوعدهم الله تعالى فقال:

﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُ سَبِيلًا ﴾ فيه وعيدٌ ودلالةٌ على أنَّه لا يُهملِهم وإنْ أمهلهم.

* * *

(٤٣) - ﴿ أَرَءَ يَتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَنهَ أَهُ مَوْنِكُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾.

﴿ أَرَّ يَتَكَنِ ٱتَخَذَ إِلَاهِ مُرهَوَى هُ ﴾ ؛ أي: مَن أطاع هواه فيما يأتي ويَذَر، فهو عابدُ هواه وجاعلُه آلهةً، فيقول لرسوله: هذا الذي لا يَرى معبوداً إلَّا هواهُ كيف تستطيع أَنْ تَدعوه إلى الهدى، وإنَّما قدَّم المفعول الثاني للإشعار بأنَّ المعبودَ حقُّه التقديمُ والتعظيم، فهم أَخلُّوا بحقِّه حيث اتخذوا أهواءَهم آلهةً (١٠).

﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾؛ أي: حفيظاً تحفظه عن متابعة هواهُ وعبادةِ ما يهواهُ، أو: أفأنت تكون عليه موكّلاً فتصرِفَه عن الهوى إلى الهدى، عرّفه أنّ إليه التبليغ فقط، فالاستفهام الأول للتعجُّب والتقرير، والثاني للإنكار.

⁽١) في (م): «عبادتنا».

 ⁽٢) في هامش (ع) و(ف) و(م): «ومن زعم أنه قدِّم لمجرَّد العناية، فكأنَّه عن أن مثل هذا التقديم لا
يكون بسلامة الأمر. منه».

(٤٤) _ ﴿ أَمْ تَعْسَبُ أَنَّ أَكُثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّاكَا لَأَنْعَنَمَ بَلْ هُمْ أَضَلُ سَكِيلًا ﴾.

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكُثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ فيُجدي لهم الآياتُ أو الحِجَجُ فتهتمَّ بشأنهم وتطمعَ في إيمانهم.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّكَا لَأَنَكُمْ إِلَّا كَالْأَنَكُمْ اللَّهُ مُأْضَلُ سَبِيلًا ﴾ (أم) منقطعة، معناه: بل أتحسب، كأنّ هذه المذمّة أشدُّ من التي تقدَّمتْها حتى حُقّت بالإضراب عنها إليها، وهي كونهم مسلوبي الأسماع والعقول؛ لأنّهم لا يُلقُون إلى استماع الحقِّ أُذُناً، ولا إلى تدبُّره (١) عقلاً، ومشبّهين بالأنعام التي هي مَثلٌ في الغفلة والضلالة، فقد رَكِبهم الشيطانُ بالاستزلال لتركهم الاستدلال.

ثم هم أَرجحُ ضلالةً منها؛ لأنَّ الأنعامَ تُسبِّح ربَّها وتسجد له، وتطيع مَن يَعلفها، وتعرف مَن يُحسِن إليها ممَّن يُسِيءُ إليها، وتطلب ما ينفعها وتجتنبُ ما يضرُّها، وتهتدي لمراعيها ومشاربها، وهؤلاء لا ينقادونَ لربِّهم ولا يَعرفون إحسانه إليهم مِن إساءةِ الشيطان الذي هو عدوُّهم، ولا يطلبون الثوابَ الذي هو أعظمُ المنافع ولا يتَّقون العقاب الذي هو أشدُّ المضارِّ، ولا يهتدون للحقِّ الذي هو المَشْرع الهنيُّ والعَذْب الرَّويُّ.

وإنَّما ذكر الأكثر؛ لأنَّ فيهم مَن لم يصدَّه عن الإسلام إلَّا حبُّ الرئاسة، وكفى به داءً عضالاً، ولأنَّ فيهم مَن آمَنَ.

* * *

⁽۱) في (ك): «نذيره».

(٤٥) _ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكِ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُ. سَاكِنَا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ ﴾: أَلَم تنظر إلى صُنع ربِّك وقُدْرته ﴿ كَيْفَ مَذَالظِّلَ ﴾؛ أي: بَسَطه فعمَّ الأرضَ؛ وذلك من حينِ طلوع الفجر إلى وقتِ طلوع الشمس في قول الجمهور، ولأنَّه ظلُّ ممدودٌ لا شمس معه ولا ظُلْمة، وهو أطيب الأحوال، فإنَّ الظُّلْمة الخالصة تُنفِّر الطبع وتسدُّ النظر، وشعاعَ الشمس يُسخِّن الجوَّ ويُبهِر البصر، ولذلك وَصَف به الجنة فقال: ﴿ وَظِلِّ مَ مَدُودٍ ﴾ [الواقعة: ٣٠].

﴿ وَلَوْ شَآءً لَجَعَلَهُ مُسَاكِكًا ﴾: ثابتاً دائماً لا يَزول ولا تُذهِبه الشمسُ، وفيه دليلٌ على أنه تعالى يَفعل بالقدرة والاختيار لا بالإيجاب والاضطرار.

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّنْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ لأنه بالشمس يُعرَف الظِّلُ، ولولا الشمسُ لَمَا عُرفَ الظِّلُ، فالأشياء تُعرَف بالأضداد.

* * *

(٤٦) - ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾.

﴿ ثُمَّ قَبَضَنَهُ ﴾ القَبْض: جَمْعُ المنبسطِ من الشيء، والمراد: إزالتُه بإيقاع الشيء موقعَه.

﴿إِلَيْنَا ﴾؛ أي: حيث أردنا.

﴿ فَبَضَّا يَسِيرًا ﴾: سهلاً، أو قليلاً قليلاً.

وجاء بـ ﴿ ثُمَّا ﴾ في الموضعين؛ لتفاضُل الأمور.

(٤٧) - ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسَا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ شبَّه ظلامَه الساترَ باللباس.

﴿ وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾: راحةً للأبدان بقطع المشاغل، وأصلُ السَّبْتِ: القَطْعُ، والنائمُ مسبوتٌ؛ لأنه انقطع عملُه وحركتُه.

﴿ وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾: ذا نشور؛ أي: انبعاثٍ من النوم، كنشُور الميت، أو يَنشُر فيه الخَلْقَ للمعاش.

وفي هذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق إظهارٌ لنعمته على خَلْقه، فإن في الاستجنان (١) بستر الليل فوائد دينيَّة ودنيويَّة، وفي النوم واليقظة الشَّبِيهين بالموت والحياة عبرةً لمن اعتبر.

* * *

(٤٨) _ ﴿ وَهُوَ الَّذِي آَرْسَلَ الرِّيِكَ بُشْرًا بَيْكَ يَدَى رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾.

﴿ وَهُو اللَّذِى آرْسَلَ الرِّيَاحَ ﴾ وقرئ على التوحيد (٢)؛ إرادة للجنس ﴿ نُشُراً ﴾ ناشراتٍ للسَّحاب، جمع: نَشُور، وقرئ بالفتح على أنه مصدرٌ وصفت به، وقرئ: ﴿ بُنْمُ رَا ﴾ تخفيف بُشُر (٢)، جمع: بَشُور، بمعنى مُبشِّر.

⁽۱) في (ع) و(ي): «الاحتجاب»، وفي (ف): «الاستحباب». واضطرب رسمها في (م)، والمثبت من (ك).

⁽٢) قرأ بها ابن كثير، وقرأ الباقون بالجمع. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٥).

⁽٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: ﴿نُشُراَ﴾ بضم النون والشين، وابن عامر: ﴿نُشْراَ﴾ بضم فسكون، وعاصم: ﴿بُشْراً﴾ بالباء، وقرأ الباقون: ﴿نَشْراً﴾ بفتح فسكون. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٥).

﴿بَيْنَ يَدَى رَحْمَتِهِ ﴾: قد المطر؛ لأنه ريح ثم سحاب ثم مطر، وهذه استعارةٌ مَليحةٌ.

﴿ وَأَنزَلْنَا مِن السَّمَآءِ مَآءَ طَهُورًا ﴾: بليغاً في طهارته، وذلك لأنّه لم يَشُبهُ شيءٌ، بخلاف ما نَبَعَ من الأرض ونحوه، فإنّه يَشوبُه أجزاءٌ أرضيّةٌ مِن مَقرّه أو مِن ممرّه، أو ممّنا يُطرَح فيه، وقيل: مُطهّراً لقوله: ﴿ لِيُطَهِّرَكُم بِهِ ٤ ﴾ [الأنفال: ١١]، وهو اسمٌ لِمَا يُتطهّر به، كالوضوء لَمَا يُتوضّا به، قال عليه الصلاة والسلام: «الترابُ طهورُ المؤمنِ» (١).

* * *

(٤٩) ـ ﴿ لِنُحْتِيَ بِهِ - بَلْدَةً مَّيْنَا وَيُشْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَنَمُا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾.

﴿ لِنُحْدِي بِهِ ﴾ بالنباتِ ﴿ بَلْدَةً ﴾ ذكّر ﴿ مَيْنَا ﴾ على إرادة البلد والمكان، أو لأنّه غير جارِ على الفعل كسائر أبنية المبالغة، فأُجري مجرى الجامد.

﴿وَنَسُقِيَهُ مِمَّاخَلَقْنَآ أَنْعَكُمَا وَأَنَاسِى ٓكَثِيرًا ﴾ وقرئ: (ونَسْقِيَه)(٢)، وسَقَى وأَسْقَى لغتان، والأناسيُّ: جمع إِنْسِيٍّ على القياس، ككِرْسيٍّ وكَراسيَّ، أو: إنسانٍ، وأصله: أناسِين، كَسِرْحان وسَراحين، فأُبدلت النونُ ياءً وأُدغمت.

وقدِّم إحياء الأرض على سقي الأنعام والأناسيِّ لأنَّ حياتها سببٌ لحياتهما، فقدِّم سبب حياتهما على سقيهما.

⁽١) رواه أبو داود (٣٣٣)، والترمذي (٢٠٤)، ولفظه: «إنَّ الصَّعيدَ الطَّيِّبَ طَهورٌ، وإن لم تَجِدِ الماءَ إلى عَشرِ سِنينَ. . »، من حديث أبي ذرِّ الغفاري، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

⁽٢) قرأ بها ابن مسعود، والأعمش والمفضل في رواية عن عاصم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٥). والمشهور عن عاصم كقراءة الجماعة.

وتخصيصُ الأنعامِ مِن بين الحيوانِ الشارب؛ لأنَّ عامَّةَ منافع الأناسيِّ متعلِّقةٌ بها، فكان الإِنعامُ بسقي الأَنعام كالإِنعام بسقيهم.

وتنكيرُ الأنعام والأناسي ووصفُهما بالكثرة؛ لأنَّ أكثر الناس مُنيخون بالقُرب من الأودية والأنهار، فيهم غُنيةٌ عن سقي الماء، وأعقابهم ـ وهم كثيرٌ ـ يعيشون بما ينزل من رحمته.

وتنكيرُ البلدة؛ لأنَّه يريد بعضَ بلاد هؤلاء المتبعِّدين(١) عن مظانِّ الماء.

ولمَّا كان سقيُ الأناسيِّ من جملة ما أُنزِل له الماءُ وَصَفه بالطَّهور؛ إكراماً لهم، وبياناً أنَّ من حقِّهم أن يُؤثِروا الطهارةَ في بواطنهم وظواهرهم؛ لأنَّ الطهوريَّةَ شرطٌ للإحياء.

* * *

(٠٥) - ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفَنُهُ بَيْنَهُمْ إِينَا كُرُوا فَأَيْنَ أَكُمْ أَلْنَاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾.

﴿ وَلَقَدْ صَرِّفْنَهُ بَيْنَهُمْ ﴾: صرَّفنا هذا القولَ بين الناس في القرآن وسائرِ الكُتُب المنزلة على الرسل.

﴿لِيَذَّكَّرُوا ﴾: ليتفكَّروا ويعتبروا، أو يعرفوا كمالَ القدرة وحقَّ النعمة فيَشكروا.

﴿ فَأَبَى آَكَ أَكَ آَكَ أَكَ آَلنَاسِ إِلَّا كُنُورًا ﴾: فأبى أكثرُهم إلَّا كفران النعمة وقلَّة الاكتراث لها، وإنَّما عدل عن الضمير لكيلا يُتوهَّم أنَّ المرادَ أكثرُ ذلك الكثيرِ.

أو: صرَّفنا المطرَ بينهم في البلدان المختلفة والأوقاتِ المتغايرة على الصفات المتفاوتة مِن وابلٍ وطَلِّ وجَودٍ ورذاذٍ ودِيْمَة، فأَبُوا إلَّا كفوراً، وأن

⁽١) في (م): «المبعدين».

يقولوا: مُطِرنا بنَوءِ كذا، ولا يذكروا صنعَ الله تعالى ورحمته، وعن ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما: ما مِن عامٍ أقلُ مطراً من عامٍ، ولكن الله يُصرِّفه حيث يشاء، وقرأ الآية (١).

* * *

(٥١) - ﴿ وَلَوْ شِنْنَالْبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾.

﴿ وَلَوْشِئْنَالَبَعَثْنَافِ كُلِّ قَرْبَيَةٍ تَذِيرًا ﴾: نبيًّا يُنذِر أهلها، يعني: أنَّ المقصودَ من البعثة إبلاغُ الدعوة وإلزامُ الحجة، لا الاهتمامُ في أمر الهداية وقَبولها، وإلَّا لفعلنا ما هو أدعى لذلك من دعوة كلِّ أهلِ قريةٍ بنذيرٍ مستقلً.

* * *

(٥٢) _ ﴿ فَلَا تُعِلِعِ ٱلْكَنْفِرِينَ وَجَنْهِ دَهُم بِهِ عِهَادًا كَبِيرًا ﴾.

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَنْفِرِينَ ﴾؛ أي: فلا تُوافِق هواهُم في بعض الأمور؛ ابتغاءً لقَبولهم الدعوة ودخولِهم في طريق الهداية.

وأمَّا ما قيل: نبيًّا يُنذِر أهلَها فيخفُّ عليكَ أعباءُ النبوَّة، لكن قَصَرْنا الأمرَ عليكَ تعظيماً لشأنك وتفضيلاً لكَ على سائر الرسل، فقابِلْ ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة، فلا تُطع الكافرينَ فيما يريدونك عليه.

فيَرِدُ عليه: أنَّ موجَب ذلك العطفُ بالواو دون الفاء، على ما أَفصحَ عنه مَن قال: فقابل ذلك بالتشدُّد والتصبُّر، ولا تُطع الكافرين، ولم يَدْرِ أنَّ فيه تغييراً لنَظْم القرآن وإثباتاً للقصور فيه.

⁽١) رواه الطبري في «التفسير» (١٧/ ٦٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٢٠) وصححه.

﴿ وَجَهِ مِهِ عَنِي: أَنَّهم يِعِ اللهِ عَلَيْهِ ﴿ فَلَا تُطِع ﴾ يعني: أنَّهم يجتهدون في إبطال حقِّك، فقابِلْهم بالاجتهاد في مخالفتهم (١) وإزاحة باطلهم.

﴿ حِهَادًا كَ بِيرًا ﴾ لأنه جهادٌ مع كلِّ الكفرة، على ما فُهم ممَّا سبق مِن بعثه إلى (٢) جميع القرى وجملة الأمم.

ثم عاد إلى تعداد النِّعَم فقال:

(٥٣) _ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَٱلْبَحْرَيْنِ هَلَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَلَذَا مِلْحُ أَجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرَزَخَاوَجِجْرًا مُحْجُورًا ﴾.

﴿ وَهُو ٱلَّذِي مَرَجَاً ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾: خلَّاهما متجاورين متلاصقين، تقول: مرجتُ الدَّابَّة، إذا خلَّيتَها ترعى، وسمَّى الماءَين الكثيرين الواسعين بحرين.

﴿ هَٰلَاَاعَذْتُ فُرَاتُ ﴾ قامعٌ للعطش مِن فرط عذوبته.

﴿ وَهَٰذَا مِلْحُ أَجَاجٌ ﴾ بليغُ الملوحة، وقرئ: (مَلِحٌ) على فَعِلٍ (٣)، ولعلَّ أصله: مالح، فخفّف، كبَرِدٍ في بارد، وقد نقل الأزهريُّ عن الكسائيِّ صحَّةَ: مالح، وإن كان المليحُ الفصيحُ: مِلْح (١٠).

﴿ وَجَعَلَ بِنَنَّهُمَا بَرْزَخَا ﴾: حاجزاً من قُدرته.

﴿ وَجِجْرًا تَحْجُورًا ﴾: وتنافراً بليغاً، كأنَّ كلًّا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوِّذ

⁽١) في (ف) و(م): «مقابلتهم».

⁽٢) في (ك): «بعثته إلى»، وفي (م): « بعثه على».

⁽٣) نسبت لطلحة بن مصرف وقتيبة عن الكسائي في غير المشهور عنه. انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٥)، و «المحتسب» (٢/ ١٢٥).

⁽٤) انظر: «تهذيب اللغة» (٥/ ٦٤)، والنقل فيه عن أبي الدقيش لا عن الكسائي.

عنه، أو: ستراً ممنوعاً عن الأعين، كقوله: ﴿حِجَابًامُّسْتُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥].

* * *

(٤٥) - ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ مُسَبًا وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾: من النطفة ﴿ بَشَرًا ﴾ لم يقل: إنساناً، لأَّن حقيقته وهو الروح غيرُ مخلوق منها.

﴿ فَجَعَلَهُ لَسَبًا وَصِهْراً ﴾ أراد تقسيم البَشَر قِسْمَين:

ذوي نَسَب؛ أي: ذكوراً يُنسَب إليهم، فيقال: فلان بنُ فلانٍ، وفلانةُ بنتُ فلانٍ. وذوات صهر؛ أي: إناثاً يُصاهَر بهنَّ، وهو كقوله: ﴿ فَعَمَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأَنْيَ ﴾ [القيامة: ٣٩].

﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ حيث خَلَقَ من النطفة الواحدة تَوأُمَيْن ذكراً وأنثى.

* * *

(٥٥) - ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ عظَهِ يرًا ﴾.

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ ﴾ إنْ عبدوه ﴿ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ إنْ تركوه.

﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ عَلَى رَبِّهِ عَلَى معصيته ﴿ ظَهِيرًا ﴾ مُعيناً ومظاهراً، يعني: للشيطان، وفَعِيل بمعنى مفاعل غيرُ عزيزٍ.

* * *

(٥٦) _ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَكَ إِلَّا مُبَيِّمُ إِ ﴾ للمطيعين ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ للعاصين؛ كافراً كان أو مؤمناً.

(٥٧) - ﴿ قُلْمَاۤ أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِمِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَكَآءَ أَن يَتَخِذَ إِلَى رَبِهِ عَسَيلًا ﴾. ﴿ قُلْمَاۤ أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ الذي دلَّ عليه ﴿ إِلَّا مُبَشِّرًا وَيَذِيرًا ﴾.

﴿مِنْ أَجْرٍ ﴾: جُعْلٍ ﴿إِلَّا مَن شَكَآءَ ﴾: إلَّا فعلَ مَن شاء ﴿أَن يَتَخِذَ إِلَى رَبِهِ عِسَيلًا ﴾: أن يتقرَّب إليه ويَطلُب الزُّلفي عنده بالإيمان والطاعة، فصوَّر ذلك بصورة الأجر من حيث إنَّه مقصودٌ فِعْلُه، واستثناه منه قلعاً لشُبهة الطمع، وإظهاراً لغاية الشفقة، حيث اعتدَّ بإنفاعك نفسَك بالتعرُّض للثواب والتخلُّص عن العقاب أجراً وافياً مرضيًّا به، مقصوراً عليه، وإشعاراً بأنَّ طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث إنها بدلالته (۱).

* * *

(٥٨) _ ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمَّدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِنُثُوبِ عِبَادِهِ ـ خَبِيرًا ﴾.

﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى اَلْحَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ ا

⁽۱) قوله: «اعتد» الضمير للنبي على وضمير «إنفاعك» لغير معيَّن، والمراد: كل مؤمن مبلَّغ، والإنفاع لم يوجد في اللغة، وإنما فيها النفع، ولذلك غلط البيضاوي في استعماله، و«بالتعرض» متعلق به، فهو كقول ذي شفقة عليك قد سعى لك في تحصيل مال: ما أطلب منك ثواباً على ما سعيت إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه. وقوله: «أجراً» منصوب بـ«اعتد» لتضمنه معنى الجعل، وكونه وافيا أي: تامّا مرضياً لحصره فيه لعدم الاعتداد بغيره. وقوله: «به» متعلق بـ«مرضيا» لتضمنه معنى قانعاً، أو الباء زائدة وضمير عليه للأجر أو للرسول عليه وكون طاعتهم تعود عليه من جعلها أجرا له. انظر: «حاشية الشهاب» (٦/ ٤٣٢).

﴿ وَسَيِّحَ ﴾ ونزِّه عن أن يَكِلَ إلى غيره مَن توكَّل عليه ﴿ عِمَدُوهِ ﴾: بتوفيقه الذي يُوجب الحمدَ.

﴿وَكَفَىٰ بِهِ، بِنُنُوبِعِبَادِهِ، ما ظَهَر منها وما بَطَن ﴿خَبِيرًا ﴾: مطَّلعاً، يعني: أنَّه عالمٌ بأحوالهم، كافٍ في جزاء أعمالهم.

* * *

(٥٩) - ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ آَيَّامِ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَنُ فَسَّتُلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾.

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَافِي سِنَّةِ أَيَّامِ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ قد سبق الكلام فيه، وذكره هنا لزيادة تقريرٍ لكونه حقيقاً بأنْ يُتوكَّل عليه من حيث إنه الخالق للكُلِّ والمتصرِّف فيه، وتحريضٌ على الثبات والتأنِّي في الأمور، فإنه تعالى مع كمال قدرته وسرعةِ نفاذِ أمره في كلِّ مراد خَلَقَ الأشياء على تؤدةٍ وتدرُّج.

﴿الرَّحْمَانُ ﴾ خبر لـ ﴿ الَّذِي ﴾ إنْ جُعل مبتداً، أو لمحذوفٍ إنْ جعل صفةً لـ ﴿الْحَيِّ ﴾، أو بدلاً من المستكنِّ في ﴿السَّتَوَىٰ ﴾، وقرئ بالجَرِّ (١) صفةً لـ ﴿الْحَيِّ ﴾.

﴿ فَسَّتُلْ بِهِ عَلَى السَوَالَ كَمَا يَعَدَّى بِ (عَنَ) لَتَضَمُّنه مَعْنَى البَحْثُ والاستفسار، يُعدَّى بالباء لتضمُّنه معنى الاعتناء، قيل: إنَّه صلة ﴿ خَبِيرًا ﴾ أي: فاسأل عمَّا ذكر من الخَلْق والاستواء عالماً يُخبرُ ك بحقيقته، وهو الله تعالى، أو جبريل عليه السلام، أو مَن وجده في الكتب المتقدِّمة ليصدقَكَ فيه.

* * *

⁽١) قرأ بها زيد بن على. انظر: «المحرر الوجيز» (٢١٦/٤)، و«البحر المحيط» (١٦/ ٢٢٤).

(٦٠) - ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَسْجُدُواْ لِلرَّمْنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّمْكُنُ أَنَسَجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نَفُورًا ﴾.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾: للمشركين: ﴿ أَسَجُدُوا لِلرَّمَّنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّمْنَ ﴾؛ أي: لا نعرف الرحمن فنسجد له، فهذا سؤال عن المسمَّى به؛ لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم، والسؤال عن المجهول بـ (ما)، أو لأنَّهم ظنُّوا أنه أراد به غيرَه، ولذلك قالوا:

﴿أَنْسَجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾؛ أي: للَّذي تأمرنا بالسجود له، أو لأمرك لنا من غيرِ عرفان، وقرئ: ﴿يأمرنا﴾ بالياء(١١)، على أنه قولُ بعضِهم لبعض.

﴿ وَزَادَهُمْ ﴾؛ أي: الأمرُ المذكورُ ﴿ نُقُورًا ﴾: تباعُداً عن الإيمان.

* * *

(٦١) - ﴿ نَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَكَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِهَا سِرَجًا وَقَهَمُ الْمُنِيرًا ﴾.

﴿ نَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَكَ فِي ٱلسَّمَاءِ بُرُوجَا ﴾ يعني: البروج الاثني عشر، سُمِّيت به لظهورها وارتفاعها، قال الزجَّاج: كلُّ ظاهرٍ مُرتفِع يقال له: بُرْجٌ (٢).

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَجًا ﴾ يعني: الشمس لتوقُّدها، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾ [نوح: ١٦]. وقرئ: ﴿ سُرُجاً ﴾ (٣) وهي الكواكبُ الكبارُ.

وقيل: الشمس والكواكب الكبار، وعلى هذا يَلزم تخصيصُ القمرِ بالذِّكر بعد دخوله في الشُّرُج، مع أنَّ حقَّ التخصيص بالذِّكر للشمس؛ لظهور فضيلتها على سائرها.

⁽١) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٤).

⁽٢) انظر: «معانى القرآن» للزجاج (٤/ ٧٣).

⁽٣) قرأ بها حمزة والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٤).

﴿وَقَكَمُرَا مُّنِيرًا ﴾؛ أي: مضيئاً بالليل، وقرئ: (قُمْراً) كالرَّشَد والرُّشْد، والعَرَب والعُرْب (١).

* * *

(٦٢) _ ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ النَّمَ لَ النَّهَ ارْخِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَكَّر أَقَ أَرَادَشُكُورًا ﴾.

﴿ وَهُو اللَّهِ عَلَا اللَّهَ اللَّهِ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ ال

﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَكَّرَ ﴾: يتذكّر آلاءَ الله ويتفكّر في صنعه فيَعلم أنّه لا بُدَّ له من صانع حكيم.

﴿ أَوْ أَرَادَشُكُورًا ﴾: أَن يَشكُرَ اللهَ على ما فيه مِن النَّعم.

* * *

(٦٣) _ ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّمْنَ ِالَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ لَأَرْضِهَوْنَا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَدَهِلُونَ قَالُواْ سَلَمًا ﴾.

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّمْنَنِ ﴾ مبتدأً، خبره في آخر السورة ﴿ أُوْلَكِمِكَ يُجَمِّزُوْنَ ٱلْفُرْفَةَ ﴾. ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ وإضافتهم إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل، وقرئ: (وعُبَّادُ الرحمنِ) (٣) على أنه جمع: عابِد، كتُجَّار وتاجِر.

⁽۱) نسبت للحسن والأعمش والنخعي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٥)، و «الكشاف» (٣/ ٢٩٠)، و «والمحرر الوجيز» (٤/ ٢١٧)، و «البحر» (١٦/ ٢٢٩).

⁽۲) في (م): «يعتقبا».

⁽٣) قرأ بها اليماني. انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٥).

﴿ هَوْنَا ﴾ حالٌ أو صفةٌ للمشي؛ أي: هَيِّنين، أو مشياً هيِّناً، والهونُ: الرِّفق واللَّين؛ أي: يمشون بسكينةٍ ووقارٍ وتواضع دون مرحٍ واختيال وتكبُّر، ولذا ولقولِه: ﴿ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسُواقِ ﴾ [الفرقان: ٢٠] كَرِهَ بعضُ العلماء الركوبَ في الأسواق.

﴿وَإِذَاخَاطَبَهُمُ ٱلْجَهِلُونَ ﴾؛ أي: السفهاءُ بما يَكرهون ﴿قَالُواْسَلَامًا ﴾: سداداً من القول يَسلمون فيه من الإيذاء والإثم، أو: تسلُّماً منكم؛ نتارككم ولا نجاهلكم، فأقيم السلام مقام التسلُّم(١).

قيل: نَسَختها آيةُ القتال. ولا وجه له؛ لأن الإغضاءَ عن السفهاء مُستَحسنٌ شرعاً ومروءةً.

هذا وصفُ نهارهم، ثم وَصَفَ ليلَهم بقوله:

(٦٤) - ﴿ وَٱلَّذِينَيِّيتُونَ لِرَيِّهِ مَسْجَدًا وَقِينَمًا ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَيَسِ شُوكَ لِرَبِّهِ مَسُجَدًا ﴾: جمع ساجد ﴿ وَقِينَمًا ﴾: جمع قائم، والبيتوتة خلاف الظلول، وهي أن يُدرِككَ الليل، نمتَ فيه أو لم تَنَم، وتخصيصها لأن العبادة بالليل أحمزُ وأبعدُ من الرياء، وتأخيرُ القيام لمحافظة الفاصلة.

* * *

(٦٥) - ﴿ وَٱلَّذِيكَ يَقُولُونِكَرَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمٌ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَهُ بَنَا اَصْرِفَ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّم آبِكَ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾: لازماً، ومنه الغريم لملازمته، وهو إيذانٌ بأنهم مع حُسْنِ مخالطتهم مع الخَلْق

⁽١) في (ف) و(ك): «التسليم».

واجتهادهم في عبادة الحقِّ وَجِلُونَ مِن العنداب، مبتهلُونَ إلى الله في صَرْفه عنهم؛ لعدم اعتدادهم بأعمالهم ووثوقِهم على استمرار أحوالهم.

* * *

(77) - ﴿ إِنَّهَاسَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾.

﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ ﴿ سَآءَتْ ﴾ في حُكْم: بِنْسَت، وفيها ضميرٌ مُبهَمٌ يُفسِّره ﴿ مُسْتَقَرًّا ﴾ والمخصوصُ بالذَّمِّ ضميرٌ محذوفٌ معناه: ساءَت مستقرًّا ومقاماً هي، وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم (إنَّ) وجعلها خبراً لها.

أو بمعنى: أَحْزَنَت، وفيها ضمير اسم (إنَّ)، و ﴿ مُسْتَقَرَّا ﴾ حالٌ أو تمييزٌ، والجملة تعليلٌ للعلَّة الأولى، أو تعليلٌ ثانٍ، وكلاهما يحتمِلان الحكاية والابتداء من الله تعالى.

* * *

(٦٧) - ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنَفَقُواْلُمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَالِكَ قَوَامًا ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْلُمْ يُسْرِفُواْ ﴾ الإسرافُ: مجاوزة الحدِّ في الإنفاق، والإقتارُ: التقصيرُ عمَّا لا بُدَّ منه، وعن ابنِ عباس رضي الله عنهما: الإسرافُ: الإنفاقُ في معصية الله تعالى قلَّ أو كَثُرَ، والإقتار: مَنْعُ حقِّ اللهِ تعالى من المال(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَن مَنَعَ حقًّا فقد قَتَر، ومَن أَعطى في غيرِ حقًّ فقد أَسر ف»(٢).

⁽١) رواه عنه الطبريُّ في «التفسير» (١٧/ ٤٩٨ ـ ٤٩٨). وانظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٢٠).

⁽۲) انظر: «تفسير النسفى» (۲/ ۶۹۵).

﴿ وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ بضم التاء، وبضم الياء وكسرِ التاء، وبفتحِ الياء وكسرِ التاء (١٠)، والقترُ والتَّقتيرُ: التضييقُ الذي هو ضدُّ الإسراف.

﴿وَكَانَ ﴾؛ أي: إنفاقهم ﴿ يَيْنَ ذَالِكَ ﴾؛ أي: الإسراف والإقتار.

﴿ قَوَامَا ﴾ القوام بالفتح: العدل، وبالكسر: العماد، وهو ما يُقام به الحاجة، لا يَفضُل عنها ولا يَنقص، وهو خبرٌ ثانٍ، أو حالٌ مؤكِّدة، ويجوز أن يكون الخبرُ ﴿ قَوَامَا ﴾، و ﴿ بَيْنَ ذَلِك ﴾ لغواً.

* * *

(٦٨) _ ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَنَهَاءَ اَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّقِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونِ عُومَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَنْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَنْهَاءَ اخْرَ ﴾؛ أي: لا يُشرِكون.

﴿ وَلَا يَقَتُلُونَ ٱلنَّفُسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾؛ أي: حرَّمها، يعني (١): ذمَّ قتلها (١)، وهي نفس الإنسان.

﴿ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ متعلِّق بالقتل المحذوف، أو بـ ﴿ لا يقتلون ﴾.

﴿ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ نفى عنهم أُمَّهات المعاصي بعدما أثبت لهم أصولَ الطاعات؛ إظهاراً لكمال إيمانهم، وإشعاراً بأنَّ الأجر المذكور موعودٌ للجامع

⁽۱) قرأ بالثانية نافع وابن عامر، وبالثالثة ابن كثير وأبو عمرو، وبالأولى الباقون. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٤).

⁽٢) في (م): «أي».

⁽٣) في (ف) و(ك): «حرم قتلها». وجاء في هامش (ع) و(ف): «أراد بالقيد المذكور الاحتراز عن نفس الحيوان فإن قتلها غير محرم. منه».

بين ذلك، وتعريضاً للكفرة بأضدادهم، ولذلك عقّبه الوعيد؛ تهديداً لهم فقال: ﴿ وَمَن يَفْعَلُ ذَلِكَ يَلْقَأَثَامًا ﴾ قال أبو عبيدة: الأثامُ: العقوبةُ (١)، وقرئ: (أيّاماً) (٢) أي: شدائد، يقال: يومٌ ذو أيّام؛ أي: صَعْبٌ.

* * *

(٦٩) _ ﴿ يُضَنعَفَ لَهُ ٱلْمُكَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِينَمَةِ وَيَخُلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴾.

﴿ يُضَاعَفُ لَدُالْكَ ذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ بدلٌ مِن ﴿ يَلْقَ ﴾؛ لأنهما في معنَّى واحد؛ إذ مضاعفةُ العذاب هي لُقيُّ الآثام.

وقرئ: ﴿يُضَاعَفُ﴾ (٣) على الاستئناف، أو على الحال، وكذلك ﴿وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَاناً﴾ (٤): ذليلاً.

* * *

(٧٠) _ ﴿ إِلَا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَكَمَلًا صَلِحًا فَأُولَتِمِكَ بَبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّعَاتِهِمْ حَسَنَنتٍّ وَكَانَ ٱللَّهُ عَنَفُورًا تَحِيمًا ﴾.

﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ عن الكفر ﴿ وَءَامَنَ ﴾ بمحمَّد عليه الصلاة والسلام ﴿ وَعَمِلَ عَكُمُ لَاصَلِاحًا ﴾ بعد توبته.

﴿ فَأُولَكِمِكَ يُبَدِّلُ أَلَّهُ سَيِّعَاتِهِمْ حَسَنَتِ ﴾ بأن يمحو سابق معاصيهم بالتوبة، ويُثبت مكانها لواحق طاعاتهم، أو يوفِّقهم للمحاسن بعد القبائح.

(۱) انظر: «مجاز القرآن» (۲/ ۸۱).

- (۲) قرأ بها ابن مسعود. انظر: «الكشاف» (۳/ ۱۰۱)، و «البحر المحيط» (۲۱/ ۲٤۳)، وفي مطبوع «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ۱۰۵): (الأيامي) ونسبها أيضاً لابن مسعود.
 - (٣) قرأ بها شعبة عن عاصم. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٤).
 - (٤) وهي قراءة شعبة عن عاصم الآنفة الذكر.

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَنْ فُورًا ﴾ ولذلك يكفِّر السيئات ﴿ رَّحِيمًا ﴾ يُبدِلها بالحسنات.

* * *

(٧١) - ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَلِحًا فَإِنَّهُ وَبَوْبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَ ابًا ﴾.

﴿ وَمَن تَاكِ وَعَمِلَ صَلِكًا ﴾: ومن خرج عن المعاصي و دخل في الطاعات؛ أي: تاب وحقَّق التوبة بالعمل الصالح ﴿ فَإِنَّهُ ، ﴾ بذلك ﴿ يَثُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَ ابًا ﴾ مرضيًّا عنده، مُحفِّراً للخطايا، مُحصِّلاً للثواب.

* * *

(٧٢) - ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُواْ بِٱللَّغِوِ مَرُّواْ حِرَامًا ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾: لا يُقيمون الشهادة الباطلة، أو: لا يَحضرون محاضرَ الكذبِ، فإنَّ مشاهدة الباطل شَركةٌ فيه؛ لأنَّ حضورَهم ونظرَهم دليلٌ على (١) الرضا به، وسببُ وجودِ الزيادة فيه.

﴿ وَإِذَا مَهُ وَابِاللَّغُو ﴾ يعني: إذا مرُّوا بأهل اللغوِ والمشتغلينَ به، وهو كلُّ (٢) ما ينبغي أن يُلقى ويُطرح.

﴿مَرُّواًكِرَامًا﴾: مُعرِضين عنه، مُكرِمين أنفسَهم عن التلوُّث به بالوقوف^(٣) عليه والخوض فيه.

* * *

⁽١) ليست في (ف) و(ك).

⁽٢) سقط من (ك).

⁽٣) في (ك) و(م): «بالتوقف». وسقطت «به» من (م).

(٧٣) - ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرُواْ إِعَا يَنتِ رَبِّهِ مَد لَمَّ يَخِرُواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيانًا ﴾.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْبِ اللَّهِ رَبِّهِ مَ ﴾؛ أي: قُرئَ عليهم القرآنُ، أو وُعِظوا به.

﴿لَرْ يَخِرُواْعَلَيْهَاصُمَّاوَعُمْيَانَا ﴾ هذا ليس بنفي للخرور، بل هو إثباتٌ له ونفيٌ للصَّمم والعَمى، ونحوه قول الشاعر:

بأيدي رجالٍ لم يَشيموا سيوفَهم ولم تكثُر القتلى بها حين سُلَتِ (١) أي: بأيدي رجالٍ شاموا سيوفَهم، فقد كثرت القتلى.

يعني: أنَّهم إذا ذكّروا بها خَرُّوا سُجَّداً وبُكيًّا، سامعينَ بآذانٍ واعيةٍ، مُبصرين بعيونٍ باصرةٍ لِمَا أُمروا به ونُهُوا عنه، لا كالمنافقين وأشباههم، دليله: ﴿ وَمِمَنْ هَدَيْنَا وَأَجْبَيْنَا أَذَانُنْكَ عَلَيْهِمْ اَيَنتُ ٱلرَّمْنَ خُرُواْسُجَدَا وَبُكِيًا ﴾ [مريم: ٥٥] فإن القرآن يُفسِّر بعضُه بعضاً.

* * *

(٧٤) _ ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَاهَبْ إِنَامِنْ أَزْوَكِمِنَا وَذُرِيَّكِنِنَا قُرَّةَ أَعَيُنِ وَأَجْعَلْنَا لِلْمُنَقِينَ إِمَامًا ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَاهَبَ لَنَامِنَ أَزْوَجِنَا وَذُرِّيَّلِنِنَا ﴾ ﴿ مِنْ ﴾ للبيان، كأنَّه قيل: هَبْ لنا ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنِ ﴾ ثم بُيِّنت القُرَّةُ وفُسِّرت بقوله: ﴿ مِنْ أَزْوَبِحِنَا وَذُرِّيَّلِنِنَا ﴾ ، وهو من قولهم: رأيتُ منك أسداً؛ أي: أنتَ أسدٌ.

أو للابتداء؛ على معنى: هَبْ لنا مِن جهتِهم ما تَقَرُّ به عيونُنا من طاعةٍ وصلاح،

⁽١) البيت في «الكامل» للمبرد (١/ ٤٠١)، و «الأضداد» لابن الأنباري (ص: ٢٥٩).

فإنَّ المؤمن إذا شاركه أهلُه في طاعةِ الله سُرَّ بهم قلبُه وقَرَّت بهم عينُه؛ لِمَا يَرى من مساعدته في الدِّين، وتوقُّع لحوقهم به في الجنة.

وتنكير الأعين لإرادة تنكير القُرَّة تعظيماً، فإنَّ المضاف لا سبيلَ إلى تنكيره إلَّا بتنكير المضافِ إليه.

وإنما قيل: ﴿أَغْيُنِ ﴾ على القِلَّة، دون: عيون؛ لأن المرادَ أعينُ المتقين، وهي قليلٌ بالإضافة إلى عيونِ غيرهم.

﴿ وَالْجَعَلَىٰ اللَّمُنَقِينَ إِمَامًا ﴾: أئمَّة يَقتدون بنا في أمرِ الدِّين بإفاضة العلم والتوفيق للعمل، واكتفى بالواحد لدلالته على الجنس وعدم اللَّبْس، كقوله: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمُ للعمل، واكتفى بالواحد لدلالته على الجنس وعدم اللَّبْس، كقوله: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمُ للعمل، والحج: ٥] أو لأنَّه مصدر في الأصل، أو لأنَّ المرادَ: واجْعَل كلَّ واحدٍ منَّا، أو لأنَّهم كنفسٍ واحدةٍ؛ لاتِّحادهم في الطريقة واتفاق كلمتهم.

وقيل: جمعُ آمٌ، كصائمٍ وصيامٍ، ومعناه: قاصدين لهم مقتدِين بهم، قيل في الآية:

٧٥) - ﴿ أُوْلَيْهِكَ يُجْرَوْنَ ٱلْغُرْفَ لَهُ بِمَاكِبَرُواْ وَيُلَقُّونَ فِيهَا يَعِيَّةً وَسَلَمًا ﴾.

﴿ أُوْلَكَيْكَ يَجُنَوَ كَ ٱلْغُرْفَ مَ ﴾؛ أي: الغُرُفات؛ وهي العلالي في الجنَّة، فوحِّد اقتصاراً على الواحد الدالِّ على الجنس، دليلُه قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ مِن ٱلْغُرُفَاتِ عَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].

﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾: بصبرهم على المشاقّ مِن مضض الطاعات، ورفض الشهوات، وتحمُّل المجاهدات.

﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهِ اللَّهِ عَنِي : أَنَّ الملائكة ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهِ التَّعِمِيرِ وَبِالسَّلَامَة، يعني: أَنَّ الملائكة

يُحيُّونهم ويسلِّمونهم، أو يُحيِّي بعضُهم بعضاً ويُسلِّم عليه، وقرئ: ﴿يَلْقُونَ﴾(١) مِن لقي (٢).

* * *

(٧٦) - ﴿ خَلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتَ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾.

﴿ حَـُلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتونَ ولا يخرجونَ عنها.

﴿حَسُنَتَ﴾؛ أي: الغرفة ﴿مُسْتَقَرَّاوَمُقَامًا﴾: موضعَ قرار وإقامةٍ، وهي في مقابَلةِ: ﴿سَآءَتْمُسْتَقَرَّاوَمُقَامًا﴾ مِثْله إعراباً.

* * *

(٧٧) - ﴿ قُلْ مَا يَعْبَوُ أَيِكُو رَبِّ لَوْ لَا دُعَا وُكُمٌّ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾.

﴿ قُلْ مَا يَعْ بَوُّا مِكُورَقِ ﴾ (ما) متضمِّنةٌ لمعنى الاستفهام، وهي في محلِّ النصب على المصدر، كأنه قيل: أيَّ عَبْءٍ يَعبأُ بكم؟ معناه: ما يصنع بكم ربِّي؟ مِن: عبأتُ الجيشَ، إذا هيَّاته.

﴿ لَوْلَادُ عَا وَ لَهِ عَادَتُهُ ﴾ : لولا دعاؤه إيّاكم إلى الإسلام، أو : لولا عبادتُكم له ؛ أي : أنه خَلَقكم لعبادته ؛ لقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنْ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٢٥] ؛ أي : الاعتبار عند ربّكم لعبادتكم (٣) ، أو : ما يَصنَع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة ، وهو كقوله تعالى : ﴿ مَّا يَفْعَكُ لُاللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرُتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ [النساء: ١٤٧].

⁽١) قرأ بها حمزة والكسائي وشعبة. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٥).

⁽٢) في (ف) و (ك): «يلقى».

⁽٣) في (ف) و(ك): «لعبادته».

﴿ فَقَدْ كَذَّ بَنْمُ ﴾ بما أخبرتُكم به حيث خالفتُموه (١١).

وقيل: فقد قصَّرتم في العبادة، من قولهم: كذب القتالَ، إذا لم يُبالغ فيه.

وقرئ: (فقد كذَّب الكافرون)(٢) منكم؛ لأن الخطاب لعامَّة الناس بما وجدَ في جنسهم من العبادة والتكذيب.

﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ ﴾ جزاء التكذيبِ وأثره ﴿ لِزَامًا ﴾ لازماً بكم، وإنَّما أُضمر من غير ذكرٍ للتهويل، أو التنبيه على أنه ممَّا لا يُكتنهُ كنهُه بالوصف.

وقرئ: (لَزاماً)(٢) بمعنى اللزوم، كالثبات والثبوت.

* * *

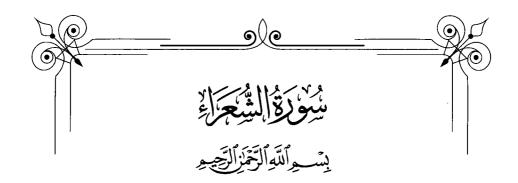
(۱) في (م): «خالفتموني».

⁽۱) في رم). "حالفتموني".

⁽۲) قرأ بها ابن الزبير وابن عباس. انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ۱۰۵)، و «المحتسب» (۲/ ۱۲۲).

⁽٣) قرأ بها المنهال وأبان بن تغلب وأبو السمال. انظر: «البحر المحيط» (١٦/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤).





(١) ـ ﴿ طَسَمَ ﴾.

﴿طَسَرَ ﴾ بتفخيم الألف وإمالتها، وإظهار النُّون وإدغامها(١).

* * *

(٢) - ﴿ قِلْكَ ءَايَتُ ٱلْكِئْبِ ٱلْمُبِينِ ﴾.

﴿ يَلْكَ ﴾ الإشارة إلى آيات السُّورة.

﴿ اَينَتُ ٱلْكِنَابِ ٱلْمُرِينِ ﴾ المظهر للحقِّ مِن الباطل.

* * *

(٣) - ﴿ لَعَلَّكَ بَنجِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ لَمَلَكَ بَدَخُ لَنَسَكَ ﴾: قاتلُها غمَّا ﴿ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ مِن أجل امتناعِ قومِك عن الإيمان(٢).

(لعلَّ) هنا للإشفاق؛ أي: أشفق على نفسِك بتخفيفِ هذا الغَمِّ والهَمِّ.

⁽١) قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بإمالة فتحة الطَّاء، والباقون بإخلاص فتحها، وأظهر حمزة النُّون من هجاء سين عند الميم وأدغمها الباقون. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٥).

⁽٢) في هامش (ع): «من قال: لئلا يؤمنوا، فكأنه غفل فائدة إدخال فعل الكون. منه».

ولَمَّا كَانَ مَظنَّة أَنْ يُقال: إِنَّ ذلك لتنفيذِ أمرِ اللهِ تعالى وتحصيلِ المرادات الإلهيَّة مِن الأوامر والنَّواهي تُدورِكَ(١) دفعُه بقوله:

(٤) - ﴿ إِن نَّمَا أَنْزَلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَضِعِينَ ﴾.

﴿إِن نَّمَا نُنُزِلْ عَلَيْهِم مِنَ السَّمَاءِ عَايَةً ﴾ قاهرة قاسرة لهم على الإيمان، أُشيرَ إلى ذلك بقولِه: ﴿عَلَيْهِم ﴾؛ يعني: أنَّ إيمان تلك الطَّائفة ليس بمرادٍ لنا، إنَّما المرادُ مِن بعثِكَ تبليغُ أحكامِ التَّكليفِ على ما تقتضيه الحكمة، فليس أمرُنا عن إرادةٍ، ولا نهيئنا عن كراهةٍ.

﴿ فَظَلَّتْ ﴾ عطف على ﴿ نُنَزِّلْ ﴾، عطف (أكنْ) على (أصَّدَّق) (٢)؛ لأنَّه لو قيل: أنزلنا، بدله لصحَّ.

﴿أَعَنَاقُهُمْ لَمَا خَنضِعِينَ ﴾ الخضوعُ أمارةُ الانقياد اللَّازِم للإذعان، وهو المراد هاهنا^(٣) بطريق الكناية، أصله: فظلُّوا لها خاضعين، فأقحِمَتِ الأعناق لبيان موضع الخضوع (أن)، وتُرِكَ الخبرُ على أصله، وفي الكناية المقصودة مِن عبارة الخضوع إشارةٌ إلى أنَّ قهر تلك الآية قهرُ حجَّةٍ وبرهانٍ، فلا يفوت الاختيار المعتبر في صحَّة الإيمان.

* * *

(۱) «تدورك» من (م) و(ي) و(ع).

⁽٢) يعني ما في سورة المنافقون: ﴿فَأَصَّدَّفَ وَأَكُن ﴾.

⁽٣) في (ع) و(ي): «هنا».

⁽٤) في هامش (ع) و(م): «قال المرزوقي: الخشوع في الصوت والبصر كالخضوع في البدن، يقال: خاشع الطرف، خاضع العنق. منه».

(٥) - ﴿ وَمَا يَأْنِيهِم مِن ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَث إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾.

﴿ وَمَا يَأْنِيهِم مِّن ذِكْرِ مِّنَ الرَّمْنِ مُحَدَّنِ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾؛ أي: ما يجدِّد (١) لهم اللهُ تعالى بوحيه على نبيِّه موعظةً وتذكيراً إلَّا استمروا على ما اعتادوا عليه مِن الإعراض.

* * *

(٦) - ﴿ فَقَدْكَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَلْبَتُواْ مَا كَانُواْبِهِ عِيسَّمْ زِءُونَ ﴾.

﴿ فَقَدَّكُذَّبُوا ﴾ حذفُ المفعولِ إشارةٌ إلى أنَّ تكذيبَهم تجاوزَ عن حدِّ الخصوص إلى حدِّ العموم؛ فإنَّ تكذيبَهم محمَّداً عليه الصلاة والسلام كان تكذيباً لسائر الأنبياء المخبرين عنه والمبشِّرين به، بل تكذيباً لله تعالى أيضاً، والفاء في قوله (٢):

﴿ فَسَيَأْتِهِمْ ﴾ فصيحةٌ، تُفصِحُ عن محذوفٍ معطوفٍ على المذكور، تقديره: واستهزؤوا به.

﴿أَنْبَتُواْ مَا كَانُواْبِهِ عِسَنَهُ زِءُونَ ﴾ إتيانُ الخبرِ: عبارةٌ عن وقوعِ المحذورِ المنتظرِ، وهذا وعيدٌ لهم، وإيذانٌ بأنّهم سيعلمون - إذا مسّهم العذابُ يومَ بدرٍ أو يومَ القيامةِ - الشّيءَ الذي كانوا يستهزئون به.

* * *

(٧) - ﴿ أُولَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ كُمْ أَنْكُنَّا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجِ كَرِيدٍ ﴾.

﴿ أَوْلَمْ بَرَوْا إِلَى ٱلأَرْضِ ﴾ الواو للعطف على محذوفٍ، تقديره: ألم يتأمَّلوا في عجائب قدرةِ اللهِ تعالى، ولم ينظروا إلى الأرض؟!

⁽١) في (ك) و(م): «جدد».

⁽٢) «قوله» من (ك) و(م).

﴿ كُمَّ أَنَبُنَنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَفِيجَ ﴾ الزَّوجُ: اللَّونُ؛ قاله الفرَّاء (١١)، و ﴿ كُلِّ ﴾ للإحاطة، و ﴿ كُمِّ ﴾ للكثرة.

﴿ كَرِيمٍ ﴾: كثيرِ المنفعة، يأكل منه (٢) النَّاسُ والإنعامُ، كالرَّجلِ الكريمِ الذي نفعُه عامٌّ.

وفيه دلالةٌ على كمال القدرةِ، ولذلك قال:

(٨) ـ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَهُ ۗ وَمَا كَانَ أَكْثُرُهُم مُّوْمِنِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ فِ ذَلِكَ ﴾: إنباتِ تلك الأنواع ﴿ لَآيَةً ﴾ عظيمةً على أنَّ مُنبِتَها تامُّ القدرةِ عامُّ النِّعمةِ والرَّحمةِ ﴿ وَمَاكَانَ أَكْثَرُهُم مُتَوْمِنِينَ ﴾: مصدِّقين.

و ﴿كَانَ ﴾ هنا صلة في قول سيبويه (٢)، وهذا إخبار عن حالهم في الواقع، لا عن حالهم في علم الله تعالى.

* * *

(٩) - ﴿ وَإِنَّدَيُّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

﴿ وَإِنَّرَيَكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾: المنيعُ الذي لا يغالَبُ، فليسَ لعجزِه وضعفِه طالَتْ مدَّةُ هؤلاءِ في الشِّرك والعتوِّ.

﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ فلا يعجِّلُ في عقوبتهم؛ إذ لا يَخاف الفوت، ويقبل توبةَ مَن تابَ منهم قبل الموت.

⁽١) انظر: «معانى القرآن» للفراء (٢/ ٢٧٨).

⁽٢) في (ي): «منها»، وسقطت من (ف) و(ك).

⁽٣) انظر: «الكتاب» (١/ ٧٧)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ١٦).

ولَمَّا كَانَ مساقُ الكلام في بيان القُدرةِ قدَّمَ صفة العزَّة على الرَّحمة، والرَّحمة إذا (١) كانت عن قدرةٍ كانت أعظمَ وقعاً.

* * *

(١٠) - ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ ﴾.

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكِ مُوسَىٰ ﴾ مقدَّر بـ (اذكر)(٢)، أو ظرفٌ لِمَا بعدَه(٣).

﴿ أَنِ أَفْتِ ﴾: (أن) مصدريَّة أو تفسيريَّة.

﴿ ٱلْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ لأنفسهم، أو لبني إسرائيل.

* * *

(١١) - ﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُونَ ﴾.

﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾ عطفُ بيانٍ، وليس فيه اقتصارٌ على قومِه، بل اكتفاءٌ بالدِّلالة في جانبه، وإيماءُ (١٠) للإشارة إلى أن (٥) ظُلْمَ قومِه لا تِّباعِهم له.

﴿ أَلَا يَنَقُونَ ﴾ استئنافٌ للتَّعجُّب من إفراطهم في الظُّلم واجترائهم عليه، وقرئ بالتَّاء(١) على الالتفات للتَّوبيخ والحثِّ.

⁽١) في (ف): «الرحمة إن» بدل «الرحمة، والرحمة إذا».

⁽۲) في (ف): «بأن ذكر».

⁽٣) أي: لـ ﴿ قَالَ رَبِّيَّ ﴾، وليس بذاك عند الآلوسي. انظر: «روح المعاني» (١٤٥/١٩).

⁽٤) في (ع) و(ف) و(ي): «واعتناء»، وسقط من (ك)، والمثبت من (م).

⁽٥) «أن»: ليست في (م).

⁽٦) نسبت لعبد الله بن مسلم بن يسار. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٦).

وأصلُ الاتِّقاءِ: صرفُ الأمرِ لحاجزٍ بينه وبين الصَّارف، والمرادُ: اتَّقاءُ العِقابِ بالطَّاعةِ.

* * *

(۱۲ ـ ۱۳) ـ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ اللهِ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَدُونَ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّ أَخَافُ ﴾ الخوفُ: انزعاجُ النَّفسِ بتوقُّع الضَّررِ.

﴿أَن يُكَذِّبُونِ اللهِ وَيَضِيقُ صَدْرِى ﴾ لتكذيبهم إيّايّ، مستأنفٌ أو عطفٌ على

﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾ على ما أرى مِن المحال، وأسمعُ من الجدال.

وينصبهما يعقوبُ(١) عطفاً على ﴿يُكَذِّبُونِ ﴾، فالخوف متعلِّقٌ بهذه النَّلاثة على هذا التَّقدير، وبالتَّكذيب وحدَه بتقدير الرَّفع.

﴿ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَدُونَ ﴾؛ أي: أرسل إليه جبريلَ واجعله نبيًّا يُعينني على الرِّسالة، ولم يكنْ هذا الالتماس منه عليه السلام توقُّفاً في الامتثال، بل التِماسُ عونِ في تبليغ الرِّسالة، وتمهيد العذر (٢) في التماس المعين على تنفيذ الأمر، وكفى بطلب العون دليلاً على التَّقبُّل لا على التَّعلُّل، ومِن الدَّليلِ على ذلكَ وقوعُ ﴿ فَأَرْسِلَ ﴾ معترِضاً بين الأوائل والرَّابعة (٣)؛ فإنَّه لو كان تعلُّلاً لأخِر (١).

⁽۱) انظر: «النشر» (۲/ ۳۳۵).

⁽٢) «وتمهيد العذر» سقطت من (ف) و(ك)، وفي (ع): «وتمهيد القدر».

⁽٣) في (ف): «الأول والرابع»، وفي (ك) و(م): «الأولى والرابعة».

⁽٤) في (م): «لأضر»، وفي (ف) و(ك): «لضر».

(١٤) - ﴿ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْكُ فَأَخَافُ أَن يَقْتُ أُونِ ﴾.

﴿ وَلَهُمْ عَلَى ذَنَّاتُ ﴾: دعوى جُرْمٍ، وهو قتلُ القِبْطيِّ.

﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ كان عندَه عليه السلام خوفان: خوفُ تلفِ النَّفسِ، وخوفُ فواتِ مصلحة الرِّسالة على فواتِ مصلحة الرِّسالة، وإنَّما قدَّم الثَّاني على الأوَّل تقديماً لمصلحة الرِّسالة على مصلحة نفسه كما هو اللَّائق بشأن أولي العزم مِن الأنبياء عليهم السلام.

* * *

(١٥) - ﴿ قَالَكُلَّا فَأَذْهَبَا بِعَايَنِنَا ۚ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾.

﴿ قَالَكُلَّا فَأَذْهَبَا بِتَايَكِتِنَا ﴾ إجابةٌ له إلى الطَّلِبتَيْن بوعدِه للدَّفع اللَّازم ردعه(١) عن الخوف، وضمِّ أخيه إليه في الإرسال.

والفاء فصيحة دلَّتْ على محذوفٍ تقديرُه ظاهرٌ مِن التَّفصيل في موضع آخر، حيث قال: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ وَأَخَاهُ هَنرُونَ وَزِيرًا ﴿ فَا اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ على الفعل ٣٥-٣٦]، فالخطاب في ﴿فَأَذَهَبَا ﴾ على تغليب الحاضر؛ لأنَّه عطف على الفعل الله الذي دلَّ عليه ﴿كَلَّا ﴾، كأنَّه قيل: ارتدعْ يا موسى عمَّا تظنُّ، فاذهَبُ أنت والذي طَلَبْتَه، وهو هارون.

﴿إِنَّا مَعَكُم ﴾ يعني: موسى وهارون عليهما السلام وفرعون.

﴿ مُسْتَمِعُونَ ﴾ الاستماعُ من السَّمع بمنزلة النَّظر من الرُّؤية، والكلام من قبيل التَّمثيل، والمراد: إنَّا لكما ولعدوِّكما كالنَّاصر الظَّهير لكما عليه إذا حضر واستمع

⁽۱) في (ع) و(ي): «وردعه»، وفي (ف): «دعه». والمثبت من (ك) و(م)، وهو الموافق لكلام البيضاوي، وقال الشهاب في شرحه: «ردعه» مفعول «اللازم»، ويجوز أن يكون فاعله؛ أي: اللازم له ردعه. وقوله: «للدفع»؛ أي: لدفع بلاتهم. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/٧).

ما يجري بينكما وبينه، فالمفردات(١) على حقائقها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآإِكَ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلِ فَجَعَلْنَكُ هَبَاءَمَنتُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

* * *

(١٦) _ ﴿ فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَكَمِينَ ﴾.

﴿ فَأْتِيَافِرْعَوْنَ فَقُولاً ﴾ له (٢) ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَلَمِينَ ﴾ ويجوز أَنْ يُقال: أفرد الرّسول لاتّفاق كلمتِهما، أو أفرد هنا (٢) وثنّى في قوله: ﴿ إِنَّا رَسُولا رَبِّك ﴾ [طه: ٧٤]، وذلك لأنّه كان في هارون عليه السلام جهتان؛ جهة الرّسالة مِن الله تعالى، وجهة الوزارة لموسى عليه السلام على ما نطق به قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مَعَهُ وَأَخَاهُ هُ لَرُونَ وَزِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٥]، فحين قيل: ﴿ فَقُولاً إِنَّا رَسُولُ رَبِّك ﴾ (١) [طه: ٤٧] نظر إلى جهة رسالته من الله تعالى، وحين قيل: ﴿ فَقُولاً إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَنَمِينَ ﴾ (٥) نظر (٢) إلى جهة وزارته لموسى عليه السلام، ولكون موسى عليه السلام أصلاً في باب الرسالة كان مخاطبة فرعون إياه ومجادلته معه خاصّة. وإنّما زِيدَ قوله: (له) (١) العنى عنه.

⁽۱) في (م): «فالمرادات».

⁽٢) «له» سقط من (ف) و(ك) و(م)، ووقعت في (ع) و(ي) ضمن الآية، وهو مراد المؤلف ظناً منه أنها من الآية كما هو واضح من كلامه فيما سيأتي عند نهاية تفسيرها.

⁽٣) في (ك) و (م): «هاهنا».

⁽٤) «فقولا» سقط من (ف).

⁽٥) «فقولا» سقط من (ك) و(م).

⁽٦) في (م): «نظرا».

⁽٧) «له» سقط من (ف)، والمثبت من باقي النسخ، وهذا سهو من المؤلف رحمه الله حيث ظنها من الآية.

(١٧) ـ ﴿ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيّ إِسْرَتِهِ لِلَ ﴾.

﴿ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَهِ بِلَ ﴾؛ أي: بأن أطلق بني إسرائيل عن أسر الاستعباد، وخلّهم يذهبوا حيث شاؤوا، وهو كإرسال(١) الصّيد وأهل القيد.

* * *

(١٨) - ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَامِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ فرعونُ لموسى بعدَ ما أتياه وقالا له ذلك:

﴿ أَلَرْ نُرَبِّكَ ﴾ التَّربيةُ: تنشئةُ الشَّيء حالاً بعدَ حالٍ.

﴿ فِينَا ﴾: في منازلنا ﴿ وَلِيدًا ﴾: طفلاً، سُمِّيَ به لقربه مِن الولادة.

﴿ وَلَمِثْتَ فِينَامِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ قيل: مكتَ فيهم ثلاثينَ سنةً.

* * *

(١٩) ـ ﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَنْفِرِينَ ﴾.

﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ ﴾ يعني: قتلَ القبطيِّ. وبَّخَهُ به معظِّماً إيَّاه (٢) بعدما عدَّدَ عليه مِن نِعمتِهِ، وإنَّما عرَّضَ رعايةً لدأبِ الملوكِ.

وقرئ: (فِعْلَتَكَ) بالكسر(٣)؛ لأنَّها كانَتْ قِتلةً بالوَكْزِ (١٠).

في (ك) و(م): «كأرسل».

⁽٢) قوله: «وبخه به»؛ أي: بذلك القتل، وتعظيمُ القتل بما في الموصول من الإبهام الذي يستعمل لذلك كما في نحو: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْمُم مَاغَشِيَهُم ﴾ [طه: ٧٨] كأنه أمر لا يمكن الإحاطة به ومعرفة كنهه، وفيه أيضا تلطف به لعدم التصريح بذنبه. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٩).

⁽٣) نسبت للشعبي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٥).

⁽٤) قوله: «قِتلةً» بكسر القاف، و (فِعْلةٌ) للهيئة والفعلِ المخصوص، كما أشار إليه بقوله: «بالوكز»، وهو الضرب بجمع كفه، وعلى الفتح هو للمرّة. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٩).

﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَنفِرِينَ ﴾ بنعمتي، حيث قتلْتَ خبَّازي.

* * *

(٢٠) _ ﴿ قَالَ فَعَلْنُهُمْ إِذًا وَأَنَّا مِنَ ٱلضَّمَ آلِينَ ﴾.

﴿ قَالَ فَعَلَنُهُ آ إِذَا ﴾؛ أي: إذ ذاك ﴿ وَأَنَا مِنَ الصَّآلِينَ ﴾: الجاهلين، وقد قرئ به (١٠)، والمعنى: مِن الفاعلين فِعلَ أولي الجهلِ، أو: مِن الذَّاهِلين عمَّا يَؤول إليه الوَكْزُ؛ لأنَّه أراد به التَّأديب.

والضَّالُّ عن الشَّيء: هو الذَّاهِبُ عَن معرفتِه.

* * *

(٢١) - ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَقِي حُكَمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ ﴾ الفِرارُ: الذَّهابُ على وجهِ التَّحرُّزِ مِن الإدراكِ ﴿لَمَّاخِفْتُكُمُۗ﴾ أَنْ تقتلوني(٢).

﴿ فَوَهَبَ لِي رَقِي مُكْمًا ﴾: حكمةً ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾: مِن جُملةِ رُسُلِهِ.

* * *

(٢٢) - ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهُ اعْلَى أَنْ عَبَدَتَ بَنِي إِسْرَهِ بِلَ ﴿.

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَنُنَّهَا عَلَى آَنْ عَبَدتَ بَنِي إِسْرَهِ بِلَ ﴾ (تلك) إشارةٌ إلى خصلة شنعاءَ مبهمةٍ لا يُدرى ما هي إلَّا بتفسيرها.

⁽١) نسبت لابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٥).

⁽۲) في (ف) و(م) و(ك): «تتفقدوني».

ومحلُّ ﴿أَنْ عَبَدَتَ ﴾ الرَّفعُ عطفَ بيانٍ لـ (تلك)؛ أي: تعبيدك(١) لبني إسرائيل نعمةٌ تمنَّها عليًّ! كرَّ على امتنانِه عليه بالتَّربية فأبطلَه من أصلِه، وأبى أن(١) يسمي نعمته إلَّا نقمة، حيثُ(١) بيَّنَ أنَّ حقيقةَ إنعامِه عليه تعبيدُ بني إسرائيل؛ لأنَّ تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السَّبب في حصوله عنده وتربيته، ولو تركهم لربَّاه(١) أبواه، فكأنَّ فرعونَ امتنَّ على موسى عليه السلام بتعبيد قومه وإخراجه مِن حجر أبواه، فأذ حُقِّقتُ (٥).

وتعبيدُهم: تذليلُهم واتِّخاذُهم عبيداً.

ووحَّد الضمير في ﴿نَتُنُهُا﴾ و﴿عَبَدتَ ﴾ وجمع في ﴿مِنكُمْ ﴾ و﴿خِفْتُكُمْ ﴾؛ لأنَّ الخوف والفرار لم يكونا منه وحده، ولكنَّه منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله.

* * *

(٢٣) _ ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَارَبُ ٱلْعَنكِمِينَ ﴾.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَارَبُ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ لَمَّا سمع جوابَ ما طَعن به فيه (١)، ورأى أنَّه لم يَرْعَوِ بذلك، شرع في الاعتراض على دعواه، فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسِل.

⁽١) في (ف) و(م): «والمعنى أن تعبيدك»، وفي (ك): «والمعنى أن تعبدك»، بدل: «أي تعبيدك».

⁽۲) في (ع): «والى» بدل «وأبى أن».

⁽٣) في (ك) و(م): «حين».

⁽٤) في (ف) و(م): «ولو تركه لربه».

⁽٥) قال الطيبي في «فتوح الغيب» (١١/ ٣٧): (قوله: (إذا حققت)؛ أي: إذا حققت التربية والمنة التي امتن بها فرعون على موسى عليه السلام كانت تعبيد بني إسرائيل نقمة لا نعمة، فهو من تعكيس الكلام، ويروى: (حقَّقْتَ) بفتح التاء؛ أي: إذا حققت النظر أيها المخاطب).

⁽٦) «فيه» من (ك) و (م) و (ي)، وسقطت «به» من (ي).

(٢٤) - ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِينِينَ ﴾.

﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ عرَّفَه بأظهر خواصِّه وآثارِه لَمَّا امتنعَ تعريفُ حقيقتِه.

﴿إِنكُنتُم مُوقِنِينَ﴾: إنْ كنتم تعرفون الأشياء بالدَّليل، فكفى(١) خلقُ هذهِ الأشياءِ دليلاً، وإن كان يُرْجَى منكم الإيقانُ الذي يؤدِّي إليه النَّظرُ الصَّحيح نفَعَكم هذا الجواب، وإلَّا لم ينفعْ.

والإيقانُ: العلمُ الذي يُستَفادُ بالاستدلال، ولذا لا يُقالُ: اللهُ موقِنٌ.

* * *

(٢٥) _ ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ وَ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ فرعونُ ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ ﴾ مِن أشرافِ قومِه:

﴿ أَلَا تَسَيِّعُونَ ﴾ مُعجِّباً قومَه مِن جوابه؛ لأَنَّهم يزعمون قدَمهما (٢) وينكرون أنَّ لهما ربًا، فاحتاج موسى عليه السلام إلى أن يستدلَّ بما شاهدوا مِن حدوثِه وفنائِه.

* * *

(٢٦) - ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآمِكُمْ أَلْأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ قَالَرَبُّكُرُ ﴾ عدولاً إلى ما لا مجال للنِّزاع فيه، وإنَّما قال:

﴿ وَرَبُّ ءَابَآيِكُمُ ٱلْأَوَلِينَ ﴾ لأنَّ فرعون كان يدَّعي الرُّبوبيَّة على أهل عصره، دونَ مَن تقدَّمهم.

⁽١) في (م): «فيكفي».

⁽٢) في (ع) و(ي): «قومهما»، ومكانها بياض في «ف»، وسقطت من (ك). والمثبت من (م)، والضمير يعود على ﴿السَّهَوَتِ وَالْأَرْضِ ﴾.

(٢٧) _ ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِي آُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ فرعونُ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِي آُرْسِلَ إِلَيْكُوْ لَمَجْنُونٌ ﴾ أســـألُه عن شــيءٍ ويجيبُني عن آخر!

وسمًّاه رسولاً سخريةً، وترفَّع^(۱) عن نسبته إلى نفسه ولو سخريةً، ولذلك لم يقل: (إلينا).

* * *

(٢٨) - ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُ مَأَ إِن كُنُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُما ﴾ انتقل إلى هذا لأنَّ طلوعَ الشَّمس مِن أحد الخافِقَين وغروبها في الآخر على تقديرٍ مستقيمٍ في فصول السَّنة، وحسابٍ مستوٍ، مِن أظهرِ ما استدلَّ به (٢)، ولظهوره انتقل إلى الاحتجاج به خليلُ الرَّحمن عن الاحتجاج بالإحياء والإماتة على نمرود بن كنعان.

﴿إِن كُنُهُ تَعْقِلُونَ ﴾؛ أي: إنْ كانَ لكم عقلٌ علمتُم أنَّه لا يمكنُ معرفتُه إلَّا بهذا الطَّريق.

* * *

(٢٩) _ ﴿ قَالَكَهِنِ ٱتَّغَذَّتَ إِلَنها غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾.

فلمَّا تحيَّر فرعونُ ولم يتهيَّأ له أنْ يَدفعَ ظهورَ آثار صنعِه ﴿ قَالَلَمِنِ ٱتَّخَذَتَ إِلَهُا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ عُدولاً إلى التَّهديد عن المحاجَّة بعد الانقطاع، وهكذا دَيْدَنُ المعانِدِ المحجوج.

في (ف): «وترفعاً».

⁽٢) في (م) زيادة: «وأظهره».

واللّام في ﴿ اَلْمَسْجُونِينَ ﴾ للعهد؛ أي: ممَّنْ عرفْتَ حالهم في سجوني، وكان من عادته أن يأخذ من يريد سَجنه فيطرحه في هوَّةٍ ذاهبةٍ في الأرض، بعيدةِ العمقِ، فرداً لا يُبصرُ فيها (١) ولا يسمعُ، وكان ذلك أشدَّ من القتل، ولو قيل: (لأسجننك) لم يؤدِّ هذا المعنى، وإن كان أخصَرَ.

* * *

(٣٠) - ﴿ قَالَأُولَوْ جِنْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴾.

﴿ قَالَأُوَلَوْ جِنْتُكَ ﴾ الواو للحال، وهمزة الاستفهام إنَّما دخلَتْ على الفعل المقدَّر، والمعنى: أتفعل ذلك ولو جئتك.

﴿بِنَنْ عِنْمِينٍ ﴾ صِدْقَ دَعوايَ؛ يعني: المعجزة.

* * *

(٣١) _ ﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِ يَ إِن كُنتَ مِنَ الصَّالِقِينَ ﴾.

﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِ * : بالذي يبيِّنُ صِدقَكَ ﴿ إِن كُنتَ مِنَ الصَّدِ فِينَ ﴾ في أنَّك قادر على إتيانه، وهذا الكلام بمعزَلٍ عن الدِّلالة على أنَّ المعجزة لا يأتي بها إلَّا الصادق (٢).

* * *

(٣٢) _ ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِنَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿ فَٱلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِنَا هِي ثُعْبَانُ مُّبِينٌ ﴾: حيَّةٌ عظيمةٌ، يُقال: انتعبَ الماءُ: إذا جرى

⁽١) «فيها» ليست في (ف) و(ك).

⁽۲) في (ي) و(ع): «لا تأتي بهذا الصادق».

باتِّساعٍ، والمثعَبُ: المجرَى الواسِع، ومنه: الثُّعبانُ؛ لأَنَّه يجري باتِّساعٍ لعظمه (۱).

والجانُّ أيضاً: هو العظيم من الحيَّات، ذكره في «الفائق»(٢).

فلا تَدَافُعَ بينَ هذا وبينَ قوله: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌ﴾ [النمل: ١٠]، على أنَّ المشابهة للجانِّ في الاهتزاز لا ينافي الثُّعبانيَّة، على تقدير المخالفة بينهما في القَدْرِ.

﴿ تُبِينُ ﴾ أبانَ عن نفسه أنَّه تُعبانٌ حقيقة، لا شيءٌ يشبه الثُّعبان، كما تكون الأشياء المزوَّرة بالشَّعوذة (٣) والسِّحر.

* * *

(٣٣) _ ﴿ وَنَزَعَ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآهُ لِلنَّنظِرِينَ ﴾.

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾؛ أي: أخرجَها مِن جيبِه أو كمِّه. والنَّزْعُ: إخراجُ الشَّيءِ ممَّا كان(١٠) متَّصلاً به، أو ملابساً له.

﴿ فَإِذَا هِي بَيْضَاآ ﴾ لها شُعاعٌ يكاد يُغشي الأبصار ويسدُّ الأفق.

وفي قوله: ﴿لِلنَّظِرِينَ ﴾ دلالةٌ على أنَّ بياضها كان شيئاً يجتمع (٥) النَّظَّارَةُ (١) على النَّظر إليه؛ لخروجه (٧) عن العادة.

⁽١) في (ع) و(ف) و(ي): «لعظمته».

⁽٢) انظر: «الفائق» (١/ ٢٣٩) (مادة: جنن).

⁽٣) في (ك): «بالشعبذة».

⁽٤) «کان» سقط من (ي).

⁽٥) في (ك): «تجتمع».

⁽٦) النَّظَّارَةُ: القوم ينظرون إلى الشيء. انظر: «الصحاح» (مادة: نظر).

⁽٧) في (ك) و(م): «بخروجه».

(٣٤) - ﴿ قَالَ لِلْمَلِإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَلَا لَسَارِحُ عَلِيدٌ ﴾.

﴿ قَالَ لِلْمَلِا ﴾: للأشراف(١)؛ ليلبِّسَ عليهم.

﴿ حَوِّلَهُ ﴾ منصوب بنصبَيْن؛ نصب في اللَّفظ، والعامل فيه ما يُقدَّر في الظَّرف، ونصب في المحلِّ وهو النَّصب على الحال من الملأ؛ أي: كائنين حولَه، والعامل فيه ﴿ قَالَ ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرُ عَلِيكٌ ﴾: فائِقٌ في علم السِّحر.

* * *

(٣٥) - ﴿ يُرِيدُ أَن يُغْرِجَكُم مِنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَا ذَاتَأْمُرُونَ ﴾.

﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنَ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ ﴾ بأنْ يُلقِي العَداوةَ والفُرْقةَ بينكم، ويستميل بعضَكُم مِن بلادِكم.

﴿فَاذَا﴾ منصوب لأنَّه مفعول به، من قولك: أمرتُكَ الخيرَ (٢).

﴿ تَأْمُرُونَ ﴾: تشيرون في أمرِه، من المؤامَرة، وهي المشاوَرة.

* * *

(٣٦) _ ﴿ قَالُواْ أَرْجِهُ وَأَخَاهُ وَآبَعَثُ فِي ٱلْمُدَايِنِ خَشِرِينَ ﴾.

﴿ فَالْوَا أَرْجِهُ وَأَخَاهُ ﴾؛ أي: أخِّر أمرَهما، وإنَّما أشاروا بذلك لأنَّهم رأوا أنَّ

في (ك): «الأشراف».

⁽٢) قطعة من بيت اختلف في نسبته، فنسب لعمرو بن معدي كرب، وللعباس بن مرداس، ولزرعة بن السائب، ولخفاف بن ندبة. انظر: «الكتاب» (١/ ٣٧)، و «خزانة الأدب» (١/ ٣٣١)، وتمامه: أَمَرْ تُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ فقد تركتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ

النَّاس يُفتَنون إنْ قُتِل أو حُبِس، وأنَّ السَّحرة إذا قاومَتْه زالَ ذلك الافتتان، فكان له حينئذ عُذْرٌ في قتلِه أو حبسِه بحسب ما يراه.

﴿ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآيِنِ حَشِرِينَ ﴾: رجالاً يحشرون. والحشرُ: السَّوقُ مِن جهاتٍ مختلفة إلى مكانٍ واحدٍ.

ثم إنَّهم عارضوا قوله: ﴿إِنَّ هَنَا لَسَحِرُّ عَلِيدٌ ﴾ بقولهم:

(٣٧) - ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّادٍ عَلِيمٍ ﴾.

﴿ يَ أَتُوكَ بِكُلِ سَحَّادٍ عَلِيمٍ ﴾ فجاؤوا بكلمة الإحاطة وصيغة المبالغة ليسكِّنوا بعض قلقِه.

* * *

(٣٨) - ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَتِ يَوْمِ مَّعْلُومٍ ﴾.

﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ ﴾؛ أي: أَنفذ الحاشرين في المدائن، وأنهم حَشَروا فجمعوا السَّحرة، فالفاء فصيحة.

﴿لِيهَا لِيَهِ مَعَلُومِ ﴾: يومِ الزِّينة، وميقاتُه: وقتُ الضُّحى؛ لأنَّه الوقت (١) الله عليه السلام في قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى ﴾ [طه: ٥٩].

والميقاتُ: ما وُقِّتَ به _ أي: حُدِّدَ _ مِن زمانٍ أو مكانٍ، ومنه مواقيت الإحرام.

* * *

⁽١) في (ي): «وقت».

(٣٩) - ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم تُجْتَمِعُونَ ﴾.

﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم ثَمَّتُمِعُونَ ﴾؛ أي: اجتمِعوا، وهو استبطاءٌ لهم في الاجتماع، والمراد منه استعجالهم.

* * *

(٤٠) _ ﴿ لَمَلْنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةِ إِن كَانُوا هُمُ ٱلْعَلِينَ ﴾.

﴿ لَمُلَّنَا نَلَّتِعُ ٱلسَّحَرَةَ ﴾ في دِينهم ﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَلِينَ ﴾: إن غلبوا موسى عليه السلام، وليس غرضُهم اتّباع السّحرة، وإنّما الغرضُ أنْ لا يتّبعوا موسى عليه السلام، فساقوا الكلام مساق الكناية.

والغَلَبة: الاستعلاءُ بالقوَّةِ.

* * *

(٤١ ـ ٤١) ـ ﴿ فَلَمَّا جُلَّهُ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ آبِنَ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْعَلِمِينَ اللهُ قَالُ اللهُ اللهُ عَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَيْنَ ٱلْمُقَرِّمِينَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَبِنَ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ الأجرُ: الجزاءُ على العمل بالخير، وإذا كان بالشَّرِ يُسمَّى عقاباً.

﴿ إِن كُنَا نَحْنُ ٱلْغَلِمِينَ ﴿ أَنَ اللَّهُ مَا لَا نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا ﴾؛ أي: حينئِذٍ ﴿ لَمِنَ ٱلْمُقَرِّمِينَ ﴾ التزمَ لهم الأجرَ، والقُرْبَةَ عنده زيادةً عليه إنْ غَلَبُوا (١٠).

* * *

⁽١) في (ف): «غلبوه»، وفي (ك): «غلبه».

(٤٣) _ ﴿ قَالَ هَمُ مُوسَىٰ أَلْقُواْ مَاۤ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾.

﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ اَلْقُواْمَا آنَتُم مُلَقُونَ ﴾ لم يُرِدْ به أمرَ هم بالسَّحر والتَّمويه، بل الإذنُ في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة؛ توسُّلاً به إلى إظهار الحقِّ، ولذلك زاد قوله: ﴿مَا أَنتُم مُلْقُونَ ﴾ فإنَّ قوله: ﴿ أَلْقُوا ﴾ كان كافياً في جوابهم حين قالوا: ﴿ إِمَّا آن تُلقِي وَإِمَّا آن تَكُونَ نَحَنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٥].

* * *

(٤٤) ـ ﴿ فَأَلْفَوْأَ حِبَالْهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْفَالِبُونَ ﴾.

﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالْهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا ﴾؛ أي: جاؤوا بسحرٍ عظيمٍ وقالوا، فالواو فصيحةٌ.

﴿ بِعِزَة فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْعَلِبُونَ ﴾ أقسموا بعزَّته، وهي مِن أيمان الجاهليَّة. والعزَّةُ: القدرةُ(١) التي يُمتَنع بها مِن إلحاقِ ضيم لعلقِ منزلَتِها.

* * *

(٤٥) ـ ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾.

﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ ﴾ الفاء فصيحة تنبئ عن مقدَّر ذُكِرَ في سورة الأعراف.

﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ ﴾ التَّلقُّفُ: تناول الشَّيء بالفم بسرعة.

﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾: ما يخيلونه (٢) منقلِباً عن وجهه بتمويههم وتزويرهم، أو: إفكَهم؛ تسميةً للمأفوك به مبالغةً.

⁽١) في (ع) و (ي): «القوة».

⁽۲) في (ف) و(م): «يحيلونه»، وفي (ع): «يحبونه».

(٤٦) _ ﴿ فَأَلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَنجِدِينَ ﴾.

﴿ فَأَلْقِي السَّحَرَةُ سَيِعِدِينَ ﴾ لعلمهم بأنَّ مثلَه لا يتأتَّى بسحرٍ.

وعبَّرَ عن الخرور بالإلقاء بطريق المشاكلة؛ لأنَّه ذُكِرَ مع الإلقاءات، ولسرعةِ ما سجدوا كأنَّهم أُلْقُوا.

* * *

(٤٧) _ ﴿ قَالُوٓ أَءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾.

﴿ قَالُوٓا ءَامَنَا بِرَبِّ ٱلْعَلِمِينَ ﴾ بدلٌ مِن (ألقي) بدلَ الاشتمال، أو استئنافٌ.

* * *

(٤٨) ـ ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾.

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَنَرُونَ ﴾ عطفُ بيانٍ لـ ﴿رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾؛ لئلًا يُتوهَم أنَّهم أرادوا به فرعون، لأنَّه حين حشر جنوده نادى فقال: ﴿أَنَا رَبُكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤].

* * *

(٤٩) ـ ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ فَبَلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۚ إِنَّهُ لَكِمِيكُمُ ٱلَّذِى عَلَمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَا لَهُ عَلَمُونَ ۚ لَكُومُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّالَّةُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَكُمْ ﴾؛ أي: لموسى ﴿ فَبَلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ بذلك.

﴿إِنَّهُ لَكِيْرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾ فعلَّمكم شيئًا دون شيءٍ، فلذلك غلبَكُم، وواعدَكُم ذلك، وتواطأتم عليه، وقد أفصح عن ذلك في سورة الأعراف، وأراد به التَّلبيس على قومِه كيلا يعتقدوا أنَّهم آمنوا عن بصيرةٍ وظهورِ حقِّ.

﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ وبالَ ما قصدتم، فالفاء فصيحةٌ، ومدخولُها مرتبِطٌ

بمحذوفٍ، وهو على ما ذكر في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ هَلَا الْمَكُرُ مُكَرَّتُهُوهُ فِ ٱلْمَدِينَةِ لِنُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ [الأعراف: ١٢٣]، ثم خبَّرَ بما كَنى عنه فقال:

﴿ لَأُفَطِّعَنَ آيَدِيكُمُ وَآرَجُكُمُ مِنْ خِلَفِ ﴾ مِن كلِّ (١) شِقِّ طرفاً، وهذه الطَّريقةُ في السِّياسة على الحكمة؛ فإنَّه حينئذٍ لا ييأس الجاني عن الحياة والتَّعيُّش، فيكون القتلُ بعدَه سياسةً أخرى، بخلافِ ما إذا قُطِعا مِن شِقِّ واحدٍ، فإنَّه حينئذٍ يكون القتلُ راحةً وإزاحةً للعذابِ المَحْضِ.

﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾؛ أي: لا أتركُ أحداً منكم لا(٢) تنالُه عقوبتي.

* * *

(٥٠) - ﴿ قَالُواْ لَاضَيْرٌ لِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾.

﴿ قَالُواْ لَاضَيِّ ﴾: لا ضررَ، وخبر ﴿لَا ﴾ محذوفٌ؛ أي: في ذلك، أو: علينا.

﴿ لِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ قد تقدَّم تفسيرُه في سورة الأعراف.

* * *

(١٥) _ ﴿ إِنَّا نَظْمَعُ أَن يَغْفِر لَنَارَبُّنَا خَطَليْنَاۤ أَن كُنَّاۤ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ إِنَّا نَظْمَعُ ﴾ الطَّمعُ: طلبُ النَّفسِ للخير الذي يُقدَّر فيها أنَّه يكون.

﴿أَن يَغْفِرَ لَنَارَبُنَا خَطَايَنَا ﴾؛ أي (٣): ما فعلناه مِن السِّحر وغيره. والخطيئةُ: الزَّوالُ عن الاستقامة المؤدِّية إلى الثَّواب.

﴿ أَن كُنَّا ﴾: لأنْ كنَّا ﴿ أُوِّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ مِن أتباعِ فرعونَ، أو مِن أهلِ المشهدِ.

⁽١) «كل» سقط من (ف) و (م) و (ك).

⁽٢) في (ف): «إلا».

⁽٣) «أي» من (م).

والجملةُ في المعنى تعليلٌ ثانٍ لنفي الضَّير، أو تعليلٌ للعلَّة المتقدِّمة.

وقرئ: (إنْ كنَّا)(١) على الشَّرط؛ لهضم النَّفس وعدم الثِّقة بالخاتمة، أو على طريقة الـمُدِلِّ(٢) بأمره، المتحقِّق لصحَّته(٣).

* * *

(٥٢) _ ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى إِنَّكُمْ مُتَبَعُونَ ﴾.

﴿ وَأَوْجَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ ﴾ وكانَ هذا بعدَ سنين مِن إيمان السَّحرة.

﴿ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى ﴾: ببني إسرائيل، وإضافتُهم إلى نفسه للتَّشريف؛ لأنَّهم آمنوا به وصدَّقوا نبيَّه. والإسراءُ: السَّير في اللَّيل، وإنَّما زِيْدَ قولُه:

﴿لِيلاً﴾ لأنَّ المرادَ: السَّيرُ في معظمه، لا في أوائله أو أواخره.

﴿إِنَّكُمُ مُتَّبَعُونَ ﴾: يتَّبعُكم عدوُّكم، وهو علَّةُ الأمر بالسَّير في الوقت المذكور، فإنَّهم لو ساروا في أوَّل اللَّيل لتبعه العدوُّ في الحال، فلا يحصل لهم التَّقدُّم، وكذا لو ساروا في آخره.

* * *

(٥٣) _ ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآيِنِ خَشِرِينَ ﴾.

﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ ﴾؛ أي: ففعلَ موسى عليه السلام ذلك فخرجوا، فأُخبِرَ بذلك فرعونُ فأرسلَ، فالفاء فصيحة.

﴿ فِي ٱلْمَدَآبِنِ ﴾: مدائن مصر.

⁽١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٦).

⁽٢) في (ف) و(ك): «المدلول».

⁽٣) في (ف) و(ك) و (م): «بصحته».

وتعدية (أرسل) بـ ﴿فِ﴾ دون (إلى) للتَّنبيه على الاستعجال منه وسرعةِ الامتثال مِن الرُّسلِ، وعلى أنَّ ملكَ مصر كان معموراً في عهده، بحيث سار الرُّسلُ كما خرجوا مِن عنده في المدائن.

وفيه كسر استبعاد ما(١) ذكر في كثرة(٢) جنده.

﴿ كَثِيرِينَ ﴾ العساكرَ ليتَّبعوهم:

* * *

(٥٤) _ ﴿ إِنَّ هَنَوُكُآءِ لَشِرْدِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾.

﴿ إِنَّ هَنُوْلَآءِ لَيْتَرْذِمَةً قَلِيلُونَ ﴾ على إرادة القول. والشَّرْذِمَةُ: الجمعُ المحتَقَرُ، ذكرهم بالاسم الدَّال على القلَّة، ثمَّ وصفَهم بها، وأتى بصيغة الجمع باعتبار الأسباط، واختار جمع السَّلامة الذي هو للقلَّة، وإنَّما (٣) استقلَّهم وكانوا ستَّ مئة ألف وسبعين ألفاً لكثرةِ مَن معه (١).

* * *

(٥٥) ـ ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآبِظُونَ ﴾.

﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآبِطُونَ ﴾ لفاعلون ما يَغيظنا بخروجهم مِن مِصرَ بلا إذنٍ منَّا، وذهابهم بأموالنا التي استعاروها.

* * *

⁽۱) «ما» سقط من (ع).

⁽٢) في (ف): «وفيه كثير استبعاد ما ذكره في أكثر جنده».

⁽٣) في (ف): «وإن».

⁽٤) أو لشدة استهانته بهم وأنهم مع كثرتهم لا يغنون شيئا.

(٥٦) _ ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾.

﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴾ وقرئ: ﴿ حَادِرُونَ ﴾ (١)، فالحادرُ: اليقظُ، والحاذِرُ الذي يجدِّد حادرَه (٢).

يعني: نحنُ قومٌ مِن عادتنا التَّيقُّظُ والحذرُ واستعمال الحزم في الأمور، فإذا خرج علينا خارِجٌ سارعنا إلى حسم فسادِه.

وهذه معاذيرُ اعتذرَ بها إلى أهلِ المدائن؛ لئلا يُظنَّ به العجزُ والفتورُ.

* * *

(٥٧ _ ٥٨) _ ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّتِ وَعُيُونِ (اللهُ وَكُنُوزٍ وَمَقَامِ كَرِيمٍ ﴾.

﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم ﴾ بإحداثَ الدَّاعي على الخروج.

﴿ مِن جَنَّتِ وَعُيُونِ ﴿ اللَّهُ وَكُنُونِ ﴾ إنَّما خصَّها لأنَّ أموالهم الظاَّهرة قد انطمسَتْ، ومَن غفلَ عن هذا قال: سمَّاها كنوزاً لأنَّهم لم ينفقوا منها في طاعة الله.

﴿ وَمَقَامِ كَرِيمٍ ﴾: بهيِّ بهيجٍ.

* * *

(٥٩) ـ ﴿ كُلَالِكَ وَأَوْرَثَنَهَا بَنِيَ إِسْرَتِهِ بِلَ ﴾.

﴿ كَنَالِكَ ﴾ يحتمل النَّصبَ على: أخرجناهم مثلَ ذلك الإخراج، والجرَّ على أنه صفة (مقامٍ)؛ أي: مثلِ ذلك (٣) المقام الذي كان لهم، والرَّفعَ على أنَّه خبرُ مبتدأ محذوف؛ أي: الأمرُ كذلك.

⁽١) قرأ الكوفيون وابن ذكوان بالألف، وباقى السبعة بغير ألف. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٥).

⁽٢) في (ف) و(ك) و(م): «فالحذر اليقظة والحذر الذي يحذر حذره».

⁽٣) «ذلك» ليست في (ف) و(ك).

﴿ وَأَوْرَثَنَهَا بَنِيَ إِسْرَهِ مِلَ ﴾ عن الحسنِ: لَمَّا عبروا النَّهر رجعوا وأخذوا ديارهم وأموالهم (١).

* * *

(٦٠) - ﴿ فَأَنْبَعُوهُم مُشْرِقِينَ ﴾.

﴿ فَأَتَبَعُوهُم مُشْرِقِينَ ﴾ يقال: أنْبَعَ فلانٌ فلاناً وتبعَهُ: إذا اقتفى أثرَه (٢). وقالَ الزَّجَّاجُ: يُقال: شَرَقَتْ: إذا طَلَعَتْ، وأشرَقَتْ: إذا أضاءَتْ (٣).

* * *

(٦١) _ ﴿ فَلَمَّا تَرْءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُذْرَكُونَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا تَرْءَا ٱلْجَمْعَانِ ﴾؛ أي: تقابَلا بحيثُ يَرى كلُّ منهمُ الآخرَ.

﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدَّرِّكُونَ ﴾: لملحَقون.

* * *

(٦٢) ـ ﴿ قَالَكُلَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ موسى: ﴿ كَلَّمْ ۗ لَن يدركوكم؛ فإنَّ اللهَ تعالى وعدَكُم الخلاصَ عنهم.

﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي ﴾؛ أي: وعدَ ربِّي (١٠).

⁽١) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٣٢).

 ⁽٢) في هامش (م): «من وهم أن الإتباع هنا بمعنى اللحوق فقد وهم، كيف ويأباه قوله: ﴿فَلَمَّا
تَرَّءًا ﴾ الآية. منه».

⁽٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٩٢).

⁽٤) في (ف): «أي وعدني ربي». وجاء في هامش (م): «لو كان المراد المعية بالحفظ والنصرة لكان الأنسب أن يقال: إن معنا ربنا. منه».

﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ طريقَ النَّجاةِ، ويجوز أن يكونَ مِن قَبيلِ التَّمثيل.

* * *

(٦٣) - ﴿ فَأَوْحَيْنَاۤ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱصْرِبِيِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرِ فَأَنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقِ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ أَضْرِب بِعَصَاكَ ٱلْبَحْرُ ﴾: بحرَ القُلْزُم(١).

﴿ فَأَنفَلَقَ ﴾؛ أي: فضربَ فانفلقَ فانشقَّ فصار اثني عشر فِرْقاً على عدد الأسباط.

وفي حذف الفعل وترتيبِ الانفعال على الأمر المذكور في الظَّاهر إشعارٌ بأنَّ ذلك الأمرَ الخارق أثرُ أمرِه تعالى، لا أثرُ ضَرْبِ موسى عليه السلام.

﴿ فَكَانَكُنُ فِرْقِكَالطَّوْدِٱلْعَظِيمِ ﴾: كالجبل المنيف الثَّابت في مقرِّه، فدخلوا في شِعابها، كلُّ سبطٍ في شعب (٢).

* * *

(٦٤) _ ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثُمَّ ٱلْآخَرِينَ ﴾.

﴿ وَأَزْلَفْنَا ﴾: وقرَّبنا ﴿ ثُمَّ ﴾: حيثُ انفلق البحر ﴿ ٱلْآخَرِينَ ﴾ فرعونَ وقومَه، حتى دخلوا على أثرِهم مداخلَهم.

* * *

(٦٥) _ ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ وَ أَجْمِينَ ﴾.

﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥ أَجْمَعِينَ ﴾ بحفظِ البحرِ على تلك الهيئةِ إلى أنْ عَبروا.

وإنَّما قالَ: ﴿وَمَن مَّعَهُ ﴾، ولم يقل: قومه؛ لينتظِمَ مؤمنَ آلِ فرعون؛ فإنَّه كانَ بينَ يدَى موسى عليه السلام.

⁽١) هو البحر الأحمر. وفي (ف) و(م) و(ك): «قلزم».

⁽۲) «في شعب» زيادة من (م) و(ي) و(ع).

ويدلُّ على أنَّ نجاتهم كانت لبركةِ مصاحبتِهم(١) موسى عليه السلام ومتابعتِه.

* * *

(٦٦) - ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴾.

﴿ ثُمَّ أَغُرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴾ بإطباقِ البحرِ عليهم، وكلمة ﴿ ثُمَّ ﴾ دلَّتْ على تأخُّر الهالكين عن خروج النَّاجين، وذلك بحبس (٢) جبريل أوَّلَهم ليَلحقَ به آخرُهم، لا يَشَذَّ منهم أحدٌ.

* * *

(٦٧) ـ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم تُمْوَمِنِينَ ﴾.

﴿ إِنَّ فِي ذَالِكَ ﴾؛ أي: فيما فُعِلَ بموسى عليه السلام وفرعونَ ﴿لَآيَةً ﴾: لعبرةً عجيبةً لا توصَفُ.

﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُتَوْمِنِينَ ﴾ وما تنبَّه (٣) عليها أكثر هم؛ إذ لم يؤمن بها أحدُّ ممَّن بقي في مصر من القِبْط وبنو (١) إسرائيل، بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها، واتَّخذوا العجل، وقالوا: ﴿ لَن نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (٥) [البقرة: ٥٥].

* * *

⁽١) في (ع) و(م): «مصاحبة»، وفي (ك): (مصاحبته».

⁽۲) في (ك): «بحث»، وفي (م): «بحبسان».

⁽٣) في (ف) و(ع): «تنبيه». ولعلها مع الحفاظ على الرسم: (يتنبه).

⁽٤) «وبنو» كذا في النسخ، ولعل رفعها جاء على الحكاية.

⁽٥) «لك»: ليست في (م) و(ع).

(٦٨) - ﴿ وَإِنَّ رَبُّكَ لَمُوا أَلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيدُ ﴾.

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمُو الْعَزِيزُ ﴾ غيرُ عاجزٍ عن الانتقام مِن أعدائه ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ يؤخّرُ العذاب برحمته ليتوبَ منهم مَن تاب.

* * *

(٦٩) - ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِنْزَهِيمَ ﴾.

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾: على مشركي العرب ﴿ نَا أَ إِنْ هِيمَ ﴾: خبرَه العجيبُ الشَّأن.

* * *

(٧٠) - ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ - مَا تَعْبُدُونَ ﴾.

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾: أيُّ شيءٍ تعبدون؟ سألهم يريهم أنَّ ما يعبدونه ليس بمستحَقِّ للعبادة.

* * *

(٧١) - ﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَمَّا عَنكِفِينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا ﴾ كان السؤال عن المعبود لا عن العبادة، وإنَّما زادوا ﴿ نَعْبُدُ ﴾ في الجواب افتخاراً ومباهاة بعبادتها، ولذا عطفوا على ﴿ نَعْبُدُ ﴾:

﴿ فَنَظَلُّ لَمُاعَكِفِينَ ﴾: فنُقيم على عبادتها طول النَّهار، ويحتمل أن يكون (نظلُّ) بمعنى: ندوم، فلا يدلُّ على اختصاص عبادتهم بالنَّهار.

* * *

(٧٢) _ ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْتَدْعُونَ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ إبراهيمُ عليه السلام: ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ ﴾: هل يجيبونكم ﴿ إِنْتَدْعُونَ ﴾؟

فإنَّ سَمِعَ بمعنى أجاب شائعٌ، ومنه: سمعَ اللهُ لمن دعَى، ولو كان (يسمعون) على معناه الحقيقيِّ لقيل: هل يسمعونكم تدعون؟

* * *

(٧٣) _ ﴿ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾.

﴿ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ ﴾ إن عبدتموها ﴿ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ إنْ تركْتُم عبادَتها.

* * *

(٧٤) _ ﴿ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَا ٓ ءَابَآ أَعَالَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾.

﴿ قَالُواْ بَلْ ﴾ إضراب؛ أي: لا تسمَعُ ولا تنفعُ ولا تضرُّ، ولا نعبدُها لشيءٍ (١) مِن ذلك، ولكن ﴿ وَجَدْنَا ءَابِآءَنَاكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ فقلَّدناهم.

* * *

(٧٥-٧٧) - ﴿ قَالَ أَفَرَءَ يَتُعُرَمًا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ اللَّهِ النَّهُمْ وَءَابَآ وُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴾.

﴿ قَالَ أَفَرَءَ يَتُمُ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿ أَنتُمْ وَءَابَآ وُكُمُ الْأَقَدَمُونَ ﴾ فإنَّ التَّقدُّم لا يدلُّ على الصِّحة ولا ينقلب بها الباطل حقًّا.

* * *

(٧٧) - ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِيَ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾.

﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُولٌ لِيَّ ﴾ العدوُّ والصَّديقُ يجيئان في معنى الوحدة والجماعة، يعني: لو عبدتهم لكانوا أعداءً لي (٢) إلى يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿سَيَكُفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًا ﴾ [مريم: ٨٢].

⁽۱) في (ك): «بشيء».

⁽٢) «لي» من (ي) و(ع).

وقال الفرَّاء: هو مِن المقلوب؛ أي: فإنِّي عدوٌّ لهم(١١).

وفي قوله: ﴿ لِي اللهِ وَن الكم، زيادةُ نصح؛ ليكونَ أدعى لهم إلى القَبول.

﴿ إِلَّارَبَ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ استثناء منقطع، أو متَّصلٌ على أنَّ الضَّمير لكلِّ معبودٍ عبدوه، فيدخل فيه المعبودُ بحقّ، ولا حاجة إلى أنْ يُقالَ: وكان من آبائهم مَن عبدَ الله؛ لأنَّهم أيضاً يعبدون الله إلَّا أنَّهم يشركون الأصنام في العبادة، دلَّ على ذلك قوله: ﴿ إِذْ لُسُوِّيكُمْ مِرَبِ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٨].

* * *

(٧٨) ـ ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾.

﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي ﴾ بالتَّكوين في القرار المكين.

﴿ فَهُوَ يَهُدِينِ ﴾ لـ مَناجِح (٢) الدُّنيا ولمصالح الدِّين.

والاستقبال في ﴿يَمْدِينِ﴾ مع سبقِ العناية بالهداية لأنَّه يحتمل: يهديني للأهمِّ الأفضل والأتمِّ الأكمل.

أو: الذي خلقني لأسبابِ خدمته فهو يهديني إلى آداب(٣) خلَّته.

والفاء للسَّببية إنْ جُعِلَ الموصولُ مبتدأً، وللعطف إنْ جُعِلَ صفةَ ﴿رَبَّ الْعَلَمِينَ﴾، فيكون اختلافُ النَّظمِ لتقدُّم الخلق واستمرار الهداية.

* * *

⁽۱) انظر: «تفسير القرطبي» (۱٦/ ٣٧)، و «تفسير النسفي» (٢/ ٥٦٧).

⁽٢) في (ك): «لمناهج»، ومثله في مطبوع «تفسير النسفي» (٢/ ٥٦٧).

⁽٣) في (ف) و(ك) و(م): «لآداب».

(٧٩) ـ ﴿ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾.

﴿ وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ على الأوَّل مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ لدلالة ما قبلَه، وكذا(١) اللَّذان بعدَه.

وتكرير الموصول على الوجهين للدِّلالة على أنَّ كلَّ واحدةٍ من الصِّلاتِ مستقلَّة باقتضاءِ الحكم.

أضاف الإطعام إلى وليِّ الإنعام لأنَّ الرُّكون إلى الأسباب عادةُ الأنعام.

* * *

(٨٠) - ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُو يَشْفِينِ ﴾.

﴿ وَإِذَا مَرِضَتُ ﴾ لم يقل: أمرضني؛ لأنّه قصدَ الذّكر (٢) بلسانِ الشّكر، فلم يُضفْ إليه ما يقتضي الصّبر (٣)، ولأنّ ذلك لم يكون مقصوداً بذاته كسائر ما ذُكِر (١) مِن أفعاله تعالى الكمالية، وإنّما هو من (٥) روادف الطّعام والشّراب، ولهذا قال: ﴿ وإذا مرضت ﴾ على الفرض (٢)، فلم (٧) ينسبه إليه تعالى نسبةَ البواقي؛ تنبيها على الفصل بينهما.

﴿ فَهُو يَشْفِينِ ﴾ إِنْ شُفِيْتُ لا غيرُه، لا أنَّه يشفين لا محالة.

⁽١) في (م): «وكذلك».

 ⁽۲) في (ع): «الركن».

⁽٣) في (ع): «الضر»، وكذا في «تفسير النسفي» (٢/ ٥٦٨).

⁽٤) في (ي) و (ع): «سيرده»، ولعلها: «سيرد».

⁽٥) في (ي) و (ع): «في»، وسقطت من (ف) و (ك).

⁽٦) في (ف) و(ك) و(م): «العرض»، وفي هامش (م): «لعلها الفرض».

⁽٧) في (ي): «ولا».

(٨١) - ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ﴾ لم يقل: إذا متُ؛ لأنَّه الخروج مِن حبسِ البلاءِ ودارِ الفَناء إلى رَوضِ البقاء لوعد اللِّقاءِ، فليس هو كالمرضِ.

ولَمَّا كانت الإماتةُ والبعث ممَّا لا يمكن إسنادها(١) إلَّا إلى الله تعالى كالخَلْقِ، لم يَحتجُ إلى توكيدٍ، بخلاف الهداية والإطعام والإسقاء والشِّفاء، فإنَّه ممَّا يمكن إسنادها إلى غير الله تعالى.

وإنَّما أتى بأداة التَّراخي في قوله: ﴿ ثُمَّ يُصِّبِينِ ﴾ لأنَّه أرادَ الإحياءَ في الآخرة دون القبر، وبأداة التَّعقيب في الهداية والشِّفاء لأنهما يعقبان الخَلْق والمرض، وبأداة الجمع المطلق في السَّقي لأنه قد يَعقب الإطعامَ وقد يتأخَّر وقد يتقدم عليه (٢).

* * *

(٨٢) - ﴿ وَالَّذِي ٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓ عَتِي يَوْمَ ٱلدِّيبِ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِي ٓ أَطْمَعُ ﴾ طمعَ العبيد في الموالي بالإفضالِ، لا على الاستحقاق بالسُّؤالِ.

﴿ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيَتَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ استغفارُ الأنبياء عليهم السلام تواضعٌ منهم لربِّهم، وهضمٌ لأنفسهم، وتعليمٌ للأمم في طلب المغفرة.

قدَّم الثَّناء على الله وذَكره بالأوصاف الحسنة بين يدَي طَلِبته ومسألته، ثمَّ سألَه تعالى فقال:

* * *

⁽١) في (ك): «إسنادهما».

⁽۲) «عليه» سقط من (ف) و(م).

(٨٣) - ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكَمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّلِحِينَ ﴾.

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكَمًا ﴾: كمالاً في العلم والعمل لأنتظِم في عداد الكاملين في صلاح الدِّين (١) لا يشوب صلاحَهم كبيرُ ذنبِ ولا صغيرُه.

﴿ وَٱلْحِقْنِي بِٱلصَّلِحِينَ ﴾؛ أي: الأنبياءِ عليهم السلام، ولقد أجابه حيث قال: ﴿ وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّلِحِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٠].

* * *

(٨٤) - ﴿ وَٱجْعَل لِي لِسَانَ صِدْقِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾.

﴿وَلَجْعَلَ لِيَ لِسَانَ صِدِّقِ ﴾؛ أي: ثناءً حسناً وذِكْراً جميلاً. وفي العبارة باللِّسان عن القول ما لا يخفى مِن البلاغة، وإنَّما أضافه إلى الصِّدق إضافة الموصوفِ إلى الصِّفة الدَّالة للاختصاص به والعَراقة فيه؛ احترازاً عن الإطراء في شأنه.

﴿ فِ ٱلْآخِرِينَ ﴾: في الأمم التي تجيء مِن بعدي، فأُعْطِيَ ذلك، فكلُّ أهلِ دينٍ يتولَّونه (٢) ويثنون عليه بلا إطراء (٣).

* * *

(٨٥) ـ ﴿ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَيْقَةِ جَنَّ قِٱلنَّعِيمِ ﴾.

﴿ وَأَجْعَلْنِي مِن ﴾ متعلِّقٌ بمحذوفٍ؛ أي: وارثاً من ﴿ وَرَيْقِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ سأله أن يفعل معه من الألطاف ما يختار عنده (٤) الطَّاعات؛ لأن الجنة لا يُتنعَّم فيها إلَّا بالاستحقاق،

⁽١) في (ف) و(ك): «الذين».

⁽۲) في (ف) و(م): «يقولونه».

⁽٣) في (ك): «بالإطراء».

⁽٤) في (ع): «عنه»، وفي (ف) و(م): «عند».

وإنْ كان الدُّخول بمَحْضِ لُطْفِ الله تعالى، فلذلك قال: ﴿مِنوَرَثَةِ﴾؛ فإنَّ الوارث يأخذ الميراث بلا كسب منه(١).

(٨٦) - ﴿ وَأَغْفِر لِأَبِيٓ إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلضَّا آلِينَ ﴾.

﴿ وَأَغِفْرِ لِأَبِيَّ ﴾ طلبَ هدايته إلى الإيمان اقتضاءً؛ قضاءً لحق أبوَّته (٢)، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ كَانَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾؛ أي: استمرَّ على الضَّلال في الأزمنة الماضية، قاله تأسُّفاً وتلهُّفاً، لا إخباراً وإظهاراً، أو كان ذلك الطَّلبُ(٣) منه عليه السلام قبلَ أنْ(١) مات أبوه، ولَمَّا ماتَ أبوه على الكفر فتبيَّن أنَّه عدوُّ الله(٥) تبرأ منه(١).

(٨٧) - ﴿ وَلَا تُخْرِنِي يَوْمَ بِبُعَدُونَ ﴾.

﴿ وَلَا تُعْزِنِ ﴾ الإخزاءُ: مِن الخِزْي، وهو الهوان، أو مِن الخزاية، وهي الحياء.

﴿ يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ الضَّمير للنَّاس لأنَّه معلوم؛ أي: لا تخزني على رؤوس المعشر بتعذيب أبي يوم المحشر(٧)، فهو مِن تتمَّة الاستغفار لأبيه.

⁽١) في هامش (م): «فكل من الوراثة وإضافة النعيم إلى الجنة لايخلو عن دقيقة أنيقة. منه».

⁽٢) في (م): «أبويه».

⁽٣) في (م): «للطلب».

⁽٤) بعدها في (ف) و(ك): «كان».

⁽٥) في (ع): «انه عدو أبعد».

⁽٦) في هامش (م): «من قال: إنما استغفر له بعد موته على الكفر لأن الاستغفار للكفار لم يمنع بعد، فكأنه غافل عن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَيَّنَ لَهُۥ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأُ مِنْهُ ﴾».

⁽٧) في (م): «لا تخزني بتعذيب إلى يوم المحشر على رؤوس المعشر».

(٨٨) _ ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾.

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالً ﴾ _ بدلٌ مِن اليوم الأوَّل _ ﴿ وَلَا بَنُونَ ﴾ أحداً، كما ينفع في الدُّنيا يفديه (١) ماله ويذبُّ عنه بنوه (١).

* * *

(٨٩) - ﴿ إِلَّا مَنْ أَقَى ٱللَّهَ بِقَلْبِ سَلِيمٍ ﴾.

﴿ إِلَّا مَنْ ﴾ مفعول لـ ﴿ يَنْفَعُ ﴾.

﴿ أَقَ اللَّهِ بِهَلْبِ سَلِيمٍ ﴾ مِن الكفرِ والنِّفاق سليم القلب (٣)، فقلبُ الكافر والمنافق مريض لقوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة: ١٠].

أي: إنَّ المال إذا صُرِفَ في وجوه البرِّ وبنوه صالحون فإنَّه ينتفع به وبهم سليمُ القلبِ.

قد صوَّب الجليل استثناء الخليل إكراماً له، ثم جعله صفةً له في قوله: ﴿وَإِنَ مِنْ مِيعَنِهِ عَلَيْهِ مِنْ اللهِ عَنِهِ عَلَيْ مِنْ مِنْ مِيعَنِهِ عَلَيْهِ مِنْ مِنْ مِيعَنِهِ عَلَيْهِ مِنْ اللهِ اللهِ عَنِهِ عَلَيْهِ مِنْ اللهِ عَنِهِ عَلَيْهِ مِنْ اللهُ اللهُ عَنْهُ عَنْهُ عَنْهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَنْهُ اللهُ عَنْهُ عَنْهُ اللهُ عَنْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَنْهُ عِنْهُ عَنْهُ sup>(</sup>١) في (ك): «تعدد»، وفي (ي): «بفدية».

⁽٢) في هامش (م): «أي لا ينفع تفريق المال ولا جمع الرجال، يعني: لا تُدفع مكارهُ ذلك اليوم لا باللطف ولا بالعنف، ومعتاد العرب المظاهرةُ بالعشيرة والقبيلة، وإيراد البنون من قبيل ذكر الجزء وإرادة الكل، وعلى هذا يظهر وجه إيثاره على الولد، وإتيانه صيغة الجمع، وموجَبه انقطاع الاستثناء في قوله: ﴿ إِلّا مَنْ أَنَّ اللهُ ﴾، إذ على تقدير الاتصال لا مجال لتعميم النفع......». وطمست كلمة أو اثنتان في آخر الكلام.

⁽٣) «سليم القلب» ليست في (ع) و(ي).

(٩٠) - ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُنَّقِينَ ﴾.

﴿ وَأُنْزِلَهَٰتِٱلْمُنَّقِينَ ﴾؛ أي: قُرِّبَتْ، عطفُ جملةٍ على جملةٍ؛ أي: تُزلَف مِن موقفِ السُّعداء، فينظرون إليها، ويتبجَّحون بحشرهم إليها.

* * *

(٩١) - ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْعَاوِينَ ﴾.

﴿ وَبُرِزَتِ ٱلْجَحِيمُ ﴾؛ أي: أُظْهِرَتْ، فيرونَها مكشوفةً، ويتحسَّرون على أنَّهم مسوقون إليها.

وفي اختلافِ الفِعلَيْن دلالة على أنَّ أرضَ المحشر قريبةٌ مِن الجحيم.

﴿لِلْغَاوِينَ﴾ الغاوي: العاملُ بما يوجب الخيبةَ مِنَ الثَّوابِ، وأصلُ الغِوايةِ: الخيبةُ، قالَ الشَّاعرُ:

فمَنْ يلقَ خيراً يحمَدِ النَّاسُ أمرَهُ ومَنْ يغوِ لا يعدمْ على الغيِّ لائماَّ(١)

* * *

(٩٢ - ٩٣) - ﴿ وَقِيلَ لَمُمَّ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعَبُدُونَ ﴿ إِنَّ إِمِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَا كُمْ أَقْ يَنْصِرُونَ ﴾.

﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ﴾ على وجهِ التَّوبيخ والتَّقريع: ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ نَعْبُدُونَ ۗ كَا مِن دُونِ اللَّهِ هَل يَضُرُّونَكُمُ ﴾: هـل ينفعونَكُم بنصرتهم لكم.

﴿ أَوْ يَنْكَمِرُونَ ﴾: أو هل ينفعون أنفسَهم بانتصارهم، وهذا لأنَّهم وآلهتَهم وَقودُ النَّارِ.

⁽١) للمرقش الأصغر. انظر: «المفضليات» (ص: ٢٤٧).

(٩٤) _ ﴿ فَكُبْكِمُواْفِيهَاهُمْ وَٱلْفَاوُنَ ﴾.

﴿ فَكُبُرِكِهُ ﴾: نُكِّسُوا، أو طُرِحَ بعضُهم على بعضٍ ﴿ فِيهَا ﴾: في جهنَّم ﴿ هُمْ ﴾؛ أي: الآلهة ﴿ وَأَلْفَاوُنَ ﴾ وعبدتُهم الذين برِّزَتْ لهم الجحيم.

والكَبْكَبَةُ: تكرير الكَبِّ، جعل التَّكريرَ في اللَّفظ دليلاً على التَّكرير في المعنى، كأنَّه إذا أُلْقِيَ في جهنَّمَ ينكبُّ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ حتى يستقرَّ في قَعرها.

* * *

(٩٥) - ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾.

﴿ وَجُنُودُ إِبِّلِيسَ ﴾: شياطينُه، أو مُتَّبعوه مِن عُصاةِ الإنسِ والجنِّ.

﴿ أَجْمَعُونَ ﴾: تأكيدٌ للجنود، إنْ جُعِلَ مبتداً خبرُه ما بعدَه، وإنْ لم يُجْعلُ مبتداً بل معطوفاً على ﴿ هُمْ ﴾ يكون ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾ تأكيداً للضّمير الذي هو ﴿ هُمْ ﴾ ولِمَا عطف عليه وهو ﴿ الغاوون وجنود إبليس ﴾، وهذان الاحتمالان قائمان في الضّمير المنفصل، وما يعودُ عليه في قوله:

(٩٦) - ﴿ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْنَصِمُونَ ﴾.

﴿ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَغْنَصِمُونَ ﴾ يجوزُ أَنْ يُنْطِقَ الله تعالى الأصنامَ حتَّى يصحَّ التَّقاوُلَ والتَّخاصُمَ، ويؤيِّدُه الخطاب في: ﴿ نُسُوِّيكُم ﴾.

* * *

(٩٧ ـ ٩٨) - ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَغِي ضَلَالِ مُّبِينٍ ﴿ اللَّهِ الْمُوْيِكُمْ بِرَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾.

﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالِ مُبِينٍ ﴾: بَيِّنٍ ﴿ إِذْنُسَوِّيكُم ﴾: نَعْدِلُكم أَيُّها الأصنام ﴿ بِرَبِّ الْعَادِة.

(٩٩) - ﴿ وَمَآ أَضَلَّنَاۤ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾.

﴿ وَمَآ أَضَلَنَآ إِلَّاٱلْمُجْرِمُونَ ﴾؛ أي: رؤساؤهم الَّذين أضلُّوهم، أو إبليس وجنوده، ومَن (١١) سَنَّ الشِّرْكَ.

* * *

(١٠٠) _ ﴿ فَمَالُنَا مِن شَنْفِعِينَ ﴾.

﴿ فَمَالَنَا مِن شَنِفِعِينَ ﴾ مِن الأباعد(٢)، كما للمُؤمِنين (٣) مِن الأنبياء والأولياء والملائكة.

وَلَمَّا أَتَى بَصِيغَة الجمع لمصلحة الفاصلة تُدُورِكَ حَقَّ المقام بزيادة (مِن) التَّبعيضيَّة.

* * *

(١٠١) = ﴿ وَلَاصَدِيقٍ مِيمٍ ﴾.

﴿ وَلَاصَدِيقِ مِبِي ﴾: مِن الأقارب، كما نرى (٤) للمؤمنين أصدقاء، قال الله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَاءُ يُومَ بِذِبَعْضُ هُمّ لِبَعْضِ عَدُولًا إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

والحميمُ: مِن الاحتمام، وهو الاهتمام، وهو الذي يهمُّكَ ما يهمُّه، أو من الحامَّة بمعنى الخاصَّة، وهو الصَّديق الخاص.

⁽١) في (ك): «من».

⁽۲) في (ع) و(ي): «الإباعة».

⁽٣) في (م): «كالمؤمنين».

⁽٤) في (ك) و (ي): «ترى».

(١٠٢) - ﴿ فَلُو أَنَّ لَنَاكُرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ فَلَوَ أَنَّ لَنَاكَرَّةً ﴾: رجعةً إلى الدُّنيا ﴿ فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وجوابُ (لو) محذوف، وهو: لفعلنا كَيْتَ وكَيْتَ.

أو (لو)(١) في مثل هذا للتَّمنِّي، كأنَّه قيل: فليْتَ لنا كرَّةً؛ لِمَا بينَ معنى (لو) و(ليت) من التَّلاقي.

* * *

(١٠٣) - ﴿ إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةً وَمَاكَانَأَ كُثُرُهُم مُّومِينِنَ ﴾.

﴿ إِنَّ فِ ذَلِكَ ﴾: فيما ذُكِرَ مِن قصَّةِ إبراهيمَ عليه السلام.

﴿ لَا يَدُ اللَّهُ ال

﴿وَمَاكَانَأَ كَثَرُهُم ﴾: أكثرُ قومه ﴿مُؤْمِنِينَ ﴾ به.

* * *

(١٠٤) - ﴿ وَإِنَّا رَبُّكَ لَمُوا ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيدُ ﴾.

﴿ وَإِنَّ رَبِّكَ لَمُو الْمَرْبِرُ ﴾: القادرُ على تعجيل الانتقام ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ بالإمهال، لكي يؤمنوا هم أو أحدٌ مِن ذرِّيتهم.

⁽۱) في (ف) و(ك) و(ي): «ولو». والصواب المثبت. انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٤٣)، و «تفسير النسفي» (٢/ ٥٧١) والكلام منه.

(١٠٥) - ﴿ كُذَّبَتْ قَوْمُ نُوجٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

﴿كَذَّبَتْ فَوْمُ نُوجٍ ﴾ القومُ مؤنَّنة (١)، ولذلك يصغَّرُ على: قُوَيْمَة.

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ قد مرَّ الكلام في تكذيبهم المرسلين.

* * *

(١٠٦) - ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحُ أَلَا لَنَقُونَ ﴾.

﴿ إِذْ قَالَ لَهُمَّ أَخُوهُمْ نُوحٌ ﴾ إنَّما قال: ﴿ أَخُوهُمْ ﴾ لأنَّه كان منهم:

﴿ أَلَّا نَنَّقُونَ ﴾ خالقَ الأنام فتتركوا عبادةَ الأصنام.

* * *

(١٠٧) _ ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولُ أَمِينٌ ﴾.

﴿ إِنِّ لَكُمْ رَسُولُ آمِينٌ ﴾ كان مشهوراً بالأمانة فيهم، كمحمَّدِ عليه الصلاة والسلام في (٢) قريش.

* * *

(١٠٨) ـ ﴿ فَأَنَّقُواْ أَللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾.

﴿ فَأَتَّقُوا أَللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ فيما آمرُكم به مِنَ التَّوحيد والطَّاعة للهِ تعالى.

* * *

(١٠٩) = ﴿ وَمَا أَسْفِكُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾.

﴿ وَمَا أَشَتَكُمْ مَا يَدِ ﴾ على ما أنا عليه مِن الدُّعاءِ والنُّصح.

(١) في (م): «مؤنث».

⁽٢) في (ك): «و».

﴿مِنْ أَجْرٍ ﴾ الأجرُ: عبارةٌ عن المنفعةِ المستحقّة، فأمّا الذي لا يكون مستحَقًّا فذلك لا يُسمَّى أجراً، بل هبةً.

﴿إِنَّ أَجْرِى إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ بحكم وعدِه، وفيه دلالة (١) على عِظَمِ شأنِ ما أُمِرَ بتبليغِه، وهذا هو الموجِبُ لطاعته فيما يدعوهم إليه، فلذلك أعادَ قولَه:

(١١٠) ـ ﴿ فَأَتَّـ قُواْ ٱللَّهُ وَأَطِيعُونِ ﴾.

﴿ فَأَتَّقُواْ اللَّهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ وأمَّا حَسْمُ الطمع المستفادُ ممَّا تقدَّم فقاصرٌ عن إيجابها.

ثم إنَّ قولَه: ﴿رَبِ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ التزام الأجر في ذلك لمصلحةِ تربيتِهم، لا لأمرٍ يعود إلى نفسِه مِن نفع أو دفع.

* * *

(١١١) _ ﴿ قَالُوٓ أَلْوَٰمِنُ لَكَ وَأَتَّبَعَكَ أَلْأَرْذَلُونَ ﴾.

﴿ قَالُوٓا أَنُوۡمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ ﴾ الواو للحال، و(قد) مُضمَرةٌ بعدَها، دليله قراءة: ﴿ وَأَتباعُك ﴾ البعر وأشهاد، أو: تَبَعٍ ؛ كَبَطَل وأَبْطَال.

﴿ الْأَرْدَلُونَ ﴾: جمع الأرذل(٢) على الصِّحة، والرَّذالةُ: الخسَّةُ والدناءةُ.

وإنَّما استرذلوهم لإيضاع نسبِهم وقلَّة نصيبهم مِن الدُّنيا، وقيل: كانوا مِن أهل الصِّناعاتِ الدَّنيَّةِ، وأشاروا بذلك إلى أنَّ اتِّباعَهم ليس عن نظرٍ وبصيرةٍ، وإنَّما هو لتوقُّع مآلٍ ورفعة فلذلك:

⁽۱) في (م) و(ك): «تنبيه»، وفي (ف): «دليل».

⁽٢) قرأ بها يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٣٥).

⁽٣) في (ي): «أرذل».

(١١٢) - ﴿قَالَ وَمَا عِلْيِي بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَاكَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ أنَّهم عملوه إخلاصاً أو طَمَعاً في طُعْمَةٍ (١)، وما عليَّ إلَّا اعتبار الظَّاهر.

* * *

(١١٣) ـ ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾.

﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي ﴾: ما حسابُهم على بواطنهم إلا على الله تعالى؛ فإنَّه المُطَّلعُ على السَّرائرِ.

﴿ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ لعلمتم ذلك، ولكنَّكم تجهلون، فتقولون ما لا تعلمون.

* * *

(١١٤) - ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ ٱلْمُوْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَمَا آنَا بِطَارِدِا لَمُوْمِنِينَ ﴾ جوابٌ لِما أوهم قولهم: ﴿ وَاتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ مِن استدعاء طردهم استنكافاً عن الشّركة معهم في المتابعة _ خصوصاً إذا كان لهم فضلُ التَّقدُّم وقدمُ السّبقِ _ وتوقيفِ (٢) إيمانهم عليه، وقوله:

* * *

(١١٥) - ﴿إِنْ أَنَّا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾.

﴿إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّيِئٌ ﴾ كالعلَّة له؛ أي: ما أنا إلَّا رجلٌ مبعوثٌ لإنذار المكلَّفين مِن الكفر والمعاصي، سواءٌ كانوا أعزَّاء أو أذلَّاء، وكم مِن ذليلِ عندَ النَّاسِ وهو عزيزٌ

⁽١) في (ع) و(ي): «طمعاً وطمعة»، والمثبت موافق لما في «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٤٤).

⁽٢) في (ع): «وتوفيق». والمقبت موافق للمصدر السابق، ولفظه: ﴿ وَمَآ أَنَابِطَارِدِٱلْمُوْمِينَ ﴾ جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيفِ إيمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه.

عندَ اللهِ، وبالعكس، فكيفَ يليقُ بي طردُ الفقراء لاستتباعِ الأغنياءِ، أو: ما عليَّ (١) إلَّا إنذاركم إنذاراً بيِّناً بالبرهانِ الواضح، ثمَّ أنتم أعلمُ بشأنِكم.

* * *

(١١٦) - ﴿ قَالُواْ لَيِن لَّمْ تَنتَهِ يَنتُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ لَإِن لَرْ تَنتَهِ يَننُوحُ ﴾ عمَّا تقولُ، والانتهاءُ: بلوغُ الحدِّ مِن غير مجاوزةٍ إلى ما وقعَ عنه (٢) النَّهيُ، وأصلُ النِّهايةِ: بلوغُ الحدِّ.

﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرَّجُومِينَ ﴾: مِن المضروبين بالحجارة.

* * *

(١١٧) ـ ﴿ قَالَرَبِ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴾.

﴿ قَالَكَرَبِّ إِنَّ قَرْمِى كَنَّبُونِ ﴾ إظهاراً لِمَا يدعو عليهم لأجله، وهو تكذيبُ الحقِّ، لا تخويفهم له واستخفافهم عليه.

* * *

(١١٨) - ﴿ فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبِيْنَهُمْ فَتْحًا وَيَجِّنِي وَمَن مِّييَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ فَأَفْنَعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَا ﴾: فاحكم بيني وبينهم حُكْماً، مِن الفتاحة وهو الحُكومَةُ، والفَتَّاحُ: الحاكم؛ لأنَّه يفتحُ المستغلَق.

﴿ وَهَجِّنِي وَمَن مِّعِي مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: مِنْ قَصدِهم، أو مِن شُؤمٍ عَملِهم.

⁽١) في (ف) و(ك): «أمَّا ما عليَّ».

⁽٢) في (ف): «عليه».

(١١٩) _ ﴿ فَأَجْمَنْنَهُ وَمَن مَّعَهُ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾.

﴿ فَأَنِحَيْنَهُ وَمَن مَّعَهُ فِ ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾: المملوء، ومنه شِحنةُ (١) البلدِ؛ أي: الذي يملؤه كفايةً.

كانت السَّفينة مملوءةً مِن النَّاس وأنواع الحيوان مِن سباعِ البهائم وجوارح الطَّير، فكانت في قصَّتهم هذه نجاةً في نجاةٍ، ومِن هنا اتَّضح وجه (٢) توصيف الفُلك بالوصف المذكور في مقام الامتنان.

* * *

(١٢٠) ـ ﴿ ثُمَّ أَغَرَقُنَا بَعَدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾.

﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ﴾ ﴿ ثُمَّ ﴾ للتَّفاوُتِ بينَ الحالَيْنِ لا للتَّراخي، ولذلك قال:

﴿بَعْدُ ﴾؛ أي: بعدَ إنجائه ومَن معَه ﴿ٱلْبَاقِينَ ﴾ مِن قومِه.

* * *

(١٢١) ـ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَاكَانَ أَكْثَرُهُمُ مُّؤْمِنِينَ ﴾.

﴿إِنَّ فِ ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ عظيمةً، شاعَتْ وتواترَتْ ﴿وَمَاكَاكَأَ كُثَرُهُمُ مُّؤْمِنِينَ ﴾.

* * *

(١٢٢) - ﴿ وَإِنَّ رَبُّكَ لَهُ وَ ٱلْعَزِيثُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

﴿ وَإِنَّ رَبِّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾: المنتقم (٣) بإهانة مَنْ جَحَدَ وأَصَرَّ ﴿ٱلرَّحِيمُ ﴾: المنعِمُ بإعانَة مَن وحَّدَ وأقرَّ.

⁽١) في (ف) و(ع): «شحنه».

⁽٢) «وجه»: ليست في (ك) و(م).

⁽٣) في (ف) و(ك): «الممتنع». والمثبت موافق لما في «تفسير النسفي» (٢/ ٥٧٤).

(١٢٣) - ﴿ كُذَّبَتْ عَادُّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

﴿ كَذَّبَتْ عَادُّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ هي قبيلةٌ، وفي الأصل اسم رجل هو أبو القبيلة.

* * *

(١٢٤ _ ١٢٧) _ ﴿ إِذْ قَالَ لَمُنُمُ أَخُوهُمْ هُودُ أَلَا نَتَقُونَ ﴿ إِنِّ لَكُورَسُولٌ آمِينٌ ﴿ فَأَنَقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿ الْمَالَمِينَ ﴾ .

﴿ إِذْ قَالَ لَمُنْمَ أَخُوهُمْ هُودُ أَلَا نَنَقُونَ ﴿ إِنِي لَكُورَ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿ اللَّهَ فَأَنَقُوا اللّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿ اللَّهَ وَمَا أَشَالُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّا كَانَ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ قد تقدّم تفسيره عن قريب.

* * *

(١٢٨) - ﴿ أَتَنْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ اَيَةً تَعَبَثُونَ ﴾.

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِبِعِ ﴾: مكانٍ مرتفعٍ، والبناءُ: وضعُ سافٍ على سافٍ (١) إلى حيث ينتهى.

الرِّيعُ: الارتفاع من الأرض، ومنه: الرِّيع في الطَّعام، وهو ارتفاعه بالزِّيادة والنَّماء.

﴿ ءَايَةً ﴾: بناءً يكون لارتفاعه كالعلامة.

﴿ تَعَبَثُونَ ﴾: تلعبون.

⁽١) (السَّافُ): الصَّفُّ مِن اللَّبِن أَو الطِّين. انظر: «المغرب في ترتيب المعرب» (مادة: سوف). ووقع في (ف): «ساق على ساق».

(١٢٩) _ ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصِكَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَعَلَّدُونَ ﴾.

﴿ وَتَتَخِذُونَ مَصَانِعَ ﴾: مآخِذَ الماءِ، أو: قصوراً (١) مشيَّدة، أو: حصوناً؛ أي: أتجعلون في كلِّ موضع عالٍ مشرِفِ علامةً تبنونها ولا تحتاجون إليها لسكناكم، إنَّما تريدون به المباهاة والمراءاة وذا عبثُ.

﴿ لَعَلَّكُمْ تَخَلُّدُونَ ﴾: وترجون الخلود في الدُّنيا فتُحْكِمون بُنيانها.

* * *

(١٣٠) _ ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُه بَطَشْتُهُ جَبَارِينَ ﴾.

﴿ وَإِذَا بَكَشْتُم ﴾ البَطْشُ: العَسْفُ قتلاً (٢) بالسَّيف وضرباً بالسَّوط.

﴿ بَطَشَتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ الجبَّارُ: العالي على غيره بعظيم (٣) سلطانه، وهو في صفةِ الله تعالى مدحٌ، وفي صفة غيره ذمٌّ.

وقال الحسن: بطش الجبرية: هو المبادرة مِن غير تثبُّت ولا توقُّف (١).

فذمَّهم الله تعالى بذلك، ونهاهم هود عليه السلام.

* * *

(١٣١) - ﴿ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾.

﴿ فَأَتَّقُوا اللَّهُ ﴾ بترك هذه الأشياء ﴿ وَأَطِيعُونِ ﴾ فيما أدعوكم إليه؛ فإنَّه أنفع لكم.

⁽١) في (ف) و(ك) و(م): «وقصوراً».

⁽٢) «قتلا»: ليست في (م).

⁽٣) في (ف) و(ك) و(م): «العالى إلى غيره لعظيم»، لكن كتب فوق «إلى» في (ك): «على».

⁽٤) بنحوه في «الكشاف» (٣/ ٣٢٦).

(١٣٢ - ١٣٣) - ﴿ وَاَتَّقُوا الَّذِي آَمَدُّكُم بِمَاتَعَلَمُونَ ﴿ اللَّهُ أَمَدُّكُم بِأَنْعَلِمِ وَيَنِينَ ﴾.

﴿ وَاتَقُوا الَّذِي ٓ أَمَدُكُم بِمَاتَعْلَمُونَ ﴿ أَمَدُكُم بِأَنْعَلِمِ وَبَنِينَ ﴾ قَرَنَ البنينَ بالأنعام لأنَّهم يُعينونهم على حفظها والقيام عليها.

* * *

(١٣٤) ـ ﴿ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾.

وقرن العيون بالجنَّات في قوله: ﴿وَجَنَّاتِ وَعُيُونٍ ﴾(١) لأنَّ قوامَها ودوامَ منافعها بها.

كرَّرَ الأمرَ بالاتِّقاء مرتَّباً على إمداد الله إيَّاهم بما يعرفونه (٢) من أنواع النِّعم؛ تعليلاً وتنبيهاً (٣): بالوعد عليه بدوام الإمداد، والوعيد على تركه بالانقطاع، ثمَّ فصَّل بعضَ تلك النِّعم كما فصَّل بعضَ مساويهم المدلول عليها إجمالاً بالإنكار في ﴿أَلَا نَقُونَ ﴾ مبالغة في الإيقاظ والحثِّ على التَّقوى (٤) فقال:

* * *

(١٣٥) ـ ﴿ إِنِّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ إِنِّ آَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ ﴾ في الدُّنيا والآخرة، فإنَّه كما قدرَ على الإنعام قدرَ على الإنتقام.

⁽١) في (ف) و(ك) و(م): «العالى إلى غيره لعظيم»، لكن كتب فوق «إلى» في (ك): «على».

⁽٢) بنحوه في «الكشاف» (٣/ ٣٢٦).

⁽٣) في (م): «أو تنبيهاً».

⁽٤) في (م) زيادة: «ثم أوعدهم».

(١٣٦) - ﴿ قَالُواْ سَوَآةُ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْلَة تَكُن مِّنَ ٱلْوَعِظِينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَا ﴾؛ أي: مستو عندَنا، وإنَّما قيل: ﴿ عَلَيْنَا آ ﴾ لأنَّ المراد بالاستواء من جهة التَّأثير.

﴿ أَوَعَظْتَ ﴾ الوعظُ: كلامٌ يليِّنُ القلب(١١) بذكر الوعدِ والوعيدِ.

﴿أَمْلَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَعِظِينَ ﴾ فإنّا لا نَرْعَوي عمّا نحن عليه. وتغيير شقّ النّفي عمّا تقتضيه المقابلة بارتكاب الإطناب؛ للمبالغة في جانب السكوت عن الوعظ (٢٠)؛ لكونه مقصوداً، فإنّ الإخراج مِن عداد الواعظين أبلغُ مِن نفي المباشرة للوعظ، والمحافظة (٢) على رؤوس الآي.

* * *

(١٣٧) ـ ﴿ إِنْ هَاذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

﴿إِنْ هَنَآ إِلَا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ قرئ: ﴿خَلْقُ ﴾ بفتح الخاء، مِن الاختلاق؛ أي: ما هذا الذي جئتنا به إلَّا كذب الأوَّلين.

وقرئ بضم الخاء^(٤)؛ أي: ما هذا الذي نحن عليه مِن تهيئة أسباب المعاش واتِّخاذ الأبنية إلَّا عادة الأوَّلين.

⁽١) في (م): «القلوب».

⁽٢) أي: للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه.

⁽٣) عطف على «للمبالغة».

⁽٤) وهي قراءة ابن كثير والكسائي وأبي عمرو، وقرأ باقي السبعة بضمهما. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٦).

(١٣٨) _ ﴿ وَمَانَحَنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾.

﴿ وَمَا غَنْ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ في الدُّنيا، ولا بعْثَ ولا عذابَ في الآخرة.

* * *

(۱۳۹ ـ ١٤٥) ـ ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهَلَكَنَهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَاكَانَ أَكْثَرُهُم مُوْمِنِينَ ﴿ اللَّهُ مَاكَانَ أَكْثَرُهُم مُوْمِنِينَ ﴿ اللَّهُ مَاكَانَ أَكْثُرُهُم مَالِحٌ أَلَا لَنَقُونَ ﴿ اللَّهُ مَا لَكُمْ مَسُولُ أَلْمَ اللَّهُ وَأَلْمُ اللَّهُ وَأَطِيعُونِ ﴿ اللَّهُ وَمَا أَسْنَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ إِنِّي لَكُمْ مَسُولُ أَمِينٌ ﴿ اللَّهُ وَأَطِيعُونِ ﴿ اللَّهُ وَمَا أَسْنَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْفَالَمِينَ ﴾.

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكُنَّهُمْ ﴾ بسبب تكذيبهم إيَّاه بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ.

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآئِمَةً وَمَا كَانَ أَكْتُرُهُم مُنْ مِنِينَ ﴿ وَإِنَّ رَبِّكَ لَمُو الْعَزِيرُ الرَّحِيمُ ﴿ كَذَبَتْ تَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿ اللَّهُ وَالْعَزِيرُ الرَّحِيمُ ﴿ كَا لَكُمْ مَسُولُ أَمِينٌ ﴿ اللَّهُ وَأَطِيعُونِ النَّهُ وَأَطِيعُونِ النَّهُ وَمَا أَسْدَالُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيا لِآعَلَى رَبِّ الْعَلَمِينَ ﴾ (١) تقدَّم تفسيرُه في هذه السُّورة.

* * *

(١٤٦) - ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَنَّهُ نَآءَ امِنِينَ ﴾.

﴿ أَتُثَرَكُونَ ﴾ إنكارٌ لأَنْ يتركوا كذلك، وتذكيرٌ بالنِّعمةِ في تخلية (١) الله تعالى إيَّاهم وأسباب تنعيمهم.

﴿ فِي مَا هَنَّهُ نَآ ﴾: في الذي استقرَّ (٣) في هذا المكان مِن النَّعيم.

﴿ اَمِنِينَ ﴾ مِن العذاب والزَّوال والموت، ثمَّ فسَّرَه بقولِه:

⁽١) في (ف) و(ك) و(م): ﴿ ﴿إِنَّ فِي ذَالِكَ لَأَيَّةً ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾».

⁽٢) في (ك): «تحلية»، وفي (ع): «تخلفة».

⁽٣) في (ف): «يستقر».

(١٤٧) - ﴿ فِ جَنَّتِ وَعُيُونِ ﴾.

﴿ فِجَنَّتِ وَعُيُونِ ﴾ وهذا أيضاً إجمال ثمَّ تفصيل.

* * *

(١٤٨) - ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَحْلِ طَلْعُهَا هَضِيتٌ ﴾.

﴿ وَزُرُوعٍ وَنَحْدِلٍ ﴾ أفردَ النَّخل تفضيلاً له على سائر أشجار الجنَّات.

﴿ طَلَعْهَا ﴾ وهو ما يخرجُ من النَّخلة كنَصْلِ السَّيفِ.

﴿هَضِيمٌ ﴾: ليِّنٌ نضيجٌ (١).

كأنَّه قالَ: ونخلِ قد أَرْطبَ ثمرُه، فإنَّه ما دام رطباً فهو هضيم، فإذا يَبِسَ فهو هَشِيم.

* * *

(١٤٩) - ﴿ وَتَنْجِتُونَ مِنَ أَلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴾.

﴿ وَتَنْجِتُونَ ﴾: وتَنقبون ﴿ مِنَ الْجِبَالِ بُيُونَا فَرِهِينَ ﴾: بَطِرين (٢)، وهذا هو المناسب لِمَا في سورة الحِجْر مِن قوله: ﴿ عَلَمِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٩]، لا معنى: حاذقين (٣).

⁽١) في (ع) و(ي): «نضج».

⁽٢) في هامش (م): «وفي سورة الأعراف ﴿وَنَنْجِنُونَ الْجِبَالَ ﴾ على الحذف والإيصال، والقرآن يفسر بعضه بعضاً، فلا وجه لما قيل: إن انتصاب ﴿يُبُوتًا ﴾ على الحالية، أو على أن (تنحتون) بمعنى: تتخذون. منه».

⁽٣) زاد في (ي): «طيب قلب»، وزاد في (ع): «طبيب قلب».

(١٥٠ ـ ١٥١) ـ ﴿ فَأَتَّقُوا أَللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٥٠ وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾.

﴿ فَأَنَّقُواْ اللَّهَ وَالْمِيعُونِ ﴿ وَلَا تَطِيعُوا ﴾؛ أي: لا تمتثلوا ﴿ أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ إنَّما صرف الكلام عن الظَّاهر، والكلمة عن المتبادِر، حيث لم يقل: (ولا تطيعوا المسرفين) تنزيلاً لشأنهم من درجة الإطاعةِ، وتبعيداً لهم عن حيِّزِ المطاعين، وأمَّا جَعْلُ الأمرِ مُطاعاً على المجاز الحكمى فلا يناسب المقام(١١).

* * *

(١٥٢) _ ﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾.

﴿ اَلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي اَلْأَرْضِ ﴾ وصفٌ موضِّحٌ لإسرافِهم، ولذلك عطف: ﴿ وَلَا يُصَلِحُونَ ﴾ على ﴿ وَلَا يُصَلِحُونَ ﴾ على خلوصِ فسادِهم (٢)، وتعميمُ إفسادِهم (١٦) المستفادُ من الإسناد إلى كليَّة الأرض يناسبُ هذا.

* * *

(١٥٣) - ﴿ قَالُوٓ أَإِنَّمَاۤ أَنْتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾.

﴿ قَالْوَاإِنَّمَا أَنْتَ مِنَ ٱلْمُسَجِّرِينَ ﴾ المسحَّر: الذي سُجِرَ كثيراً حتى غلبَ على عقلِه.

* * *

(١٥٤) - ﴿ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْتِ بِثَايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّلِ قِينَ ﴾.

﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بِشَرٌّ مِثْلُنَا ﴾ كنايةٌ عن استحالةٍ كونه رسولاً بناءً على ما زعموا مِن أنَّ

⁽١) في هامش (ي): «لأن المقام مقام نفي الإطاعة لهم رأساً، لا نفي كمال الإطاعة لهم. منه».

⁽٢) في (ع): «الفسادهم»، وكذا كانت في (ي)، ثم ضرب على (الـ).

⁽٣) في (ك): «وتعميم فسادهم». وسقطت من (ع) و(ي).

الرَّسولَ (١) لا يكون مِن جنس البشرِ، خصوصاً بلا امتيازٍ له عن سائر الأفراد.

وكأن صالحاً عليه السلام ردَّ قولهم هذا بأنْ يقولَ: إنِّي رسولُ اللهِ بواسطة الملك، ولي (٢) امتياز عن سائر البشر بالمعجزة الخارقة للعادة، فقالوا في مقابلته:

﴿ فَأْتِ بِتَايَةٍ ﴾ خارقةٍ للعادةِ ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّلِدِ قِينَ ﴾ في دعواك.

* * *

(١٥٥) - ﴿ قَالَ هَا نِهِ وَا نَاقَةُ لَمَّا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمِ مَّعْلُومٍ ﴾.

﴿ قَالَهَٰذِهِ عَنَاقَةً ﴾ وفي سورة الأعراف: ﴿ هَٰذِهِ عَنَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ [الأعراف: ٧٣].

﴿ لَمَّا شِرْبٌ ﴾: نصيبٌ من الماء، فلا تزاحموها فيه.

﴿ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمِ مَّعْلُومِ ﴾ لا تزاحمُكُم فيه.

* * *

(١٥٦) - ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَ السُّوِّ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ وَلَا تَمَنُّوهَ السِّوَءِ ﴾ نهيٌ عن المسِّ الذي هو مقدِّمة الإصابة (٣) بالسوء الجامع لأنواع الأذى؛ مبالغة في الأمر، وإزاحةً للعذر.

﴿ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ عِظَمُ اليومِ لعِظَمِ ما يحلُّ فيه، وهو أبلغ مِن تعظيمِ العذابِ؛ لأنَّ اليوم إذا عَظُمَ بسببِه (٤) كان موقعُه مِن العِظَم أشَدَّ.

⁽١) في (ع): «رسول الله ﷺ»، وفي (ي): «رسول الله».

⁽٢) من قوله: «امتياز له... » إلى هنا سقط من (ي).

⁽٣) في (ف) و(ك) و(م): «إصابة».

⁽٤) في (ي) و(ع): «لسبب»، والمثبت موافق لما في «تفسير النسفي» (٢/ ٥٧٧).

(١٥٧) _ ﴿ فَعَقَرُوهِا فَأَصْبَحُواْ نَادِمِينَ ﴾.

﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ الفاءُ فصيحةٌ، والجملة المحذوفة مذكورة في سورة الأعراف، وإنَّما أسند الفعل إلى الجميع لأنَّه كان بأمرهم وتعاونهم على ما أفصح عنه قوله: ﴿ فَنَادَوْ أَصَاحِمُمْ فَنَعَا طَي فَعَمَرَ ﴾ [القمر: ٢٩].

﴿فَأَصْبَحُواْنَدِمِينَ ﴾ لا على عقرها خوفاً من نزول العذاب بهم، لأنه مردود بقوله تعالى: ﴿وقالوا﴾ يعني بعدما عقروها: ﴿يَصَلِحُ ٱثَيِنَا بِمَاتَعِدُنَاۤ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرۡسَلِينَ ﴾ [الاعراف: ٧٧]، بل على ترك ولدِها، وقد تقدَّم ذلك في سورة الأعراف.

* * *

(١٥٨) ـ ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآئِةً وَمَا كَانَ أَكُثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾؛ أي: العذاب الموعود، وهو الرَّجفةُ الحادثةُ مِن الصَّاعقةِ.

﴿إِنَّ فِي ذَالِكَ لَآيَةً ﴾ عظيمةً ﴿وَمَاكَاكَ أَكَ أَهُمُ مُثَوِّمِنِينَ ﴾ في نفي الإيمان عن أكثرهم في هذا المعرض إيماءٌ بأنَّه لو آمنَ أكثرُهم أو شطرهم لَما أُخِذوا بالعذابِ، وأنَّ قريشاً إِنَّما عُصِموا عن مثله ببركة مَن آمنَ منهم.

* * *

(١٥٩) - ﴿ وَإِنَّارَتَكَ لَهُوَ ٱلْعَرْبِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

﴿ وَإِنَّ رَبُّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ جامع لجهَتَي الانتقام والإنعام.

* * *

 ﴿كَذَّبَتَ قَوْمُ لُوطِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ إِذْ قَالَ لَمُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نَنْقُونَ ﴿ إِنِّ لَكُمْ رَسُولُ آمِينٌ ﴿ اللَّهُ وَأَلَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَأَلْمَ اللَّهُ وَأَلْمَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَأَلْمَ اللَّهُ وَكَا آلْسَتُلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِى إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ (١) تقدم (١) تفسيره في هذه السورة.

* * *

(١٦٥) _ ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكُرَانَ مِنَ ٱلْعَكَمِينَ ﴾.

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذَّكْرَانَ ﴾؛ أي: أتأتون [الذكران]مِن أو لادِ آدمَ مع كثرتهم وغلبةِ الإناث فيهم كأنهنَّ قد أعوزُنكم.

أو: أتأتون مِن بينِ مَن عَداكم ﴿مِنَ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ الذُّكرانَ، لا يشارككم فيه غيركم. فالمراد بـ ﴿ٱلْعَلَمِينَ ﴾ على الأوَّل: النَّاس، وعلى الثَّاني: كلُّ مَن يُنكَح (٣).

وعلى هذا: الجمعُ للتَّغليب، ومبنى هذا الوجه على اختصاص ذلك الفعل بالإنسان، وفيه نظر.

* * *

(١٦٦) ـ ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُوْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَجِكُمْ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُون ﴾.

﴿ وَيَذَرُونَ مَاخَلَقَ لَكُوْ ﴾ لأجلِ استمتاعِكم ﴿ رَبُّكُم مِنْ أَزْوَجِكُمْ ﴾ لبيانِ ﴿ مَا ﴾ إنْ أُرِيْدَ به العضو المباح منهنَّ، فيكون تعريضاً بأَرِيْدَ به العضو المباح منهنَّ، فيكون تعريضاً بأنَّهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائِهم، وإنَّما خَصَّ الأزواجَ بالذِّكْرِ لعمومِه؛ فإنَّ الإماء مخصوصةٌ بالأحرار.

⁽١) في (ف) و(ك) و(م): «﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿رَبَّ ٱلْعَنَلَمِينَ ﴾».

⁽۲) في (م): «قد تقدم».

⁽٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٤٧)، وما بين معكوفتين منه.

﴿ بَلِّ أَنتُمْ قَوْمُ عَادُونَ ﴾ ﴿ بَلْ ﴾ إضرابٌ بمعنى الانتقال مِن شيء إلى شيء.

والعادي (١): المتعدِّي في ظُلْمِه، المجاوِزُ فيه الحدَّ، والمرادُ هاهنا: التَّجاوزُ عن حدِّ الشَّهواتِ بالزِّيادة على سائر النَّاس، بل الحيوانات، أو الإفراطُ في المعاصي مطلقاً، وعلى هذا: الإضرابُ للتَّرقي.

* * *

(١٦٧) _ ﴿ قَالُوا لَبِن لَّمْ تَنتَ مِ يَنْلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ لَبِن لَّرْ تَنتَهِ ﴾؛ أي: لم تمتنع من إنكارك علينا، وتقبيح (٢) أمرنا.

﴿ يَلُوطُلَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾: مِن جُملةِ مَن أخرجْناه مِن بينِنا وطردْناه مِن ديارِنا، ولعلَّهم كانوا يُخْرِجُونَ مَن أخرجُوهُ على أسوءِ حالٍ.

* * *

(١٦٨) - ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُومِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾ فلا أكرَهُ مفارَقتكم، ولا أرضى مجاوَرَتَكم.

والقِلَى: البغضُ الشَّديدُ، كأنَّه بغضٌ يقلي الفؤادَ.

وإنَّما قال: ﴿ مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾ للتَّنبيه على أنَّه غير منفردٍ بذلك، بل واحدٌ مِن الجماعة المعروفين به، وأيضاً هو أبلغ مِن (قَالٍ) وإن كان هو أرجحَ من جهة اللَّفظ لِمَا بينه وبين ﴿ قَالَ ﴾ مِن صنعة التَّجنيس.

⁽١) في (ف) و (م) زيادة: «المتعادي».

⁽۲) في (ك) و(م): «أو تقبيح».

(١٦٩) - ﴿ رَبِّ نِجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿رَبِّ نِجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّايَعْمَلُونَ ﴾: مِن شؤمِه وعذابِه.

* * *

(١٧٠) _ ﴿ فَنَجَّينَهُ وَأَهْلُهُ وَأَهْلِهُ وَأَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ فَنَجَيْنَهُ وَأَهَلَهُ ﴾؛ أي: مَن آمنَ به ﴿أَجْمَعِينَ ﴾ بإخراجِهم مِن بينهم وقت حلولِ العذاب بهم.

* * *

(١٧١) - ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْعَابِرِينَ ﴾.

﴿ إِلَّا عَجُوزًا ﴾ مقدَّرةً ﴿ فِي ٱلْغَابِرِينَ ﴾ العجوزُ: المرأةُ التي قد أعجزَها عن أمورٍ كثيرةٍ كبرُ سنِّها.

وهي امرأتُه على ما أفصحَ عنه قوله: ﴿إِلَّا آمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْعَابِرِينَ ﴾ [الاعراف: ٨]؛ أي: الباقين من لِدَاتِها وأهل بيتها.

وقيل: الغابرُ: الباقي في قِلَّةٍ، كالتُّراب الذي يذهب بالكنس ويبقى غباره.

* * *

(١٧٢) - ﴿ ثُمَّ دَمَّرَ فَا ٱلْآخَرِينَ ﴾.

﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴾ التَّدميرُ: الإهلاك.

* * *

(١٧٣) - ﴿ وَأَمْطُرْنَاعَلَيْهِم مَطَرَّ فَسَاءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَطَرَّ ﴾ أمطرَ اللهُ تعالى على شذَّاذِ (١) القومِ حجارةً فأهلكهم.

⁽۱) في (ع) و(ف) و(ف) و(م): «شداد»، والمثبت من (ي) وهو الصواب. انظر: «الكشاف» (٣/ ٣٣١)، =

﴿ فَسَآءَ ﴾ فاعله: ﴿ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ والمخصوصُ بالذَّمِّ وهو: مطرُهم محذوفٌ، والمرادُ بـ ﴿ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾: جنسُ الكافرين.

* * *

(١٧٤ ـ ١٧٥) ـ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَأَ ثَكُرُهُم مُّوْمِنِينَ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾. ﴿ إِنَّ فِ ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَأَ كُتُرُهُم مُُوْمِنِينَ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمُو ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ تقدَّم تفسيرُه.

* * *

(١٧٦ ـ ١٨٠) ـ ﴿ كَذَبَ أَصْحَابُ لَتَهَ كَا الْمُرْسَلِينَ ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيَبُ أَلَا نَنْقُونَ ﴿ الْمُرْسَلِينَ ﴿ الْمُرْسَلِينَ ﴿ الْمُرْسَلِينَ ﴿ الْمُرْسَلِينَ الْمُرْسَلِينَ ﴿ الْمُرْسَلِينَ الْمُرْسَلِينَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ قال الخليل: الأيكةُ: غيضةٌ تُنبتُ السّدرَ والأراكَ وناعمَ الشّجر (١).

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿ الْمُرْسَلِينَ ﴿ الْمُعَيْثُ ﴾ إنَّما لم يقل: أخوهم شعيب؛ لأنَّه لم يكن مِن نسبِهم، بل كان مِن نسبِ أهلِ مَدين. وفي الحديث: أنَّ شعيباً أخا مدين أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة (٢).

و «تفسير البيضاوي» (١٤١/٤)، «تفسير النسفي» (٢/ ٥٧٩). قال الشهاب في «الحاشية» (٧/ ٢٥): «شذاذ» بمعجمات بوزن جُهال، جمع شاذ، وهو من انفرد عنهم في الطريق أو من كان غريباً من غير قبائلهم، وهذا إشارة إلى التوفيق بين طرق إهلاكهم، فإنه ورد أنه بصيحة، وفي أخرى برجفة، وفي أخرى بإمطار حجارة، فهو إمّا بوقوع بعضه لبعضهم، أو لأنه أرسل لطائفتين أهلك كل منهما بنوع منه، ولا مانع من الجمع بينهما.

⁽١) انظر: «العين» للخليل (مادة: أيك) (٥/ ٤٢٣).

⁽٢) روى نحوه ابن أبي حاتم في «العلل» (١٧٨٦)، ونقل عن علي بن الحسين بن الجنيد قوله: هذا باطل. وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٤٦): «غريب، وفي رفعه نظر».

﴿ أَلَا نَنْقُونَ ﴿ آَلِنَا نَفُونَ ﴿ آَمِينُ اللَّهُ أَمِينُ اللَّهُ أَلَقَهُوا اللَّهُ وَأَطِيعُونِ ﴿ وَمَا أَسْتَلَكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ لِنَ الْجَرِيِّ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَلَمِينَ ﴾ (١) قد مرَّ تفسيرُه في هذه الشُّورة.

* * *

(١٨١) _ ﴿ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَاتَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴾.

﴿ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ ﴾: أتمُّوه ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴾ حقوقَ النَّاسِ بالتَّطفيف.

ولو قيل: ولا تُخسروا، لكان أبلغَ في النَّهي، على ما تقدَّم في تفسير: ﴿ وَلَا تَرَكُنُواۤ إِلَى اللَّهِ عَلَى ما ذَكَرَ تعريضاً لاشتهارِهم بتلكَ الحالِ.

* * *

(١٨٢) - ﴿ وَزِنُوا بِإِلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾.

﴿ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾ الوزنُ: وضعُ الشّيء بإزاء المعيار بما يُظهِرُ منزلتَهُ منه في ثِقَل المقدار: إمَّا بالزِّيادة، أو النُّقصان(٢)، أو التَّساوي.

والقِسْطاسُ: الميزانُ، أو القبان؛ فإنْ كان مِن القِسْطِ وهو العدل وجعلَتِ العين مكرَّرة فوزنه فِعلاس (٣)، وإلَّا فهو رباعيُّ.

(١) في (ف) و(م) و(ك): ﴿﴿ أَلَا نَنْقُونَ ﴿ إِنَّ لَكُمَّ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِلَّا كُلَ رَبِّ ٱلْعَاكِمِينَ ﴾».

(٢) في (ف): «المقدار إلى الزيادة والنقصان».

(٣) قوله: «فعلاس»، كذا قاله الزمخشري، وتابعه النسفي، ونقل فيه الطيبي فيه نظراً بأن الصواب أن وزنه: فعلاع، لأن التكرير يقتضي أن يوزن بما قبله، وأما فعلاسٌ فلم يوجد أصلاً. قلت: وهو عند الآلوسي: (فعلاع). انظر: «الكشاف» (٣/ ٣٣٧)، و«تفسير النسفي» (٢/ ٥٨٠)، و«فتوح الغيب» (١/ ٢١٢)، و«روح المعاني» (١٩ / ٢٦٣).

(١٨٣) - ﴿ وَلَا تَبَّخُسُوا النَّاسَ أَشْيَا ءَهُمْ وَلَا تَعْثَوَّا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾.

﴿ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ ﴾ يقال: بخستَهُ حقَّه: إذا نقصْتَه إيَّاه.

﴿ أَشْيَآ اَهُمْ ﴾: دراهمهم ودنانيرهم (١) بقطع أطرافها، ولولا (١) [أن] المرادُ النَّهيُ عن المعتاد لقيل: ولا تبخسوا الناس شيئاً؛ لأنَّه أبلغُ في النَّهي.

﴿ وَلَا تَعْثَوُا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ وهذا أيضاً نهيٌ عن معتادهم، ولذلك عدل عن الأبلغ في النَّهي وهو: (لا تفسدوا في الأرض).

والعُثُوُّ: أَشدُّ الفسادِ، وذلك قد يكون لمصلحةٍ كتخريب ديار الكفر^(٣)، فلدَفْعِ هذا الاحتمال قيل: ﴿مُقْسِدِينَ ﴾.

* * *

(١٨٤) ـ ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَةَ الْأَوَلِينَ ﴾.

﴿ وَاتَّقُوا الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالْجِلَةَ الْأَوَلِينَ ﴾؛ يعني: مَن تقدَّمهم مِن الخلائق، أُطلقَ الخليقةُ وأُريدَ به (١٠) الخَلْقُ.

قيل: ﴿وَٱلْجِيِلَةَ ﴾: الخَلْق المتجمِّد(٥) الغليظ، مأخوذ مِن الجَبلِ، فحينئذ يناسبُ التَّفسير عن خِلْقَةِ عادٍ وثمودَ.

⁽۱) في (ف) و(م) و(ك): «دراهم ودنانير».

⁽٢) في (ف): «ولو كان»، والمثبت هو الصواب، وما سيأتي بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق.

⁽٣) في (م): «الكفرة»، في (ي) و(ع): «الكفار».

⁽٤) في (ف) و(ك) و(م): «بها».

⁽٥) في (ف): «المتجد»، وفي (م) و(ك): «المتخذ». وفي «البحر المحيط» (١٦/ ٢١٩): «المتجسد».

(١٨٥) _ ﴿ قَالُوٓا إِنَّـمَاۤ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿ ثَلَى النَّهَ وَمَاۤ أَنتَ إِلَا بَشَرٌ مِّ ثَلُنَا وَإِن نَظُنُكَ لَمِنَ ٱلْكَندِينِ ﴾.

﴿ فَالْوَالِمَ مَا أَنْتَ مِنَ ٱلْمُسَحَرِينَ ﴿ وَمَا آنَتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾ ترك أداة الجمع في قصّة ثمود ليفيد التَّوكيد والتَّقرير والقطع بأنَّه بشرٌ مثلهم؛ أي: لا ينبغي أنْ نؤمن برسالتك إلَّا بشيءٍ تمتازُ به عنَّا، ولهذا قالوا: ﴿فَأْتِ بِعَايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّلِاقِينَ ﴾ برسالتك إلَّا بشيءٍ تمتازُ به عنَّا، ولهذا قالوا: ﴿فَأْتِ بِعَايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّلِاقِينَ للرِّسالة؛ [الشعراء: ١٥٤]، وأتى بها هنا للدِّلالة على أنَّه جامعٌ بينَ وصفَيْنِ متنافِييْنِ للرِّسالة؛ مبالغة في تكذيبهم، فكأنَّهم قالوا: نحن وأنت في عدم صلاحية الرِّسالة من جهة كوننا بشراً سواءٌ، ولكَ (١) المزيَّة علينا في كونك مسحَّراً (١) دوننا، ثمَّ أكَّدوا ذلك بقولهم:

﴿ نَظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَندِبِينَ ﴾ والظَّنُّ بمعنى اليقين، ولذلك أدخل (إنْ) واللَّام.

ولَمَّا كَانَ هذا الرَّدُّ أَبِلغُ مِن الأَوَّلِ، ما طلبوا البرهان كما طلبَ ثمودُ حيثُ قالوا: ﴿فَأْتِ بِثَايَةٍ إِن كُنْتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ ﴾ [الشعراء: ١٥٤]، بل قطعوا بما يدلُّ على اليأس مِن إيمانهم بقولهم على سبيلِ الاستهزاءِ:

(١٨٧) - ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّدِقِينَ ﴾.

﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَاكِمَنَا ﴾: جمع كِسْفَةٍ، وهي قطعة ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ عقوبةً ﴿ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّلَةِ فَي عِندِكَ فَأَمْطِرَ كُنتَ مِنَ ٱلصَّدَقِينَ ﴾ كما قطع قريشٌ بقولهم: ﴿ إِن كَانَ هَنذَاهُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرَ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّكَآءِ ﴾ [الأنفال: ٣٢].

⁽١) في (ك): «ذلك».

⁽۲) في (ي): «مسخراً».

(١٨٨) - ﴿ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَاتَعْ مَلُونَ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِيَّ أَعَلَمُ بِمَاتَعَ مَلُونَ ﴾؛ أي: إنَّ الله تعالى أعلمُ بأعمالِكم وبما تستحقُّون عليها مِنَ العذابِ؛ فإنْ أراد أن يعاقبَكُم بإسقاط كِسَفٍ مِن السَّماءِ فَعَلَ، وإنْ أراد عقاباً آخر فإليه الحكم والمشيئة.

* * *

(١٨٩) - ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

﴿ فَكَلَّذَهُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾ على نحو ما اقترحوا.

و ﴿ الظَّلَةِ ﴾: سحابةٌ أظلَّتُهُم بعدَ ما حُبِسَ عنهم الرِّيحُ وعُذِّبوا بالحرِّ سبعةَ أَيَّام، فاجتمعوا تحتها مستجيرين (١) بها مِمَّا نالهم مِن الحرِّ، فأمطرَ تُعليهم (١) فاحترقوا.

ولهذا - أي: ولكونهم معذَّبَين في ذلك الوقت بسببٍ آخر غير الظُّلَة - أضيف العذاب إلى اليوم دون الظُّلَة، وقطعُ إضافة العذابِ عنها لا يخلو عن نوع إشعارِ بأنَّ عذابهم قبلَ نزول النَّار مِن الظُّلَّة بلغ إلى حَدِّ كان ذلك خلاصاً لهم من العذاب.

﴿إِنَّهُۥكَانَعَذَابَيَوْمٍعَظِيمٍ ﴾ قد مرَّ أنَّ وصفَ اليومِ بالعِظَمِ أبلغُ مِن وصفِ العذاب بهِ.

⁽۱) في (ك) و(م) و(ف): «متحسرين»، وفي (ع): «مسحرين»، والمثبت من «تفسير النسفي» (۲/ ۵۸۱).

⁽٢) من قوله: «وعُذِّبوا بالحرِّ.. » إلى هنا سقط من (ي).

(١٩٠) - ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۚ وَمَا كَانَ أَكْثُرُهُم مُّوْمِنِينَ ﴿ اللَّهِ وَإِنَّا رَبُّكَ لَمُو ٱلْعَزِيرُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

* * *

(١٩٢) _ ﴿ وَإِنَّهُ لَنَازِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾.

﴿ وَإِنَّهُ لَنَهْ بِلِّ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾؛ أي: إنَّ القرآنَ لَمُنَزَّلٌ مِن عندِ اللهِ تعالى لمصلحةِ العالَمِين.

* * *

(١٩٣) _ ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾.

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾: أي: جبريل عليه السلام، فإنَّه أمين الله على وحيه.

وقرئ ﴿نَزَّلَ﴾ مشدَّداً و﴿الرُّوحَ﴾ منصوباً(١)؛ أي: جعلَ اللهُ الرُّوحَ نازلاً به، والباء على القراءتيْن للتّعدية.

* * *

(١٩٤) ـ ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾.

﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ أقحمَ القلبَ _ والمعنى: عليكَ _ لأنَّه محلُّ الوحيِ والتَّبيت، وليُعْلَمَ أنَّ المنزَلَ محفوظٌ عن المخالطة والمغالطة؛ لوصوله إلى القلب بالذَّات، لا بواسطة الصَّوت وآلة السَّمع، فافهم هذا السِّرَّ الدَّقيقَ.

⁽١) قرأ بها ابن عامر وحمزة وأبو بكر والكسائي. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٦).

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ اقتصرَ على الإنذار لعمومِه الفريقَيْن، ولأنَّه أزجرُ للسَّامعِ.

(١٩٥) - ﴿ بِلِسَانِ عَرَبِي مِّبِينٍ ﴾.

﴿ بِلِسَانِ عَرَفِي ﴾: بلغةِ العربِ، متعلِّق بـ ﴿ نَزَلَ ﴾، ويجوز أَنْ يتعلَّق بـ ﴿ اَلْمُنذِرِينَ ﴾؛ أي: لتكونَ ممَّنْ أَنْذَروا بلغة العرب، وهم هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمَّد عليهم الصلاة والسلام.

﴿مُبِينِ ﴾ للنَّاسِ ما يحتاجون إليه مِن أمورِ دينِهم ودنياهم.

* * *

(١٩٦) ـ ﴿ وَإِنَّهُ لِفِي زُبُرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ يعني: ذِكْرُهُ مُثْبَتٌ في سائر الكتب المنزَلَةِ السَّماويَّةِ. وقيل: إنَّ معانيه فيها، فلا دلالة فيه على أنَّ القرآن قرآن إذا تُرْجِمَ بغير العربية. والزُّبُرُ: جمع زَبُورٍ، كرُسُلٍ ورَسُولٍ، وقد تقدَّمَ بيانُه.

* * *

(١٩٧) - ﴿ أُولَزِيكُن لَمُم اللَّهُ أَن يَعْلَمُ مُعْلَمَتُوا ابْنِي إِسْرَةِ بِلَ ﴾.

﴿ أُوَلَرْ يَكُن لَمُ اللهُ ﴾ على صحَّةِ القرآنِ ونبوَّةِ محمَّدٍ عليه السلام ﴿ أَن يَعْلَمُهُ عُلَمَتُوا ابْنَ إِسْرَةٍ يلَ ﴾: أَنْ يعرفوه بنعته المذكور في كتبِهم. وهو تقريرٌ لكونه دليلاً.

قرئ: ﴿يَكُن﴾ بالتَّذكير، و﴿ اَيَةً ﴾ بالنَّصب، على أنَّها خبره، و﴿ أَن يَعْلَمُهُ ﴾ هو الاسم، تقديره: أو لم يكن لهم عِلمُ علماءِ بني إسرائيل آيةً.

وقرئ: ﴿تَكُنْ ﴾ بالتَّأنيث و ﴿آيـةٌ ﴾ بالرَّفع (١١)، على أنَّها اسم (كان) وخبره: ﴿ لَمُنْ ﴾، و ﴿ أَن يَعْلَمُ ﴾ بدل.

وقيل في ﴿تَكُنْ﴾ ضمير القصَّة، و﴿آيةٌ﴾ خبر مقدَّم والمبتدأ ﴿أَن يَعْلَمُهُ﴾، والجملة خبر (كان).

وقيل: (كان) تامَّةُ، والفاعل ﴿آيةٌ ﴾، و ﴿أَن يَعْلَمُهُ ﴾ بدل منها (٢)، أو خبرُ مبتدأ محذوف؛ أي: أولم يحصل لهم آيةٌ.

* * *

(١٩٨) - ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَهُ عَلَى بَعْضِ ٱلْأَعْجَدِينَ ﴾.

﴿ وَلُوَّ زَلَّنَهُ عَلَى بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴾ كما هو زيادة في إعجازه، أو: بلغة العجم.

* * *

(١٩٩) ـ ﴿ فَقَرَأُهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّاكَانُواْ بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ لفَرْط عنادِهم واستكبارِهم، أو لعدم فهمِهم واستنكافِهم مِن اتِّباع العجم.

و ﴿ اَلْأَعْجَمِينَ ﴾: جمع أعْجَمي (٣) على التَّخفيف، كما قالوا: الأشعرون؛ أي: الأشعريُّون، بحذف ياء النِّسبة، ولو لا هذا التَّقديرُ لم يَجزْ أَنْ يُجمَعَ جمعَ السَّلامة؛ لأنَّ مؤنَّنه عجماء (٤).

⁽١) قراءة ابن عامر، وباقي السبعة بالياء والنصب. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٦).

⁽٢) في (ك): «منه».

⁽٣) «أعجمي»: ليست في (ك) و(م)، وفي (ف): «عجمي».

⁽٤) في (ف): «لأن مؤنث عجمي عجماء».

وزيادة (كان) لإفادة معنى الاستمرار، والمرادُ استمرارُ النَّفي، لا نفي الاستمرار؛ فافهم سرَّ هذا الاعتبار.

* * *

(٢٠٠) - ﴿ كَنَرُلِكَ سَلَكُنْنَكُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.

﴿ كَنَالِكَ سَلَكُنَاهُ ﴾؛ أي: مثلَ ما ذكرنا مِن إدخال (٢) التّكذيب به على تقدير قراءة الأعجم أدخلنا التّكذيب ﴿ فِ قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ بقراءة أفصح العربِ.

* * *

(٢٠١) - ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ - حَتَّى يَرُوا الْعَذَابُ الْأَلِيمَ ﴾.

﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ عَنَّى يَرُوُا الْعَنَابَ الْأَلِيمَ ﴾ المرادُبه: معاينةُ العذابِ عندَ الموت، وذلك إيمان يأسِ^(٣) فلا ينفعهم.

* * *

(٢٠٢) - ﴿ فَيَأْتِيهُم بَغْتَةُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ يعني: أنَّ العذاب الذي يستعجلونه يجيئهم فجأةً.

والبغتةُ: حصولُ الأمرِ العظيمِ الشَّأن مِن غيرِ توقُّعِ وتقديمِ أسبابٍ.

﴿ وَهُمْ مَلَا يَشْعُرُونَ ﴾ بإتيانه.

⁽۱) «استمرار»: ليست في (م).

⁽٢) «من إدخال» ليست في (ع) و(ي).

⁽٣) في (ف) و(ك): «بأس»، وفي (ي) و(ع): «الباس».

(٢٠٣) _ ﴿ فَيَقُولُواْ هَلَ نَعَن مُنظرُونَ ﴾.

﴿ فَيَقُولُوا ﴾ حذف النُّون منه عطفاً على قوله: ﴿ يَرَوُا ﴾.

﴿ هَلَ نَعُن مُنظرُونَ ﴾: يَسألون النَّظِرةَ والإمهال طرفةَ عينِ فلا يجابون إليها.

* * *

(٢٠٤) _ ﴿ أَفَرِعَذَ إِنا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾.

﴿ أَفِهِ عَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ فيقولون: ﴿ فَأَمْطِرُ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّكُمَآءِ ﴾ [الأنفال: ٢٣] ﴿ فَأَنْنِا بِمَا تَعِدُنَا ﴾ [الأعراف: ٧٠]، وحالُهم عند حلول(١) العذاب طلب النَّظِرة، فجيء بالهمزة للإنكار، والفاءُ دلالةُ (١) على ترتيبه على السَّابق، إلَّا أَنَّها أُخِرَتْ لأنَّ همزة الاستفهام لها حتُّ الصَّدارة وإنْ استعيرَتْ لمعنَّى آخر.

قال يحيى بن معاذ: أشدُّ النَّاسِ غفلةً مَن اغترَّ بحياته، والتذَّ بمراداته (٣)، وسكن إلى مألوفاته، والله يقول:

(٢٠٧ - ٢٠٥) ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَعَنَّهُ مُّرِسِنِينَ ۞ ثُرُّ جَاءَهُم مَّا كَانُواْيُوعَدُونَ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴾.

﴿ أَفَرَيَتَ إِن مَّتَعَنَاهُمْ سِنِينَ اللهُ ثُرُ جَاءَهُم مَّاكَانُوايُوعَدُوك ﴾(١) مِن العذابِ ﴿ مَآ أَغْنَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُوك ﴾ (١) مِن العذاب وتخفيفه.

⁽١) في (ك): «نزول».

⁽۲) في (ف): «دالة».

⁽٣) في (ك): «بمراراته».

⁽٤) انظر: «تفسير السلمي» (٢/ ٨١).

وإنَّما جيء بفعل الرُّؤية والاستفهام ليكون في معنى أخبر إفادةً لمعنى التَّعجُّب والإنكار، وأنَّ مِن حقِّ هذه القصَّة أنْ يُخبَرَ بها كلُّ أحدٍ حتى يتعجَّب (١).

وزيادة (كان) في الموضعَيْن لإفادة الاستمرار.

* * *

(٢٠٨) ـ ﴿ وَمَآ أَهْلَكُنَامِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾.

﴿ وَمَآ أَهْلَكُنَامِن فَرْيَةٍ إِلَّاهَا ﴾ لم تدخل الواو على الجملة بعد إلَّا كما في: ﴿ وَمَآ أَهْلَكُنَامِن فَرْيَةٍ إِلَّا وَهُمَا كِنَابُ مَعْلُومٌ ﴾ [الحجر: ٤] لأنَّ الأصل عدم الواو؛ إذ الجملة صفة لـ ﴿ قَرْيَةٍ ﴾، وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصّفة بالموصوف.

﴿مُنذِرُونَ ﴾ أتى بصيغة الجمع لأنَّ ﴿مِن قَرْيَةٍ ﴾ عامٌّ، فكأنَّه قيل: وما أهلكنا من القرى، والعدول عنه لإفادته الدِّلالة على أنَّ المراد الكلَّ الإفراديَّ، لا الكلَّ (٢) المجموعيَّ.

* * *

(٢٠٩) ـ ﴿ ذِكْرَىٰ وَمَاكُنَّاظَالِمِينَ ﴾.

﴿ ذِكْرَىٰ ﴾: تذكرةً، ومحلُّها النَّصب على العلَّة، أو المصدر؛ لأنها في معنى الإنذار، أو حال من الضَّمير في ﴿ مُنذِرُونَ ﴾، أو الرَّفعُ على أنَّه صفة منذرين بإضمار ذَوو، وبجعلهم ذكرى لإمعانهم في التَّذكرة (٣)، أو خبرُ مبتدأ محذوف بمعنى: هذه ذكرى.

⁽١) في هامش (ي): «لما كانت الرؤية أقوى سند الإخبار استعمل (أرأيت) بمعنى الإخبار. منه».

⁽٢) في (ف): «الكلى الإفرادي لا الكلى».

⁽٣) في (ف): «التذكر».

والجملة اعتراضية، فلا يجوز أن يكون ﴿ ذِكْرَىٰ ﴾ متعلِّقةً بـ ﴿ أَهْلَكُنَا ﴾ مفعولاً له؛ لأنَّ مذهب الجمهور أنَّ ما بعد إلَّا لا يعمل فيما قبلَها، إلَّا أن يكون مستثنَّى أو مستثنَّى منه، أو تابعاً له غير معتمِد على الأداة.

﴿وَمَاكُنَا طَلِمِينَ ﴾؛ أي: ليس مِن شأننا الظُّلم فنعذِّبَ فيها غير مستحقِّين له. ولَمَّا قال المشركون: إنَّ الشَّياطين تلقي القرآنَ على محمَّد _ عليه الصلاة والسلام _ نزل:

(٢١٠) ـ ﴿ وَمَا نَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَاطِينُ ﴾.

﴿ وَمَا نَنَزَلَتَ بِهِ ﴾؛ أي: بالقرآن ﴿ الشَّيَعِلِينُ ﴾ وإنَّما أتى بصيغة التَّكلُّف والجمع لأنَّه على تقدير وقوع المنفيِّ لا يكون إلَّا بزيادة كُلْفَةٍ ومشقَّةٍ مِن جماعةٍ منهم على ما بُيِّنَ عند تفصيل كيفيَّة استراق السَّمع.

ردُّ لِما زَعَمَ المشركون أنَّه مِن قَبيل ما يُلقي الشَّياطينُ على الكهنةِ.

* * *

(٢١١) - ﴿ وَمَا يَنْبَغِي لَمُهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾.

﴿ وَمَا يَلْبَغِي لَمُمْ ﴾ أن ينزِلوا به ﴿ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ذلك. نفى أوَّلاً الوقوع، ثمَّ اللَّياقة، ثمَّ القدرة، ثمَّ بيَّنَ علَّة عدم القدرة بقوله:

(٢١٢) - ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾.

﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ ﴾ لكلامِ الملائكةِ ﴿ لَمَعْزُولُونَ ﴾: لمنحُّونَ.

والعَزْلُ: تنحية الشَّيء عن الموضع(١) إلى خلافه.

⁽١) في (ع): «الموضوع».

وسبب ذلك ما ذُكِرَ في سورة الجنِّ من كونهم مَرْجومينَ بالشُّهبِ.

* * *

(٢١٣) _ ﴿ فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾.

﴿ فَلَا نَدَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهُ الْمَا اللَّهِ السلام عن الشَّرِكِ فَي النَّبِيّ عليه السلام عن الشّركِ في العبادة مع عدم الحاجة إليه في حقّه تمهيداً لبيان ترتُّب العذابِ عليه على وجه لا يتخلّف عنه أصلاً، حيث لا يتخلّف عنه في حقِّ (۱) خير الخلقِ، فكيف في حقِّ غيره ؟

* * *

(٢١٤) ـ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتُكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾.

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ خصَّهم لنفي التُّهمة؛ إذ الإنسان يُساهِلُ قرابَته، ولِيَعلموا أنَّه لا يغني عنهم مِن الله شيئاً؛ فإنَّ النَّجاةَ في اتِّباعه دون قربه.

والعشيرة تنتظِم الفخذَ فما فوقَها.

* * *

(٢١٥) - ﴿ وَلَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱلْبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾: وألِنْ (٢) جانِبَكَ وتواضَعْ، مستعارٌ مِن خفضِ الطَّائر جناحَه إذا أرادَ أنْ ينحطَّ.

﴿ لِمَنِ ٱلنَّعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: مِن عشيرتِكَ وغيرهم، والإفادة هذا التَّعميم ذكر قولَه: ﴿ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، وإلَّا فالإيمان واتِّباعه عليه الصلاة والسلام توأمان.

⁽١) في (ف): «عن حق».

⁽٢) في (ف) و(ك) و(م): «وألق».

(٢١٦) - ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيَّ أُنِّ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾ مرتبطٌ بقوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِي ﴾ ، وكان أصلُ الكلامِ: أنذرْ أقرباءَكَ فإنِ اتَّبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك وإنْ عصَوْكَ (١) ولم يتَّبعوكَ فتبرَّأُ مِن أعمالهم ، إلَّا أنَّه غير التَّعبير في أحدِ الشَّقينِ تنزيلاً للمُقدَّرِ منزلةَ المُحَقَّقِ في الجانب الغالب، وعمَّمَ حكمَه تنبيهاً على أنَّ حكم الإنذار أصلُه غيرُ مخصوصٍ ، إنَّما (١) الاختصاص بأقربائه عليه السلام في صفة تقديمه، وخصَّ حكم شقِّ العصيان بهم ليظهرَ ذلك الحكم في حقِّ غيرِهم بطريقِ الأولى.

﴿ فَقُلُ ﴾ لهم: ﴿ إِنِّ بَرِيَ ۗ ﴾ لَمَّا كَانَ الحكمُ في صورة الاتِّباع وجوديًّا، وفي صورة خلافه عدميًّا، أمرَ بنفسِ الحكم في الأولى، وبالإظهار قولاً في الثَّانية، وهذا مِن دقائق الاعتبار، قلَّما يتنبَّه له إلَّا ذوو الاختبارِ (٣).

﴿مِّمَّاتَعْمَلُونَ ﴾: ممَّا تعملونه، أو: مِن أعمالِكم.

أمرَ بالبراءة مِن عملِهم لا منهم؛ إشعاراً بأنَّهم لا يُتركون بإظهار العصيانِ، بل يُدعَون إلى الإطاعة مرَّةً بعدَ أخرى باللُّطف، إلى أنْ نزلَ الأمرُ بالعنفِ.

* * *

(٢١٧) - ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.

﴿ وَتَوَكَّلُ ﴾ التَّوكُّلُ: تفويضُ الأمرِ إلى مَن يملكُه. وقرئ: ﴿فتوكَّلُ ﴾ (١) على الإبدال من جواب الشرط.

⁽١) في (م): «عصوا».

⁽٢) في (م): «وإنما».

⁽٣) في (ك) و(م): «الاختيار».

⁽٤) قرأ به نافع وابن عامر. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٧).

﴿عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾: على الذي يقهَرُ أعداءَك بعزَّتِه، وينصرُكَ عليهم برحمَتِه، يكفِكُ شرَّ مَن يعصيْكَ منهم ومِن غيرهم.

* * *

(٢١٨) ـ ﴿ ٱلَّذِي بَرَينكَ حِينَ تَقُومُ ﴾.

﴿ اللَّهِ عَيْرَىٰكَ ﴾ الرُّؤيةُ: علمٌ خاصٌ بنوعٍ مِن المحسوسِ غيرُ متوقِّف على النَّظر، بل قد يحصل بطريقٍ آخر، فلذلك زاد موسى عليه السلام قوله: ﴿ أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] حين طلب الرُّؤيةَ المعهودة.

﴿حِينَ تَقُومُ ﴾ متهجّداً.

* * *

(٢١٩) ـ ﴿ وَتَقَلُّبُكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ ﴾.

﴿ وَرَقَلَّهُكَ ﴾؛ أي: ويرى تقلُّبَكَ ﴿ فِ ٱلسَّنجِدِينَ ﴾: في المصلِّين.

أتبعَ كونَه رحيماً على رسولِه ما هو مِن أسبابِ الرَّحمةِ، وهو ذكرُ ما كان يفعلُه في جوفِ اللَّيل مِن قيامِه للتَّهجُّدِ، وتردُّدِه في تصفُّح أحوال المتهجِّدين مِن أصحابه رضي الله عنهم ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون، ويعلم أنَّهم كيفَ يعبدون الله في خلواتِهم.

وقيل: تصرُّفه فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود إذا أمَّهم، ولا يخفى ما في التعبير عن أركان صلواته عليه الصلاة والسلام حال إمامته بالتقلب في الساجدين مما يخلُّ بشأنها، ثم إن المناسب عطفه على ﴿تَقُومُ ﴾، والعدول عن سننه لكونه جنساً، وهو على ما قررناه.

(٢٢٠) - ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

﴿إِنَّهُ مُو السَّيِعُ الْعَلِيمُ ﴾ لِمَا تقولُه وتعمَلُه (١). هوَّن عليه معاناةَ مشاقِّ ما تحمَّلُه مِن التَّهجُّدِ والتَّفقُّد حيث أخبرَ برؤيته له؛ إذْ لا مشقَّةَ على مَن يعلَمُ أنَّه يعملُ بمرأًى مِن مولاه.

* * *

(٢٢١) ـ ﴿ هَلْ أُنْيَتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيكطِينُ ﴾.

﴿ هَلَ أُنْبِتَكُمُ عَلَى مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَاطِينُ ﴾ إنَّما قال: ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ لأنَّه أكثر ما يكون في الهواء، وأنَّه تمر مَرَّ (٢) الرِّيح.

* * *

(٢٢٢) _ ﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَاكِ أَشِيرٍ ﴾.

﴿ نَنَزَّلُ عَلَىٰكُلِّ أَفَّاكِ أَشِيرٍ ﴾: على كلِّ مَن بلغَ في الإفكِ والإثمِ الغاية.

لَمَّا بَيَّنَ أَنَّ القرآنَ لا يصحُّ أَنْ يكون ممَّا تنزَّلُ به الشَّياطينُ أَكَّدَ ذلك بأَنْ بيَّنَ أَنَّ محمَّداً عليه الصلاة والسلام لا يصلحُ لأَنْ ينزلوا عليه بوجهَيْن (٣):

أحدهما: أنَّه إنَّما يكون على شرِّيرٍ كذَّابٍ كثيرِ الإثم وهم الكهَنة والمتنبَّة، ومحمَّدٌ عليه السلام يشتمُ الأقَاكين ويذمُّهم، فكيف تنزلُ الشَّياطينُ عليه؟! وإنَّما زادَ كلمة ﴿كلِّ اعتباراً لِمَا في ﴿مَن ﴾ مِن معنى العموم، وإلَّا فلا حاجةَ إليه في أصل الكلام.

⁽١) في (ع): «ولعلمه».

⁽٢) في (ع): «من».

⁽٣) في (ف): «لوجهين».

(٢٢٣) - ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَلِنِهُونَ ﴾.

وثانيهِما: ما ذكرَه بقوله: ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمَعَ ﴾؛ أي: الأَفَّاكون يلقونَ السَّمعَ إلى الشَّياطين، فيتلقَّون منهم ظنوناً وأماراتٍ لنُقصان علمِهم، فيضمُّون إليها على حسب تخيُّلاتهم أشياءَ لا تُطابق أكثرَها، كما جاء في الحديث: «الكلمة يَخطَفُها(۱) الجنِّيُ، فينَقرُّها(۱) في أذن وليه، فيزيد فيها أكثرَ مِن مئةِ كَذْبَةٍ»(٣).

ولاكذلك محمَّدٌ عليه الصلاة والسلام، فإنَّه أخبرَ عن مغيَّباتٍ كثيرةٍ لا تُحصَى، وقد طابق كلُّها.

و ﴿ يُلْقُونَ ﴾ حالٌ؛ أي: تنزِلُ مُلقينَ السَّمع، أو صفةُ ﴿ كلِّ أَفاكَ ﴾؛ لأنَّه في معنى الجمع، فيكون له محلٌ من الإعراب، كأنَّه قيل: لِمَ تنزلُ على الأَفَّاكين؟ فقيل: لأنَّهم يفعلون كيْتَ وكيْتَ.

﴿ وَأَكَثَرُهُمْ ﴾؛ أي: أكثرُ الأفَّاكين ﴿كَانِبُونَ ﴾: يفترون على الشَّياطين ما يُوحون إليهم.

واختصاصُ هذا النَّوع مِن الكذبِ بأكثرهم لا ينافي تناولَ جنس الكذبِ كلُّهم.

* * *

(٢٢٤) - ﴿ وَٱلشُّعَرَآهُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُدِنَ ﴾.

﴿ وَالشَّعَرَآءُ يَنَّبِعُهُمُ الْغَاوُرَنَ ﴾ وأتباعُ محمَّد عليه الصلاة والسلام ليسوا كذلك، وهو استئنافٌ أبطلَ كونَه شاعراً.

⁽١) في (ي) و(ع) و(م): «يحفظها».

⁽۲) في (ي) و(ع): «فيقرؤها»، وفي (م): «فيقرعها».

⁽٣) روى نحوه البخاري (٥٧٦٢)، ومسلم (٢٢٢٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها. قوله: «يخطفها» من الخطف وهو الأخذ بسرعة «فيَقُرُها»: يصبها. «وليه»؛ أي: الكاهن الذي يواليه.

(٢٢٥) - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِكُلِّ وَادِيَهِ بِمُونَ ﴾.

﴿ أَلَرْ تَرَأَنَّهُمْ فِ كُلِّ وَادِيَهِ مِمُونَ ﴾ تمثيلٌ لذهابهم في كلِّ شِعْبِ مِن القَولِ، واعتسافِهم، وقلَّةِ مبالاتهم، بالغُلُوِّ في المنطقِ (١١)، ومجاوزةِ الحدِّ في القصدِ، حتى إنهم يفضِّلون (١) أجبنَ النَّاسِ على عنترة، وأشحَّهم على حاتم، وبَهَتوا البريءَ، وفسَّقوا التَّقيَّ.

* * *

(٢٢٦) ـ ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾.

﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ وذلك لغلوِّهم في أفانين الكلام، ولَهجهم بالفصاحة والمعاني اللَّطيفة، وقد ينسبون لأنفسهم ما لا يقع منهم.

لَمَّا كان إعجازُ القرآن مِن جهة المعنى واللَّفظ، وقد قدحوا في المعنى بأنَّه ممَّا تنزَّلُ (٣) به الشَّياطين، وفي اللَّفظ بأنَّه مِن جنسِ كلام الشُّعراء = تكلَّمَ في القِسْمَيْنِ، وبيَّنَ منافاةَ القرآنِ لهما، ومضادَّة حالِ الرَّسول عليه السلام بحالِ أربابهما.

* * *

(٢٢٧) _ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ اَمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّلِحَنتِ وَذَكَرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱننَصَرُوا مِنْ بَعَدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعَلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَى مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ المَوْا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ ﴾ استثناءٌ للشُّعراءِ(١) مِن المؤمنين الصَّالحين؛

(١) في (ف) و(ك) و(م): «النطق»، وفي (م): «بالغوا»، بدل: «بالغلو».

(٢) في (ع) و(ك) و(م) و(ي): «يفضلوا».

(٣) في (ف): «تنزله».

(٤) في (ك) و(م): «استثناء الشعراء»، وفي (ف): «استثنى الشعراء».

كعبد الله بن رواحة، وحسَّان بن ثابت، وكعب بن زهير، وكعب بن مالك.

﴿ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾؛ أي: كان ذكر اللهِ وتلاوةُ القرآنِ أغلبَ عليهم مِن الشَّعرِ، وإذا قالوا شعراً قالوه في التَّوحيد بالله تعالى والثَّناء عليه.

﴿ وَٱنكَ مَرُوا ﴾: وهَجَوا ﴿ مِنْ بَعَدِ مَاظُلِمُوا ﴾: هُجُوا (١٠)؛ أي: رَدُّوا هجاءَ مَن هجا رسول الله ﷺ والمسلمين.

﴿ وَسَيَعْكُمُ الَّذِينَ ظَلَمُواً ﴾ تهديدٌ شديدٌ؛ لِمَا في ﴿ وَسَيَعْكُمُ ﴾ مِن الوعيدِ البليغ، وفي ﴿ أَنَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ _ أي: بعد الموت _ من الإبهام والتَّهويل.

وقرئ: (أيَّ منفلَتٍ ينفلتون) بالفاء والتَّاء (٢)، ومالُ المعنى واحدٌ، ذكره الثعلبي (٣).

ختم السُّورة بما يقطِّع أكبادَ المتكبِّرين(١) المنذَرين(٥).

* * *

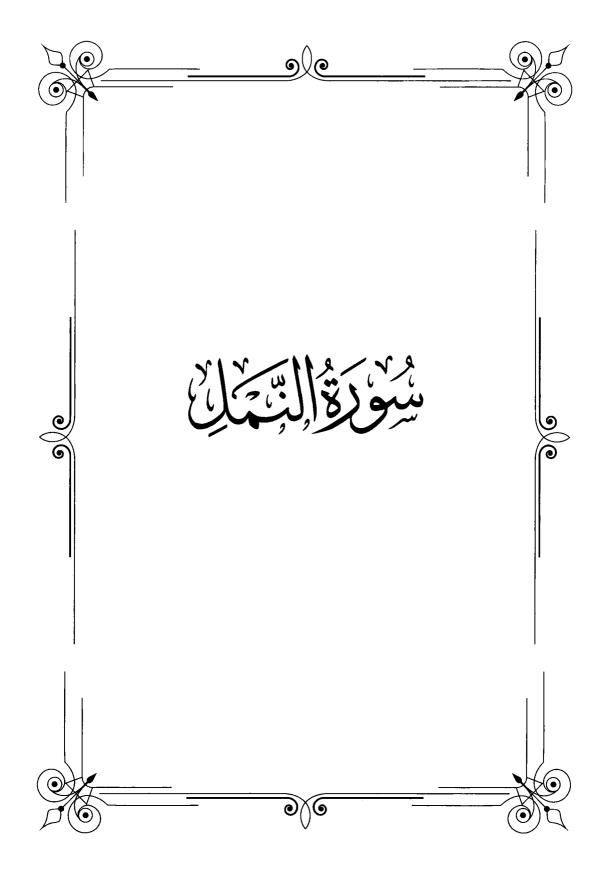
⁽١) «هجوا» سقط من (ف) و(ع).

⁽٢) نسبت لابن عباس رضي الله عنهما. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٨).

⁽٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ١٨٧).

⁽٤) في (ك) و(م): «المنكرين».

⁽٥) في (ي) و(ع): «المتدبرين».





(١) - ﴿ طَسَّ تِلْكَ ءَايَنتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾.

﴿ طَسَّ تِلْكَ ﴾ إشارةٌ إلى السُّورة.

﴿ اَيْتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ ثُمِينٍ ﴾ عطفَه على ﴿ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ كعطفِ إحدى الصِّفتَيْن على الأخرى، وتنكيرُه للتَّعظيم.

وإبانته: أنَّه يبيِّنُ (١) ما أُوْدِعَ فيه مِن الحِكَمِ والأحكام، أو الصحَّة (٢) بإعجازِه.

وإنَّماعرَّف القرآن ونكَّر الكتاب على عكس ما في (سورة الحجر) لأنَّهما اسمان علَمان للمنزَّلِ على نبيِّنا عليه الصلاة والسلام، ووصفان له باعتبار معناهما الأصليَّين، فأيُّهما جُعِلَ أصلاً والآخر صفةً صحَّ.

و ﴿ كتاب ﴾ قرئ بالرَّفع (٢) على حذف المضاف وإقامةِ المضاف إليه مقامَه، على معنى: وآياتُ كتاب مبين.

* * *

⁽۱) في (ك): «تبيين» بدل «أنه يبين».

⁽٢) في (ع): «لصحة»، وفي (ي): «لصحته».

⁽٣) نسبت لابن أبي عبلة. انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٤٨).

(٢) _ ﴿ هُدًى وَيُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ هُدَى ﴾ للبشر ﴿ وَيُثَمِّ عَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ حالان من الآيات، والعامل فيها معنى الإشارة، أو بدَلان منها، أو من ﴿ وَكِتَابٍ ﴾، أو صفةٌ له، أو خبران آخران، أو خبران (١) لمحذوف؛ أي: هي هدى.

* * *

(٣) _ ﴿ اللَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوْةَ وَيُوْتُونَ الزَّكَوْةَ وَهُمِيّاً لْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾.

﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوْةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوْةَ ﴾ تقدَّم تفسيره في سورة البقرة.

﴿ وَهُمُهِا لَأَكْدِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ مِن تتمَّة الصِّلة، والواو للحال أو للعطف.

وتغيير النَّظم للدِّلالة على قوَّة يقينهم وثباتهم، وأنَّهم الأوحديُّون فيه، أو استئناف كأنَّه قيل: وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون (٢) بالآخرة، ويدلُّ عليه أنَّه عقد جملة اسمية وكرَّر فيها المبتدأ حتى صارَ معناها: وما يوقن بالآخرة حتى الإيقان إلَّا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح (٣)؛ لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمُّل المشاقِّ.

* * *

(٤) - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

﴿ إِنَّالَّذِينَ لَا يُوْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيِّنَا لَمُمُ أَعْمَالُهُمْ ﴾ القبيحة بخلق الشَّهوة فيهم، حتى رأوا ذلك حسناً كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ مُسُوَّءُ عَمَلِهِ عَفْرَهَ أُمُ حَسَنًا ﴾ [فاطر: ٨] وقد

⁽١) «آخران أو خبران» سقطت من (ف) و(ك)، وسقطت «آخران» من (ع).

⁽۲) في (ف): «المؤمنون».

⁽٣) في (م): «الصالحات».

مرَّ البحث مستوفَّى في إسناد التَّزيين إليه تعالى في تفسير سورة البقرة(١).

﴿ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾: يتحيَّرون ويتردَّدون في ضلالتهم، كما يكون حال الضَّالِ عن الطَّريقِ.

* * *

(٥) _ ﴿ أُولَٰكِكَ ٱلَّذِينَ لَكُمْ سُوءُ ٱلْعَكَذَابِ وَهُمْ فِٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾.

﴿ أُولَئِيكَ ٱلَّذِينَ ﴾ لم يؤمنوا ﴿ لَمُمْ سُوَّهُ ٱلْعَكَابِ ﴾ بما كان منهم (١) مِن سُوءِ الأعمال. ﴿ وَهُمْ فِٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾: أشدُّ النَّاس خسراناً لفواتِ التَّوبةِ واستحقاقِ العقويةِ.

* * *

(٦) - ﴿ وَإِنَّكَ لَنُلَقَّى ٱلْفُرْءَاتَ مِن أَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾.

﴿ وَإِنَّكَ لَنُلُقَّى الْقُرْءَاتَ ﴾؛ أي: يُلقَى عليك بشدَّةٍ.

﴿ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ ﴾: مصيبٍ في أقوالِه وأفعالِه ﴿ عَلِيمٍ ﴾ بكلِّ شيءٍ وأحوالِه، فليس الأَوَّل منهما مشتملاً على الآخر حتى يكون حقَّه التَّاخير، والتَّنكيرُ فيهما للتَّعظيم.

وهذه (٣) الآيةُ تمهيدٌ لِمَا يريدُ أنْ يسوقَ بعدها مِن القَصص، وما في ذلك مِن لطائفِ حكمتِه ودقائق علمِه.

* * *

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْحَيَوْةُ ٱلدُّنِّيا ﴾ [البقرة: ٢١٢].

⁽٢) في (ف) و(ك) و(م): «لهم».

⁽٣) في (ك) و(م): «وفي هذه»، وفي (ف): «ومن هذه».

(٧) _ ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ ۚ إِنِّ ءَانَسَتُ نَازًا سَنَاتِ كُرِمِنْهَا بِخَبَرٍ أَقَ ءَاتِ كُمُ بِشِهَابٍ قَبَسِ لَعَلَّكُوْ تَصْطَلُونَ ﴾.

﴿إِذْ قَالَمُوسَىٰ ﴾؛ أي: اذكر قصَّة إذ قال موسى، وقيل: متعلِّق بـ ﴿عَلِيمٍ ﴾.

﴿ لِأَهْلِهِ إِنِّ مَا نَسْتُ نَازًا ﴾ الإيناسُ: الإحساسُ بالشَّيءِ مع سُكونِ النَّفسِ إليه.

﴿ سَنَاتِيكُم مِّنَّهَا بِغَبَرٍ ﴾؛ أي: عن حال الطَّريق؛ لأنَّه قد ضلَّها.

روي أنَّه لم يكن معه غير امرأته، وإنَّما وَرَدَ (١) الخطاب بلفظ الجمع لكنايته عنها بالأهل؛ إقامةً لها مقامَ الجماعة في الأنسِ بها والسُّكون إليها في الأمكنةِ الموحشةِ.

والسِّين للتَّقريبِ، وتقليلِ مدَّة الوعد؛ كيلا تَستَوحِشَ^(۱)، وفي التَّعبير بالإيناس دون الإبصار نوعُ تمهيدٍ لهذا.

﴿ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابِ قَبَسٍ ﴾: القطعة من النَّار، والشِّهابُ: ما يمتدُّ منها، وإضافته إليه لأنَّه يكون قبساً وغير قبس.

وقرئ منوناً (٢) على أنَّ القَبَسَ بدلٌ منه، أو وصفٌ له؛ لأنَّه بمعنى المقبوس.

والعِدَتان على سبيل الظَّنِّ، ولذلك عبَّر بصيغة التَّرجِّي في موضع آخر، والتَّرديدُ لبيانِ عدم الخلوِّ بناءً على العادة، فلا ينافي الجمع (٤)، وبيانِ أنَّ كلَّ واحدٍ منهما أمرٌ مهمٌ باعثٌ للسَّعى في تحصيله.

⁽١) في (ف): «أورد».

⁽۲) في (ي) و(ع) و(م) زيادة: «أهلها».

⁽٣) قرأ الكوفيون: ﴿بِشِهَابٍ﴾ بالتنوين، وباقي السبعة بغير تنوين. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٧).

⁽٤) في (ف): «الجميع».

﴿لَعَلَكُوتَ مَطَلُوكَ ﴾ رجاء أن تستغيثوا بها مِن البرد، والطَّاء بدل من (١) التَّاء الافتعاليَّة لأجل الصَّاد.

* * *

(٨) - ﴿ فَلَمَّا جَآءَ هَا نُودِي أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾.

﴿ فَلَمَّاجَآءَ هَا نُودِيَ ﴾؛ أي: النَّار التي أبصرَها.

﴿ نُودِى آَنَا بُورِكَ ﴾ ﴿ أَنَا ﴾ مخفَّفةٌ مِن الثَّقيلةِ، تقديرُه (٢): بأنَّه بُورِكَ، والضَّميرُ ضميرُ الشَّأنِ، وجاز ذلك مِن غير عوضٍ لأنَّ قولَه: ﴿ بُورِكَ ﴾ دعاءٌ، والدُّعاء (٣) يخالف غيره في أحكام كثيرةٍ.

أو مفسِّرةٌ؛ لأنَّ في النِّداء معنى القول.

﴿ مَن فِ ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾؛ أي: جعل البركة والخير قسمَيْن (٤): في مكان النَّار وهـم الملائكة، ومَن حولَ مكانِها؛ أي: موسى عليه السلام بحدوثِ أمرِ دينيًّ.

وفي تصدير الخطاب بذلك بشارةٌ بأنَّه قد قُضِيَ له أمرٌ عظيمٌ تنتشرُ (٥) بركته في أقطار الشَّام.

﴿ وَسُبِّحَنَّ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ مِن تمام ما نُوديَ به؛ لئلًّا يتوهَّم مِن سماع كلامه

⁽١) في (م): «عن».

⁽۲) في (ف): «وتقديره».

⁽٣) «والدعاء» سقط من (ف).

⁽٤) في (ي) و(ع): «فيمن».

⁽٥) في (ك): «تنشر».

تشبيها، أو للتَّعجيب^(۱) مِن ذلك الأمرِ، أو تعجُّبٌ مِن موسى عليه السلام لِمَا دهاه (۲) مِن عظمتِه.

* * *

(٩) - ﴿ يَكُمُوسَىٰۤ إِنَّهُۥ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

﴿ يَكُمُوسَىٰۤ إِنَّهُۥ أَنَا اللَّهُ ﴾ الهاء للشَّان، و﴿ أَنَا اللَّهُ ﴾ جملةٌ مفسِّرة له، أو للمتكلِّم (٣) و﴿ أَنَا ﴾ خبره، و ﴿ اللَّهُ ﴾ بيانٌ له.

﴿ٱلْعَزِيزُٱلْفَكِيمُ ﴾ صفتان للهِ ممهّدتان لِمَا أراد أَنْ يُظهِرَ على يده من المعجزة لمصلحةِ إثباتِ النّبوّةِ.

* * *

(١٠) _ ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهَنَّزُ كَأَنَهَا جَآنُ وَلَى مُذْبِرَا وَلَمْ يُعَقِّبُ يَمُوسَى لَا تَعَفَ إِنِي لَا يَعَافُ لَدَى ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾.

﴿ وَأَتِي عَصَافَ ﴾ عطفٌ على محذوفٍ، تقديرُه يُفهَم مِن التَّفصيل المذكور في سورة طِه، لا على ﴿ وُرِكِ ﴾؛ لأنَّ الفصل بينهما بتجديد النِّداء في قوله: ﴿ يَنمُوسَى ﴾ يأباه.

﴿ فَلَمَّارَ عَاهَا تَهَنَّزُ ﴾ حالٌ من المفعول، والاهتزازُ: تحرُّكٌ بحركتَيْنِ متدافِعَتَيْنِ. ﴿ فَلَمَّارَ عَالَى اللهِ عَنَيْنِ مَدافِعَتَيْنِ. ﴿ فَأَنَّهَا جَانَ ﴾؛ أي: حيَّةُ سريعةُ الحركةِ.

﴿ وَلَى ﴾ موسى عليه السلام ﴿ مُدْبِرًا ﴾: أعرضَ عنها، وجعلها تلي ظهرَه خوفاً منها بمقتضى البشريَّة.

(١) في (ف) و(ع): «للتعجب».

(٢) في (م): «رآه».

⁽٣) أي: للمتكلم المنادي له، فالتقدير: إنّ المنادي المتكلم أنا. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٣٥).

﴿ وَلَرْ يُعَقِّبُ ﴾: لم يرجع، يقال: قد عقَّبَ فلانِّ: إذا رجعَ، يقاتل بعدَ أن ولَّى.

فنُودِيَ: ﴿ يَنْمُوسَىٰ لَا تَعَفَّ ﴾؛ أي: مِن غيري (١) ثقةً بي (٢)، وحُذف المفعول لظهوره، أو مطلقاً على تنزيل المتعدِّي منزلة اللَّازم.

﴿ إِنِّ لَا يَخَافُ لَدَى اللَّمُ اللَّهُ الْمُرْسَلُونَ ﴾؛ أي: لا ينبغي لهم أن يخافوا حالَ تقريبي إيَّاهم بالخطاب، وفيه إشارة إلى أنَّ تلك الحالة كانت مقدِّمة للرَّسالة (٣).

* * *

(١١) - ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُرَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَسُوٓ وِ فَإِنِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُرَّ بَدَّلَ حُسَنًا بَعَدَسُوَءِ فَإِنِي عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ استثناءٌ منقطعٌ، استدرك به ما يختلج في الصّدر (٤) مِن نفي الخوف عن كلِّهم، ومنهم مَن فَرَطتْ منه صغيرة، فإنَّهم وإنْ فعلوها أَتبعوا فعلها ما يُبطلها (٥)، ويستحقُّون مِن اللهِ مغفرة ورحمةً.

ولم يقصد به تعريضَ موسى عليه السلام بوكزِه القِبطيّ؛ لأنَّه عليه السلام لم يكن وقتيَّذِ(١) مرسلاً.

وقيل: متَّصل، و ﴿ ثُرَّبَدَّلَ ﴾ مستأنفٌ معطوفٌ على محذوفٍ؛ أي: ومَن ظلم ثمَّ

في (ك): «أي: غيري»، وفي (ف): «أي غير».

⁽٢) في (ف) و(ك) و(ع): «لي».

⁽٣) في (م): «متقدمة للرسالة»، وفي (ك): «متقدمة الرسالة».

⁽٤) في (ك) و(م): «الصدور».

⁽٥) في (ك): «فعلهم ما يبطلها»، وفي (ف) و(م): «فعلهم ما يبطلون».

⁽٦) في (ع): «وحينئذ».

بدَّل حُسناً؛ أي: أتى بالتَّوبة بعد سُوءٍ متبدِّلاً (١) له بالحسن؛ أي: كان ذلك منه سبباً بتبديل السَّيئة بالحسنة.

وفي التَّعبيرِ عنها(٢) بالحُسْنِ مبالغةٌ في حسنها؛ لبعدِها مِن مَظنَّة شَوبِ الرِّياء والشَّرك، فإنَّ العَمَلَ قلَّما يخلو عنه(٣)، وهذا البَدَلُ لَمَّا لم يحصلْ بالعمَل خلَصَ عنه.

* * *

(١٢) ـ ﴿ وَأَدْخِلُ يَدَكَ فِي جَدْبِكَ تَغْرُجُ بَيْضَآءَمِنْ غَيْرِ سُوَءً فِي قِسْعِ ءَايَتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ } إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَسِفِينَ ﴾.

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ إنَّما قالَ: ﴿ فِي جَيْبِكَ ﴾ لأنَّه كان عليه مَدْرَعَةُ صوفٍ لا كُمَّ له.

﴿ تَغُرُجُ بَيْضَاءَ ﴾ فيه جمعٌ (١) بينَ أمرَي التَّكليفِ والتَّكوينِ.

﴿مِنْغَيْرِسُوَءً ﴾: قبحٍ، لَمَّا كانَ خروج الشَّيء مِن خِلقتِهِ وجوهرِهِ ممَّا (٥) يُستقبَحُ ويُستقذَرُ أخبرَ أَنَّه لم يكنْ كذلكَ.

وأمَّا احتمالُ البَرَصِ فِبِمَعزلِ عن هذا المقامِ، مثلُ ذلك لا يخطرُ بالبالِ في أمثال (١) هذه الآيات العِظام حتى يُحتاجَ إلى دَفعِهِ (٧).

⁽١) في (ف) و(ك) و(م): «مبدلًا».

⁽٢) في (ع): «عنه»، وفي (ف) و(ك): «هنا».

⁽٣) في (ف) و(ك) و(م): «العمل لا يخلو منه».

⁽٤) في (م) زيادة: «قلما».

⁽٥) في (ف) و (م): «بما».

⁽٦) في (ك): «مثل».

⁽٧) في (ع): «رفعه».

﴿ فِ يَسْعِ اَيَنْتٍ ﴾؛ أي: آيةً في تسعِ آياتٍ، وهي: العصا واليد والطُّوفان والجراد والقُمَّلَ والضَّفادع والدَّم والطَّمسة والجدب ونقصان الزَّرع (١١).

وأمَّا الفَلْقَ فليس منها؛ لأنَّه عليه السلام لم يُبعَثْ به.

﴿ إِلَّىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ٢٠٠٠ أَي: مرسلاً.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ فَوْمًا فَسِقِينَ ﴾ تعليلٌ للإرسالِ.

* * *

(١٣) _ ﴿ فَلَمَّا جَآءَتُهُمْ ءَايَنُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَنذَاسِحْرٌ مُبِيثُ ﴾.

﴿ فَلَمَّا مَا تَهُمُّ ءَايَنُنَا ﴾ لم يقل: جاءَهم موسى عليه السلام بها؛ لأنَّها كانت خارجةً عن حيِّز طاقته، وفي بعضها لم يكن منه عليه السلام تصرُّفٌ عاديٌّ.

﴿مُبُّصِرَةً ﴾؛ أي: ظاهرةً بيِّنةً، جُعِلَتْ كأنَّها تُبْصِرُ فتَهدي؛ لأنَّ العُمْيَ لا تقدرُ على الاهتداء، فضلاً عن أن تَهديَ غيرها(٢)، ومنه قولهم: كلمةٌ عَيناء، وكلمةٌ عوراء؛ لأنَّ الكلمةَ الحسنةَ تُرشِدُ، والكلمةَ العوراءَ تُغوي، فهو مِن قبيلِ الاستعارة المكنيَّة، وهي أبلغُ مِن المجازِ.

﴿ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِيثٌ ﴾: واضحٌ سحريَّته، قُوبل بين المبصرة والمبين.

* * *

(18) - ﴿ وَحَمَدُواْ بِهَا وَٱسْتَنْقَنَتْهَا آنَفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوّاً فَٱنظُرْ كَيْفَكَانَ عَنِقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾. ﴿ وَحَمَدُواْ بِهَا ﴾ يُقالُ: جَحَدَ حقّه وبحقّه بمعنّى، ذكره في «الدّيوان»(٣).

⁽١) في (م): «المزراع»، وفي (ي): «المزارع منه».

⁽٢) في (ك) و(م): «غيره».

⁽٣) انظر: «تفسير النسفي» (٢/ ٥٩٤)، ويظهر من كلام النسفي أن «الديوان» اسم كتاب، ولم أعرفه.

والجحودُ: هو الإنكارُ للشَّيءِ للجهلِ به، وقد يكونُ بعدَ المعرفة تعنُّتاً.

والواو في: ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَا ﴾ للحال، و(قد) بعدها مضمَرةٌ، والاستيقانُ أبلغُ مِن الإيقانِ.

﴿أَنفُهُمْ ﴾؛ أي: جَحدوها بألسنتهم، وقد استيقنوها بقلوبهم. وفي التَّعبير بـ ﴿أَنفُهُمْ ﴾ عن قلوبهم تنزيلٌ (١) لآلةِ الإقرار منزلةَ الترجمان.

﴿ طُلْمًا ﴾ لأنفسهم ﴿ وَعُلُوًّا ﴾: ترفُّعاً عن الإيمان، وانتصابهما على العلِّيَّة من (جحدوا).

﴿ فَٱنظَر كَيْفَكَانَ عَنِقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ وهو الإغراق والإحراق في الدَّارَيْنِ.

* * *

(١٥) _ ﴿ وَلَقَدْ ءَانَيْنَا دَاوُردَ وَسُلَيْمَنَ عِلْمُأْ وَقَالَا ٱلْحَمَّدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُوْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ ءَانَيْنَا دَاوُردَ وَسُلَيْمَنَ عِلْمَا ﴾ طائفة مِن العلمِ، وهو علمُ الحُكْمِ والشَّرائع، أو: علماً أيَّ علم.

﴿ وَقَالَا ﴾ الواو فصيحةٌ، تُفصح عن محذوفٍ تقديرُه: ففعَلا (٢) شكراً لله تعالى ما فعلا ممَّا لا يفي ببيانه (٦) العبارة، وقالا:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أرادَ بالكثيرِ (١) المفضَّلِ عليه مَن لم

في (ف) و(ك): «تنزيلاً».

⁽٢) في (م): «فعلا».

⁽٣) في (ف): «بيانه».

⁽٤) في (ي) و(ع): «بالتكثير».

يؤْتَ مثلَ علمها، دلَّ على ذلك تقييدُهم بالإيمان، فإنَّ المؤمن لا يخلو عن علم، وفيه إخراجٌ للكفَّار عن حيِّز الاعتبار، وتعظيمٌ لنعمة التَّفضيل بتوصيف المفضَّل عليه بوصفِ جليل، ودليلٌ على فضلِ العلمِ وشرفِ أهلِه، حيثُ شَكرًا على العلمِ وجعلاه أساسَ الفضلِ، ولم يعتبرا دونه ممَّا(۱) أُوتِيا مِن الملك الذي لم يؤتَ غيرَهما، وتحريضٌ للعالِم على أنْ يحمدَ الله تعالى على ما أتاه مِن فضلِه، وأنْ يتواضَعَ ويعتقدَ أَنَّه وإنْ فُضِّلَ على كثير فقد فُضِّلَ عليه كثيرٌ، أو تساويا.

* * *

(١٦) - ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُرِدٌ وَقَالَ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ اللهِ المُو الفَضْلُ ٱلمُبِينُ ﴾.

﴿ وَوَرِثَ سُلَتِمَنُ دَاوُرِدَ ﴾ النُّبوَّةَ والملكَ، بأنْ قامَ مقامَه في ذلك بعدَ موتِه (٢)، ولهذا قال: ﴿ وَوَرِثَ ﴾ فإنَّ حقيقةَ الميراثِ: انتقالُ التَّركةِ مِن مِلْكٍ إلى مِلْكٍ.

والتركةُ: ما بقيَ بعدَ الموتِ، واستُعير هاهنا لِما ذكر.

وأمَّا العلم (٣) فقد شاركَ أباه فيه، بل ترجَّح (١) عليه حالَ حياته على ما أفصحَ عنه قوله تعالى: ﴿فَفَهَمَّنَهَا سُلِيَمُنَ ﴾ (٥) [الأنبياء: ٧٩].

﴿ وَقَالَ ﴾ تشهيراً لنعمة الله تعالى، واعترافاً بمكانها، ودعاءً للنَّاس بذكرِ المعجزةِ التي هي عِلْمُ منطقِ الطَّير وغير ذلك مِن عظائم ما أوتيه.

⁽١) في (ك): «ما».

⁽٢) «بعد موته» سقط من (ك).

⁽٣) في (م): «ذكروا من العلم» بدل «ذكر. وأما العلم».

⁽٤) في (ف): «يترجح».

⁽٥) «سليمان»: ليست في (ك) و(م) و(ي) و(ع).

﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيرِ ﴾ النَّطقُ والمَنطقُ في المتعارَف: الأصواتُ المقطَّعة التي يُظْهِرُها اللِّسانُ وتعيها الآذانُ، ولا يُقالُ لغير الإنسان إلَّا على سبيلِ التَّبع؛ نحو: النَّاطق والصَّامت، لِمَا له صوتٌ ولِما لا صوتَ له.

﴿ وَأُوتِينَامِنَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ المرادُ به: كثرةُ ما أوتي، كما يُقال: فلانٌ يعلمُ كلَّ شيءٍ، ويعضدُه كلُّ أحدٍ.

والضَّمير في ﴿عُلِمْنَا﴾ و﴿أُوتينا﴾ له ولأبيه، أو له وحدَه، وهذه النُّونُ نونُ الواحدِ المُطاعِ، فكانَ مَلِكاً مُطاعاً يكلِّم(١) أهلَ طاعته(٢) على صفته وحاله التي كان عليها.

﴿إِنَّ هَاذَا لَمُوَ ٱلْفَضَّلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ قولٌ واردٌ على سبيلِ الشُّكرِ، كقوله عليه السلام: «أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ ولا فخرَ»(٣)؛ أي: أقولُ هذا القولَ شكراً ولا أقولُه(٤) فخراً.

* * *

(١٧) - ﴿ وَكُشِرَ إِسُلَيْمَ نَ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنِسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾.

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَتَمَنَ ﴾؛ أي: جُمِعَ مِن جهاتٍ مختلفةٍ.

﴿ جُنُودُهُ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنِي ﴾ قدَّم الجنَّ على الإنس لأنَّ مقامَ التَّسخيرِ لا يخلو مِن نوع تحقيرِ (٥).

(۱) في (ع) و(ك) و(م): «فكلم»، وفي (ي): «فكلمه»، والمثبت من (ف).

(٢) في (ف) و(ك) زيادة: «على إطاعته».

(٣) رواه الترمذي (٣٦١٥) وصححه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وهو في «صحيح البخاري» (٣٧١)، و«صحيح مسلم» (٢٢٧٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه دون قوله: «ولا فخر».

(٤) في (ك): «أقول».

(٥) كذا قال، وقد تعقبه الشهاب الخفاجي والآلوسي بالقول: (ليس بشيء؛ لأنّ التسخير للأنبياء =

﴿وَٱلطَّيْرِ﴾ لو كان فيها جنسٌ آخر لذكره هنا.

﴿ فَهُم مُوزَعُونَ ﴾: يُمْنَعون عن التَّفرُّقِ والانتشار حتى يجتمعوا في مسيرهم، وذلك أحسنُ في الهيئةِ وأهيبُ في الرُّؤيةِ.

* * *

(١٨) _ ﴿ حَتَىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةً يَتَأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمُّمُ لَا يَعْطِمَنَكُمُّمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾.

﴿ حَتَىٰ إِذَا أَتَوَا ﴾ ضمَّنَ ﴿ يُوزَعُونَ ﴾ معنى فعل يصلحُ أن تكون (حتى) غايةً له؛ أي: فهُم يسيرون لُفُوفاً (١)، لا يفارق بعضهم بعضاً.

﴿عَلَىٰ وَادِٱلنَّمْلِ ﴾ هو وادِ بالشَّام كثيرُ النَّمل، وعُدِّي ﴿أَتَوَا ﴾ بـ ﴿عَلَىٰ ﴾ إمَّا لأنَّ إِتيانهم كان مِن فوق، أو لأنَّه أريد معنى قطع الوادي وبلوغ آخره.

عليهم الصلاة والسلام شرف؛ لأنه في الحقيقة لله الذي سخر كل شيء). قلت: وقد ذكر الآلوسي رحمه الله من الحكمة في ذلك ما هو أنسب بالمقام وأقرب إلى الأفهام فقال: (وتقديم المجن للمسارعة إلى الإيذان بكمال قوة ملكه عليه السلام وعزة سلطانه من أول الأمر؛ لِما أن الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير. ولم يقدم الطير على الإنس مع أن تسخيرها أشق أيضاً وأدلُّ على قوة الملك وعزة السلطان لئلا يُفصل بين الجن والإنس المتقابلين والمشتركين في كثير من الأحكام). وما أحسن هذا الكلام، وقد دار بخلدي قبل أن أراه عند الآلوسي، فكفاني الله به مؤونة التعبير عنه.

⁽۱) في النسخ: «ملفوفاً»، وفي هامش (م): «لعلها لفوفاً». قلت: وهي الصواب، واللُّفوف: جمع لِنَّهُ بكسر اللام، وهو القوم المجتمعون، والصنف من الناس، والحزب. انظر: «القاموس» (مادة: لفف).

﴿ قَالَتْ نَمُلَةٌ ﴾ تاؤها للوحدة، وهي في حكم المؤنَّث اللَّفظي، جاز أن يعامل معاملته، كتمر وتمرة، فلا دلالة فيه على كونه أنثى.

﴿ يَكَأَيُّهُ النَّمُلُ اَدْخُلُواْمَسَاكِنَكُمْ ﴾ لم يقل: (ادخلْنَ) لأنَّه جعلها قائلة والنَّمل مقولاً لهم، كما يكون في أولي العقل، فأجرى خطابَهم مجرى خطابِهم.

﴿ لَا يَعْطِمَنَّا كُمْ ﴾ الحَطْمُ: الكَسْرُ.

﴿ سُلَتَمَن ُ وَجُنُودُهُ ﴾ نهى سليمانَ عليه السلام عن الحَطْمِ، والمرادُ نهيها عن التَّوقُّف بحيث يحطمونها، كقولهم: لا أرينَّك هاهنا، فهذا استئنافٌ، أو بدلٌ مِن الأمرِ، لا جوابٌ له فإنَّ النُّونَ لا تدخله في السَّعة.

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنَّهم يحطمونكم، إذْ لو شعروا لم يفعلوا.

قالَتِ النَّملةُ ذلك على وجهِ العُذْرِ ووَصْفِ سليمانَ وجنودِه بالعدلِ.

(١٩) _ ﴿ فَنَبَسَّمَ صَاحِكَا مِن فَولِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِ أَنْعَمْتَ عَلَى وَعَلَى وَلِهَا وَقَالَ وَلِي عَبَادِكَ ٱلصَّنلِحِينَ ﴾.

﴿ فَنَبَسَّمَ ﴾ الفاء فصيحة، تُفْصِحُ عن محذوفٍ، تقديرُه: سمِعَ سليمانُ كلامَها فتبسَّمَ.

﴿ضَاحِكًا﴾ شارعاً في الضَّحكِ، آخذاً فيه.

﴿ مِن فَوْلِهَا ﴾ متعجّباً مِن حذرِها وتحذيرِها واهتدائِها لمصالحها ونصيحتها للنَّمل، أو فرحاً لظهور عدله.

وإنَّما قال: ﴿ضَاحِكًا ﴾ لأنَّ التَّبسُّم قد يكون مِن غضبٍ، وقد يكون مِن استهزاءٍ، وتبشُّمُ الضَّحكِ لا يكونَ إلَّا عن سرورِ.

فإنْ قلْتَ: الظَّاهر مِن هنا أنَّ سليمان عليه السلام كان عالماً بلسان غير الطَّيرِ مِن الحيوانات، فما وجهُ تخصيصه بالذِّكر في مَقامِ إظهارِ الشُّكرِ على ما آتاه الله تعالى مِن جلائل النِّعم؟

قلْتُ: قد أجابَ الشَّعبيُّ عن هذا حيث قال: كانَ للنَّملةِ جناحان، فصارَتْ مِن الطَّيرِ، فلذلك علمَ سليمانُ مَنطقَها، ولو لا ذلك لَمَا علمَه (١٠).

﴿وَقَالَ ﴾ سائلاً توفيقَ شكر تلك النِّعم الجليلة:

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ ﴾؛ أي: يسِّرْ لي الشُّكرَ وازِعاً إيَّاه، ووزعُ الشُّكر كنايةٌ عن وزع مُوجبِه وهو النِّعمة، فهو كلام في غاية الفصاحةِ.

﴿ نِعْمَتُكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَى وَكِلَ وَلِدَتَ ﴾ أدرجَ فيه ذكر والديه تكثيراً للنِّعمةِ.

﴿ وَأَنَّ أَعْمَلُ صَلَاحًا تَرْضَنهُ ﴾ تماماً للشُّكرِ واستدامةً للنِّعمةِ.

﴿ وَأَدْخِلْنِي مِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّلِحِينَ ﴾: في عدادهم الجنَّة.

* * *

(٢٠) - ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّنْرَ فَقَالَ مَالِى لَآ أَرَى ٱلْهُدَهُدَ أَمَّ كَانَ مِنَ ٱلْفَكَآبِينِ ﴾. ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّنْرَ ﴾ حقيقةُ التَّفَقُّد: تعرُّفُ فُقدانِ الشَّيء.

﴿ فَقَالَ مَالِ كُا أَرَى ٱلْهُدَهُدَ ﴾ بدأً أوَّلاً بنفسه، ثمَّ قال: ﴿ أَمَّ كَانَ مِنَ ٱلْعَالِمِينِ ﴾ قرينُه: أحادَ بصري عنه بسببٍ ؟ ولَمَّا كانَ المذكور في قوَّته نُزِّلَ منزلَتهُ، وعُطف عليه على سبيل العطف من جهة المعنى، وكأنَّ الغالب على ظنِّه هذا الاحتمال، على ما دلَّ عليه عبارة ﴿ كَانَ ﴾ ، فلذلك قال:

⁽۱) روى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (۹/ ۲۸۵۷).

(٢١) - ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ مَنَابًا شَكِيدًا أَوْ لَأَاذْ بَحَنَّهُ وَأُولِكَأْتِينِي بِسُلْطَ نِ مُينِ ﴾.

﴿ لَأُعَذِبَنَّهُ مَذَابًا شَكِدِيدًا ﴾ كَنتْ فِ ريشِه وإلقائِه في الشَّمسِ أو حيث النَّملُ يأكلُه، أو جعلِه مع ضِدِّه في قفص.

﴿أَوْلَأَاذْبُحَنَّهُ ﴾ ليَعتبرَ به أبناءُ جنسِه.

﴿ أَوْلَيَ أَتِيَنِي بِسُلُطَنِ مَبِينِ ﴾ بحجَّةٍ تبيِّنُ عذرَهُ. والسُّلطانُ في الأصل: إظهارُ ما يتسلَّطُ به.

والحلفُ في الحقيقةِ على أحدِ الأمرَيْنِ بتقديرِ عدم الثَّالث، لكنْ لَمَّا اقتضى ذلك وقوعَ أحدِ الأمور الثَّلاثةِ ثلَّثَ المحلوف عليه بعطفه عليهما.

* * *

(٢٢) - ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَأَحَطَتُ بِمَالَمْ يُحِطْ بِهِ وَجِثْتُكَ مِن سَبَإِ بِنَكِ يَقِينٍ ﴾. ﴿ فَمَكَثَ ﴾؛ أي: كان غائباً فمكَثُ، فالفاء فصيحة.

﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾؛ أي: لبثَ زماناً غيرَ بعيدٍ عن وقتِ تفقُّدِه، يريد به الدِّلالة على سرعة رجوعه خوفاً منه عليه السلام.

ولَمَّا كان المذكور في وقت(١) الإخبار عن مجيئِه عن قريب رتَّب عليه قوله:

﴿ فَقَالَأَ حَطَتُ بِمَا ﴾ علمْتُ مِن جميع جهاتِه شيئاً ﴿ لَمْ تَحِطْ بِهِ ، ﴾ يعني: حال سأ(٢).

وفي مخاطبته إيَّاه بذلك تنبيهٌ له على أنَّه في أدنى خلق الله تعالى مَن أحاطَ

في (ف) و(ك) و(م): «حكم».

⁽٢) في (ك): «من أحواله» بدل «سبأ».

علماً بما لم يحطْ به؛ لتتحاقرَ إليه نفسُه، ويتصاغرَ لديه علمُه، ويكونَ لطفاً في ترك الإعجابِ الذي هو فتنةُ العلماءِ.

﴿وَجِثْتُكَ مِن سَبَإٍ ﴾ قرئ مصروفاً على أنَّه اسم للحيِّ أو للأب الأكبر، وغيرَ مصروفٍ على تأويل القبيلة أو البلدة(١).

﴿بِنَبَالٍ ﴾: بخبرٍ له شأنٌ.

أتى بهذا النَّوعِ مِن الإطناب مِن جهة المعنى تشويقاً له حتى تنكسرَ سَورَةُ غضبه (۲).

﴿يَقِينٍ ﴾: مُحقَّق.

* * *

(٢٣) - ﴿إِنِّي وَجَدَتُ آمْزَأَةُ تَمْلِكُهُمْ وَأُونِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَا عَرْشُ عَظِيمٌ ﴾.

﴿إِنِي وَجَدَّ ٱمْرَأَةً ﴾ يعني: بلقيس بنتَ شراحيل (٣)، وإنَّما قال: ﴿وَجَدَّ ﴾ دون: رأيت، إشعاراً بغرابةِ الحالِ، حيث كانَتْ بتلكَ العظمةِ والشَّوكةِ وقربِ المكان مجهولةً لسليمان عليه السلام وأصحابه (١).

⁽١) قرأ البزي وأبو عمرو بفتح الهمزة من غير تنوين، وقنبل بإسكان الهمزة على نية الوقف، والباقون بخفضها مع التنوين. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٧).

⁽٢) في (ف) و(ك) و(م): «تشريفاً له حيث يتشوق ليكسر سورة غيظه».

⁽٣) في (ف) و(ك): «بنت أصل».

⁽٤) في هامش (م): «قال القرطبي: كيف خفي على سليمان عليه السلام مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة؟ فالجواب: أن الله تعالى أخفى ذلك عنه لمصلحة، كما أخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام. منه».

﴿ تَمَلِكُهُمْ ﴾ الضّمير لسبأ أو لأهلها، وإنّما لم يقل : تملكها؛ لأنّه أرادَ بيان ملكها وسلطنتها، وتعيينُ ذلك بالإضافة إلى أهل الدِّيار، لا بالإضافة إليها، ففيه أيضاً تقويةٌ لمعنى الغرابة المقصودة بعبارة النّباً، حيث كانت امرأةً ملكة قبيلة عظيمة .

﴿وَأُوتِيَتَ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ قد نبَّهْتُ فيما تقدَّمَ أنَّ المرادَمِن (كلِّ شيء) في مثل هذا: المبالغة في الكثرة، فمَن قبَّده بقوله: يحتاج إليه الملوك، فقد فوَّتَ تلكَ المبالغة.

﴿ وَلَهَا عَرْشُ عَظِيمٌ ﴾: سريرٌ كبيرٌ قَدْراً أو قِيمةً.

* * *

(٢٤) - ﴿ وَجَدَتُهَا وَقَوْمَهَا يَسَجُدُونَ لِلشَّنْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾.

﴿ وَجَدتُهَا وَقُومَ لَهَا يَسْجُدُونَ ﴾: يعبدونَ.

﴿لِلشَّمْسِمِنِدُونِٱللَّهِ ﴾ أَضلَّهم الله تعالى ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ ﴾ فالواو فصيحةٌ، والجملةُ معطوفةٌ على مقدَّر.

﴿ أَعْمَالُهُمْ ﴾ مِن عبادةِ الشَّمس وغيرِها مِن قبائحِ الأفعالِ.

﴿ فَصَدَهُم ﴾ مِن صدَّ السَّبيلُ(١): إذا اعترضَ دونَه مانعٌ من عقبةٍ أو غيرها فأخذتَ في غيره (٢)؛ ففيه ثلاثُ معانٍ: المنعُ والدَّفع والصَّرف.

⁽١) في (ك) و(م): «صدعن السبيل»، وفي (ف): «صدر السبيل». والمثبت من (ع) و(ي)، وهو الموافق لما في «الأساس» و «اللسان» و «التاج» (مادة: صدد).

⁽٢) في (ع) و(ف): «فأخذ في غيره»، وفي (م): «فانتذب غيره»، وسقطت من (ك).

﴿عَنِٱلتَّبِيلِ﴾: طريقِ الحقِّ والصَّوابِ، وإنَّما أطلقَ السَّبيلَ لأنَّ السبَّيلَ الذي لا يجوز سُلوكُه ممنوعٌ، فكأنَّه ليس بسبيل.

﴿فَهُمْ لَا يَهْ تَدُونَ ﴾ إليه.

* * *

(٢٥) - ﴿ أَلَّا يَسَجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَاوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تَخْفُونَ وَمَا تُعْلَمُونَ ﴾.

﴿ أَلَّا يَسَجُدُوا بِلِهِ ﴾؛ أي: فصدَّهم لِأَنْ لا يسجدوا، أو: زيَّن لهم الشَّيطان أعمالهم لِأَنْ لا يسجدوا^(۱)، فحذف الجار مع (أن)، فأدغمت النُّون في اللَّام، أو: زيَّن لهم الشَّيطان أعمالهم أنْ لا يسجدوا، على أنَّه بدل من ﴿ أَعَمَالَهُمْ ﴾، أو: لا يهتدون إلى أنْ لا يسجدوا، بزيادة (لا).

وقرئ ﴿أَلَا﴾ بالتَّخفيف على أنها للتنبيه و ﴿يسجُدوا﴾ بمعنى: يا اسجدوا(٢)؛ نداءٌ، والمنادى مضمَر؛ أي: يا هؤلاء اسجدوا لله.

وعلى هذا صحَّ أنْ يكون استئنافاً من سليمان عليه السلام أو من الله، والوقفُ على ﴿يَهْتَدُونَ ﴾، وكان أمراً بالسُّجودِ، وعلى الأوَّل ذمَّا على تركه، وعلى الوجهَيْن يقتضي وجوبَ السُّجودِ في الجملةِ، لا عندَ قراءتها.

﴿ٱلَّذِي يُغْرِجُ ٱلْخَبِّ وَالسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الخبء: ما يخفَى في غيره، وإخراجُه:

⁽۱) «أو زين له الشيطان أعمالهم لأن لا يسجدوا» ليست في (م)، وكلمة: «الشيطان» ليست في (ي) و(ع).

⁽٢) قراءة الكسائي، ويقف على (يا)، ويبتدئ: (اسجدوا) على الأمر. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٧).

إظهارُه، وهو يعمُّ إشراقَ الكواكبِ، وإنزالَ الأمطارِ، وإنباتَ النَّباتِ، بل الإنشاء، فإنَّه إخراجُ ما في الإمكان والعَدم إلى الحراجُ ما في الإمكان والعَدم إلى الوجوب والوجود، ومعلومٌ أنَّه يختصُّ بذاته.

﴿وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (١) وصفٌ له تعالى بما يوجبُ اختصاصَه باستحقاقِ السُّجود، ورداً (٢) على السُّجود، ورداً (٢) على مَن يسجدُ لغيره.

وتقديم ﴿ما يُخْفُونَ ﴾ على ﴿ما يُعْلِنُونَ ﴾ مع أنَّ مقتضى أسلوب التَّرقي تأخيرُه عنه؛ للتَّسوية بين جُزْئي الكلام في الاهتمام.

* * *

(٢٦) - ﴿ ٱللَّهُ كَآ إِلَهُ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

﴿ اللهُ لَا إِللهُ اللهُ وَرَبُّ الْعَرِشِ الْعَظِيمِ ﴾ الذي هو أوَّلُ الأجرام وأعظمها والمحيط بجملتِها، فبينَ عظمِه وعظم عرشِها(٤) بونٌ بعيدٌ.

وقرئ: ﴿ٱلْعَظِيمِ ﴾ بالرَّفع نعتاً لله تعالى(٥٠).

* * *

⁽١) كذا في النسخ بالياء في الفعلين، وهي قراءة أكثر السبعة إلا حفصاً والكسائي فقرأا بالتاء فيهما. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٨).

⁽٢) في (ف): «حث».

⁽٣) في (ك): «وردٌ».

⁽٤) أي: عرش بلقيس.

⁽٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٩).

(٢٧) _ ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَندِينِ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ عليه السلام للهدهد: ﴿ سَنَظُرُ ﴾ مِن النَّظرِ بمعنى التَّأَمُّل ﴿ أَصَدَقْتَ ﴾ فيما أخبرْتَ.

﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَدِبِينَ ﴾ هذا أبلغ مِن: أكذبْتَ؛ لأنّه إذا كان معروفاً بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذباً لا محالة، وإنّما استحقَّ هذه المبالغة على تقدير الكذب لأنّه أخبر بأمرٍ عظيمٍ، وبالغَ فيه.

* * *

(٢٨) - ﴿ أَذْهَب بِكِتنبِي هَكَذَا فَأَلْقِدْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿ ٱذْهَبِ بِكِتَنِي هَكَذَافَأَلَقِه ﴾ إنَّما أمرَه بالإلقاء لأنَّ الطَّائر لا يمكنُه تبليغُ الكتاب مقاولةً، إلَّا أنَّه ضمَّنه معنى الإيصال، ولذلك قال:

﴿ إِلَيْهِمْ ﴾؛ أي: اطْرَحه على وجه يصلُ إليهم.

ولَمَّا كَانَ المَقَامُ مَقَامَ التَّأَنِّي الذي يقتضي قَدْراً مِن الزَّمَان نبَّهَ عليه بقوله: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾: تنجَّ عنهم إلى مكانٍ قريبٍ، بحيث تراهم ولا يروْنَك؛ ليكون ما يفعلونه بمنظرٍ منك، على ما دلَّ عليه قولُه:

﴿ فَأَنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ مِن الرَّجْعِ لا مِن الرُّجوعِ؛ أي: ماذا يردُّون في مقابلةِ كتابنا.

* * *

(٢٩) - ﴿ قَالَتْ يَكَأَيُّهُ ٱلْمَلُوُّ إِنِّ أَلْقِيَ إِلَىَّ كِنَبُّكُرِيمٌ ﴾.

﴿ فَالتَّيْتَأَيُّهُ ٱلْمَلَوُّا ﴾؛ أي: قالَتْ ملكة سبأ لأشرافِ قومِها بعدما فعل الهدهدُ ما أُمِرَ به.

﴿ إِنِّ أَلْقِيَ إِلَيَّكِنَا السَّلَامِ: حَسَنٌ مضمونُه، أو: مِختوم، قال عليه السلام: «كرمُ الكتاب ختمُه»(١).

* * *

(٣٠ - ٣١) - ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَنَ وَإِنَّهُ وبِسَهِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ (اللَّهِ ٱلْآَوَى الْآَوَى مُسْلِمِينَ ﴾.

﴿ إِنَّهُ مِن سُلَتِمَنَ ﴾ استئنافٌ، كأنَّه قيل لها: ممَّنْ هو؟ فقالت: إنَّه؛ أي: إنَّ الكتابَ. ﴿ وَإِنَّهُ أَي: وإنَّ المكتوبَ أو المضمونَ (٢٠).

وقرئ بالفتح (٣) على الإبدال من ﴿كِنَا ﴾، أو التَّعليل لكرمه.

﴿ بِسَــِرَاللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ اللَّهِ ٱلْاَتَعَلُوا ﴾: لا (٤) تترفَّعوا ﴿ عَلَى ﴾ و (أنْ) مفسّرة أو مصدريَّة، فيكون بصِلته خبرَ محذوفٍ؛ أي: هو أو المقصودُ أنْ لا تعلوا، أو بدلٌ من ﴿ كِنَبُ ﴾.

﴿وَأَتُونِ مُسْلِمِينَ ﴾: منقادين.

قولها: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَكُواْ قَرْكِتَا أَفْسَكُوهَا ﴾ صريحٌ في أنَّ الدَّعوة كانت دعوة السَّلطنة لا دعوة النُّبوَّة.

⁽۱) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (۳۸۷۲) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «کرامة الکتاب..». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (۸/ ۹۹): فيه محمد بن مروان السدي الصغير وهو متروك.

⁽٢) في هامش (ي): «صورة مكتوب سليمان عليه السلام: من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ؛ بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على مَن اتبع الهدى، أما بعد، فلا تعلو عليَّ وأتوني مسلمين. الكواشي».

⁽٣) نسبت لعكرمة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٩).

⁽٤) في (ف): «ألا».

(٣٢) - ﴿ قَالَتَ بَتَأَيُّهَا ٱلْمَلَوُّا أَفْتُرنِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمَّا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾.

﴿ قَالَتَ يَنَأَيُّهُا ٱلْمَلَوُّا أَفْتُونِي ﴾: أشيروا عليَّ ﴿ فِي أَمْرِي ﴾: في الأمر الذي نزل بي.

والفتوى: الجوابُ في الحادثة، اشتُقَتْ (١) على طريق الاستعارة من الفتيِّ في السِّنِّ، والمرادُ هاهنا: الإشارةُ عليها بما عندهم مِن الرَّأي.

وقصدُها بالرُّجوع إلى استشارتهم: تطييبُ نفوسِهم ليمالئوها ويقوموا معها(٢)، ولذلك قالت:

﴿ مَا كُنتُ ﴾ في الزَّمان الماضي ﴿ قَاطِعَةً ﴾: قاضية ﴿ أَمُّكُ ﴾؛ أي: ممضية حكماً.

﴿ حَتَّى تَشَهَدُونِ ﴾ بكسر النون، والفتح لحنٌ؛ لأنَّ النُّون إنَّما تُفتَح في موضع الرَّفع، وهذا موضع النَّصب، وأصله: تشهدونني، فحذفت النُّون الأولى للنَّصب، والياءُ لدلالة الكسرة عليها، وبالياء في الوصل والوقف (٣)؛ أي: تَحضروني؛ أي: كانت عادتي أنْ لا أبتَّ أمراً إلَّا بحضرتكم، فكيف في هذه النَّازلة الكبرى؟!

فراجعَها الملأُ بما يُقِرُّ عينَها مِن إعلامِهم إيَّاها بأنهم أولو^(١) القوة والبأس، ثمَّ سلَّموا الأمرَ إلى نظرها، وهذه محاورةٌ حسنةٌ مِن الجميع.

(٣٣) - ﴿ قَالُوا نَعَن أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسِ شَدِيدِ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا ﴾ مجيبينَ لها: ﴿ غَنُ أُولُوا فُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسِ شَدِيدٍ ﴾ أرادوا بالقوَّةِ قوَّةَ الأجساد

(۱) في (ف): «استفتت».

⁽٢) في (ك): «ويوافقوها».

⁽٣) وهي قراءة يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٤٠)، و «تفسير النسفي»، وعنه نقل المؤلف.

⁽٤) في (ك): «بأنهم في غاية»، وفي (م): «بأنهم هي»، وفي (ي) و(ع): «ما بهم من».

والآلات، وبالبأس: النَّجدة والبلاء في الحرب؛ أي: قادرون على القتال لا فتورَ فينا ولا قصورَ لوُفور عَددنا وعُددنا، وإنَّما قدَّموا هذا الكلام لكيلا تتوهَّم العجزَ مِن تفويض الأمر إليها بقولهم:

﴿ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾ موكول ﴿ فَٱنظرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ من الحرب والصُّلح، نطيعك ونمتثِل أمرَكِ.

* * *

(٣٤) _ ﴿ قَالَتَ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَحَالُواْ فَرَيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَاۤ إَذِلَةً ۗ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾.

﴿ قَالَتَ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ ﴾ أتى بصيغة الجمع تنصيصاً على تعميم الحكم للأفراد؛ فإنَّ في الجنس احتمالَ الخصوص.

﴿إِذَا دَخَـُلُواْ قَرْبَكَةً ﴾ يعني: عنوةً، بقرينة قوله: ﴿أَفْسَدُوهَا ﴾ بالتَّخريبِ ﴿وَجَعَلُواْ أَعِنَّهَ أَفْلَهُ أَوْلَهُ أَوْلَهُ أَوْلَهُ أَوْلَهُ أَوْلَهُ أَوْلَهُ أَوْلَهُ أَوْلَهُ أَوْلُهُ عَلَى اللَّهُ أَوْلُهُ أَوْلُهُ اللَّهُ وَلَا أَوْلُونُ أَوْلُهُ أَوْلُونُ أَوْلُونُ أَوْلُهُ اللَّهُ وَلَا أَوْلُونُ أَوْلُونُ أَوْلُونُ أَوْلُونُ أَوْلُونُ أَوْلُونُ أَوْلُونُ أَوْلُونُ أَوْلُونُ أَوْلُونُ أَوْلُونُ أَلْفُولُونُ أَلْمُ أَلُونُ أَوْلُونُ أَلْمُ لَا أَوْلُونُ أَوْلُونُ أَلْمُ لَا أُولُونُ أَوْلُونُ أَلْمُ لَا أُولُونُ أَوْلُونُ أَلْمُ أَلْمُ أَلُونُ أَلِهُ أَلِمُ أَلِمُ أَلْمُ أَلُونُ أَلِهُ أَلِهُ أَلِهُ أَلِمُ أَلِهُ أَلِمُ أَلِمُ أَلِهُ أَلْمُ أَلِمُ أَلِمُ أَلِمُ لَا أُولُونُ أَلِهُ أَلْمُ أَلِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ أَنْ أَلَالُهُ أَلْمُ أَلُونُا أُولُونُ أَلِهُ أَلِهُ أَلْمُ لَاللَّهُ اللَّهُ للّهُ اللّلِلْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ

زيَّفَتْ ما أحسَّتْ منهم مِن الميل إلى المحاربة بادِّعائهم أسبابَ الغلبة، وذكرَتْ لهم سوءَ عاقبة الحرب، وأشعرَتْ بأنَّها ترى الصُّلحَ مخافة أنْ يتخطَّى سليمان عليه السلام خططَهم فيسرع إلى إفساد ما يصادفه من أموالهم وعماراتهم (١١).

﴿وَكَذَالِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ تأكيدٌ لِمَا وصفَتْ مِن حالِهم، وتقريرٌ بأنَّ ذلك عادتُهم الثَّابتةُ المستمرَّة، أو تصديقٌ لها من الله تعالى.

* * *

⁽۱) في هامش (ف) و(م): «وأما ما قيل: الحرب سجال، فلا يناسب المقام، إنما يقال ذلك لمن غلب مرة. منه».

(٣٥) - ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةً إِلَيْهِم بِهَدِيَّةِ فِنَ اظِرَةً أَبِهُم يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾.

﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةً إِلَيْهِم ﴾ رسولاً ﴿ بِهَدِيَّةِ ﴾ بيانٌ لِمَا ترى تقديمه في المصالحة.

﴿ فَنَاظِرَةً ﴾: منتظرةٌ ﴿ بِمَيْرَجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ بالرِّعاية أو بالإهانة، حتى أعملَ بحسب ذلك.

﴿ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾: الرَّسولُ ومَن أُرْسِلَ معَه.

* * *

(٣٦) _ ﴿ فَلَمَّا جَآءَسُلَيْمَنَ قَالَ أَتُعِدُّ وَنَنِ بِمَالِ فَمَآءَاتَىٰنِ ءَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَىٰكُم مِلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُرُ نَفْرَحُونَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلِيَمُنَ ﴾؛ أي: الرَّسولُ، وقرئ: (فلمَّا جاؤوا)(١)؛ أي: المرسلون سليمان(٢).

﴿ قَالَ أَتُمِدُ وَنَنِ بِمَالِ ﴾ خطابٌ للرَّسولِ ومَن معَه، أو الرَّسولِ والمرسِل على تغليب المخاطَب، استفهامٌ إنكاريٌّ، فالفاء في قوله:

﴿ فَمَآءَاتَننِ ءَاللَّهُ ﴾ تعليليَّة ؛ أي: فالذي أعطاني الله تعالى مِن النُّبوَّة والملك وسخَّر لي الجنَّ والإنس والرِّيح والطَّير والوحش ﴿ خَيْرٌ مِّمَآءَاتَنكُم ﴾ فلا حاجة لي بهديَّتكم، ولا وَقْعَ لها عندي.

﴿ بَلْ ﴾ إضراب عن إنكارِ الإمداد بالمال عليه وتعليلِه (٢) إلى بيان السبب

⁽۱) نسبت لابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٥٩)، و «البحر المحيط» (١٦/ ٢٦١).

⁽٢) «سليمان» من (ك) و (م).

⁽٣) في (ف) و(ك) و(م): «وتقليله»، والمثبت من (ع) و(ي)، والبيضاوي، وقال الشهاب: قوله: (وتعليله) بالجر معطوف على (إنكار)، وهو المستفاد من قوله: ﴿ فَمَآءَاتَـٰنِ يَـ ﴾ إلخ.

الذي حملهم عليه، وهو قياسُ حاله على حالهم في قصور الهمَّة بالدُّنيا والزِّيادة فيها.

﴿ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُو ﴾ والهديةُ: اسمٌ لِمَا يُهدَى، كما أنَّ العطيَّةَ اسمٌ لِمَا يُعطَى، فتضاف إلى المهدِي والمهدَى له، تقول: هذه هديةُ فلانٍ؛ تريد: الذي أهداها، أو أهدِيَتْ له.

﴿ نَفَرَحُونَ ﴾ لأنَّكم لا تعلمون إلَّا ظاهرَ الحياة الدُّنيا، فتفرحونَ بما يُهدَى إليكم لزيادةِ أموالِكم، أو بما تهدونه افتخاراً على أمثالِكم.

* * *

(٣٧) - ﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْنِينَهُم بِحُنُودِ لِلْ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَلْغِرُونَ ﴾.

﴿ أَرْجِعْ ﴾ خطابٌ للرَّسولِ ﴿إِلَيْهِمْ ﴾ إلى بلقيسَ وقومِها.

﴿ فَلَنَأْتِينَهُم ﴾؛ أي: إنْ لم يأتوني مسلمين فلنأتينَهم ﴿ بِحُنُودٍ ﴾ بأنواع من الجند(١) ﴿ لَا قِبَلَ ﴾: لا طاقة ﴿ لَهُمُ بِهَا ﴾ وحقيقة القِبَلِ: المقابلة والمقاومة ؛ أي: لا يقدرون أن يقابلوهم(١).

﴿ وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا ﴾: مِن ديارهم ﴿ أَذِلَةً ﴾ الذُّلُ: أنْ يذهبَ عنهم ما كانوا فيه مِن العزِّ والملكِ.

﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ الصَّغارُ: أنْ يقَعوا في أسرٍ واستعبادٍ.

فلمَّا رجع إليها رسولُها بالهدايا، وقصَّ عليها القصَّة، قالَتْ: هو مؤيَّدٌ مِن عندِ اللهِ تعالى، وما لنابه طاقةٌ، ثم جعلَتْ عرشَها في آخر سبعةِ أبيات، وغلَّقتِ الأبواب، ووكَّلت حرساً يحفظونه، وبعثت إلى سليمان عليه السلام: إنِّي قادمةٌ

⁽١) في (م): «الجنود».

⁽٢) في (ك): «يقابلونا»، وفي (ف): «يقابلوا».

إليك لأنظرَ ما الذي تدعو إليه، وشَخَصَتْ إليه في اثني عشرَ ألف قَيلٍ (١)، تحت كلِّ قَيلِ ألوفٌ، فلمَّا بلغَتْ على رأس فرسخِ مِن سليمان عليه السلام.

* * *

(٣٨) - ﴿ قَالَ يَتَأَيُّهُا ٱلْمَلُوا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا فَبْلَ أَن يَأْتُونِ مُسْلِمِينَ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ سليمانُ: ﴿ يَتَأَيُّهُ الْفَكُو اللَّهُ مُ يَأْتِينِ بِعَرْضِهَا ﴾ أرادأَنْ يُريَها بذلك بعضَ ماخصَّه اللهُ تعالى ، وعلى ما تعالى ، وعلى ما يشهد لنبوَّة سليمان عليه السلام حتى تصدِّقَه (٢) و تؤمنَ به ، ثمَّ إنَّه قصد في ضمن هذا فائدةً أخرى على ما تقف عليها.

﴿ فَبَلَ أَن يَأْتُونِ مُسَلِمِينَ ﴾ وإنّما تعرّض بوصف الإسلام إعلاماً بأن طلبه عرشها ليس طمعاً فيه؛ فإنّ النّبيّ بمعزَلٍ عن مظنّةِ الطّمع في مالِ مَن علِمَ أنّه يأتيه مسلِماً، وأمّا ما قيل: إنّها لو أسلمَتْ لحظرَ عليه مالُها فلا يؤتى به؛ فإنّما يصحُّ وجهاً لطلبه عرشها قبل إتيانها مسلِمةً، لا لتقييد (٣) أمرِه بذلك القيد (٤)؟

* * *

(٣٩) _ ﴿ قَالَ عِفْرِيتُ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا ءَالِيكَ بِهِ عَبَلَ أَن تَقُومَ مِن مَقَامِكٌ وَإِنِي عَلَيْهِ لَقَوِيُّ أَمِينٌ ﴾.

﴿ قَالَ عِفْرِيتُ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ العِفْرِيْتُ: الخبيثُ المنكَرُ المعَفِّرُ (٥) أقرانَه، ولا اختصاصَ

⁽١) في (ف) و(م): «فيل» في الموضعين. والقَيل: أحد ملوك حمير دون الملك الأعظم. كما في «النهاية».

⁽٢) في (ك): «تصدقها».

⁽٣) في (ك): «لتعيد». وفي (م): «لتفيد».

⁽٤) في هامش (ف) و(ي): «يعنى قيد الإسلام وأما قيد الإتيان فلا بد منه. منه».

⁽٥) في (ك): «المعفر».

له بالجنِّ، ولذلك احتيج (١) إلى البيان بقوله: ﴿مِّنَ ٱلِّذِيِّ ﴾.

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّه صخرٌ الجنِّيُّ (٢).

﴿أَنَا ۚ عَالِيكَ بِهِ ۗ صَالَحَ لَلْفَعَلَيَّةُ وَالْاسَمَيَّةُ ﴿فَبَلَ أَن تَقُومَ مِن مَقَامِكُ ﴾ يعني: مجلسه للقضاء، وهو مِن الغداة إلى نصف النَّهار.

﴿ وَإِنِّ عَلَيْهِ ﴾؛ أي: على الإتيان به ﴿ لَقَوِئُ ﴾: لقادرٌ، وإنَّما عبَّرَ عن القدرة بالقوَّة للحاجة في تحصيل ما ذكر إلى القدرة بالقوَّة.

﴿ أَمِينٌ ﴾ آتي به كما هو لا أختزلُ (٣) منه شيئًا، ولا أبدُّلُه.

* * *

(٤٠) _ ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُ, عِلْرُ مِن ٱلْكِنَابِ أَنَا عَالِيكَ بِدِ عَبْلَ أَن يَرَتَدَّ إِلَيْكَ طَرَفُكُ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ, قَالَ هَنذَامِن فَضْلِ رَقِي لِيَبْلُونِ ءَأَشْكُرُأَمْ أَكُفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشَكُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَن كُمُ فَإِنَّا عِندَهُ, قَالَ هَنذَامِن فَضْلِ رَقِي لِيَبْلُونِ ءَأَشْكُرُأَمْ أَكُفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشَكُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَن كُمُ وَاللَّهُ عَنْ كُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَن كُمُ وَاللَّهُ عَنْ كُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَن كُمُ وَاللَّهِ عَنْ كُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَن كُمُ وَاللَّهُ عَنْ كُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَن كُمُ وَاللَّهُ عَلَيْكُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُولُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُونُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُمُ لِللْهُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَالِكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمُ عَلَمُ الْعُلُولُ عَلَيْكُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَى الْعَلَالِ عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَى عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَى الْمُعْتَعِلَ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَى الْعَلَالِ عَلَالِكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَالِكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ عَلَيْكُ ع

﴿ قَالَ ﴾ الفصلُ بينَ القولَيْنِ لأنَّ أحدَ القائلَيْنِ لم يكن مِن جملة المخاطبِين، والظَّاهرُ أنَّه هو الثَّاني منهما، واحتمال أن يكون المراد مِن القائل الثَّاني سليمان عليه السلام يردُّه كافُ الخطابِ في ﴿ اليِكَ ﴾؛ فإنَّ حقَّه حينت فِ أنْ يقولَ (٤): (أنا آتي به)، وأيضاً لا يناسبه قوله: ﴿ فَلَمَّارَهَاهُ ﴾، إنَّما المناسب حينت فِ أن يقول: فلمَّا أتى به.

⁽١) في (م): «احتاج».

⁽٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٨٨٤).

⁽٣) في (ف): «لا أترك».

⁽٤) «أن يقول»: ليست في (م).

والمشهور أنَّه آصفُ بن بَرخيا كاتبُ سليمان عليه السلام، ويناسبه التَّعبير عنه بقوله:

﴿ الَّذِي عِندَهُ عِلْرُمِّنَ ٱلْكِئْبِ ﴾ وفي التَّوصيف به إشارة إلى أنَّه ما قدرَ على ما قدرَ (١) عليه بقوَّةٍ حيوانيَّةٍ (٢) عليه بقوَّةٍ حيوانيَّةٍ (٢) عليه بقوَّةٍ حيوانيَّةٍ (٢) عليه بقوَّةٍ حيوانيَّةٍ (٢) عليه بقوَّةٍ حيوانيَّةٍ (٢) عليه بقوَّةٍ حيوانيَّةٍ (٢) عليه بقوَّةٍ حيوانيَّةٍ (٢) عليه بقوَّةٍ حيوانيَّةٍ (٢) عليه بقوَّةٍ حيوانيَّةٍ (٢) عليه بقوَّةً عليه بقوّةً ع

﴿ أَنَا ۚ عَالِيكَ مِهِ عَمِّلَ أَن مِرَّتَدَ إِلَيْكَ طَرَفُكَ ﴾ الطَّرْفُ: تحريكُ الأجفانِ؛ أي: ما بينَ امتدادِ الطَّرْفِ بفتحها وارتداده بطبقها، وليس فيه وضع الطَّرْفِ موضعَ النَّظرِ (٣).

﴿ فَلَمَّارَءَاهُ ﴾؛ أي: العرشَ، والفاء فصيحة؛ أي: أذن له سليمانُ عليه السلام فأتى به فلمَّا رآه.

﴿مُسْتَقِرًا عِندَهُ, ﴾: ثابتاً غيرَ مضطربٍ لديه، وقرارُه في موضعه أمرٌ آخر وراءَ حضورِه يحتاج إلى فضلِ زمانٍ بحسَب العادة، وبهذا الاعتبار كان لعبارة ﴿مُسْتَقِرًا ﴾ فضيلةٌ على عبارة (حاضراً).

﴿ قَالَ ﴾ تلقِّياً للنِّعمةِ بالشُّكرِ: ﴿ هَنذَا ﴾؛ أي: حصولُ مرادي، وهو حضورُ العرشِ في طرفةِ العينِ ﴿ مِن فَضْلِ رَبِي ﴾ عليَّ وإحسانِه إليَّ مِن غير استحقاقٍ منِّي.

﴿لِبَلُونِ ﴾: ليتعبَّدني في صورة الاختبار: ﴿مَأَشْكُرُ ﴾ إنعامه ﴿مَأَكُفُرُ ﴾: أجحد. ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّكَ لِنَقْسِهِ عَ لاَنَّه يَحطُّ به عنها عب الواجب، ويصونها عن وَصْمةِ الكفران، ويستجلب به المزيد، ويُرتبَط به العتيد(٤).

⁽١) «على ما قدر» ليست في (ف) و(ك).

⁽٢) في (ع) و(ي): «ليس بقوة جسدانية» بدل: «بقوة حيوانية».

⁽٣) في هامش (ف) و(م): «هو مقدمة النظر كما أن النظر مقدمة الرؤية. منه».

⁽٤) العتيد: الحاضر المهيأ، وجاء في «تفسير النسفي» (٢/ ٢٠٧): (وترتبط به النعمة)، والمثبت موافق لما في «تفسير أبي السعود» (٧/ ٧١)، و «روح المعاني» (١٩/ ٤٥٤).

﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ حذف جزاءَه، وهو: فإنَّما يكفر على نفسه؛ أي: ضررُ كفرِه عليه لا يتعدَّاه؛ لظهوره بقرينة ما ذكر في قرينه، وأقيم تعليله مقامَه.

﴿ فَإِنَّا رَبِّي غَنِّ ﴾ عن الشُّكرِ، لا (١) يتضرَّر إنْ لم يُشكَرْ.

﴿كَرِيمٌ ﴾ بالإنعام، لا يتوقَّع عوضاً ولا يفعل لغرضٍ حتى ينفعل عند عدم حصولِه، فالوصفُ المذكور مِن تمام التَّعليل.

* * *

(٤١) = ﴿ قَالَ نَكِرُواْ لَهَا عَرْتُهَا نَظُرُ أَنَهُ لَدِى آمْرَتَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾.

﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَمَا ﴾ أرادَ بتنكيرِ ﴿ عَرْضَهَا ﴾ تغيير معاهده (٢) عندها، ولذلك قال: ﴿ فَالَ نَكُرا اللَّهُ اللّلَهُ اللَّهُ اللللَّهُ اللَّهُ َّ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ

﴿ نَظُرُ ﴾ بالجزم على الجواب، وقرئ بالرَّفع على الاستئناف (٣).

﴿ أَنَهُ نَدِى ﴾ إلى الجوابِ الصَّواب، وقيل: إلى الإيمان بالله ورسوله، ويَرِدُ عليه: أنَّه حينئذ لا حاجة إلى التَّنكير، بل لا وجه له؛ لأنَّ بقاءَه على حاله أعونُ على تحصيل هذا المراد، والله الهادي إلى سبيل الرَّشاد.

﴿أَمْ تَكُونُ ﴾: أم يظهرُ كونُها ﴿مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْ تَدُونَ ﴾؛ أي: لا يقدرون على الاهتداء.

⁽١) في (ف) و(ك): «بأن» بدل «لا».

⁽٢) في (ك): «معاهدته».

⁽٣) نسبت لأبي حيوة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٩).

قالوا: إنَّ الشَّياطين خافوا أنْ يتزوَّجَها سليمان عليه السلام، فيولَدَ له منها ولدٌ يجتمع له فِطنةُ الإنسِ والجنِّ؛ لأنها كانت بنتَ جنيَّة، فيخرجون مِن ملْكِ سليمان إلى ملْكِ هو أشدُّ وأفظع، فقالوا: إنَّ في عقلِها شيئاً، وهي شَعْراءُ السَّاقين، ورجلُها كحافر الحمار، فاختبرَ عقلَها بتنكيرِ العرشِ، وتعرَّف ساقيها ورجليها باتِّخاذ الصَّرْح على ما يأتي بيانُه، فالمرادُ مِن كونِها مِن الذين لا يهتدون: كونُها مِن الطَّائفةِ الحمقى، ومِن هاهنا تبيَّن وجهُ الإطناب، والله أعلم بالصَّواب.

* * *

(٤٢) - ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ مُوَّ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا جَآءَتُ ﴾ الفاء فصيحةٌ، والمقدَّرُ يظهرُ بأدنى تأمُّلِ.

﴿ قِيلَ أَهَ نَكَذَا عَرَشُكِ ﴾ (ها) للتَّنبيه، والكاف للتَّشبيه، و(ذا) اسم الإشارة (١١)، ولم يقل: أهذا عرشك؟ ولكنْ: أمثلُ هذا عرشك؟ لئلا يكون تلقيناً (٢).

﴿قَالَتْكَأَنَّهُ مُوْ ﴾ فأجابَتْ (٣) أحسنَ جوابٍ؛ فلم (١) تقل: (هو، هو)، و لا: (ليس هو)، و ذلك مِن رَجاحة عقلِها، حيث لم تقطع في المحتمِلِ للأمرَيْنِ، أو لَمَّا شبَّهوا عليها بقولهم: ﴿أَهَٰكَذَاعَرُشُكِ ﴾ شبَّهَتْ عليهم بقولها: ﴿كَأَنَّهُ مُوَ ﴾ مع أنَّها علمَتْ عرشها.

﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا ﴾ مِن تمام كلامِها؛ أي: وأوتينا العلم بقدرة الله وبصحَّة

⁽١) في (ك): «إشارة».

⁽٢) في (ف): «ليكون تلقيا». وفي (م): «لئلا يكون تلقيا».

⁽٣) في (م): «فأجابته».

⁽٤) في (ك) و(م): «ولم».

نبوَّتِك بالآيات المتقدِّمة مِن أمرِ الهدهد والرُّسل مِن قبل هذه الحالة الخارقة للعادة.

﴿ وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ منقادِينَ لكَ مطيعينَ لأمرِكَ، وكأنَّها وقفَتْ على ما قصدَه سليمانُ عليه السلام بذلك أوَّلاً وآخِراً.

* * *

(٤٣) _ ﴿ وَصَدَّهَامَا كَانَت نَّعْبُدُمِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمِ كَنْفِرِينَ ﴾.

﴿ وَصَدَّهَا ﴾ كلامٌ مبتدأٌ مِن اللهِ تعالى.

﴿مَاكَانَتَ نَعْبُدُمِن دُونِ اللَّهِ ﴾؛ أي: منعَها عن التَّقدُّم إلى الإسلام عبادةُ الشَّمسِ ونشوؤها بين ظهراني الكفرة، ثمَّ بيَّنَ نشأتها بينهم بقوله:

﴿إِنَّهَا كَانَتُمِن قَوْمِ كَنْفِرِينَ ﴾ وقرئ بالفتح (١) على الإبدال من فاعل (صدًّ)؛ أي: صدَّها نشوؤها بينَ أظهر الكفَّار، أو على التَّعليل فتكون لامُ التعليل محذوفاً من (أنَّ).

* * *

(٤٤) _ ﴿ قِيلَ لَمَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرُحُ فَلَمَّا رَأَتُهُ حَسِبَتُهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ وَصَرْحُ مُّ مَرَّدُ مِنْ وَوَارِيرُ قَالَتَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾.

﴿ قِيلَ لَمَا اَدْخُلِى الصَّرِحُ ﴾ الصَّرح (٢): هو الموضعُ البسيطُ المنكشِفُ مِن غيرِ سقفٍ، ومنه قولهم: صرَّحَ بالأمر: إذ أفصحَ (٣) به ولم يَكْنِ عنه، وكانَ ذلك الصَّرحُ مِن زجاجِ أبيضَ شفَّافٍ، تحتَه ماءٌ جارٍ، فيه سمكُ.

⁽۱) نسبت لسعيد بن جبير. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ۱۰۹).

⁽٢) «الصرح» من (م) و(ي).

⁽٣) في (م): «إذا أفضح».

﴿ فَلَمَّا رَأَتُهُ حَسِبَتُهُ لُجَّةً ﴾ اللُّجَّةُ: معظمُ الماءِ.

﴿ وَكُشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾ لتخوضَه ، والواو فصيحة عاطفة على مُقدَّرٍ ، تقديره: فشمَّرَتْ ذيلها (١) ، فالمرتَّبُ على الحسبان المذكور مجموعُ المعطوفَيْن، والواو المذكورة كاشفةٌ عن هذا.

وكان سليمان عليه السلام على سريرِه في صدْرِ الصَّرْحِ، فرأى ساقيها وقدميها حِساناً، فصرَفَ بصرَه ثمَّ ﴿قَالَ ﴾ لها: ﴿إِنَّهُ،صَرَّحُ مُّمَرَدُ ﴾ مملَّسٌ مستوٍ، ومنه: الأمرد.

﴿مِن قَوَارِيرَ ﴾: من الزُّجاج.

وأراد سليمان عليه السلام تزوُّجَها، فكرِهَ شعرَها، فعملَ له الشَّياطين النُّوْرَةَ، فأزالته، فنكحها(٢).

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّ ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ بعبادةِ غيرِكَ ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَنَ ﴾؛ أي: تابعةً إيَّاه ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْمَالِمَ ﴾ أي: تابعةً إيَّاه ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْمَالِمَ ﴾ فيه التفاتُ مِن الخطاب إلى الغيبة؛ إظهاراً لباعث إسلامه له تعالى، وهو ألوهيَّتُه المستتبِعةُ لربوبيَّة العالمين (٣).

* * *

⁽١) في (ف): «عن ذيلها».

⁽۲) كذا قيل، وفي بعض الأخبار: أنه لم يتزوجها بل زوجها من ذي تبعً ملك همدان، وليس في كليهما شيء يثبت، وأحسن ما جاء فيه قول عبدالله بن عتبة، وسئل: هل تزوج سليمان بلقيس؟ فقال: انتهى أمرها إلى قولها: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَنَ لِللَّهِ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾. قيل: يعني لا علم لنا وراء ذلك. وانظر تفصيل ذلك في «روح المعاني» (۱۹/ ۲۲۶).

⁽٣) «العالمين» سقط من (ك). وفي (م): «لربوبيته للعالمين».

(٥٤) - ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ٓ إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِحًا أَنِ أَعْبُدُواْ اللَّهَ فَإِذَاهُمْ فَرِيقَكَانِ يَغْتَصِمُوك ﴾.

﴿ وَلَقَدُ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ ﴾ في النَّسبِ ﴿ صَلِحًا ﴾ بدل(١).

﴿ أَنِ اعْبُدُوا الله ؛ أي (٢): بأن اعبدوا الله ؛ أي: وحّدوه (٣).

﴿فَإِذَا ﴾ للمفاجأة ﴿هُمْ ﴾ مبتدأ ﴿فَرِيقَانِ ﴾ خبره ﴿يَغْتَصِمُونَ ﴾ صفة، وهي العامل في (إذا)، والمعنى: فإذا قومُ صالح فريقان؛ مؤمنٌ به وكافرٌ به يختصمون، فيقول كلُّ فريق: الحقُّ معي، وقد مرَّ تفصيلُه في سورة الأعراف.

* * *

(٤٦) - ﴿ قَالَ يَنَقُومِ لِمَ نَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِئَةِ فَبْلُ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

﴿ قَالَ ﴾ حين قال الفريق الكافر: ﴿ يَنْصَالِحُ أَثِّينَا بِمَا تَعِدُنَاۤ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٧] (٤):

﴿ يَنَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِتَ فَهِ : بالعذاب الذي توعَدون به ﴿ فَمَالَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ قبلَ التَّوبةِ.

﴿ لَوْلَا ﴾: هلَّا ﴿ تَسَمَّتَغْفِرُونَ اللَّهَ ﴾: تطلبون المغفرة مِن كفركم بالتَّوبة والإيمان قبلَ نزولِ العذابِ ﴿ لَعَلَكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ بالإجابة.

* * *

⁽١) في (م): «بدله».

⁽٢) «أي»: ليست في (م) و(ي) و(ع).

⁽٣) في (ف): «وحده».

⁽٤) في (ف) زيادة: «قال».

(٤٧) _ ﴿ قَالُواْ اَطَّيْرَنَا بِكَ وَبِمَن مَعَكَ قَالَ طَت بِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُ مْ قَوْمٌ تُفْت نُونَ ﴾.

﴿ قَالُوا اَطَّيَرَا بِكَ ﴾: تشاءمنا بك؛ لأنهم قُحِطوا عند مبعثِه لتكذيبِهم، فنسبوه إلى مجيئه، والأصل: (تطيَّرنا) وقرئ به (١١)، فأُدغِمَتِ التَّاء في الطَّاء وزِيْدَتِ الألف لسكون الطَّاء.

﴿وَيِمَن مَّعَكَ ﴾ مِن المؤمنين.

﴿ قَالَ طَنَيْرُكُمْ عِندَاللَّهِ ﴾؛ أي: سببُكم الذي يجيء منه (٢) خيرُكم وشرُّكم عندَ اللهِ، وهو قدَره (٣) وقِسمته، أو: عملُكم مكتوبٌ (٤) عندَ الله تعالى، فمنه نزل بكم ما نزل؛ عقوبةً لكم وفتنةً، وقد مرَّ أصلُ ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ ٱلْزَمَّنَهُ طَهَيْرَهُ، فِي عُنُقِهِ عَهُ الإسراء: ١٣].

﴿ بَلْ ﴾ إضرابٌ مِن بيان السَّببِ إلى بيانِ سببِ السَّببِ.

﴿أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾: تُخْتَبَرونَ (٥) بتعاقُب السَّراءِ والضَّراءِ.

* * *

(٤٨) = ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَةُ رَهْطِ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾.

﴿ وَكَانَ فِٱلْمَدِينَةِ ﴾؛ أي: مدينةِ ثمود، وهي الحِجْرُ ﴿ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ الرَّهْطُ اسمُ الجماعةِ، فكأنّهم كانوا رؤساء يَتبعُ كلَّ واحدٍ منهم رهطٌ، كذا قال القرطبي (١).

⁽۱) انظر: «الكشاف» (۳/ ۳۷۱).

⁽٢) في (ف): «فيه».

⁽٣) في (ف): «قدرته».

⁽٤) «مكتوب» سقط من (ك).

⁽٥) في (ك): «مختبرون».

⁽٦) انظر: «تفسير القرطبي» (١٦/ ١٨٢).

﴿ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصَلِحُونَ ﴾؛ أي: شأنُهم الإفسادُ الخالصُ مِن شَوبِ الصَّلاح.

* * *

(٤٩) - ﴿ قَالُواْتَقَاسَمُواْ بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُعَلَّانَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ عَاشَهِ لَنَامَهْ لِكَ أَهْلِهِ عَ وَإِنَّا لَصَكِيدِ قُوكَ ﴾.

﴿ قَالُواْ ﴾؛ أي: قالَ بعضُهم لبعضٍ ﴿ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾ خبرٌ في محلِّ الحال بإضمار (قد) لأنَّه ماضٍ؛ أي: قالوا متقاسمين، أو أمرَ بعضُهم بعضاً بالقسمة.

﴿لَنُبِيِّ تَنَّهُ ﴾؛ أي: لنقتلنَّه مباغتةً ليلاً ﴿وَأَهْلَهُ ﴾: ولدَه وتبعَه.

﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيَهِ ﴾: لرَهْطه الذي له ولاية الدَّم: ﴿ مَاشَهِ ذَنَا ﴾: ما حضرنا ﴿ مُهْلَكَ أَهْلِهِ ﴾ الـمُهْلَكُ مِن أهلَكَ يحتمِل المصدرَ والزَّمان والمكان، وكذا المَهلِكُ بكسر اللَّام (١٠)، وقرئ بالفتح أيضاً (٢) فيكون مصدراً ؛ أي: لم نتعرض لأهله فكيف تعرَّضنا له؟! أو: ما حضرنا موضع هلاكه فكيف تولَّيناه؟!

﴿ وَإِنَّا لَصَدِقُونَ ﴾ فيما ذكرنا.

* * *

(٥٠) - ﴿ وَمَكُرُواْ مَكْرُاوَ مَكُرُنا مَكْرُنا مَكْرُا وَهُمَ لا يَشْعُرُونَ ﴾.

﴿ وَمَكَرُواْ مَكُرًا ﴾ في ذلك ﴿ وَمَكَرُنَا مَكُرًا ﴾؛ أي: جزيناهم على مكرهم بتعجيل العقوبة.

(۱) فعلى الأول يكون المعنى: ما حضرنا إهلاكهم، أو: مكان إهلاكهم، أو: زمان إهلاكهم، وعلى الثاني: ما حضرنا هلاكهم، أو: مكان هلاكهم، أو: زمان هلاكهم.

⁽٢) قرأ جمهور السبعة بضم الميم وفتح اللام، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام، وأبو بكر بفتحهما. انظر: «التيسير» (ص: ١٤٤).

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ بذلك.

* * *

(١٥) - ﴿ فَأَنظُرْ كَيْفَكَ أَن عَلِقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَا هُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾.

﴿ فَٱنظُرْكَيْفَكَاكَ عَنِقِبَةُ مَكْرِهِمْ ﴾ ﴿كَاكَ ﴾ إن كانت ناقصة فخبرُها ﴿ كَيْفَ ﴾ ، وإن كانت تامَّة فـ ﴿كَيْفَ ﴾ حال.

﴿أَنَّادَمَّرْنَاهُمُ ﴾ قرئ بكسر الهمزة على الاستئناف أو خبر محذوف، وقرئ بفتحها(١) على أنَّه خبر أو بدل من اسم ﴿كَاكَ ﴾، أو خبر له و ﴿كَيْفَ ﴾ حال، أو يكون التَّقدير: لأنَّا، وحُذِفَ حرف الجرِّ.

﴿ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ بالصَّيحةِ.

* * *

(٥٢) - ﴿ فَيَتْلُكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيكَةً بِمَاظَلَمُوٓ أَ إِنَ فِي ذَلِكَ لَآكِةً لِقَوْمِ يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيكَةً ﴾: ساقطةً منهدمةً، مِن خَوَى النَّجمُ: إذا سقطَ، أو: خاليةً، مِن الخُوِيِّ، وهي حالٌ عَمِلَ فيها ما دلَّ عليه (تلك).

﴿ بِمَاظَلُمُوا أَ ﴾: بظلمهم.

﴿إِنَ فِي ذَالِكَ ﴾: فيما فُعِلَ بثمودَ ﴿ لَآبَةً لِّقَوْمِ يَعً لَمُونَ ﴾ فيتَّعظون.

* * *

(٥٣) _ ﴿ وَأَنِيَا اللَّذِينَ ءَامَنُواُوكَ الْوَاْيِنَا قُونَ ﴾.

﴿ وَأَنْجَيْ نَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ بصالح ﴿ وَكَاثُواْ يَنَّقُونَ ﴾ عصيانه.

(١) قرأ الكوفيون بفتح الهمزة، والباقون بكسرها. انظر: «التيسير» للداني (ص: ١٦٨).

(٤٥) - ﴿ وَلُوطًا إِذْ فَالَ لِقَوْمِ مِعَ أَتَأْتُونَ ٱلْفَحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْعِرُونَ ﴾.

﴿ وَلُوطًا ﴾: واذكر لوطاً، أو: وأرسلنا لوطاً؛ لدلالة ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ عليه، والأوَّل أنسبُ لِمَا نزلَ أوَّلاً، والثَّاني لِمَا نزلَ مكرَّراً (١٠).

﴿إِذْ فَكَالَ ﴾ بدلٌ من ﴿ وَلُوطًا ﴾ على الأوَّل؛ أي: واذكرْ وقتَ قولِ لوطٍ، وظرفٌ على الثَّاني.

﴿لِقَوْمِ مِيانَا أَتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ ﴾ الاستفهام للإنكار والتَّوبيخ.

و ﴿ اَلْفَاحِشَةَ ﴾ : الفِعلة القبيحة ، والمرادُ: اللِّواطةُ ، أبهم هنا ثمَّ بيَّنها بقوله : ﴿ لَتَأْتُونَا لَإِمَالَ ﴾ تقريراً وتنبيهاً على أنَّ معنى الفاحشة بلغ الغاية فيها حتى صارَ علماً لها ، ثمَّ إنَّ في البيان المذكور تنبيهاً على أنَّ المرادَ مِن الفاحشة محلُّها بطريق المجاز ، وإتيانُه كنايةٌ عن فِعل اللِّواطةِ .

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾: والحالُ أنَّ لكم الأبصار؛ يعني أنَّ قباحة ذلك المحلِّ مِن المحسوساتِ، فوجودُ البصر كافِ في إدراكها(٢).

* * *

(٥٥) - ﴿ أَبِنَّكُمْ لَتَأْتُونَا لَيْجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءً بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجَهَلُون ﴾.

﴿ أَيِنَّكُمْ لَتَأْتُونَا لَرِّجَالَ ﴾ آثر الرِّجالَ على الذُّكور ليزدادَ قُبْحُ الإتيان المذكور.

﴿ شَهُوا ﴾ : للشُّهوة، ناظرٌ (٣) إلى قوله: ﴿ وَأَنتُمْ ثُبُصِرُونَ ﴾ ، كأنَّه قيل: القَباحة

⁽١) في (ف) و(ك): «والأول أنسب لما ذكر مكررًّا».

⁽٢) في هامش (ف) و(م): «ويجوز أن يكون المراد: أتأتون وأنتم تبصرون ما في ذلك المحل من القذر، فتدبره. منه».

⁽٣) في (ف): «ناظراً».

هنا في درجةٍ حَتُّ مَن له البصر أن يرغبَ عنه نفرةً، وأنتم ترغبونَ فيه شهوةً (١).

﴿ مِن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ يعني: أنَّ اللهَ تعالى إنَّما خلقَ الأنثى للذَّكر، ولم يخلق الذَّكرَ للذَّكرِ، ولا الأنثى للأنثى، فهو مضادَّةٌ (٢) لله تعالى في حكمتِه.

﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ بَخَهَ لُونَ ﴾ تفعلون فعلَ الجاهلين بأنَّها فاحشةٌ، مع علمِكُم بذلك، أو أريد بالجهل: السَّفاهة والـمَجَانةُ التي كانوا عليها.

وقد اجتمع الخطاب والغيبة هنا وفي قوله: ﴿بَلْأَنْتُمْ قُومٌ تُفْتَنُونَ ﴾، فعلّب المخاطَبَ على الغائب لأنّه أقوى؛ إذ الأصل أن يكون الكلامُ بينَ الحاضرين.

* * *

(٥٦) - ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۚ إِلَّا أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓا ءَالَلُوطِ مِن قَرْيَتِكُمُ ۚ إِنَّهُمْ أَنَهُمْ أَنَاتُ يَنْطَهَّرُونَ ﴾.

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۚ إِلَّا أَن قَالُوا ﴾ خبرُ ﴿ كَانَ ﴾: ﴿ جَوَابَ ﴾، واسمُه ﴿ أَن قَالُوا ﴾.

﴿أَخْرِجُوا اللَّهُ وَلِ ﴾؛ أي: لوطاً ومتَّبعيه، تناولَ الأمرُ له عليه السلام - دلالة (٣).

﴿ مِن قَرْيَتِكُم ۚ إِنَّهُم أَنَاسُ يَنَطَهَ رُونَ ﴾: يتنزّهون عن القاذورات، فينكرون هذا العمل القذر، ويَغيظُنا إنكارُهم، تعليلٌ للأمر المذكور على وجهِ يتضمَّن الاستهزاء؛ لأنَّه على طريقةِ ﴿ لَأَنْتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧].

⁽١) في (ك): «في حق من لـه البصر عنـه نفرة وأنتـم ترغبون شـهوة»، وفي (ف): «في حق من للبصر عنـه نفرة وأنتم ترغبون شـهوة».

⁽۲) في (ف): «فهو مضاد».

⁽٣) في هامش (ف) و(م): «كتناول الأمر في ﴿أَدْخِلُوٓاْءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّالُمْذَابِ ﴾ لفرعون. منه».

(٥٧) - ﴿ فَأَنِحَيْنَ كُوَأَهْ لَلَّهُ إِلَّا أَمْرَأَتَ هُ, قَدَّرْنَ لَهَامِنَ ٱلْفَكِينِ ﴾.

﴿ فَأَنْجَيَّنَـ لَهُ ﴾ الفاء فصيحة ﴿ وَأَهْلَهُ ﴾ يعني: مِن العذابِ الواقع بقومِه.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ,وَقَدِّرْنَهَا ﴾؛ أي: قدرنا كونها استئناف للتعليل.

﴿مِنَ ٱلْفَنْمِرِينَ ﴾: مِن الباقينَ في العذاب.

* * *

(٥٨) - ﴿ وَأَمْطَرْنَاعَلَيْهِم مَطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَدِينَ ﴾.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرَّ أَفْسَاءَ مَطَرُ ٱلْمُنذرينَ ﴾ قد مرَّ تفسيرُه في سورة الأعراف.

* * *

(٥٩) _ ﴿ قُلِ ٱلْحَمَدُ لِلَّهِ وَسَلَمُ عَلَى عِبَ ادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَقٌ ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَا يُشْرِكُونَ ﴾.

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَمُ عَلَى عِبَ ادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصَّطَفَى ﴾ أمرَ رسولَه عليه السلام بتحميده، ثمَّ بالسَّلام على المصطفين مِن عبادِه، توطئةً لِمَا يتلوه مِن الدِّلالة على وحدانيته وقدرته على كلِّ شيءٍ.

وهو تعليمٌ لكلِّ متكلِّمٍ (١) في أمرٍ ذي بالٍ بأنْ يتبرَّكَ بهما، ويستظهرَ مكانهما (٢). أو هو خطاب للوطٍ عليه السلام أنْ يحمدَ الله على هلاكِ كفَّارِ قومِه، ويسلِّمَ على مَن اصطفاهُ اللهُ تعالى ونجَّاه مِن هلكتهم (٣)، وعصمه من ذنوبهم.

﴿ءَٱللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ لا خيرَ فيما أشركوه أصلاً حتَّى يُوازنَ بينَه وبينَ مَن

⁽۱) في (م): «متعلم».

⁽٢) في (ك) و(م): «ويستظهر بمكانهما»، وفي (ف): «ويستظهر بمكانه».

⁽٣) في (ف) و(ك) و(م): «هلكهم».

هو خالقُ كلِّ شيءٍ، وإنَّما هو إلزامٌ لهم وتهكُّم بحالهم؛ ليتنبَّهوا على الخطأ الـمُفرِط والجهل المورِّط، وليعلموا أنَّ الإيثار يجب أن يكون للخير الزَّائد.

ثمَّ عدَّدَ سبحانه وتعالى الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله، فقال:

(٦٠) _ ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَنَوَتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءَ فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَايِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّاكَانَ لَكُرْ أَن تُنْبِتُواْ شَجَرَهَا ۚ أَوَلَهُ مُّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يُعَدِلُونَ ﴾.

﴿أُمِّنَ ﴾: بل أَمْ مَن (١) ﴿خَلَقَ السَّمَنَوْتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ تقريرٌ لهم بأنَّ مَن قدرَ على خلقِ العالم خيرٌ مِن جمادٍ لا يقدرُ على شيءٍ.

﴿ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَآءَ ﴾: مطراً، وفي قوله: ﴿ لَكُم ﴾ تنبيهٌ على أنَّ الغيْثَ وإنْ لم يخلُ مِن الضَّرر(٢) إلَّا أنَّ المقصودَ مِن إنزالِه النَّفعُ.

﴿ فَأَنْبَتْنَا ﴾ صرفَ الكلام عن الغيبة إلى التّكلُّم تأكيداً لمعنى اختصاص الفعل بذاته، وإيذاناً (٣) بأنَّ إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطُّعوم والأشكال _مع حسنِها _ بماءٍ واحدٍ لا يقدرُ عليه إلَّا هو وحدَه.

﴿بِدِ ﴾؛ أي: بالماء.

﴿ حَدَآ إِنَّ ﴾ الحديقةُ: البستانُ عليه حائطٌ، مِن الإحداق، وهو الإحاطة.

﴿ ذَاكَ ﴾ لـم يقـلُ: ذواتِ؛ لأنَّ المعنى: جماعـةَ حدائقَ، كما تقول: النِّساء ذهبَتْ.

﴿ بَهَ جَاتِ ﴾: حُسْنٍ؛ لأنَّ النَّاظرَ يبتهِجُ به، ثمَّ رشحَ معنى الاختصاص بقوله:

⁽١) في (ف) و(ك) و(ع): «بل أمن»، وفي (م): «بل من».

⁽٢) في (ك) و(م): «الضر»، وفي (ي) و(ع): «الغيث».

⁽٣) في (ف) و(ك): «إيذانا»، والمثبت من باقي النسخ و «تفسير النسفي» (٢/ ٦١٥).

﴿مَاكَاكَكُرُأَن تُنْبِتُواْشَجَرَهَا ﴾: شجرَ الحدائق، ومعنى الكينونةِ الانتفاءُ، أرادَ أنَّ تأتِّى ذلك محالٌ مِن غيره.

﴿ أَءِكَهُ مَّعَ اللَّهِ ﴾: أغيرُه يُقرَنُ ويُجعَلُ شريكاً له.

﴿ بَلَ هُمْ قَوْمٌ يُعَلِدُ لُونَ ﴾ به غيره، أو: يعدلون عن الحقّ الذي هو التّوحيد. و ﴿ بَلَ هُمْ ﴾ بعد الخطاب أبلغُ في تخطئةِ رأيهم.

* * *

(٦١) - ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَلَهَاۤ أَنَّهَ رَّا وَجَعَلَ لَمَارًا وَجَعَلَ الْمَارَوسِ وَجَعَلَ الْأَرْفِ وَجَعَلَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ اللْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ اللْمُؤْمِنُ اللْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ ال

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ ﴾ وما بعده بدل من ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ﴾ فكانَ حكمُها حكمَه.

﴿ قَرَارًا ﴾: دحاها وسوَّاها للاستقرار عليها.

﴿وَجَعَكَ خِلَالَهَا ﴾ ظرفٌ؛ أي: وسطَها، وهـو المفعـول الثَّانـي(١)، والأول ﴿أَنَهَدَرًا ﴾، و﴿بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ مثلُه.

﴿ وَجَعَلَ لَمَا ﴾ للأرضِ ﴿ رَوَسِو ﴾: جبالاً تمنعُها عن الحركةِ.

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْمَحْرَيْنِ ﴾ العذبِ والمالح ﴿ حَاجِزًا ۗ ﴾: مانعاً أنْ يختلِطا.

﴿ أَءِ لَنَّهُ مَّعَ ٱللَّهِ بَلَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ التَّوحيدَ فلا يؤمنون.

* * *

(٦٢) - ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوَءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ ٱلْأَرْضِ الْ آءِكَ هُمَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا لَذَكَرُونَ ﴾.

⁽١) قوله: (وهو المفعول الثاني): لأنَّ الظرف لا يقع مسنداً إليه، والمفعول الأول لجعل يكون مسنداً إليه.

﴿ أَمَّن يُحِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ الاضطرارُ: افتعالٌ مِن الضَّرورة، وهي الحاجة المحوِجةُ (١) إلى اللَّجَأ (٢)، يقال: اضْطَرَّه إلى كذا، والفاعل والمفعول مُضْطَرُّ (٣)، والسمُضْطَرُّ: الذي أحوجَه مرض أو فقر أو نازلةٌ مِن نوازل الدَّهر إلى اللَّجأ (١) إلى الله تعالى، أو السمُذنِبُ إذا استغفرَ، أو المظلومُ إذا دعا.

واللَّامُ للجنسِ لا(٥) للاستغراقِ، فلا يلزم منه إجابةُ كلِّ مُضْطَّرٍ.

﴿وَيَكَشِفُ ٱلشُّوءَ ﴾؛ أي: الضُّرَّ أو الجَوْرَ^(١).

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ ٱلأَرْضِ ﴾؛ أي: فيها، وذلك توارُثُهم سُكْناها، والتَّصرُّف فيها قرناً بعدَ قرنٍ، أو أرادَ بالخلافةِ المُلك والتَّسلُّط، وهذا أتمُّ مِن الأوَّلَين وأعمُّ وأجلُّ وقعاً وأهمُّ، ولهذا فُصِل بعدَم التَّذكُّر(٧) وبُوْلِغَ فيه.

﴿ أَءِلَكُمُّمَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّالَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿مَّا﴾ مزيدةٌ؛ أي: تذكَّرونَ تذكُّراً قليلاً، ويجوز أنْ يُرادَ بالقلَّةِ العدمُ.

* * *

⁽١) في (ف): «الملجئة».

⁽٢) اللَّجَأ ب بفتحتين _ مصدر لجأ بمعنى: لاذ، وألجأه إلى كذا: اضطره إليه. وجاء في (ك): «اللجاء»، والمثبت من باقى النسخ و «تفسير النسفى» (٢/ ٦١٥).

⁽٣) في (م): «مضطرر».

⁽٤) في (ك): «اللجاء»، والمثبت من باقى النسخ والمصدر السابق.

⁽٥) «للجنس لا» سقط من (م)، و«للجنس» سقط من (ف) و(ك).

⁽٦) في (ف): «الضراء والجور».

⁽٧) في النسخ: «التذكير»، والصواب المثبت لأنه هو مصدر الفعل الآتي فاصلة، أما التذكير فمصدر: ذكَّر.

(٦٣) - ﴿ أَمَّنَ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّينَ حَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَى رَحْيَدِهِ أَ أَوَلَكُ مَّعَ اللَّهِ عَكَمَ اللَّهُ عَكَمًا يُشْرِكُونَ ﴾.

﴿ أَمَن يَهْدِيكُمْ ﴾: يرشِدُكم بالنُّجومِ ﴿ فِظُلُمَن ِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ ليلاً، وبعلاماتٍ في الأرض نهاراً.

والظُّلماتُ: ظلماتُ اللَّيالي، وإضافَتُها للبرِّ والبحر للملابَسةِ، أو مشتبِهاتُ الطُّرُقِ على الاستعارة.

﴿ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيكَ مُثَمِّرًا ﴾ مِن البِشارةِ، وقد مَرَّ في سورة الفرقان.

﴿بَيْنَ يَدَىٰ رَحْمَتِهِ ٢ ﴾: قدَّامَ المطرِ.

﴿ أَوِلَكُ مُّعَ اللَّهُ تَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾: تعالى القادرُ الخالقُ عَن مشاركةِ العاجزِ المخلوقِ، تذييلٌ كالنَّتيجة للآياتِ السَّابقةِ.

* * *

(٦٤) _ ﴿أَمَّن يَبْدَوُّا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ, وَمَن يَرْزُقُكُمُ مِنَ السَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ الْعَلَّامَ مَا اللَّهُ عَالَكُمْ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ عَالَكُمْ عَاللَّهِ قُلْ هَا الْوَالْمَ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْمُؤْلِقُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللِي اللللْمُ اللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللْمُلِمُ اللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ الللْمُلْمُ اللللْمُ اللللْمُلِمُ اللللْمُلْمُ الللْمُلْمُ الللْمُلْمُ اللَّهُ الللْمُلْمُ اللللْمُلْمُ اللْمُلْمُ اللَّلْمُ الللْمُلِمُ الللْمُلْمُ الللْمُلْمُ اللَّلْمُ الللْمُلْمُ الللْمُلْمُ اللْمُل

﴿أَمَّنَ يَبَدَوُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ إنَّ ما قيل لهم: ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ وهم ينكرون الإعادة ؛ لأنَّه أُزيحت عليهم بالتَّمكُّن (١) من المعرفة والإقرار، ولم يبقَ لهم عذرٌ مِن الإنكار.

﴿ وَمَن يَرْزُقُكُمُ مِن السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ ﴾؛ أي: بأسبابِ سماويَّةٍ وأرضيَّةٍ.

﴿ أَوِلَنَّهُ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ يفعلُ ذلك.

⁽۱) في «تفسير النسفي» (۲/ ٦١٦): (بالتمكين).

﴿ قُلَ هَا تُواْبُرُهَا نَكُمْ ﴾: حجَّتكم على إشراكِكم ﴿ إِن كُنتُدُ صَلِفِقِينَ ﴾ في دعواكم أنَّ معَ الله إلها آخر.

* * *

(٦٥ - ٦٦) - ﴿ قُل لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُ وُنَا يَّا اَن يُبْعَثُوكَ ﴿ وَالْأَرْضِ اللَّهُ مَ فِي الْمَا عَمُونَ ﴾ .

﴿ قُل لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَتِ وَ الأَرْضِ الْفَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ استثناءٌ من فاعل ﴿ يَعْلَمُ ﴾، و ﴿ الفَيْبَ ﴾ و ﴿ الفَيْبَ ﴾ و هو الله و ﴿ اللَّهُ ﴾ و ﴿ اللَّهُ الله عليه دليلٌ ولا اطَّلعَ عليه مخلوقٌ مفعولُه و ﴿ اللَّهُ ﴾ بدلُ مِن ﴿ مَن ﴾ .

والمعنى: لا يعلمُ أحدٌ الغيبَ إلَّا الله.

ثمَّ إنَّ اللهَ يتعالى عن أن يكونَ ممَّن في السماوات والأرض، ولكنه جاء (۱) على لغة بني تميم حيث يُجْرُون الاستثناء المنقطع مُجرى المُتَّصل، ويجيزون النَّصبَ والبدلَ في المنقطع كما في المتَّصل، يقولون: ما في الدَّار أحدُّ إلَّا حمارٌ (۲).

نزلت الآية في المشركين حين سألوا رسول الله عليه السلام عن وقتِ السَّاعةِ (٣). ﴿ وَمَا يَشْعُونَ أَيْنَانَ ﴾: تقدَّمَ في الأعراف.

﴿ يُبْعَثُونَ * بَلِ أَدْرَكَ ﴾ أي: انتهى وتكاملَ، مِن أدركَتِ الفاكهةُ: تكاملت نضجاً.

⁽١) يعني: أن الاستثناء منقطع فيجب نصبه، لكن جاء رفعه على لغة بني تميم...

 ⁽۲) وضح ذلك الزمخشري في «الكشاف» (۳/ ۳۷۸) فقال: (يريدون: ما فيها إلا عمارٌ، كأن أحداً لم يذكر).

⁽٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٦٧).

وقرئ: ﴿ أَدَّرَكَ ﴾ (١)؛ أي: استَحْكَمَ، وأصله: تَدَارَك، فأُدْغِمَتِ التَّاء في الدَّال، وزِيْدَ أَلفُ الوصل لِيَمْكُنَ التَّكلُّمُ بها.

﴿عِلْمُهُمْ فِ ٱلْآخِرَةِ ﴾؛ أي: في شأنِ الآخرة، والمعنى: أنَّ أسبابَ استحكام العلم وتكامله بأنَّ القيامة كائنةٌ لاريْبَ فيه قد حصلَتْ لهم، ومُكِّنوا مِن معرفته، وهم شاكُّون جاهلون.

وذلك قوله: ﴿بَلَهُمْ فِي شَكِ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ والإضرابات الثَّلاث(٢) تنزيلٌ لأحوالِهم، وتكريرٌ لجهلِهم؛ وصَفَهم أوَّلاً بأنهم لا يشعرون وقت البعثِ، ثمَّ بأنَّهم لا يعلمون أنَّ القيامة كائنةٌ، ثمَّ بأنَّهم يخبطون في شكِّ ومِرْيةٍ فلا يزيلونه، والإزالةُ مستطاعةٌ، ثمَّ بما هو أسوءُ حالاً وهو العمى، وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه، فلذا عدَّاه بـ (من) دون (عن)؛ لأنَّ الكفرَ بالعاقبة والجزاء هو الذي منعهم عن التَّدبُّر والتَّفكُر.

وجازَ أَنْ يكونَ وصَفَهم باستحكام العلم وتكامله تهكُّماً بهم، وذلك حيث شكُّوا وعَمُوا عن إثباته الذي الطَّريقُ إلى علمِه مسلوكٌ، فضلاً أن يعرفوا وقتَ كونِه الذي لا طريقَ إلى معرفَتِه.

ويجوز أن يكون ﴿أَدْرَكَ﴾ بمعنى: انتهى وفنيَ، مِن^(٣) قولِكَ: أدركَتِ الثَّمرةَ؛ لأنَّ تلكَ^(٤) غايتُها التى عندها تُعدم.

⁽١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بقطع الهمزة وإسكان الدَّال من غير ألف، والباقون بوصل الألف وتشديد الدَّال وألف بعدها. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٨).

⁽٢) في (ف): «الثلاثة».

⁽٣) في (ك) و(م): «وهو من».

⁽٤) في (ك) و (م): «ذلك».

وقد فسَّرها الحسنُ بـ: اضمَحَلَّ علمُهم وتداركَ، مِن تداركَ بنو فلان: إذا تتابَعوا في الهلاكِ(١٠).

* * *

(٦٧) ـ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوٓ إِلَّهِ ذَاكُنَّا ثُرُياً وَءَابَآ وُنَآ أَبِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كُفَرُوٓآاًءِذَاكُنَّا تُرَبًّا وَءَابَآقُنَآ أَبِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾؛ أي: مِن القبور أحياءً؟!

وتكريرُ حرفِ الاستفهام إنكارٌ بعدَ إنكارٍ، ودليلٌ على كفْرٍ مُؤكَّدٍ مُبالَغٍ فيه، والعامل في (إذا) ما دَلَّ عليه ﴿لَمُخْرَجُونَ ﴾، لا نفسُه؛ لأنَّ همزة الاستفهام و(إنَّ) ولامَ الابتداء كلُّ منها يمنعُه عن العمل فيما قبله.

والضَّمير في (إنَّا) لهم ولآبائهم؛ لأنَّ كونهم تراباً قد تناولهم وآباءَهم، لكنَّه غلبَتْ الحكاية على الغائب، و﴿وَءَابَآؤُنَآ﴾ عطف على الضَّمير؛ لأن المفعول ﴿ تُرَبًا ﴾ جرى مجرى التَّأكيد.

* * *

(٦٨) ـ ﴿ لَقَدْ وُعِدْ نَاهَذَا غَنَّ وَءَابَ آؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَنَذَاۤ إِلَّاۤ أَسَطِيرُ ٱلْأَوَٰلِينَ ﴾.

﴿ لَقَدْوُعِدْنَاهَا ﴾؛ أي: البعثَ ﴿ غَنُ وَ اَلِكَا أَوْنَا مِن قَبْلُ ﴾؛ أي: مِن قبل محمَّدٍ عليه السلام.

قدِّم هنا ﴿ هَنَدَآ﴾ على ﴿ غَنُوءَ ابَآ أَوْنَا ﴾، وفي (المؤمنين) أُخِّرَ عنه؛ ليدلَّ على أنَّ المقصودَ بالذِّكر هنا البعثُ، وثَمَّ المبعوثُ.

⁽۱) انظر: «الكشاف» (۳/ ۳۷۹)، و «تفسير النسفي» (۲/ ۲۱۱). وخبر الحسن رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (۹/ ۲۹۱٤) بلفظ: (اضْمحَلَّ علمُهم في الدُّنيا حين عايَنوا الآخرة).

﴿إِنْ هَانَآ إِلَّا أَسَطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾: ما هذا إلَّا أحاديثُهم وأكاذيبُهم.

* * *

(٦٩) - ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَنِقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾.

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنِقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾؛ أي: آخِرُ أمرِ الكافرين، وفي ذكر الإجرام لطف بالمسلمين في ترك الجرائم، كقوله: ﴿ فَكَ مَ مَا عَلَيْهِمْ رَبُّهُم لِلنَّهِمْ ﴾ [الشمس: ١٤].

* * *

(٧٠) - ﴿ وَلَا تَعْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِ ضَيْقٍ مِّمَا يَمْكُرُونَ ﴾.

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ لأجلِ أنَّهم لم يتَّبعوكَ، ولم يُسْلِموا فيَسْلَموا.

﴿ وَلَاتَكُن فِي صَنْتِي ﴾: في حَرَجِ صَدْرٍ ﴿ مِّمَايَمْكُرُونَ ﴾: مِنْ مكرهم وكيدهم لك، فإنَّ اللهَ يعصمُكَ مِن النَّاس.

* * *

(٧١) _ ﴿ وَيَقُولُونَ مَنَىٰ هَلَاا ٱلْوَعَدُ إِن كُنتُمْ صَلِدِ قِينَ ﴾.

﴿ وَيَقُولُونَ مَنَىٰ هَلَذَا ٱلْوَعْدُ ﴾؛ أي: وعدُ العذابِ ﴿ إِن كُنتُ مَصَدِقِينَ ﴾ أنَّ العذابَ الذُلُ بالمكذِّب (١٠؟.

* * *

(٧٢) ـ ﴿ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى شَتْ عَجِلُوك ﴾.

⁽١) في (ك) و(م): «ذلك».

﴿ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم ﴾: تبعكم، (رَدِفَ) يتعدَّى بنفسه وباللَّام (١١)، ومَن وَهَم أَنَّ تعديتَه باللَّام بتضمين معنى مثل: دنا (١١)، فقد وَهِم ؛ لأنَّ ذلك المعنى حاصل لـ ﴿ رَدِفَ ﴾، ثمَّ إنَّ تعدية دنا وقرب بـ (من) لا باللَّام (١٠).

﴿ بَعْضُ ٱلَّذِى تَسَّتَعْجِلُونَ ﴾ استعجلوا العذابَ الموعودَ، وهو عذابُ يومِ بدرٍ. و (عسى) و (لعلَّ) و (سوفَ) في وعد الملوك ووعيدهم يدلُّ على صِدْقِ الأمر وجِدِّهِ، وعلى ذلك جرى وعدُه تعالى ووعيدُه.

* * *

(٧٣) - ﴿ وَإِنَّ رَبَّاعَلَنُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَنِكِنَّ أَكْثُرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾.

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ ﴾؛ أي: إفضالِ ﴿ عَلَ النَّاسِ ﴾ بترك المعاجلة بالعذابِ.

﴿ وَلَكِكَنَّ أَكُنُهُمْ لَا يَشَكُرُونَ ﴾؛ أي: أكثرهم لا يعرفون حقَّ النِّعمة فيه ولا يشكرونه، بل يستعجلون لجهلهم وقوعَ العذابِ.

* * *

(٧٤) - ﴿ وَإِنْ كَنَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾.

﴿ وَإِنَّرَيَّكَ لَيَعَلَمُ مَا تُكِنُّ ﴾: ما تُخفيه ﴿ صُدُورُهُمْ ﴾ قال الرُّماني: الإكنانُ: جعلُ الشَّيء بحيث لا يلحقُه أذًى لمانع يصدُّه عنه.

⁽١) في هامش (ف): «ذكر في الأساس ويوافقه ما في الصحاح. منه».

⁽٢) أي: بتضمين معنى فعلِ يتعدى باللام مثل الفعل المذكور. والمقصود بالتوهيم هو البيضاوي، لكن دافع عنه الشهاب بما سنذكره في التعليق الآتي.

⁽٣) قال الشهاب متعقباً: وتضمينه معنى دنا لأنه يتعدى بمن وإلى واللام كما في «الأساس» [(مادة: دنو)]، فمن اعترض عليه بأنه يتعدى بمن فقد سها، كسهوه في أنّ ردف بمعنى دنا فلا يصح أن يضمن معناه. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٥٧).

﴿ وَمَا يُعُلِنُونَ ﴾: يُظهِرون، فليس تأخيرُ العذابِ لخفاءِ حالِهم، ولكن له وقتٌ مقدَّرُ (١).

* * *

(٧٥) - ﴿ وَمَامِنْ غَآيِبَقِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِ كِنَابٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ وَمَامِنْ غَايِبَةِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ سُمِّي الشَّيءُ الذي يغيبُ ويخفى: غائبةً وخافيةً، والتَّاء فيها كالتَّاء في العافية والعاقبة (٢)، ونظائر هما: الرَّميَّة والذَّبيحة والنَّطيحة في أنَّها (٣) أسماءٌ غيرُ صفاتٍ، ويجوز أن يكونا صفَتَيْن، وتاؤهما للمبالغة كالرَّاوية (٤).

﴿ إِلَّا فِي كِنَكِ مُبِينٍ ﴾ أي: بيِّنٍ أو مُبيِّنٍ مَا (٥) فيه لِمَن يطالِعُه. والمرادُ مِن الكتاب: اللَّوحُ.

* * *

(٧٦) _ ﴿ إِنَّ هَاذَا ٱلْقُرَانَ يَقُشُّ عَلَى بَنِي إِسْرَةَ بِلَ أَكْثَرُ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَغْتَلِفُون ﴾.

(١) في هامش (م) و(ي): «إنما أخر ﴿يُعُلِنُونَ ﴾ لنكتة نذكرها في تفسير سورة يس. منه».

⁽٢) أي: هي للنقل إلى الاسمية، فتاؤها لا تدلُّ على تأنيث ما تُطلق عليه. وانظر التعليق الآتي.

⁽٣) في (ي) و(ع): «أنهما».

⁽٤) وتوضيح الكلام: أن ﴿ عَلَيْبَةِ ﴾ يجوز أن تكون صفة منقولة إلى الاسمية سمي بها ما يغيب ويخفى، والتاء فيها للنقل كما تقدم، ويجوز أن تكون صفة غلبت في هذا المعنى، فكثر عدم إجرائها على الموصوف ودلالتها على الثبوت، وإن لم تنقل إلى الاسمية كمؤمن وكافر، فتاؤها ليست للتأنيث إذ لم يلاحظ لها موصوف تجري عليه كالراوية للرجل الكثير الرواية، فهي تاء مبالغة. والفرق بين المغلب والمنقول على ما قال الخفاجي: أن الأول يجوز إجراؤه على موصوف مذكر بخلاف الثاني. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٥٧)، و«روح المعانى» (٧/ ٥٠).

⁽٥) في (ك) و(م): «لما».

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرُءَانَيَقُصُّ عَلَى بَنِيَ إِسْرَ ٓ يِلَ ﴾؛ أي: يبيِّنُ لهم، والقَصصُ: كلامٌ يتلو بعضُه بعضاً فيما ينبئ عن المعنى.

﴿أَكُثُرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَغْتَلِفُونَ ﴾ كالتَّشبيه والتَّنزيه، وأحوالِ الجنَّة والنَّار، وعُزَيرٍ والمسيح.

والاختلافُ: ذهابُ كلُّ واحدٍ إلى خِلاف ما ذهبَ إليه صاحبُه.

وهذا تحريكٌ للمشركين على اتّباع القرآنِ؛ فإنّه لَمَّا كان فيه بيانٌ لأهل الكتاب، وهم يرجعون إليه، لأنّه مرجع وهم يرجعون إليه، لأنّه مرجع مرجعهم، وكان منزّ لاً على مَن(١) بُعِثَ منهم.

* * *

(٧٧) - ﴿ وَإِنَّهُ الْمُدَّى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَإِنَّهُ لَمُدَّى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لأنَّهم هم المنتفعون به.

* * *

(٧٨) - ﴿ إِنَّ رَبُّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ } وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

﴿ إِنَّ رَبُّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم ﴾ بينَ مَن آمنَ بالقرآن وبينَ مَن كفرَ.

﴿ بِحُكْمِهِ } المحكوم به حُكماً. ويقضي إلَّا بالعدل، فسمي المحكوم به حُكماً. أو: بحكمته، ويدلُّ عليه قراءة: (بحِكَمِهِ) (٢) جمع حِكمةٍ.

﴿ وَهُوَ الْعَزِيرُ ﴾ فلا يُرَدُّ قضاؤُه ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بمَن يُقضى له، وبمَن يُقضَى عليه.

⁽١) «من» من (ك).

⁽٢) نسبت لجناح بن حبيش. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١١).

(٧٩) - ﴿ فَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾.

﴿ فَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ ﴿ فَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ ونصرِه. وفيه بيانُ أنَّ صاحب الحقِّ حقيقٌ بالوثوق بحفظه (٢) على اللهِ ونصرِه.

* * *

(٨٠) - ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَى وَلَا أَشِّعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَإِذَا وَلَوْا مُدْبِينَ ﴾.

﴿ إِنَّكَ لَاتُسْمِعُ ٱلْمَوْتَى ﴾ تعليلٌ آخر للأمرِ بالتَّوكُّل من حيثُ إنَّه يقطع طمَعه مِن مشايعتهم ومعاضدتهم رأساً، وإنَّما شُبِّهوا بالموتى لعدم انتفاعِهم باستماعِ ما يُتلَى عليهم، كما شُبِّهوا بالصَّمِّ في قولِه:

﴿ وَلَا شَيْعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ ﴾ ثمَّ أكَّد حالَ الأصمِّ بقولِه:

﴿ إِذَا وَلَوْا مُدْبِيِنَ ﴾ لأنَّه إذا تباعدَ عن الدَّاعي _ بأنْ تولَّى عنه مدبراً _ كانَ أبعدَ عن إدراك صوتِه.

* * *

(٨١) - ﴿ وَمَا أَنتَ بِهَادِى الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمُ إِن تُسَعِمُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِعَايَلَتِنَا فَهُم مُسْلِمُوك ﴾.

⁽۱) انظر: «الكشاف» (٣/ ٣٨٤). وقوله: «لا يدركها...» رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٤)، ومن طريقه الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٢٥) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مرفوعاً، قول ابن كثير عند تفسير هذه الآية: إسناده لا يصح.

⁽٢) جزء من الحديث السابق.

﴿ وَمَا أَنتَ بِهَا فِي الْعُمْنِ ﴾ الهداية لا يلزمها الاهتداء، دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا تُمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْمُدَىٰ ﴾ [فصلت: ١٧]، فلا جرمَ زِيْدَ قولُه:

﴿ عَن ضَلَلَتِهِم ﴾ حتى يكون المنفيُّ الهدايةَ المنجيةَ عن الضَّلالة، لا مُطلَقَ الهدايةِ؛ لأنَّها غيرُ ممتنعةٍ في حقِّ العُمي.

﴿إِن تُسْمِعُ ﴾: ما يُجدي إسماعُك ﴿إِلَّا مَن يُوَمِنُ بِعَاينتِنَا ﴾: إلَّا الذين يصدِّقون أَنَّ القرآنَ كلامُ الله تعالى؛ إذ حينت ذِيتُشِتُ نبوَّته عليه السلام فيَقْبَلُ قولَه، فيجدِي إسماعُه نفعاً.

﴿ فَهُم مُسلِمُونَ ﴾: مخلِصون، من قوله: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسَلَمَ وَجَهَهُ, لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٢]؟ أي: جعله سالماً لله خالصاً له.

* * *

(٨٢) _ ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْمِ مَ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَاّبَةً مِنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُواْبِعَايَنِيَنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾.

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْمٍ ﴾ سمى معنى القول ومؤدَّاه وهو ما وُعدوا مِن قِيامِ السَّاعة وظهورُ السَّاعة وظهورُ السَّاعة وظهورُ أشراطِها.

﴿ أَخَرَجْنَا لَهُمْ دَآبَةً ﴾ هي الجسَّاسة، في الحديث: «طولُها ستُّون ذراعاً، ولها أربعُ قوائم وزغبٌ وريشٌ وجناحان، لا يدركها طالبٌ، ولا يفوتها هاربٌ ١٠٠٠.

⁽۱) انظر: «تفسير الثعلبي» (۷/ ۲۲۲). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (۹/ ۲۹۲٦)، لكن السائل والراوي عنده هو أبو داود نفيع الأعمى، وهو متروك. كما في «التقريب»

﴿ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: مِن أرض مكَّة؛ رُوي أنه عليه الصلاة والسلام سُئِلَ عن مخرجها، فقال: «من أعظم المساجد حرمةً على الله»(١) يعني: المسجد الحرام.

﴿ أَكُلِّمُهُمْ ﴾ وقرئ: (تَكْلِمُهم)(٢)، وقال أبو الجوزاء: سألْتُ عبدَ اللهِ بنَ عبَّاسٍ رضي الله عنه: ﴿ لَكُلِمُهُمْ أُو (تَكْلِمُهم)؟ فقال: كلَّ ذلك تفعلُ؛ تكلِّمُ المؤمنَ وتَكْلِمُ الكافرَ (٣).

وقيل: تكلِّم بالعربيَّة وتقول: ﴿أَنَّالْنَاسَكَانُواْبِعَايَلِيَنَا ﴾: خروجِها وسائر أحوالِها فإنَّها مِن آياتِ اللهِ تعالى ﴿لَا يُوقِنُونَ ﴾: لا يتيقَّنون، وهو حكايةُ معنى قولها، أو حكايتُها لقول الله تعالى، أو علَّةُ خروجها(٤).

وقرئ: ﴿إِنَّ﴾ بالكسر(٥).

* * *

(٨٣) - ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةِ فَوْجَا مِّمَّن يُكَدِّبُ بِعَاينيّنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾.

ثمَّ ذكرَ قيامَ السَّاعةِ فقالَ: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّوِفَوَجًا ﴾؛ أي: واذكر يومَ نجمعُ مِن كلِّ أمَّة مِن الأمم زمرةً. و ﴿ مِن ﴾ للتَّبعيضِ؛ لأنَّ أمَّة كلِّ نبيٍّ وأهلَ كلِّ قرنٍ شامل للمصدِّقين والمكذِّبين.

(۱) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٢٢٢). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٦)، لكن السائل والراوي عنده هو أبو داود نفيع الأعمى، وهو متروك. كما في «التقريب»

⁽٢) أي: أو هذا القول هو علة لخروجها على حذف الجار؛ أي: لأن الناس.

⁽٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٧/ ٢٢٢). ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٦)، لكن السائل والراوي عنده هو أبو داود نفيع الأعمى، وهو متروك. كما في «التقريب»

⁽٤) أي: أو هذا القول هو علة لخروجها على حذف الجار؛ أي: لأن الناس.

⁽٥) قرأ الكوفيون بفتح الهمزة، وباقي السبعة بكسرها. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٩).

و (من) في قوله: ﴿مِمَّن يُكَذِّبُ ﴾ للتَّبيين.

﴿ بِعَايَنِينَا ﴾ الـمُنزَّلة على أنبيائِنا.

﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾: يُحبَس أوَّلُهم على آخرِهم حتى يجتمعوا، ثمَّ يساقونَ (١٠) إلى موضع الحسابِ، وهذه عبارةٌ عن كثرة العَدَد، وكذا الفوجُ عبارةٌ عن الجماعة الكثيرة.

* * *

(٨٤) - ﴿ حَتَّى إِذَا جَآءُ وَقَالَ أَكَذَبْتُم بِنَا يَتِي وَلَرْ تَحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ حَتَى إِذَا جَاءُو ﴾: حضروا موقفَ الحسابِ والسُّؤالِ ﴿ قَالَ ﴾ لهم تعالى تهديداً: ﴿ أَكَذَ بْتُم بِايَنِي ﴾ المنزَلةِ على رُسُلي (٢).

﴿ وَلَمْ يَحُيطُواْ بِهَا عِلْمًا ﴾ الواو للحال، كأنَّه قال: أكذَّبتم بآياتي بادئ الرَّأي مِن غيرِ فكرٍ ولا نظرٍ يؤدِّي إلى إحاطة العلم بكُنْهِها، وأنَّها حقيقةٌ (٢) بالتَّصديق أو بالتَّكذيب.

أو للعطف؛ أي: أجمعتُم(٤) بينَ التَّكذيب وعدم إلقاءِ الأذهان لتحقيقها.

﴿ أَمَّاذَاكُنَهُمْ تَعْمَلُونَ ﴾: أم أيَّ شيءٍ كنتم تعملونه بعد ذلك؟ وهو للتَّبكيت إذْ لم يفعلوا غير التَّكذيب من الجهل، فلا يقدرون أنْ يقولوا: فعلنا غير ذلك.

⁽١) في (ف) و(ك): «يساقوا».

⁽٢) في (ف): «رسولي».

⁽٣) في (ف) و(ك) و(م): «حقيق».

⁽٤) في (ك): «جمعتم».

وإنَّما جازَ دخول ﴿ أَمْ ﴾ على (ما) الاستفهاميَّة لهذه النُّكتة؛ فإنَّها خرجَتْ عن حقيقة الاستفهام إلى البَتِّ بالحكم، لا بالمعادِل بل بالأوَّل.

* * *

(٨٥) - ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَاظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾.

﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِ مِهِ مَاظَلَمُوا ﴾: أُحِلَّ بهم العذابُ الموعودُ بسبب ظلمِهم، وهو التَّكذيب.

﴿ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴾ فيشغلُهم عن النُّطق والاعتذار، قال الله تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾ [المرسلات: ٣٥].

* * *

(٨٦) ـ ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِيذَلِكَ لَآيَـٰتِ لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ أَلَمْ بَرَوْا ﴾ ليتحقَّق لهم التَّوحيدُ، ويرشدَهم إلى تجويزِ الحشر وبعثةِ الرُّسل. ﴿ أَنَا جَعَلْنَا ٱليَّلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ ﴾ بالنَّوم والقرارِ.

﴿وَٱلنَّهَارَمُبَصِرًا ﴾ جعلَ الإبصار للنَّهار _ وهو لأهله _ للمبالغة فيه بجعلِ الإبصار حالاً مِن أحوال المجعول، بحيث لا ينفكُ عنها، وهذا من باب ما حُذِفَ مِن أحد المتقابلين ما أُثبِتَ في الآخر، فالتَّقدير: جعلنا اللَّيل مظلماً لتسكنوا فيه والنَّهار مبصراً لتتصرَّفوا فيه.

ومَن غفل عن هذا قال: والتقابل مراعًى مِن حيث المعنى؛ لأنَّ ﴿مُبْصِرًا﴾ بمعنى (١): ليُبصروا فيه طُرُقَ التَّقلُّب في المكاسب.

⁽١) في (ي) و(ع): «لأن معنى مبصراً».

﴿إِكَفِذَلِكَ لَآيَنَ ﴾ لدلالتها على الأمور الثَّلاثة؛ لأنَّ المعنى: ألم يعلموا أنَّا جعلنا اللَّيل والنَّهار قِواماً لمعاشهم في الدُّنيا؛ ليعلموا(١) أنَّ ذلك لم يُجعَلْ عبثاً، بل محنة وابتلاءً، ولا بدَّ عندَ ذلك من ثوابٍ وعقابٍ، فإذا لم يكونا في هذه الدَّار فلا بُدَّ مِن دارٍ أخرى للثَّواب والعِقابِ.

﴿ لِلْقَوْمِ يُؤْمِنُونَ ﴾ خُصُّوا بتلك الآيات لاختصاصِ الانتفاعِ بها بهم.

* * *

(٨٧) _ ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِ ٱلصَّورِ فَفَرِعَ مَن فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَكَآءَ ٱللَّهُ وَكُلُّ ٱتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ ﴾: واذكر يومَ ﴿ يُنفَخُ فِ ٱلصُّورِ ﴾: هو قرنٌ، والنَّافخُ إسرافيل عليه السلام، روى أبو هريرة أنَّه يَنفخُ ثلاثَ نفخاتٍ: الأولى نفخة الفزع، ثم بعده بأربعين يوماً نفخة الصَّعق (٢).

قلت: والذي في الصحيحين عن أبي هريرة أنهما نفختان بينهما أربعون، دون تعيين التمييز، رواه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥). ولم يرد في التعيين خبر يحتج به.

⁽١) في (ك): «لعلموا».

⁽Y) رواه إسحاق بن راهويه (۱۰)، والطبري في «تفسيره» (۸/ ۱۳۲)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (۹/ ۲۹۲۸) وهو جزء من حديث طويل. قال ابن كثير في «تفسيره» عند تفسير هذه الآية: (هذا حديث مشهور وهو غريب جدّاً، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة وفي بعض ألفاظه نكارة. تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة... وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة، قد أفردتها في جزء على حدة. وأما سياقه، فغريب جدا، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة، وجعله سياقا واحدا، فأنكر عليه بسبب ذلك).

فما قِيلَ: إنَّه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نُفِخَ في البوق؛ ليس بذاك.

﴿ فَفَزِعَ ﴾ الفَزَعُ والجَزَعُ أخوان، لكنَّ الفَزَع ما يعتري من الشَّيء المخيف، والجَزَعَ ما يعتري من الشَّيء المؤلم.

﴿ مَن فِي السَّمَوَتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ مِن الهول، وعبَّر عنه بالماضي للإشعار بصحَّة وقوعِه وأنَّه كائنٌ لا محالة، ولا حاجة إلى هذا الإشعار في الأوَّل لأنَّه منشأ الفَزَعِ، فالقَطْعُ بوقوع هذا يقتضي القَطْعَ بوقوع ذلك.

﴿ إِلَّا مَن شَكَآءَ اللَّهُ ﴾ أنَّه (١) لا يفزَع (٢)، بأنْ ثبَّتَ اللهُ قلبَه، قالوا: هم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام، وقيل وقيل (٣).

﴿ وَكُلُّ أَتَوَهُ ﴾: حاضرون الموقف بعد النَّفخة الثَّانية، أو راجعون إلى أمرِه.

﴿ دَاخِرِينَ ﴾: صاغِريْنَ.

* * *

(٨٨) - ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَعْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِى تَمُزُّمَزَ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِى أَنْقَنَ كُلُّ شَىٰءً إِنَّهُ، خَيِرُ بِمَا تَفْعَكُونَ ﴾.

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَعْسَبُهَا ﴾ حالٌ مِن المخاطَب.

﴿ جَامِدَةً ﴾: واقفةً ممسكةً (١) عن الحركةِ، مِن جمدَ في مكانِه: إذا لم يبرع.

⁽١) في (ف) و(ي) و(ع) و(م): «الأنه».

⁽٢) في (م): «يقرع».

⁽٣) «وقيل» زيادة من (ك) و(ي) و(م).

⁽٤) في (ف) و(ك) و(م) زيادة: «في مكانِه». والمثبت من (ع) و(ي)، و«تفسير النسفي» (٢/ ٦٢٣)، =

﴿ وَهِى تَمُرُّمَ لَ السَّحَابِ ﴾؛ أي: مرَّا مشلَ مرِّ السَّحاب، والمعنى: أنَّكَ إذا رأيْتَ الجبالَ وقتَ النَّفخةِ ظنَنْتُها ثابتةً في مكانٍ واحدٍ [لعظمها] (١)، وهي تسيرُ سيراً سريعاً كالسَّحاب إذا ضربَتْه الرِّيح، وهكذا الأجرامُ المتلاصقةُ المتكاثرةُ العددِ إذا تحرَّكَتْ لا تكاد تبينُ حركتها.

﴿ صُنَعَ اللهِ ﴾ مصدرٌ عملَ فيه ما دلَّ عليه: ﴿ تَمُرُ ﴾؛ لأنَّ مرورَها كمرِّ السَّحابِ مِن صنعِ اللهِ، فكأنَّه قيل: صَنعَ اللهِ ذلك، وذُكرَ اسمُ اللهِ لأَنَّه لم يُذْكر قبلُ.

﴿ اللَّذِى ٓ أَنْقُنَ ﴾؛ أي: أحكم صُنْعَهُ، ولقد أصابَ عبارةُ (٢) الصُّنع والإتقان محزَّهما (٣)، وذلك أنَّ بقاءَ صورةِ الجبالِ بعدَما تخلخَلَتْ وصارَتْ كالعِهنِ المنفوشِ دلَّ على كمالِ الإتقانِ مِن جهةِ الصُّنعِ، وهو تركيبُ الصُّورةِ في المادَّةِ.

وهذا الإتقان ينتظِمُ ﴿ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ قويًّا كان تركيبُه أو ضعيفاً.

﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾(١) عالمٌ بظواهرِ الأفعالِ وبواطنها، فيكافئهم على حسب ذلك.

* * *

⁼ ولفظ البيضاوي (٤/ ١٦٩): ثابتة في مكانها.

⁽۱) من «تفسير النسفى» (۲/ ٦٢٣).

⁽۲) في (م) و(ي): «عبارتنا».

⁽٣) في (ع) و(ي): «محزها».

⁽٤) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر من رواية هشام، وقرأ باقي السبعة: ﴿تَفْعَلُونَ﴾ بالتاء. انظر: «التيسير» (ص: ١٦٩).

(٨٩) _ ﴿ مَن جَاءَ وَالْحَسَنَةِ فَلَهُ رُخَيْرٌ مِنْهَا وَهُم مِن فَرَعٍ يَوْمَهِذٍ عَامِنُونَ ﴾.

ثمَّ لخَّصَ ذلك بقولِه: ﴿مَنجَآءَ ﴾ يومَ القيامة ﴿إِلْحَسَنَةِ ﴾ قالَ أكثرُ المفسِّرين: الحسنةُ هاهنا كلمةُ الإخلاص، والسَّيئةُ ضدُّها وهو الشِّركُ، لأنَّه قالَ في حقِّها: ﴿فَكُبَتَ وُجُوهُهُمْ فِ النَّارِ ﴾.

﴿ فَلَهُ مَنْ أُمِّنَّهُ ﴾؛ أي: خيرٌ حاصلٌ مِن جهتِها.

﴿ وَهُمُ مِن فَزَع ﴾: شديدٍ؛ أي: مِن فنعٍ شديدٍ مفرِطِ الشِّدَّةِ، وهو خوفُ النَّارِ، أو: مِن فنع مّا وإنْ قَلَ.

وقرئ بالإضافة إلى ﴿يَوْمَ بِذِ﴾ (١) لأنَّه جعل (يوم) مع (إذ) كالاسم الواحد، والمرادُ: يومُ القيامةِ.

﴿ اَمِنُونَ ﴾ أَمِنَ تعدَّى بالجارِّ وبنفسِه، كقوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكَرَاللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٩٩].

* * *

(٩٠) _ ﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِنَةِ فَكُبَّتَ وُجُوهُهُمْ فِ النَّارِ هَلْ تُجْزَرُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾. ﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِتَةِ فَكُبَّتَ ﴾ يُقالُ: كبَّه وأكبَّه: إذا نكسه.

﴿ وُجُوهُ هُمَّ ﴾ أنفسهم، يُعبَّر عن الجملةِ بالوجه كما يُعبَّرُ بالرَّأس والرَّقبة عنها (٢).

⁽۱) بالإضافة وفتح الميم، وهي قراءة نافع في المشهور عنه، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتنوين وفتح الميم، وباقي السبعة بالإضافة وكسر الميم. قال ابن مجاهد: (ولا يجوز مع التنوين إلَّا فتح الميم، فإذا لم تنون جاء الفتح والكسر). انظر: «السبعة»، و«التيسير» (ص: ۱۷۰).

⁽٢) قوله: «يعبر عن الجملة بالوجه كما يعبر بالرأس والرقبة عنها» في (ف) جاءت بعد قوله: «في النار».

﴿ فِ ٱلنَّارِ ﴾؛ أي: ألقوا على رؤوسهم فيها (١)، ويقال لهم تبكيتاً عندَ الكبِّ: ﴿ هَلْ تُجْزَوْنِ إِلاَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ في الدُّنيا مِن الشِّركِ والمعاصي.

* * *

(٩١) _ ﴿ إِنَّمَا آُمِرْتُ أَنْ أَعَبُدَ رَبَ هَمَاذِهِ ٱلْبَلَدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنَّ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.

﴿إِنَّمَا أُمِرَٰتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَمَٰذِهِ أَلْبَلْدَةِ ﴾ مكّة خصَّها مِن بينِ البلادِ بإضافة اسمه إليها؛ لأنَّها أحبُّ بلادِه إليه وأعظمُها عندَه، وأشار إليه بقوله: ﴿هَمَدْوِ﴾ إشارةَ تعظيم لها وتقريبِ دالًّا على أنَّها موطنُ (٢) نبيِّه عليه السلام ومَهبِطُ وحيِهِ.

﴿ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا ﴾: جعلها حَرَماً آمناً ﴿ وَلَهُ رُكُلُ شَيْءٌ ﴾ خَلقاً وملكاً.

وصفَ ذاته بالتَّحريم الذي هو خاصُّ وصفِها، وجعلَ دخولَ كلِّ شيءٍ تحتَ ربوبيَّتِه وملكوتِه كالتَّابِعِ لِدُخولِها تحتَها، ولا خفاءَ في أنَّ إجراءَ الوصفِ على الله تعالى تعظيمٌ لشأنِ الوصف ولشأنِ ما يتعلَّق به الوصف، وزيادةُ اختصاصٍ له بمَن أُجْرِي عليه الوصف، وجعل ذلك كالمسلَّم المفروغ عنه، ولا كذلك لو قيل: (التي حرَّمها) ووُصِفت البلدة تخصيصاً أو مدحاً.

﴿ وَأُمِرْتُ أَنَّ أَكُوكَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾: المنقادِينَ له.

* * *

⁽۱) «أي: ألقيَ على رؤوسهم فيها» سقطت من (ك) و(ف)، ووقع في (ع) و(م) و(ي): «ألقي»، والمثبت من هامش (م)، وفيه: «لعله: ألقوا»، وهو الموافق لما في «تفسير النسفي» (٢/ ٦٢٤).

⁽۲) في (ك) زيادة: «بيت».

(٩٢) _ ﴿ وَأَنْ أَتَلُوا الْقُرْءَانَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِدِينَ ﴾.

﴿ وَأَنَ أَتَلُوا الْقُرْءَانَ ﴾ مِن التَّلاوة أو مِن التُّلوّ؛ لقوله: ﴿ وَاتَّبِعُمَا يُوحَى إِلَيْكَ ﴾ [يونس: ١٠٩].

أمرَ الرَّسول بأنْ يقولَ: أُمرْتُ (١) أنْ أخصَّ الله تعالى وحدَه بالعبادةِ، ولا أتَّخذَ له شريكاً كما فعلَتْ قريشٌ، وأنْ أكونَ مِن الحنفاءِ الثَّابتين على مِلَّةِ الإسلام، وأنْ أتلوَ القرآن لأعرِفَ الحلالَ والحرامَ وسائرَ الأحكام، وما يقتضيه الإسلام.

﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ باتِّباعِه إيَّايَ في ذلك.

﴿ فَإِنَّمَا يَهْ تَدِي لِنَفْسِهِ يَ ﴾ فمنفعة اهتدائِه راجعة إليه لا إليَّ.

﴿ وَمَن ضَلَّ ﴾ بمخالفتي. وحذف جواب هذا لدلالة مقابِلِه عليه؛ أي: فمضرَّة ضلاله راجعةٌ إليه لا إليَّ.

ولَمَّا حذفَ ذلك أُقِيمَ تعليلُه مقامَه، وهو قوله: ﴿فَقُلْ إِنَّمَاۤ أَنَاْمِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾؛ أي: وما أنا إلَّا رسولٌ منذرٌ، وما على الرَّسولِ إلَّا البلاغ.

* * *

(٩٣) - ﴿ وَقُلِ أَخْمَدُ لِلَّهِ سَيْرِيكُو ءَ النَّهِ وَ فَعَرِفُونَهَا وَمَارَبُّكَ بِغَيْفِلِ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ وَقُلِ المَّمَدُ لِلَّهِ ﴾ ثمَّ أُمِرَ أَنْ يحمدَ اللهَ تعالى على نعمة النَّبَوَّةِ، أو على التَّوفيقِ للعلمِ والعمل به (٢).

⁽١) في (ف): «وأمرت».

⁽٢) «به» زيادة من (م) و(ي) و(ع).

﴿سَيْرِيكُرْءَ اَيَنْهِ ﴾ القاهرةَ في الدُّنيا، أو في الآخرة.

﴿ فَنَعْرِفُونَهَا ﴾: فتعرفونَ أنَّها آياتُ اللهِ تعالى، ولكنْ حينَ لا تنفعُكُم المعرفَةُ.

﴿ وَمَارَتُكَ بِغَنِفِلِ عَمَّا تَعَمَلُونَ ﴾ فلا يغرَّنَّكُم تأخيرُ العقوبةِ؛ فإنَّه إمهالٌ لا إهمالٌ.

* * *